

المسيرة رفع هـملاً
غفر الله له ولوالديه

الروض الأليف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثاني

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الرَّوْضُ الْإِنْفِ

فِي شَرْحِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّهْلِيِّ

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

وَمَعَهُ

السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ لِلْإِمَامِ ابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفَّى ٢١٨ هـ

الْجُزْءُ الثَّانِي

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ وَشَرْحٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلُ

تَوْزِيعٌ

بِمَكْتَبَةِ الْعِلْمِ بِمَكَّةَ

حَيْ الشَّعْرَ

٦٨٧٧٠١٤

النَّاشِرُ

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ

الْقَاهِرَةُ ١٠١٤٢٤٦

جامعة الكويت
ادارة المكتبات - قسم التزويد المادي
رقم التسجيل ١٧٢٣٨
التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

« أما بعد » فباسم الله نقدم الجزء الثانى من « الروض الأنف » للسهلى
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

١٩ من رمضان سنة ١٣٨٧

٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٧

عبد الرحمن الوكيل

« أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم » :

قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بنُ عبد المطلب رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -
سيدَ ولد آدم ، محمدَ بنَ عبد الله بن عبد المطلب ، صلواتُ الله وسلامه ورحمته
وبركاته عليه وعلى آله . وأمه : آمنَةُ بنت وَهَب بن عبد مناف بن زُهرة بن
كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُمها : بَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيٍّ بن كِلَاب
ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم بَرَّة : أُم حَبِيب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ بن كِلَاب بن
مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم أم حَبِيب : بَرَّة بنت عَوْف بن عُبيد بن عُويج بن عدى بن كعب
ابن لُؤَيٍّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشرفُ ولد آدم
حسبا ، وأفضلهم نسبا من قبَل أبيه ، وأمه صلى الله عليه وسلم .

« حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

إشارة إلى ذكر احتقار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال :
وكان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما حدثنا به زياد بن عبد الله
البكائي ، عن محمد بن إسحاق المِطْلَبِي : بينما عبد المطلب بن هاشم نائمٌ في الحجر ،
إذ أتته ، فأمر بحفر زمزم ، وهى دفن بين صنمى قُرَيْشٍ : إسافٍ ونائلة ، عند

مَنَحَر قَرِيش . وكانت جُرُهم دَفَنَتْها حين ظَعَنُوا من مَكَّة ، وهى : بئر إِسْمَاعِيل ابن إِبراهيم — عليهما السلام — التى سَقاه اللهُ حين ظَمِئُ وهو صَغِيرٌ ، فَالْتَمَسَتْ لَهُ أُمُّهُ مَاءً فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَقامَتْ إِلَى الصَّفا تَدْعُو الله ، وَتَسْتَغِيثُهُ لِإِسْمَاعِيل ، ثُمَّ أَنْتِ الْمَرْوَةُ ففَعَلْتَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَبعَثَ اللهُ تَعَالَى جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ فِي الْأَرْضِ ، فَظَهَرَ الْمَاءُ ، وَسَمِعْتَ أُمَّهُ أَصْوَاتَ السَّبَّاحِ نِخَافَتُهَا عَلَيْهِ ، فَجاءَتْ تَشْتَدُّ نَحْوَهُ ، فوجدته يَفْحَصُ بِيَدِهِ عَنِ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ خَدِّهِ وَيَشْرَبُ ، فَجَعَلْتَهُ حَسِيًّا [الحسى : الحفيرة الصغيرة] .

أمر جرهم ، ودفن زمزم

قال ابن هشام : وكان من حديث جرهم ، ودَفَنُها زمزم ، وخروجها من مَكَّة ، وَمَنْ ولى أَمْرَ مَكَّةَ بَعْدَها إِلَى أَنْ حَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ زَمْزَمَ ، ما حدثنا به زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَسْكَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحاقَ الْمُطَّلِبِيِّ ، قال : لما توفى إِسْمَاعِيلُ ابنُ إِبراهيمَ وَلىَ الْبَيْتَ بَعْدَهُ ابْنُهُ نَابِتُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ - ما شاء اللهُ أَنْ يَلِيَهُ - ثُمَّ وَلىَ الْبَيْتَ بَعْدَهُ : مُضاضُ بْنُ عَمْرِو الْجُرْهُمِيِّ :

(باب مولد النبي صلى الله عليه وسلم)

ذكر نسب أُمِّهِ آمَنَةُ بنت وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنافٍ بْنِ زُهْرَةَ ، وَأَنَّ زُهْرَةَ هُوَ : ابنُ كَلابٍ ، وَفِي الْمَعَارِفِ لابن قَتَيْبَةَ : أَنَّ زُهْرَةَ اسْمُ امْرَأَةٍ عُرِفَ بِهَا بَنُو زُهْرَةَ ، وَهَذَا مُنْكَرٌ غَيْرُ مَعْرُوفٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمُ جَدِّهِ - كما قال ابن إِسْحاقَ وَالزُّهْرَةُ فِي اللُّغَةِ : إِشْرَاقٌ فِي اللَّوْنِ ، أَيْ لَوْنٍ كَانَ مِنْ بَيَاضٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَزْهَرَ هُوَ الْأَبْيَضُ خَاصَّةً ، وَأَنَّ الزَّهْرَ اسْمٌ لِلأَبْيَضِ مِنَ النُّوَّارِ ،

قال ابن هشام : ويقال : مضاض بن عمرو الجرهمي .

قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل ، وبنو نابت مع جدّهم : مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرّهم ، وجرّهم وقطّوراء يومئذ أهل مكة ، وهما ابنا عمّ ، وكانا نطلعنا من اليمن ، فأقبلا سياراً ، وعلى جرّهم : مضاض بن عمرو ، وعلى قطّوراء : السّميدع رجُلٌ منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملكٌ يُقيم أمرهم . فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجرٍ ، فأعجبهما فنزلا به . فنزل مضاض بن عمرو بمنّ معه من جرّهم بأعلى مكة بقُعَيْقِعَان ، فما حاز . ونزل السّميدع بقطّوراء ، أسفل مكة بأجباد ، فما حاز . فكان مضاض يعشُر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السّميدع يعشُر من دخل مكة من أسفلها ، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جرّهم وقطّوراء بقى بعضهم

وخطأ أبو حنيفة من قال بهذا القول ، وقال : إنما الزُّهرة إشراق في الألوان كلها ، وأنشد في نور الخوذان ، وهو أصفر :

تري زهر الخوذان حَوْلَ رياضه يُضِيءُ كَلَوْنَ الْأَنْجَمِيِّ الْمَوْرِسِ (١)

وفي حديث يوم أحد : نظرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعَيْنَاهُ تَزْهَرَانِ تَحْتَ الْمَغْفَرِ .

(١) الخوذان : نبات عشبي من ذوات الفلقتين . منه أنواع يزرع لزهرها ، وأخرى تنبت برية ، ويقال : تحم الثوب : وشاه ، والاتحمي والاتحمية ، والمتشحمة - بضم الميم وسكون التاء وفتح الحاء ، أو بفتح التاء وتضعيف الحاء مع فتح - مؤنث . وورس الثوب : صبغه بالورس ، وهو نبت من الفصيلة البقلية ، وهي شجرة ثمرها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء ، كما يوجد عليه زغب قليل يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لا حتوائه على مادة حمراء .

على بعض ، وتنافسوا المُلْك بها ، ومع مُضاض يومئذ : بنو إسماعيل وبنونابت ، وإليه ولاية البيت دون السَّمِيدَع . فسار بعضهم إلى بعض ، فخرج مُضاض ابن عمرو من قُعَيْقَعان في كَتِيبته سائرا إلى السَّمِيدَع ، ومع كَتِيبته عُدَّتُهَا من الرِّمَاح والدَّرَق والسيُوف والجِجَاعِب ، يُقَعِّع بذلك معه ، فيقال : ما سُمِّي قُعَيْقَعان بقُعَيْقَعان إلا لذلك . وخرج السَّمِيدَع من أجياد ، ومعه الخيل والرجال ، فيقال : ما سُمِّي أجياد : أجياداً إلا لخروج الجياد من الخيل مع السَّمِيدَع منه . فَالْتَقَوْا بغاضِح ، واقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل السَّمِيدَع ، وفُضِحَتْ قطورا . فيقال : ما سُمِّي فاضِح فاضحا إلا لذلك . ثم إن القوم تَدَاعَوْا إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المَطَايِخ : شُعْباً بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض . فلما جُمع إليه أمر مكة ، فصار مُلْكُهَا له نَحَرَ للناس فأطعمهم ، فأطَبَّخ الناسُ وأَكَلُوا ، فيقال : ما سُمِّيت المَطَايِخ : المطايخ إلا لذلك . وبعضُ أهل العلم يزعمُ أنها إنما سُمِّيت المطايخ ، لِما كان تُبَعِّع نَحْرَها ، وأطعم ، وكانت منزلته ، فكان الذي كان بين مُضاض والسَّمِيدَع أولَ بَغْيٍ كان بمكة فيما يزعمون .

ثم نشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جُرْهُم ولاية البيت والحكام بمكة ، لا يَنَازِعُهُمْ ولد إسماعيل في ذلك لَخُولَتِهِمْ وقَوَاتِهِمْ ، وإِعْظَاماً لِلْحُرْمَةِ أن يكون بها بَغْيٌ أو قتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد ، فلا يَنَاقِشُونَ قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فَوَطَّئُوهُمْ .

زمزم : وذكر فيه خبر إسماعيل ، وأمه ، وقد تقدم طرف منه . وذكر أن جَبْرِيلَ - عليه السلام - هَمَزَ بعقبه في موضع زَمَزَم ، فنبت الماء ، وكذلك زَمَزَم

استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

« بنو بكر يطردون جرهما »

ثم إن جرهما بغوا بمكة ، واستحلوا خلا من الحرمه ، فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها ، فرق أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وغبشان من خزاعة ذلك ، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة . فآذَنُوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغبشان ، فنَفَوْهم من مكة . وكانت مكة في الجاهلية لا تُقَرَّ فيها ظُلماً ولا بغياً ، ولا يَبْنَى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى : النَّاسَة ، ولا يريد لها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه ، فيقال : إنها ما سُميت ببكة إلا أنها كانت تَبْكُ أعناق الجبابرة إذا أهدنوا فيها شيئاً .

قال ابن هشام : أخبرني أبو عبيدة : أن بكة اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يتباكون فيها ، أى : يزدحون ، وأنشدنى :

إذا الشَّريبُ أخذته أُمَّهُ فَخَلَّه حَتَّى يَبْكُ بَكَّةً

أى : فدغه حتى يبك إبلاً ، أى يُخَلِّها إلى الماء ، فتزدحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

تسمى : هَمْزَة جبريل بتقديم الميم على الزاى ، ويقال فيها أيضاً : هَزْمَة جبريل ، لأنها هَزْمَة (١) فى الأرض ، وحكى فى اسمها : زُمَازِمٌ وزَمَزَمٌ . حكى ذلك عن المطرز ، وتسمى أيضاً : طعام طعم ، وشفاء سُقم . وقال الجُرِّي : سميت : (١) فى النهاية لابن الأثير : الهزمة : النقرة فى الصدر ، وفى التفاحة إذا

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبجحر الركن ، فدفعهما في زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فغنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديداً ، فقال عمرو ابن الحارث بن مُضاض في ذلك ، وليس بمضاض الأكبر :

وقد شَرِقتْ بالدمع منها المَحَاجِرُ	وقائلة والدمعُ سَكَبُ مُبَادِرُ
أُنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سامِرُ	كأن لم يكن بين الحَجُوجِ إلى الصَّفا
يَلَجِلُجُهْ بين الجناحين طائرُ	فقلتُ لها والقلبُ مني كَأَنَّمَا
صُرُوفُ اللَّيالي ، والجُدودِ التَّوَاتِرُ	بلى نحن كُنَّا أهلها ، فأزالنا
نطوفُ بِذَلكَ البيتِ ، والخيرُ ظاهرُ	وكُنَّا ولَاةَ البيتِ من بَعْدِ نَابِتِ
بِعِزَّةٍ ، فَمَا يَحْطِى لَدِينَا المَكَاثِرُ	ونحن وَلِينَا البيتَ من بعد نَابِتِ
فَإِيسَ لَحَى غَيْرَنَا ثُمَّ فَاخِرُ	مَلَكْنَا فَعَزَّزْنَا فَأَعْظَمَ بِمَلَكْنَا
فَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا ، ونحن الأَصَاهِرُ	ألم تُنْكَحُوا من خيرِ شَخْصٍ علمته
فَإِنَّهَا حَالَا ، وفيها التَّشَاوِرُ	فإن تَنَشَّئِ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِحَالِهَا
كَذَلِكَ - يَا لِنَّاسٍ - تَجْرَى المَتَادِرُ	فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا المَلِيكَ بِقُدْرَةِ
أَذا العرشِ : لا يَبْعَدُ سُهَيْلٌ وَعَامِرُ	أَقُولُ إِذَا نَامَ الخَلَى ، ولم أُنَمِ
قِبَائِلُ مِنْهَا خَيْرٌ وَيَحَابِرُ	وَبَدَّلْتُ مِنْهَا أَوْجُهَا لَا أَحِبُّهَا

زمزم ، يَزَمَزِمَةُ المَاءِ ، وهى صوته ، وقال المسعودي : سُمِّيَتْ زَمَزَمُ ؛ لِأَنَّ الفُرْسَ كانت تحج إليها في الزمن الأول ، فزَمَزَمَتْ عليها . والزَمَزَمَةُ : صوت يُخْرِجُهُ الفُرسُ من خياشيمها عند شرب الماء . وقد كتب عمر - رضى الله عنه - إلى عماله : أن انهو الفرسَ عن الزَمَزَمَةِ ، وأنشد المسعودي :

وصرنا أحاديثا وكُنَّا بغيطةً بذلك عَصَّتنا السَّنون الغوابر
فسحَّتْ دموعُ العين تَبْكِي لِبَلَدَةٍ بها حَرَمٌ أَمْنٌ ، وفيها المشاعر
وتبكي لبيتٍ ليس يُؤذَى حمَاهُ يظلّ به أَمْنًا ، وفيه العَصافر
وفيه وحوش - لا تُرام - أنيسةً إذا خرجتْ منه ، فليست تُعادر
قال ابن هشام : « فأبناؤهُ منا » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بَكْرًا وغبشَان ،
وساكني مكة الذين خَلَفُوا فيها بعدهم :

يأيها النَّاسُ سِيرُوا إن قَصَرَكم أن تُصْبِحُوا ذات يوم لا تَسِيرُونَا
حُثُوا المَطْيَى ، وأَرْخُوا من أَرْمَتَهَا قبل الممات ، وقَضُوا ما تُقْصُونَا
كُنَّا أَناسًا كما كنتم ، فغَيَّرْنَا دهرٌ ، فأنتم كما كُنَّا تَكُونُونَا

قال ابن هشام : هذا ما صحَّ له منها . وحدثني بعضُ أهل العلم بالشعر :
أن هذه الأبيات أوَّلُ شعر قيل في العرب ، وأنها وُجِدَتْ مكتوبة في حَجَرٍ
بالبين ، ولم يُسَمَّ لى قائلها .

زَمَزَمَتِ الفُرْسُ عَلَى زَمَزَمَ وذلك في سالفِها الأَقْدَمِ (١)

(١) الزمزمة أيضاً : تراطن الفرس على أكلهم ، وهم صُمُوت لا يستعملون اللسان
ولا الشفة ، لكنه صوت تديره في خياشيمهم وحلقهم ، فيفهم بعضهم عن بعض .
والبيت في ص ٢٤٢ ج ١ المسعودي . ونص قول المسعودي : وكانت أسلاف
الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به تعظيماً له ، ولجدها إبراهيم عليه السلام
وتعكَّاه ، وحفظاً لأنسابها ، وكان آخر من حج فنهيم : ساسان بن بابك .

وذكر البرقي عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنها سميت : زَمْزَمَ لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لثلاث يأخذ الماء يميناً وشمالاً ، ولو تَرَكْتَ لساحت على الأرض حتى تَمَلَأَ كُلُّ شَيْءٍ . وقال ابنُ هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع قال الشاعر :

وباشرتْ مَعْظَنَهَا الْمُدْهَمَ وَيَمَّتْ زُمُومَهَا الْمُزْمَرِمَا (١)

سبب نزول هاجر وإسماعيل مكة : المدهم : اللَّيْنُ ، وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليهما من الشام أَنَّ سَارَةَ بنتَ عمِّ إبراهيم - عليه السلام - شجر بينها وبين هاجر أمر ، وساء ما بينهما ، فأمر إبراهيمُ أن يسير بها إلى مكة ، فاحتملها على الْبُرَاقِ (٢) واحتمل معه قِرْبَةً بماء ومِزْوَدَ تمرٍ ، وسار بها

(١) في الاصل : المدهشم ، وهو خطأ . والمعطن هو اللابل كالوطن للناس ولكنه غلب على مبركها . والزمزوم : الجماعة من الإبل عددها مائة . وقد ذكر اللسان عن ابن برى أن زمزم لها اثنا عشر اسماً : زمزم ، مكتومة ، معنونة ، شباعة ، بضم الشين وفتح الباء ، سقياء بضم السين وسكون القاف ، الرِّءَواء : بفتح الراء والواو ، ركضة جبريل ، هزمة جبريل ، شفاء سقم ، طعام طعام ، خنيرة عبد المطلب . أقول : وذكر لها اسم آخر هو بَرَّة . وفي اللسان أيضاً : الزمزمة بكسر الزاى : الجماعة من الناس ، وفرس يززم في صوته إذا كان يطرب .

(٢) لم يرد له ذكر في المرويات الصحيحة ، ولم يرد في حديث يعتد به أن إبراهيم حل هاجر إلى هنالك ليرضى سارة ، بل الذى ورد أنه حملها بأمر الله ليقضى الله أمره سبحانه . وليس إبراهيم بالرجل الذى يضع أمر امرأته فوق أمر ربه ، أو يرتكب مثل هذا ترضية لامراته .

حتى أنزلها بمكة في موضع البيت (١)، ثم وليّ راجعاً عودده على بذائه (٢)، وتبته هاجر (٣) وهي تقول : الله أمرك أن تدعى ، وهذا الصبيّ في هذا البلد الموحش ، وليس معنا أنيس ؟ ! فقال : نعم ، فقالت : إذا لا يضيعنا (٤) ، فجعلت تأكل من القمّر ، وتشرب من ماء القرية ، حتى نفذ الماء ، وعطش الصبي ، وجعل ينشغ للموت (٥) ، وجعلت هي تسمى من الصفا إلى المروة ، ومن المروة إلى الصفا ؛ ترى أحداً ، حتى سمعت صوتاً عند الصبيّ ، فقالت : قد أسمعت ، إن كان عندك غوث ، ثم جاءت الصبيّ ، فإذا الماء ينبع من تحت خده ، فجعلت تغرف بيديها ، وتجعل في القرية . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لو تركته لكانت عينا ، أو قال : نهراً معيناً ، وكلها الملك ، وهو جبريل - عليه السلام - وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة (٦) ، وأنها موضع بيت الله الحرام ، ثم ماتت

(١) في رواية البخاري : « وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء » .

(٢) كان راجعاً إلى الشام .

(٣) في رواية ابن جريج : « فأدركته بكدهاء بفتح الكاف ، أو كدى بضم الكاف والقصر » .

(٤) في رواية : أنها نادته ثلاثاً ، وأنه أجابها في الثالثة ، وأنها قالت له : حسبي ، أو : رضيت بالله ،

(٥) يشقى ويعلو صوته وينخفض كالذي ينازع . وفي روايات : وجعلت تنظر إليه يتلوى ، أو يستلبط ، أو يتلّظ .

(٦) في رواية البخاري : « فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هذا بيت الله يبني هذا الغلام ، وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله » .

وأما قَطُورًا ، فهو قَطُور ابن كَرَّ كَر .

وأما السَّمِيدَعُ الذي ذكره ، فهو السَّمِيدَع بن هوثر — بناءً مثلثة — قيدها البكري — بن لاي بن قَطُور ابن كَرَّ كَر بن عَمَلَق ، ويقال : إن الزَّبَاءَ المملُكَةَ كانت من ذُرِّيَّتِهِ ، وهي بنت عمرو بن أذْيَنَة بن ظَرَب بن حَسَّان ، وبين حسان ، وبين السَّمِيدَع آباء كثيرة ، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنه لصلبه ، لِلبُعْدِ زمن الزبَاء من السَّمِيدَع ، وقد ذكرنا الاختلاف في اسمها في غير هذا الموضع ، وذكر الحارث بن مُضاضٍ الأكبر بن عمرو بن سعد بن الرَّقِيب بن هَيَّ بن بنت (١) جُرْهُم .

مِيَاد وقَعِيقَان : فصل : وذكر ولاية جُرْهُم البيت الحرام دون بني إسماعيل إلى أن بَغَوْا في الحرم ، وكان أول بني في الحرم ما ذكره من حرب جُرْهُم لِقَطُورًا .

وأما أجياد فلم يسمَّ بأجياد من أجل جِيَاد الخليل ، كما ذكر لأن جِيَاد الخليل لا يقال فيها : أجياد ، وإنما أجياد : جمع جِيَد (٢) .

= السلام . قال أبو عبيد : وليس كذلك . قال في العبر : وعلى هذا يكون جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام ، لأنَّ عدنان وقحطان يستدعيان بطون العرب القحطانية والعدنانية ، ص ٣٩٦ ط ١٩٥٩ .

(١) هكذا في الأصل . وفي اللسان عن ابن بري : « ويقال في النسب : عمرو ابن الحارث بن مضاض بن هَيَّ بن بَيَّ » و بفتح الهاء والباء وتضعيف الياء في الكلمتين ابن جرهم . وهي بن بَيَّ : كناية عن لا يعرف ، ولا يعرف أبوه ، وقيل : كان من ولد آدم ، ثم انقرض نسله .

وذكر أصحاب الأخبار أن مِضاضاً ضرب في ذلك الموضع أجباد مائة رجلٍ من العالقة ، فسمى الموضع : بأجباد ، وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب ، ومن شَغِبِ أجباد تخرج دابة الأرض التي تُكَلِّمُ الناس قبل يوم القيامة ، كذلك روى عن صالح مولى التَّوْأَمَةِ عن عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو بن العاص (١) ، وذكر غيره في أخبار مكة أن قُعَيْقِعَان سُمي بهذا الاسم حين نزل تبع مكة ، ونحر عندها وأطعم ، ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان ، فسمى : قُعَيْقِعَان بَقَعْقَعَةِ السَّلَاحِ فيه - والله أعلم .

مهرهم تسرو مال الكعبة : فصل : وذكر استحلال جُزْهُمٍ لِحُزْمَةِ الكعبة ، فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان احتفر بئراً قريبة القفر عند باب الكعبة ، كان يُلقى فيها ما يهدى إليها ، فلما فسد أمر جرم سرقوا مال الكعبة مرّةً بعد مرة ، فيذكر أن رجلاً منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجرٌ من شَفِيرِ البئر فخبسه فيها ، ثم أُرْسِلَتْ على البئر حِيَّةٌ لها رأسٌ كَرَأْسِ الْجَدْيِ ، سوداء اللَّمَنِ ، بيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة ، وقامت في البئر - فيما ذكروا - نحواً من خمسمائة عام ، وسندكر قصة رفعها عند بنيان الكعبة إن شاء الله .

== قال ابن الأثير : وأكثر الناس يقولونه : جباد بكسر الجيم ، وحذف الهمزة . قال : جباد - بكسر الجيم - موضع بأسفل مكة معروف من شعابها . وبهذا يصح قول ابن هشام ، أما فرس جواد ، لجمعه جباد .

(١) لم يرد هذا في حديث صحيح . والحديث الذي في مسلم لا يشير إلى مكان خروج هذه الدابة ، ولا يذكر عنها سوى أنها دابة . والإنسان : دابة . أما ما ورد عنها من صفات أخرى ، فأكثره إسرائيليات ردها وهب بن منبه .

بين مبرهم وضراعة : فصل : فلما كان من بغي جُرهم ما كان ، وافق تفرق سبأ من أجل سيل العرم ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة ، وذلك بأمر طريفة الكاهنة ، وهي امرأة عمرو بن مزيقياء ^(١) وهي من حير ، وبأمر عمران ابن عامر أخى عمرو ، وكان كاهناً أيضاً ، فنزلها هو وقومه ، فاستأذنوا جُرهما أن يقيموا بها أياماً ، حتى يرسلوا الرُّؤاد ، ويرتادوا منزلاً حيث رأوا من البلاد ، فأبت عليهم جُرهم ، وأغضبهم ، حتى أقسم حارثة ألا يبرح مكة إلا عن قتالٍ وغلبةٍ ، فخارتهم جُرهم ، فكانت الدولة لبني حارثة عليهم ، واعتزلت بنو إسماعيل ، فلم تكن مع أحد من الفريقين ، فعند ذلك ملكت خُزاعةٌ وهم بنو حارثة - مكة ، وصارت ولاية البيت لهم ، وكان رئيسهم عمرو بن لُحَيّ الذي تقدم ذكره قبل ، فشرّد بقية جُرهم ، فسار فلهم في البلاد ، وسلّط عليهم الذرّ والرُّعاف ^(٢) ، وأهلك بقيتهم السيلُ ياضم ، حتى كان آخرهم موتاً امرأة ريثت تطوف بالبيت بعد خُروجهم منها بزمان ، فعجبوا من طولها وعظم خلقها ، حتى قال لها قائل : أَجَنِّيَّةٌ أنت أم إنسية؟! ، فقالت : بل إنسية من جُرهم ، وأنشدت رَجَزاً في معنى حديثهم ، واستكُرت بعيراً من رجلين من جُهينة ، فاحتملاها على

(١) في جمهرة «ابن حزم» : عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء ص ٤٥٣ . وفي الاشتقاق «لابن دريد» : ولد حارثة عامراً وهو ماء السماء ، وولد عامر عمّترا «بفتح العين وسكون الميم» وهو مزيقياء ، فعمره — إذن — هو مزيقياء لابن مزيقياء ٤٣٥ .

(٢) الذرّ : صغار النمل ، والرُّعاف : الدم .

البعير إلى أرض خَيْبَر ، فلما أنزلها بالمنزل الذي رَسَمَتْ لها ، سألاها عن الماء ، فأشارت لهما إلى موضع الماء ، فوليا عنها ، وإذا الذرُّ قد تعلَّقَ بها ، حتى بلغ خياشيمها وعينيها ، وهي تنادى بالويل والثُّبور حتى دخل حلقها ، وسقطت لوجها ، وذهب الجُهَنِيَّانِ إلى الماء ، فاستوطناهُ ، فمن هنالك صار موضع جُهينة بالحجاز وقُزْب المدينة ، وإنما هم من قُضاعة ، وقُضاعة : من ريف العراق .

غربة الحارث بن مضاض : فصل : رجع الحديث . وكان الحارث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هي بن نبت بن جُرهم الجُرهمي قد نزل بِقَنَوَنًا (١) من أرض الحجاز ، فضَلَّتْ له إبلٌ ، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرو بن مُحَيٍّ : من وجد جُرهميًّا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُسحر ، ويُبوزَعُ لِحْمُها ، فانصرف بانسًا خائفًا ذليلاً ، وأبعد في الأرض ، وهي غُرْبَةُ الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل ، حتى قال الطائي :

غُرْبَةُ تَقْتَدِي بِغُرْبَةِ قَيْسَ بـ من زُهَيْرٍ والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحارث الشعر الذي رسمه ابن إسحق وهو قوله :

(١) سبق هذا ، وبيان الصواب فيه عن هي في ص ١٥ من هذا الجزء . وقنوني «بوزن فعوه عل ، بفتح القاف والنون وسكوز الواو ، من أودية السعراء ، تصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن ، من جهة مكة قرب حُلَيْش «بفتح فسكون» وتكتب بالياء حسب القاعدة ، ولكن تركتها كما هي .

(٢) غربة بفتح الغين : النوى والبعد ، وبضمها : الزوج عن الوطن .

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّفَا . الشَّعْر ، وَفِيهِ :

وَنَبْكَى لَيْتَ لَيْسَ يُؤَذَى حَمَامُهُ تَظَلُّ بِهِ أَمْنًا ، وَفِيهِ الْعَصَافِرُ (١)

أَرَادَ : الْعَصَافِرُ ، وَحَذَفَ الْيَاءَ ضَرُورَةً ، وَرَفَعَ الْعَصَافِرَ عَلَى الْمَعْنَى ، أَيْ : وَتَأْمَنُ فِيهِ الْعَصَافِرُ ، وَتَظَلُّ بِهِ أَمْنًا ، أَيْ : ذَاتَ أَمْنٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمْنًا جَمْعُ أَمِنْ مِثْلَ : رَكِبَ جَمْعُ : رَاكِبٌ ، وَفِيهِ : وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ : السَّامِرُ : اسْمُ الْجَمَاعَةِ يَتَحَدَّثُونَ بِاللَّيْلِ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : (سَامِرًا تَهْجُرُونَ) الْمُؤْمِنُونَ : ٦٧ وَالْحَجَّوْنَ (٢) بَفَتْحِ الْهَاءِ عَلَى فَرَسْنَخٍ وَثَلَاثٍ مِنْ مَكَّةَ ، قَالَ الْحَمِيدِيُّ : كَانَ سُفْيَانُ رُبَّمَا أَنْشَدَ هَذَا الشَّعْرَ ، فَزَادَ فِيهِ بَعْدَ قَوْلِهِ : فَلَيْسَتْ تَفَادِرُ :

وَلَمْ يَتَرَبَّعْ . وَاسْطًا وَجَنُوبَهُ إِلَى السَّرِّ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِتِ حَاضِرٌ وَأَبْدَلَنِي رَبِّي بِهَا دَارَ غُرْبَةٍ بِهَا الْجَوْعُ بَادٍ ، وَالْعَدُوُّ الْمُحَاصِرُ (٣)

(١) فِي السَّيْرَةِ : يَظَلُّ بِدَلَامٍ : تَظَلُّ .

(٢) وَالْحَجَّوْنَ كَمَا فِي الْمَرَاوِدِ : بِأَعْلَى مَكَّةَ عِنْدَ مَقْبَرَةِ أَهْلِهَا ، وَفِي يَاقُوتَ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ : أَنَّهُ الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ الَّذِي بِحِذَاءِ مَسْجِدِ الْبَيْعَةِ عَلَى شَعْبِ الْجَزَارِينَ . (٣) أَمَّا وَاسِطٌ : فَفَقِيلٌ : لِأَنَّ لِلْعَرَبِ سَبْعَةَ مَوَاضِعَ ، يُقَالُ لِكُلِّ مَنَاهَا : وَاسِطٌ ، مِنْهَا : وَاسِطُ نَجْدٍ فِي شَعْرِ خَدَاشِ بْنِ زَهِيرٍ ، وَوَاسِطُ الْحِجَازِ فِي شَعْرِ كَثِيرٍ ، وَوَاسِطُ الْجَزِيرَةِ فِي شَعْرِ الْأَخْطَلِ . وَوَاسِطُ النَّهْمَةِ فِي شَعْرِ الْأَعَشَى ، وَوَاسِطُ الْعِرَاقِ : وَهَنَاقٌ غَيْرُ ذَلِكَ . وَوَاسِطٌ أَيْضًا بِمَكَّةَ . قِيلَ : قَرْنٌ كَانَ أَسْفَلَ مِنْ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ بَيْنَ الْمَازَمِينَ . فَضَرَبَ حَتَّى ذَهَبَ ، وَقِيلَ : تِلْكَ النَّاحِيَةُ بِرُكَّةِ السَّرِيِّ إِلَى الْعَقَبَةِ ، وَتَسْمَى : وَاسِطُ الْمُقِيمِ . وَقِيلَ لِأَنَّهُ الْجَبَلُ الَّذِي يَجْلِسُ عِنْدَهُ الْمَسَاكِينُ إِذَا ذَهَبَتْ إِلَى مَنَى . وَالسَّرُّ : بَطْنُ الْوَادِي . وَوَادِي الْأَرَاكِ : قَرَبُ مَكَّةَ . وَفِي مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ ج ١٦ ص ٣٤ وَضَعُ هَذَا بَعْدَ الْبَيْتِ : وَصَرْنَا أَحَادِيثًا ، وَرَوَاتِهِ هَكَذَا :

واسط وعامر ومهرهم : قال الحميدى : واسط : الجبل الذى يجلس عنده
المساكين ، إذا ذهب إلى منى . وقوله فيه :
لا يَبْعُدُ سَهْلٌ وعامر

عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل
يَبْدُونَ لى عامر وطَافِلُ^(١) . على رواية من رواه هكذا ، وجُرْهُمُ هذا هو
الذى تتحدث بها العرب في أكاذيبها ، وكان من خرافاتها في الجاهلية أن جُرْهُمَا
ابن لَمَلَكٍ أهبط من السماء لذنوب أصابه ، فغضب عليه من أجله ، كما أهبط
هاروت وماروت ، ثم أُلقيت فيه الشهوة ، فتزوج امرأة ، فولدت له جُرْهُمَا ،
قال قائلهم :

لاهمَّ إن جُرْهُمَا عبادُكَ الناسُ طُرْفٌ ، وممَّ نِلَادُكَ
[بهم قديما عَمِرَتْ بلادُكَ]^(٢)

من كتاب الأمثال للأصبهاني :

= وبدلنا كعب بها دار غربة بها الذئب يعوى ، والعدو المكاثر
وفي مروج الذهب ج ٢ ص ٥٠ : « المحاصر » . وفيه بعد : « وكنا ولادة البيت »
هذا البيت :

وكنا لإسماعيل صهرا ووصلة ولما تدر فيها علينا الدوائر
(١) طفيل : جبل بمكة .

(٢) ما بين قوسين عن الطبرى ص ٢٨٥ ج ٢ وهذا الرجز ينسب إلى عامر
ابن الحارث ، والقصيدة منسوبة في الطبرى لعامر بن الحارث بن مضاض
يقول الطبرى : إن الله بعث على جرهم الرعاف والنمل ، فأفناهم ، فاجتمعت خراعة =

فَالْأَكَّةُ : الشَّدة ، وَإِكَاكُ الْاَهِرِ : شِدَائِدُهُ .

المسيرة
غزاه الله في الدنيا

وذكر أنه كان يقال لها : النَّاسَة ، وهو من نُسِتَ (١) الشيء إذا أذهبت ،
والرواية في الكتاب بالنون ، وذكر الخطابي [في غريبه] أنه يقال لها : الباسَة أيضا بالباء ،
وهو من بُسَّت الجبال بُسًّا ، أي : فُتَّت وثرَّبت ، كما يُثرَّى السَّويق ، قال الرازي :

لَا تَحْزِرَا خَبِزًا وَبُسَابَسًا (٢)

يقول : لاشتغلا بالخبز ، وثرَّيا الدقيق والتقماء (٣) . يقال : إن هذا البيت
للص أمجله الحرب .

وذكر أبو عبيدة أن الخبز : شدة السَّوق ، والبس : أئین منه ، وبعده :

(١) النَّسْءُ — بفتح النون — المضاء في كل شيء ، وخص بعضهم به السرعة
في الورد ، وهو السوق والاجر الشديد . وفي اللسان : وأنست الدابة : أعطشتها
والناسَة من أسماء مكة لقلة مائها ، وكأنها تسوق وتدفع من يبغى بها .

(٢) وبعده في اللسان : ولا تطيلا بمناخ حيسا . والبس : اتخاذ البسيصة
وهو أن يلك السويق أو الدقيق أو الألفط المطحون بالسمن أو بالزيت ، ثم يؤكل
ولا يطبخ . وقال يعقوب : هو أشد من اللت بللا . وذكر أبو عبيدة أن
لصا من غطفان ، أراد أن يخبز يخاف أن يعجل عن ذلك ، فأكله عجينا ، ولم يجعل
أبو عبيدة البس من السوق اللين . وفي تعليق للأستاذ هرون على معجم ابن فارس
ذكر أن الرجز للهفوان العقيلي أحد لصوص العرب . وقد فسر السهلي البيت
بما فسره به ابن فارس .

(٣) ثرى الدقيق — بفتح الثاء وتضعيف الراء — صب عليه الماء . هذا وقد
قيل عن بكه إنها اسم البقعة التي فيها الكعبة ، وذهب إليه مالك وابن عباس . وقيل
اسم لها ولما حول البيت ، ومكة : اسم لما وراء ذلك ، وقيل : إنها المسجد والبيت
ومكة اسم للحرم كله ص ٦٠١ القرى للبحر الطبرى .

ما ترك السَّيْرُ لهن نَسًا

ومن أسماء مكة أيضا: الرأسُ، وصَلَاحُ، وأمُّ رُحْم، وكُوْنِي، وأما التي يخرج منها الدجال، فهي : كُوْنِي رَبًّا^(١) ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام، وقد تقدم اسمها، وأبوها هو الذي احتفر نهر كُوْنِي، قاله الطبري .

أُسطورة : فصل : وذكر قول الحارث بن مُضاض :

يأيها الناس سَبروا إن قَصْرَكُمْ أن تُصبحوا ذات يوم لا تسيرونا^(٢)

وذكر ابن هشام أنها وجدت بِحَجَرٍ باليمن، ولا يعرف قائلها، وأُلفتُ في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبرا لهذه الأبيات، وأسندهُ أبو الحارث محمد بن أحمد الجعفي عن عبد الله بن عبد السلام البصري، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سايان التَّمَّار، قال أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال : وجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسَمٍ وَجَدِيس في قرية يقال لها : مُعْنِق، بينها وبين الحَجَرِ ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تُبَعٌّ، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبا :

(١) صلاح : كقطاع وقد تصرف . وكوْنِي تكتب بالياء لا بالالف كما كان في الروض، وفي المراصد عن كوْنِي : أنها ثلاثة مواضع بسواد العراق بأرض بابل وبمكة . نزل بني عبد الدار خاصة، وكوْنِي بالعراق في موضعين : كوْنِي الطريق، وكوْنِي رَبًّا وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهما قريتان، وبينهما قول من رماد، يقال : إنها رماد النار التي أوقدها نمرود لإحراقه .

(٢) هي في الطبري ٨ ص ٢٨٥ مع تقديم وتأخير .

بأيها الملك الذى بالملك ساعده زمانه
 ما أنت أول من علا وعلا شئون الناس شأنه
 أقصر عليك مراقبا فالدهر مخذول أمانه
 كم من أشمّ معصّب بالتاج مرهوب مكانه
 قد كان ساعده الزمان ، وكان ذا خفض جناه
 تجرى الجداول حوله للجنّد مُترعة جفانه
 قد فاجأته منية لم يُنجه منها اكتنانه
 وتفرقت أجناده عنه ، وناح به قيانه
 والدهر من يعلّق به يطحنه ، مفترشا جرانه
 والناس شتى فى الهوى كالمرء مختلف بنانه
 والصدق أفضل شيمه والمرء يقتله لسانه
 والصمت أسعد للفتى ولقد يُشرّفه بيانه

ووجد فى الحجر الثانى مكتوباً أبيات :

كلُّ عيشٍ قَعْلَه ليس للدهر خَلَه
 يومٌ بُؤسى ونفسى واجتماع وقِلَه
 حُبنا العيش والتسكا ثرٌ جهلٌ وضِلَه
 بينما المرء ناعم فى قصورٍ مُظِلَه
 فى ظلالٍ ونعمه ساحبا ذيلَ حُلَه
 لا يرى الشمسَ ملفضاً رة إذ زلَّ زَلَه

لم يُقْلَمْهَا، وَبَدَلَتْ عِزَّةَ الرِّءْذِلِ ذِلَّةً
 آفَةُ الْعَيْشِ وَالنِّعَمِ كُرُورُ الْأَهْلَةِ
 وَصَلُ يَوْمِ بَلَدِيَّةٍ وَاعْتِرَاضُ بَيْتِ اللَّهِ
 وَالنَّيَايَا جَوَائِمُ كَالصُّقُورِ الْمُدِلَّةِ
 بِالذِّى تَكْرَهُ النَّفْسُ وَسُ عَلَيْهَا مُطْلَعٌ

وفى الحجر الثالث مكتوبا:

يَأَيُّهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ
 حُثُوا الْمَطْعَى، وَأَرْزَحُوا مِنْ أَرْمَتِهَا
 كُنَّا أَنْاسًا كَمَا كُنْتُمْ فَقِيرًا دَهْرًا فَانْتُمْ كَمَا كُنَّا نَكُونُونَ

وذكر أبو الوليد الأزرقى فى كتابه فى فضائل مكة زيادةً فى هذه

الآيات وهى :

قَدْ مَالَ دَهْرٌ عَلَيْنَا ثُمَّ أَهْلَكَنَا
 إِنْ التَّفَكَّرَ لَا يُجْدِي بِصَاحِبِهِ
 قَضُوا أُمُورَكُمْ بِالْحَزْمِ إِنْ لَهَا
 وَاسْتَخْبِرُوا فِي صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ
 كُنَّا زَمَانًا مَلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ
 بِالْبَغْيِ فِينَا وَبَزَّ النَّاسَ نَاشُونَ
 عِنْدَ الْبَدِيَةِ فِي عِلْمٍ لَهُ دُونًا
 أُمُورَ رُشْدٍ رَشَدْتُمْ ثُمَّ مَسُونَا
 كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقٌ عِنْدَهُ الْهُونَا
 بِمَسْكَنِ فِي حَرَامِ اللَّهِ مَسْكُونَا

ووجد على حائطٍ قصيرٍ بدمشق لبني أمية مكتوبا :

يَأَيُّهَا الْقَصْرُ الَّذِي كَانَتْ تَحْفُفُ بِهِ الْمَوَاكِبُ

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خزاعة وَلِيَتَ البيتَ دونَ بنى بكر بن عَبدِ مَنَاةَ ، وكان الذى يليه منهم : عمرو بن الحارث الغُبْشانى ، وَقُرَيْشُ إِذْ ذَاكَ حُلُولُ وَصِرْمَ ، وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كِنانة ، فَوَلِيَتَ خزاعة البيتَ يتوارثون ذلك كَابرًا عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيْلُ بن حَبْشِيَّةَ بن سُلُولِ بن كَعْبِ بن عمرو الخَزَاعِيَّ .

قال ابن هشام : يقال حُبْشِيَّةُ بن سُلُولِ .

أَيْنَ الْمَوَاكِبُ وَالْمَضَى أَرْبُ وَالنَّجَائِبُ وَالْجَنَائِبُ
أَيْنَ الْعَسَاكِرُ وَاللَّدَسُ أَكْرُ وَالْمَقَانِبُ وَالْكَتَائِبُ
مَا بَا تُهْمُ لَمْ يَذْفَعُوا لِمَا أَنْتَ عَنْكَ النَّوَائِبُ
مَا بَالُ قَصْرِكَ وَاهِيَا قَدْ عَادَ مُنْهَدَّ الْجَوَائِبُ

ووجد فى الحائط الآخر من حيطانها جوابها :

يَا سَائِلِي عَمَّا مَضَى مِنْ دَهْرِنَا وَمِنْ الْعَجَائِبِ
وَالْقَصْرِ إِذْ أَوْدَى ، فَاضْحَى بَعْدُ مُنْهَدَّ الْجَوَائِبِ
وَعَنِ الْجُنُودِ أُولَى الْعُقُودِ ، وَمَنْ بِهِمْ كُنَّا نَحَارِبُ
وَبِهِمْ قَهَرْنَا عَنْوَةً مَنْ بِالْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
وَتَقُولُ : لِمَ لَمْ يَذْفَعُوا لِمَا أَنْتَ عَنْكَ النَّوَائِبِ
هَمَّاتٍ لَا يُنْجِي مِنَ الْمَوْتِ الْكِتَائِبُ وَالْمَقَانِبِ

تزوج قصي بن كلاب حبي بنت حليل

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حليل بن حُبشية بنته حُبَيّ ، فرغب فيه حليل فزوجّه ، فولدت له عبد الدار . وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدًا . فلما انتشر ولد قصي ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ، هلك حليل .

« قصي يتولى أمر البيت » :

فراى قصي أنه أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قريشاً قرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده . فكلّم رجلاً من قريش ، وبني كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فأجابوه . وكان ربيعة ابن حرام من عذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب ، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيل ، وزهرة يومئذ رجل ، وقصي فطيم ، فاحتلمهما إلى بلاده ، فحملت قصياً معها ، وأقام زهرة ، فولدت لربيعة رزاحاً . فلما باغ قصي ، وصار رجلاً أتى مكة ، فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمّه ، رزاح بن ربيعة ، يدعوّه إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رزاح بن ربيعة ، ومعه إخوته : حنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجلهم بن ربيعة ، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قضاة في حاج العرب ، وهم مجمعون لنصرة قصي . وخزاعة تزعم أن حليل بن حُبشية أوصى بذلك قصياً وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال : أنت أولى

• • • • •

بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكة من خزاعه ، فعند ذلك طلب قصي ما طلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوثُ بنُ مُرِّ بنِ أَدِّ بنِ طَاحِجَةَ بنِ الياسِ بنِ مُضَرَ بنِ الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولده من بعده ، وكان يقال له ولولده : صوفة . وإنما ولي ذلك الغوثُ بنُ مرٍّ ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فذرت لله إن هي ولدت رجلاً : أن تصدق به على الكعبة عبداً لما يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت الغوثَ ، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولي الإجازة بالناس من عرفة ، لمكانه الذي كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مُرٌّ بنُ أَدِّ لو فاء نذر أمه :

إني جعلتُ ربًّا من بنيِّه ربيطةً بمكة العليَّة
فباركنَّ لي بها أليَّةً واجعله لي من صالح البريَّة

وكان الغوث بن مرٍّ - فيما زعموا - إذا دفع بالناس قال :

لاهمَّ إني تابعٌ تباعه إن كان إثمٌ فعلى قضاة

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتبجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا الرمي الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون

.

حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم .
حتى نرمى معك ، فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات
الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له :
ويلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس ، قام فرمى ، ورمى
الناس معه .

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمي الجمار ، وأرادوا النفر من منى ،
أخذت صوفة بجاني العقب ، فخبسوا الناس وقالوا : أجزى صوفة ، فلم يجز
أحد من الناس حتى يمرؤا ، فإذا نفرت صوفة ومضت ، خلى سبيل الناس ،
فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم
بالقعد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان
بن الحارث بن شجنة .

قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شجنة عطارد بن عوف بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذى يُجزى للناس بالحج من عرفة ،
ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام ، كريب بن
صفوان ، وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى :

لا يبرحُ النَّاسُ ما حَجُّوا مُعرَفهم حتى يُقالَ : أجزى وآل صفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء .

.

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

وأما قول ذى الإصبع العدواني، واسمه : حُرثان بن عمرو، وإنما سمي ذى الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها .

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَغَى بَعْضُهُمْ ظُلْمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفَّاتُ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْيِزُ النَّاسَ بِالسُّنَّةِ وَالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وهذه الأبيات في قصيدة له — فلأن الإضافة من المزدلفة كانت في عدوان — فيما حدثني زياد بن عبد الله البسكاني عن محمد بن إسحاق — يتوارثون ذلك كابراً عن كابر . حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة ، عميلة بن الأعزل ، ففيه يقول شاعر من العرب :

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَارَةَ
حَتَّى أَجَازَ سَالِمًا حِمَارَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهُ
قَالَ : وَكَانَ أَبُو سَيَّارَةَ يَدْفَعُ بِالنَّاسِ عَلَى أَثَانِهِ لَهُ ؛ فَلِذَلِكَ يَقُولُ :
سَالِمًا حِمَارَهُ .

• • • • • • • • • •

قصي وفزاعة وولاية البيت :

فصل : في حديث قصي ذكر فيه أن قريشا قرعة ولد إسماعيل ، هكذا بالقاف ، وهي الرواية الصحيحة ، وفي بعض النسخ : قرعة بالقاف ، والقرعة بالقاف هي : نخبة الشيء ، وخياره ، وقريع الإبل : فحلها ، وقريع القبيلة : سيدها ، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمي من العرب بالأقرع .

وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة إليه ، ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم ، وذكر غيره أن حنَيْلا كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حُبَيَّ ، حين كبر و ضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصيُّ ربما أخذها في بعض الأحيان ، ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حنَيْل أوصى بولاية البيت إلى قصي ، فأبت خزاعة أن تُمضي ذلك لقصي ، فعند ذلك هاجت الحربُ بينه وبين خزاعة ، وأرسل إلى رِزاح أخيه يستنجد به عليهم .

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشان من خزاعة ، واسمه : سليم - وكانت له ولاية الكعبة - باع مفاتيح الكعبة من قصي بزقٍّ خمر ، قليل : أخسر من صفقة أبي غُبْشان (١) ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال .

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُصَرَّ إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إيلاد آخرتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم

(١) بضم الغين أو فتحها . وفي القاموس أيضا قعة أبي غبشان ، وفيه يقول :
و ضربت به الأمثال في الحق والندم وخسارة الصفقة ، .

عن مكة ، فَعَمَدُوا فِي اللَّيْلِ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، فَاقْتَلَمُوهُ ، وَاحْتَمَلُوهُ عَلَى بَعِيرٍ فَرَزَحَ الْبَعِيرُ بِهِ ، وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَجَعَلُوهُ عَلَى آخِرِ ، فَرَزَحَ أَيْضًا ، وَعَلَى الثَّالِثِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ دَفَنُوهُ وَذَهَبُوا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَلَمْ يَرَوْهُ ، وَقَعُوا فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خُرَاعَةَ قَدْ بُعِثَتْ بِهِ حِينَ دُفِنَ ، فَأَعْلَمَتْ قَوْمَهَا بِذَلِكَ ، فَمِنْ ثَمَنُ ذَلِكَ أَخَذَتْ خُرَاعَةً عَلَى وَلَاةِ الْبَيْتِ أَنْ يَتَخَلَّوْا لَهُمْ عَنْ وَلَاةِ الْبَيْتِ ، وَيَدُلُّوهُمْ عَلَى الْحَجَرِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَفَنَ هُنَاكَ صَارَتْ وَلَاةِ الْبَيْتِ لَخُرَاعَةَ إِلَى أَنْ صَيَّرَهَا أَبُو عُثْمَانُ إِلَى عَبْدِ مَنَافٍ ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الزَّبِيرِ .

تِلْكَ قِصَّةُ :

فصل : وَذَكَرَ أَنَّ قِصَّةَ نَشْأَةِ فِي حَجَرِ رَبِيعَةَ بْنِ حَرَامٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ رَجُوعَهُ إِلَى مَكَّةَ ، وَزَادَ فِيهِ فِي شَرْحِ الْخَبَرِ ، فَقَالَ : وَكَانَ قِصَّةُ رَضِيْعًا حِينَ احْتَمَلَتْهُ أُمُّهُ مَعَ بَغْلَاهَا رَبِيعَةَ ، فَتَشَأَ وَلَا يَعْلَمُ لِنَفْسِهِ أَبَا إِلَّا رَبِيعَةَ ، وَلَا يَدْعِي إِلَّا لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ غُلَامًا يَفْعَةً أَوْ حَزَوْرًا (١) سَابَهُ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ ، فَعَيَّرَهُ بِالْدَعْوَةِ ، وَقَالَ : لَسْتَ مِنَّا ، وَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا مُلَاصِقٌ ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ ، وَقَدْ وَجَّهَ لَذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ صَدَقَ ، إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ رَهْطُكَ خَيْرٌ مِنْ رَهْطِهِ ، وَأَبَاؤُكَ أَشْرَفُ مِنْ آبَائِهِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ قُرَشِيٌّ ، وَأَخْوَاكَ وَبَنُو عَمِّكَ بِمَكَّةَ ، وَهُمْ جِيرَانُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، فَدَخَلَ فِي سِيَارَةِ حَتَّى آتَى مَكَّةَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ اسْمَهُ : زَيْدٌ ، وَإِنَّمَا

(١) الْغُلَامُ الْقَوِيُّ .

كان قصياً أى بعيداً عن بلده فسمى : قُصِيّاً (١).

الغوث بن مر وصوفته :

فصل : وذكر قصة الغوث بن مُرّ ، ودفعه بالناس من عرفة (٢) ، وقال بعضُ نَقَلَةِ الأخبار أَنَّ وَلَايَةَ الْغَوْثِ بْنِ مُرٍّ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ مُلُوكِ كِنْدَةَ (٣).

وقوله : إِنْ كَانَ إِثْمًا فَقَلَى قُضَاعَةً . إِنَّمَا خَصَّ قُضَاعَةَ بِهَذَا ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مُحِلِّينَ يَسْتَحِلُّونَ الْأَشْهَرَ الْحُرْمَ ، كَمَا كَانَتْ خَنَعَمُ وَطَيْئٌ تَفْعَلُ ، وَكَذَلِكَ كَانَتِ النِّسَاءُ تَقُولُ إِذَا حَرَّمَتْ صَفَرًا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْأَشْهُرِ بَدَلًا مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ - يَقُولُ قَائِلُهُمْ : قَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الدَّمَاءُ إِلَّا دَمَاءَ الْمُحِلِّينَ .

(١) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : « سَمِيَ قُصِيًّا لِأَنَّهُ قُصِيَ قَوْمُهُ ، أَيْ : تَقْصَاهُمْ بِالشَّامِ ، فَتَقْلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ . » وَقَالَ الرَّشَّاطِيُّ : « ثُمَّ إِنْ زِيدَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِبْعَةِ شَرِّ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ ، وَغَيْرٌ بِالْغَرْبَةِ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ أَبَا غَيْرِ رِبْعَةٍ ، فَرَجَعَ قُصِيٌّ إِلَى أُمِّهِ ، وَشَكَاهَا مَا قِيلَ لَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بَنِي أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْهُمْ نَفْسًا وَأَبَا ، أَنْتَ ابْنُ كَلَابِ بْنِ مَرَّةَ ، وَقَوْمُكَ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَأَجْمَعْ قُصِيٌّ عَلَى الْخُرُوجِ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : أَقِمْ حَتَّى يَدْخُلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ، فَتُخْرَجَ فِي حَاجِ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ خَرَجَ مَعَ حَاجِ قُضَاعَةَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَحُجَّ وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ، ص ٢٠ وَمَا بَعْدَهَا ج ١٦ نَهَايَةِ الْأَرْبِ .

(٢) فِي السِّيَرَةِ : « مِنْ بَعْدِ عُرْفَةَ ، وَفِي نَسْخِ أُخْرَى : « مِنْ عُرْفَةَ . »

(٣) فِي الْقَامُوسِ : وَكِنْدَةُ - بِالْكَسْرِ - وَيُقَالُ : كِنْدِيٌّ : لِقَبِ ثَوْرِ بْنِ عَسْفِيرَ أَبُو حَيٍّ مِنَ الْبَيْنِ ، لِأَنَّهُ كَنَدَ أَبَاهُ النُّعْمَةَ ، وَلَحِقَ بِأَخْوَالِهِ ، وَالْكَنْدُ : الْقَطْعُ .

فصل : وأما تسمية العوث وولده صوفة ، فاختلاف في سبب ذلك .
فذكر أبو عبيد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في أنساب قريش له عند ذكر
صوفة : البيت الواقع في السيرة لأوس بن مغراء السعدي ، وهو :

لَا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجُّوا مُعَرِّفَهُم

البيت . وبعده :

مَجْدُ بَنَاهُ لَنَا قَدْ مَأْ أَوَائِلُنَا وَأُورَثُوهُ طِوَالِ الدَّهْرِ أَحْرَانَا (١)

ومغراء : تأنث أمغر ، وهو الأحمر ، ومنه قول الأعرابي للنبي - صلى الله
عليه وسلم : أهو هذا الرجل الأمغر ؟ ثم قال : قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان
يقال لكل من ولي من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشيء من خدمة
البيت ، أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم : صرفة وصوفان . قال أبو عبيدة :

(١) أوس بن مغراء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد
ابن زيد مائة بن تميم . وقيل : أوس بن تميم بن مغراء ، وله ترجمة في الإصابة
قال : ويكنى أبا المغراء ، وبقي إلى أيام معاوية ، وله شعر في مدح النبي - ص ،
وبعد البيت الذي في السيرة :

تَرَى ثِيَابَنَا إِذَا مَا جَاءَ بِدَاهِمٍ وَبِدَوَاهِمٍ إِنْ أَنَا كَانَتْ ثِيَابُنَا

والثني والثفنيان ، وكهدي وإلى : دون السيد ص ١٧٦ الأمال ج ٢ ط ٢ وفي
السمط عن أوس ص ٧٩٥ للبكري : وهو القائل في بني صفوان بن شجينة بن
عطار بن عوف بن كعب الذين كان فيهم الإفاضة من عرفة ، فلم يذكر الحارث
كما روى ابن إسحاق ، ولا جناب كما روى ابن هشام ، ثم روى البيت كما في السيرة ،
وفي المزهر ص ٤٨٧ ج ٢ أن أوساً هذا غلب على نابغة بني جعدة .

لأنه بمنزلة الصوف ، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ، ليسوا من قبيلة واحدة . وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : إنما سُمِّيَ الغوثُ بنُ مُرٍّ : صُوفُهُ ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولدًا ، فنذرت : لئن عَاشَ لَتَعْلَقَنَّ بِرَأْسِهِ صُوفَةٌ ، وَلَتَجْعَلَنَّهُ رَبيطًا للكمبة ، ففعلت ، فقيل له : صوفة ، ولولده من بعده ، وهو : الربيط . وحدث إبراهيم بن المُنْذِر عن عُمر بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني عِقَالُ بن شَبَّة قال : قالت أم تميم بن مُرٍّ - وولدت نِسْوةً - فقالت : لله عليّ . لئن ولدتُ غلامًا لَأُعَبِّدَنَّهُ لِلْبَيْتِ ، فولدت الغوث ، وهو أكبرُ ولدِ مُرٍّ ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحرُّ ، فمُرت به - وقد سقطَ وذَوَى واشترخى فقالت : ما صار ابني إلا صُوفَةٌ ، فسُمِّيَ صُوفَةً (١) .

(١) في القاموس عن صوفة أيضا : أو هم قوم من أفناء القبائل تجمعوا ، فتشكروا كنشَبَك الصوفة . هذا وقد رواه الجوهري : آل صوفانا . ويقول القاموس : والصواب . آل صفوانا . وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة . قال أبو عبيدة : حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان . وفيه أيضا وردت الشطرة الأولى : ولا يريمون في التمر يف موقفهم . وما ذكره السهيلي عن سبب تسمية الغوث -- نقلا عن الكلبي -- يوجد في القاموس الذي ذكر للربيط عدة معان ، ثم قال : لقب الغوث ابن مر بن طابخة . ويذكر أن الولد عاش ، فجعلته أمه خادما للبيت الحرام حتى بلغ ، فزَعته ، فلقب : الربيط . وقد سقط من هذه المادة في القاموس كلمة « أد » من نسب الغوث على حين ذكرها في مادة صوف . وفي القاموس أيضا : « وكان أحدهم يقوم فيقول : أجزى صوفة ، فإذا أجازت قال : أجزى خندف ، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة ، وعرف القوم : وقفوا بعرفة : والبيت الأول في السيرة موجود أيضا في اللسان بنفس رواية القاموس « ولا يريمون إلخ » وقول أبي عبيدة عن صوفة موجود في اللسان ، وانظر ص ١٨٣ من المحبر .

بنو سعد وزير مناة :

فصل : وذكر وراثه بنى سعد إجازة الحاج بالقعد من بنى الفوث ابن مرّ ، وذلك أن سعداً هو : ابن زيد مناة بن تميم بن مرّ ، وكان سعد أقعد بالفوث بن مرّ من غيره من العرب ^(١) ، وزيد مناة بن تميم يقال فيه : مناة ومناة بالهمز ^(٢) ، وتركه ، ويجوز أن يكون - إذا همز - مفعلة من ناء ينوء ، ويجوز أن يكون : فعالة من المنينة ، وهى : المدبغة ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : [تقول لك أُمّى] : أعطيني نفساً أو نفسين أمعس به منينتى ، فأنى أفدة . النفس : قطعة من الدباغ ، والمنينة : الجلد فى الدباغ ، وأفدة : مقاربة لاستتمام ماتريد صلاحه وتماحه من ذلك الدباغ ^(٣) وأشد أبو حنيفة :

(١) القمشد بضم القاف وسكون العين وضم الدال أو فتحها : القريب من الجد الأكبر ، أو أملك القرابة فى النسب ، والقربى . وأقعدهم : أقربهم إلى جده الأكبر . وانظر ص ٢٥٧ من المحرر لابن حبيب ، ص ٤٠ من شرح الخشنى .

(٢) وفى اللسان عن مناة : ومناة : صخرة ، وفى الصحاح : صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة يعبدونها من دون الله من قولك : منوت الشيء - أى : اختبرته ... وعبد مناة بن أد بن طابخة . وزيد مناة بن تميم بن مر يمدو يقصر . قال هو بر الحارثى

ألاهل أنى التميم بن عبد مناة على الشنم فيما بيننا ابن تميم وفيه تخطئة من قال : مناة بالهاء ، وغلطوا الطائى فى قوله : لإحدى بنى بكر ابن عبد مناه .

(٣) فى إصلاح المنطق أن الذى قص هذا هو الاصمعى ، وفيه ، وفى اللسان : أمعس به ، بدلاً من : أمعس بها ، كما فى الروض . وفسر نفساً أو نفسين بقوله : =

إذا أنت باكرت المنيثة باكرت قضييب أراك بات في المسك منقما

وأنشد يعقوب :

إذا أنت باكرت المنيثة باكرت مدا كالمدا من زعفران وإمدا (١)

استفاده المزلفة :

فصل : وأما قوله : فلأن الإفاضة من المزلفة كانت في عدوان فالزلفة : مُقْتَعِلَةٌ من الازدلاف ، وهو الاجتماع . وفي التنزيل : (وَأَزْلَفْنَا مَمَّ

== قدر دبة أو دبغتين ، وفي اللسان : أفد الشيء يأفد أفداً فهو أفدس : دنا وحضر وأسرع ، والأفد : المستعجل ؛ والمنية عند الفارسي : مَفْتَعِلَةٌ بكسر العين من اللحم النقي ، ومنأ تأبى ذلك ، وهي عند غيره كما ذكر السهيلي . والمنية : الجلد أول ما يدبغ ، ثم هو أفيق ، ثم أديم . وأمس : أدلك وأحرك ، وفي اللسان : منأ الجلد بمنؤه منأ : إذا أنقعه في الدباغ ، وهي في اللسان فعيلة ، وفي تهذيب لإصلاح المنطق للتبريزي : هو آفدة أى : سريعة . يقع في بعض النسخ : الآفدة : التي تشتكي فؤادها ، وقيل : السريعة ، وقيل . الممعية . قال أبو العلاء : ينبغي أن يقال : فائدة التي تشتكي فؤادها ، والصواب أن يفسر : آفدة بالسريعة ، انظر اللسان ومعجم ابن فارس وإصلاح المنطق لابن السكيت ، ص ٩٤ وتهذيب للتبريزي ص ١٤٥ .

(١) الشعر لمحمد بن ثور وقبله :

فأقسم لولا أن حُددت با تنابعت عليّ ، ولم أبرح بدئين مطردا
لواحت مكسالا كأن ثيابها تجن غزالا بالخنيلة أغيدا

يخاطب زوجته فيقسم : لولا أن حددت با تنابعت عليّ ، ولم أبرح بدئين مطردا . تنابعت عليه ، واستدان وطاله الغرماء ، وطردوه لواحت مكسالا ، وهي المرأة الثقيلة الازدلاف ، الناعمة الجسم ، أى : تزوجت امرأة أحسن منك ، كأن ثيابها تستر ==

الآخرين) وقيل : بل الازدِلَافُ : هو الاقتراب ، والزُلْفَةُ : القُرْبَةُ ، فسميت مزدلفة ؛ لأن الناس يَزْدَلِفُونَ فيها إلى الحرم ، وفي الخبر : أن آدم عليه السلام لَمَّا هَبَطَ إلى الأرض ^(١) لَمْ يَزَلْ يَزْدَلِفُ إلى حَوَاءَ ، وَزْدَلِفُ إليه ، حتى تعارفا بعَرَفَةَ ، واجتمعا بالْمَزْدَلِفَةِ فسميت : جمعا ، وسميت : المزدلفة ^(٢) .

ذو الإصبع وآل ظرب :

وأما ذو الإصْبَعِ ^(٣) الذى ذكره فهو : حُرْثَانُ بن عمرو ، ويقال فيه : حُرْثَانُ ابن الحارث بن مُحَرِّثِ بن ربيعة بن هُبَيْرَةَ بن ثعلبة بن ظَرْبِ ، وَظَرْبٌ هو : والدعاصر بن الظَّرْبِ الذى كَانَ حَكَمَ العرب ، وذكر ابن إسحاق قصته فى الخُفْنِى ، وفيه يقول الشاعر [المُتَمَلِّسُ] :

== غزالا . والأغيد : المنشى . ثم قال : إذا أنت باكرت دباغ الجلود باكرت هى الطيب والمداك ، وهو الحجر الذى يسحق عليه الطيب . والأئمد : الكحل . أى باكرت هى الطيب والاكتحال . انظر ص ١٤٥ تهذيب لإصلاح المنطق .

(١) رأى الراجح أن جنة آدم كانت فى الأرض .

(٢) لم يرد هذا فى حديث صحيح .

(٣) سبب تسميته فى الاشتقاق ص ٢٦٨ واسمه : حرثان ، ونسبه فى الأغاني : حرثان بن الحارث بن محرت بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار ، وفى الجهرة لابن حزم هو : حرثان بن محرت ، ونسبه فى أمالى المرتضى يختلف أيضا فهو : حرثان بن محرت بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة وقيل : محرت بن حرثان ، وقيل : حرثان بن حويرث ، وقيل : حرثان بن حارثة ابن ظرب إلخ .

لدى الحزم قبل اليوم ما تُقَرَعُ الْعَصَا وما عُلِّمَ الإنسان إلا لِيَعْلَمَ^(١)

وكان قد خَرَفَ ، حتى تَفَلَّتَ ذَهْنُهُ ، فكانت العصا تُقَرَعُ له إذا تكلم في نادى قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم . وكذلك كان ذو الإصْبَعِ ، كان حَكَمًا في زمانه ، وعَمَرَ ثلاثمائة سنة ، وسمى ذا الإصْبَعِ ؛ لأن حَيَّةَ نَهَشَتْهُ في أُصْبُعِهِ .

وَجَدُّهُمْ ظَرْبُ : هو عمرو بن عِيَّاذ بن يَشْكُر بن بكر بن عَدْوَان ، واسم عَدْوَان : تيم ، وأمه : جَدِيلَةُ بنت أَد بن طابخة ، وكانوا أهل الطائف ، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زهاء سبعين ألفا ، ثم هلكوا ببني بعضهم على بعض ، وكان تقيف

(١) بيت الشعر ، الذى الحزم الخ هو للمتلس ، وكان ابن الظرب قد كبر ، فقال له ابنه الثانى : إنك ربما أخطأت فى الحكم ، فيحمل عنك ، قال : فاجعلوا لى أماره أعرفها ، فإذا زغت ، فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب . فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد ابنه فى البيت ومعه العصا . فإذا زاغ ، أو هفا قرع له الجفنة ، فرجع إلى الصواب . هذا وربيعه تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وفى اللسان : أن هذا الحكم هو عمرو بن حُصْمَة الدوسى الذى قضى بين العرب ثلاثمائة سنة ، والأصبع : مثانة الحمزة ، ومع كل حركة ثلاث الباء ، ففيه تسع لغات ، والعاشر : أصبوع ، وحكام العرب فى الجاهلية هم : أكرم بن صيفى ، وحاجب بن زرارة ، والأفرع بن حابس ، وربيعه بن مخاشن وضمرة بن أبى ضمرة لقيم ، وعامر بن الظرب ، وغيلان بن سلبة لقيس ، وعبد المطلب وأبو طالب والعاصى بن وائل والعلاء بن حارثة لقريش . وربيعه ابن حذار لأسد ، ويعمر بن الشداخ وصفوان بن أمية ، وسلي بن نوفل لكنانة وحكيمات العرب : صخر بنت لحيان وهند بنت الحسن ، وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب ، وانظر ص ١٨١ من المحبر .

وهو قَيْسُ بْنُ مُنَبِّهٍ صَهْرًا لِعَامِرِ بْنِ الظَّرْبِ ، كانت تحتها زينب بنت عامر ،
وهي أم أ كثر ثقيف ، وقيل : هي أخت عامر ، وأختها ليلى بنت الظرب هي :
أم دَوْسِ بْنِ عَدْنَانَ ، وسيأتي طرف من خبره فيما بعد - إن شاء الله - فلما هلك
عَدْنَوَانُ ، وَأُخْرِجَتْ بَقِيَّتُهُمْ ثَقِيفٌ مِنَ الطَّائِفِ ، صارت الطائف بأسرها لثقيف
إلى اليوم .

وقوله : حَيَّةَ الْأَرْضِ : يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادي إذا كان مَهْبِيًا
يُذْعَرُ منه ، كما قال حسان :

يَا مُنْحَمَ بْنَ طُفَيْلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكُمْ اللَّهُ دَرُُّ أَبِيكُمْ حِيَةَ الْوَادِي

يعنى بحية الوادي : خالد بن الوليد رضى الله عنه .

فصل : وقوله : عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدْنَوَانٍ ^(١) . نصب عذيرا على الفعل المتروك
إظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيرَه ، أى : مَنْ يَعْذُرُه ، فيكون العذيرُ بمعنى :
العاذر ، ويكون أيضاً بمعنى : العُذْرُ مصدرا كالحديث ونحوه .

أبو سبارة :

وذكر أبا سَيَّارَةَ ، وهو عُمَيْلَةُ بْنُ الْأَعْزَلِ فِي قول ابن إسحاق ، وقال غيره :
اسمه : العاصي . قاله الخطابي . واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهاني ، وكانت

(١) عدة القصيدة التي في السيرة هي في الأغاني : اثنا عشر بيتاً في ترجمة ذي
الإصبع ، والقصيدة عن تفرق عدوان وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم . وفي اللسان
عن حية الوادي : إذا كان شديد الشكيمة حاميا لحوزته ، وقال عن بيت ذي
الإصبع الأول : و أراد أنهم كانوا ذوي إرب وشدة لا يضيعون ثأرا ، .

له أتان عَوْرَاهُ، خِطَامُهَا لَيْفٌ، يقال : إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة، وإياها
يعنى الراجز في قوله : حتى يُجَيِّزَ سالما حماره .

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لَا هُمْ مَالِي فِي الْحِمَارِ الْأَسْوَدِ أَصْبَحْتُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أَحْسَدُ
فَقِيَ أَبَا سَيَّارَةَ الْمُحَسَّدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذِ يَحْسَدُ

وأبو سَيَّارَةَ هذا هو الذي يقول : أَشْرِقَ ثَبِيرٌ كَيْمَا نُغَيِّرُ، وهو الذي يقول :

لَا هُمْ إِنِّي تَابِعٌ ذَبَّاعُهُ (١)

(١) إن العرب لما سمعوا اللهم جرت في كلام الخلق توهموا أنه إذا ألغيت
الآلف واللام من الله كان الباقي : لاه ، فقالوا : لاهم ، ويقولون : لاه أبوك .
يريدون : لله أبوك ، وقالوا : لمنك أصلها : لله إنك ، فحذف الآلف واللام ، فقال :
لاه إنك ، ثم ترك همزة إنك ، فقال : لمنك ، وقالوا : لنا . أصلها : لاه إنا
فحذف مدة لاه ، وترك همزة نا . ويرى الفراء أن لمنك أصلها : لانك ، فأبدل
الهمزة هاء مثل : هراق الماء ، وأراق ، وأدخل اللام في إن لليمين . ويقول ابن
جنى في الخصائص عن اللام في قولهم : إن زيدا لقائم : إن موضعها أول الجملة
وصدرها ، لا آخرها وعجزها . ثم قال : ويدل على أن موضع اللام في خبر إن أول الجملة
قبل إن : أن العرب لما جفا عليها اجتماع هذين الحرفين قلبوا الهمزة هاء لينزول
لفظ إن ، فنزول أيضا ما كان مستكرها من ذلك فقالوا : لاهمستك قائم بفتح فكسر
فتضعيف ، أي : لئنك قائم . ثم استشهد ببعض أبيات على هذا . . ورأيه في هذا
رأى سيديويه في الكتاب ، وضعف رأى من قالوا : إن أصلها : لله إنك
الخصائص . ص ٢١٤ ج ١ ط ١٩٥٢ وقد تقدم في الجزء الأول ذكر هذا .

وثبِير : جبال بظاهر مكة ، والآثيرة أربعة : ثبِير غَيْشَى ، وثبِير الأعرج ،
وهما : حراء وثبِير . وثبِير الآثيرة ، وثبِير منى ، وهما بديار مزينة . ومعنى المثل =

وكان يقول في دعائه : اللهم بَعْضُ بين رِعاثنا ، وَحَبِّ بين نساينا ،
واجعل المالَ في سُمَحائنا : وهو أول من جعل الدِّيَّة مائة من الإبل ، فيما ذكر
أبو اليقظان ، حكاه عنه حمزة بن الحسن الأصبهاني .

وقوله : وعن مواليه بنى فزارة . يعنى بمواليه : بنى عمه ، لأنه من عَدوان
وعَدوان وفزارة : من قيس عيلان ، وقوله : مُسْتَقْبِل القبله يدعو جاره . أى :
يدعو الله عز وجل ، يقول : اللهم كن لنا جارا مما نخافه ، أى : مجيرا .

= ادخل يائير في الشروق ، كي نسرع إلى النحر . قال عمر : إن المشركين كانوا
يقولون : أشرق ثبير كيما نغير ، وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، الإفاضة
هنا من المزدلفة إلى منى ، والمثل يضرب في الإسراع والعجلة ، وفي شرح السكافية
ج ٢ ص ٣٣٢ ، واعلم أن من العرب من يقول : لَهْنَتِكَ ، بفتح اللام وكسر
الهاء وتضعيف النون مع فتح ، لَمَرَجُلٌ صدق . قال : لَهْنَتًا لَمَقْنَضِي عَلَيْنَا التاجر .
وقال : لهني لأشقى الناس إن كنت غارما . وقد يحذف اللام ، وهو قليل ، قال :
ألا يا سنا برق على قُلْسَل الحى لَهْنَك من بَرَق عَلَى كريم

وفيه ثلاثة مذاهب . أحدها لسيويوه : وهو أن الهاء بدل من همزة إن
كإياك وهياك ، فلما غيرت صورة إن بقلب همزتها هاء ، جاز بجماعة اللام إياها
بعد الامتناع ، والثاني : قول الفراء ، وهو أن أصله : والله إنك ، كما روى عن أبي
أدهم السكلاي : والله ربي لا أقول ذلك ، بقصر اللام ، ثم حذف حرف الجر ، كما
يقال : الله لأفعلن ، وحذفت لام التعريف أيضا ، كما يقال : لاه أبوك . أى :
له أبوك ، ثم حذفت ألف فعال ، كما يحذف من الممدود إذا قصر . كما يقال :
الحصاد والحصد قال :

ألا لا بارك الله . في سُهَيْشِل إِذَ ما الله بارك في الرجال
، وحذف مد لام الله . ووقف عليها بالسكون وحذف ألف إذا ، ثم حذفت همزة إنك =

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضى يعنى : عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدوانى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ، ولا عضلة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ، ثم رضوا بما قضى فيه ، فاختصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه ، فى رجل خنثى ، له ما للرجل ، وله ما للمرأة ، فقالوا : أنجعل رجلا أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه . فقال : حتى أنظر فى أمركم ، فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يامعشر العرب ! فاستأخروا عنه . فبات ليلته ساهراً يُقلب أمره ، وينظر فى شأنه ، لا يتوجه له منه وجه ، وكانت له جارية يقال لها : سَخِيلَة ترعى عليه غنمه ، وكان يُعاتبها إذا سرحت فيقول : صَبَحَتِ والله يَسْخِيل ! وإذا أراحت عليه ، قال : مَسَيْتِ والله يَسْخِيل ! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس ، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس . فلما رأت سهره وقلقه ، وقلقه قراره على فراشه قالت : مالك لأبألك ! ما عراك فى ليلتك هذه ؟ قال : وَيْلَكَ ! دَعِينِ ، أمرأيس من شأنك ، ثم عادت له بمثل قولها ، فقال فى نفسه : عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج ، فقال : ويحك ! اختصم إلى فى ميثاث خنثى ، أأجعل رجلا أو امرأة ؟

.

== وفيما قال تسكلفات كثيرة . والثالث : ما حكى المفضل بن سلمة عن بعضهم أن أصله : لله إنك . واللام للقسم ، فعمل به ما عمل فى ذهب الفراء ، وقول الفراء أقرب من هذا ، لأنه يقال : لهلك القائم بلا تعجب . .

فوالله ما أدري ما أصنع ، وما يتوجه لي فيه وجه ؟ : قال : فقالت سبحانه الله ! لا أبالك ! أتبيع القضاء المبال ، أقعده ، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث تبول المرأة ، فهي امرأة . قال : مَسَى سُخَيْلٌ بعدها ، أو صَبَّحِي ، فَرَجَّيْهَا والله ! . ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذي أشارت عليه به .

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش

ومعونة قضاة له

قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام ، فعلت صوفة كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دين في أنفسهم في عهد جُرهم وخزاعة وولايهم . فأتاهم قُصَيُّ بن كلاب بن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاة عند العقبة ، فقال : لَنَجْنُ أُولَى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقْتَتَلَ الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قُصَيُّ على ما كان بأيديهم من ذلك .

وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قُصَيِّ ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سَيَحُولُ بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فافتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، وإلى أن يُحْكَمُوا بينهم رجلاً من القرب ، فحَكَّمُوا يَمْعَر بن عَوْف بن كعب بن عامر بن

.

لَيْثُ بْنُ بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ أَنْ قُصِيَ أُولَى بِالْكَعْبَةِ ، وَأَمْرٌ مَكَّةَ مِنْ خُزَاعَةَ ، وَأَنْ كُلِّ دَمٍ أَصَابَهُ قُصِيَ مِنْ خُزَاعَةَ وَبَنَى بَكْرٍ : مَوْضِعُ يَشْدَخُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَأَنْ مَا أَصَابَتْ خُزَاعَةُ وَبَنَى بَكْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ وَقُضَاعَةَ ، فَفِيهِ الدِّيَّةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَأَنْ يُخْلَى بَيْنَ قُصَى وَبَيْنَ الْكَعْبَةِ وَمَكَّةَ .

فَسَمَّى يَعْمَرُ بْنُ عَوْفٍ يَوْمَئِذٍ : الشَّدَاخَ ، لِمَا شَدَخَ مِنَ الدَّمَاءِ وَوَضَعَ مِنْهَا .

قال ابن هشام : ويقال : الشَّدَاخُ .

قال ابن إسحاق : فَوَلَّى قُصَى الْبَيْتَ وَأَمْرَ مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَى مَكَّةَ ، وَتَمَلَّكَ عَلَى قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَكَّةَ فَلَمَّكَوهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَقْرَأَ لِلْعَرَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ دِينًا فِي نَفْسِهِ لَا يَنْبَغِي تَغْيِيرُهُ ، فَأَقْرَأَ آلَ صَفْوَانَ وَعَدَوَانَ وَالنِّسَاءَ وَمُرَّةَ بْنَ عَوْفٍ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ ، فَهَدَمَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ . فَكَانَ قُصَى أُولَى بَنَى كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ أَصَابَ مُلْكَاً أَطَاعَ لَهُ بِهِ قَوْمُهُ ، فَكَانَتْ إِلَيْهِ الْحِجَابَةُ ، وَالسَّقَايَةُ ، وَالرَّفَادَةُ ، وَالنَّدْوَةُ ، وَاللَّوَاءُ ، فَحَازَ شَرَفَ مَكَّةَ كُلِّهَا . وَقَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا بَيْنَ قَوْمِهِ ، فَأَنْزَلَ كُلَّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنَازِلَهُمْ مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَصْبَحُوا عَلَيْهَا ، وَبِزَعَمِ النَّاسِ أَنَّ قُرَيْشًا هَابُوا قَطَعَ شَجَرِ الْحَرَمِ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَقَطَعَهَا قُصَى بِيَدِهِ وَأَعْوَانِهِ ، فَسَمَّيْتُهُ قُرَيْشٌ : مُجْمَعًا لِمَا جَمَعَ مِنْ أَمْرِهَا ، وَتَيَمَّنْتُ بِأَمْرِهَا ، فَمَا تُنْكَحُ امْرَأَةٌ ، وَلَا يَتَزَوَّجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِ نَزَلَ بِهِمْ ، وَلَا يَعْقِدُونَ لَوَاءً لِحَرْبٍ قَوْمٍ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا فِي دَارِهِ ، يَعْقِدُهُ لَهُمْ بَعْضُ وَلَدِهِ ، وَمَا تَدْرِعُ جَارِيَةٌ

.

إذا بلغت أن تدّرع من قریش إلا فی داره ، یُشقّ علیها فیها درعها ثم تدّرع ،
ثم ینطلق بها إلى أهلها . فکان أمره فی قومه من قریش فی حیاته ، ومن بعد
موته ، کالدّین المتّبع لا یعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها
إلى مسجد الکعبة ، ففیها کانت قریش تقضى أمورها : قال ابن هشام :
وقال الشاعر :

قُصِيَّ لَعَمْرِي كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقِبَائِلَ مِنْ فِئْرِ

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت السائب
ابن خباب صاحب القصورة یحدث ، أنه سمع رجلا یحدث عمر بن الخطاب ،
وهو خليفة ، حديث قُصِيَّ بن کلاب ، وما جمّع من أمر قومه ، وإخراجه خُزاعة
وبني بكر من مکة ، وولایته البيت وأمر مکة ، فلم یردّ ذلك علیه ولم ینکره .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ قُصِيٌّ من حربته ، انصرف أخوه رِزَاحُ بن ذریعة
إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رِزَاحُ فی إجابته قُصِيًّا :

لَمَّا أَتَى مِنْ قُصَيٍّ رَسُولُ	فَقَالَ الرَّسُولُ : أَجِيبُوا الْخَلِيلَ
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودَ الْجِيَادِ	وَنَطَرَحَ عَنَّا الْمَمْلُوكَ النَّفِيلَ
نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ	وَنَكْمِي النَّهَارَ ؛ لِئَلَّا نَزُولَا
فَهْنٌ سِرَاعٌ كَوَرْدِ الْقَطَا	يُجِبْنَ بِنَا مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَا
جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ مِنْ أَشْمَذَيْنِ	وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ جَمَعْنَا قَبِيلَا
فِيَالِكَ حَلَبَةٍ مَا لَيْلَةٌ	تَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ سَبِيلَا

فَلَمَّا مَوَّزَنَ عَلَى عَسَجَرٍ وَأَسْهَلَنَ مِنْ مُسْتَفَاحِ سَبِيلَا
وَجَاوَزَنَ بِالرَّكْنِ مِنْ وَرَقَانِ وَجَاوَزَنَ بِالْعَرْجِ حَيَا حُلُولَا
مَرَرْنَ عَلَى الْخَيْلِ مَا دُفِنَتْهُ وَعَالَجْنَ مِنْ مَرٍّ لَيْلًا طَوِيلَا
نَدَّتْنِي مِنَ الْعُودِ أَفْلَاءَهَا إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَرْقِنَ الصَّهْبِيلَا
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مَكَّةَ أَبْحَمْنَا الرِّجَالَ قَبِيلًا قَبِيلَا
نُماوَرِمَ نَمَّ حَدَّ السِّیُوفِ وَفِي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْعُقُولَا
نُخَبِّزُ بِصِلَابِ النَّسُو رِ خَبَزَ الْقَوَى الْعَزِيزِ الذَّلِيلَا
قَتَلْنَا خُرَاعَةً فِي دَارِهَا وَبَكَرَأَ قَتَلْنَا وَجِيلًا فُجِيلَا
نَفِينَاهُمْ مِنْ بِلَادِ الْمَلِكِ كَمَا لَا يَحْتَلُونَ أَرْضًا سُهُولَا
فَأَصْبَحَ سَبِيحُهُمْ فِي الْحَدِيدِ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَقِينَا الْغَلِيلَا

وَقَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُذَيْمٍ الْقُضَاعِيُّ
فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ قُصَى حِينَ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَغَالَى مِنْ الْأَعْرَافِ أَعْرَافِ الْجُنَابِ
إِلَى غَوْرَى تِهَامَةٍ ، فَالْتَقَيْنَا مِنْ الْفَيْفَاءِ فِي قَاعِ يَبَابِ
فَأَمَّا صُوفَةُ الْخُنْتَى ، فَخَالُوا مَنَازِلَهُمْ مُحَاذِرَةَ الضَّرَابِ
وَقَامَ بَنُو عَلَى إِذْ رَأَوْنَا إِلَى الْأَسْيَافِ كَالْإِبِلِ الطَّرَابِ

وَقَالَ قُصَى بْنُ كِلَابٍ :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنَزَلِي ، وَبِهَا رَيْتُ

.

إلى البطحاء قد علمت معدةً ومروءتها رَضيت بها رَضيت
فلستُ لغالب إن لم تأتِلْ بها أولاد قَيْدَر ، والنَّبيتُ
رِزَاحُ ناصِري ، وبه أُسامي فلستُ أخافُ ضَيْمًا ما حَيَّيتُ

فلما استقر رِزَاحُ بن ربيعة في بلاده ، نَشَرَهُ الله ونَشَرَحُنَّا ، فهما قَبَيْلا
عُدْرَةَ اليوم . وقد كان بين رِزَاح بن ربيعة ، حين قَدِمَ بلاده ، وبين نَهْدِ بن
زَيْد وَحَوْثَكَةَ بن أُسْلَم ، وها بطنان من قُضاعة شَيْء ، فأخافهم حتى لحقوا
بالبين ، وأجلوا من بلاد قُضاعة ، فهم اليوم بالبين ، فقال قُصَيُّ بن كِلاب ، وكان
يحب قُضاعة ونمائها واجتماعها ببلادها ، لما بينه وبين رِزَاح من الرَّحِم ، ولبلائهم
عنده إذا أجابوه إذ دعاهم إلى نُصْرته ، وكرِه ما صنع بهم رِزَاح :

أَلَا مَنْ مُبْلَغَ عَنِّي رِزَاحًا فَإِنِّي قَدْ لَحَيْتُكَ فِي اثْنَتَيْنِ
لَحَيْتُكَ فِي بَنِي نَهْدِ بن زَيْدَ كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي
وَحَوْثَكَةَ بن أُسْلَمَ إِن قَوْمًا عَنَوْهُمْ بِالْمَسَاءَةِ قَدْ عَنَوْنِي

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزهير بن جَناب الكلبي .

قال ابن إسحاق : فلما كبر قُصَيُّ ورقَّ عظمه ، وكان عبد الدار بِكْرَهُ ،
وكان عبدُ مناف قد شَرُفَ في زمان أبيه ، وذهب كلُّ مذهب ، وعبدُ العزى
وعَبْدُ . قال قُصَيُّ لعبد الدار : أما والله يا بُنَيَّ لأُحَقِّنَكَ بالقوم ، وإن
كانوا قد شَرُّوا عليك : لا يدخل رجلٌ منهم الكعبة ، حتى تكون أنت تفتَحُها
له ، ولا يَمْدُقُ أَقْرِيشَ لواءِ الحَرْبِها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحدٌ بِمَكَّةَ إلا من
سَقَاتِكَ ، ولا يأكل أحدٌ من أهلِ المَوْسَمِ طعامًا إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش

أمرأ من أمورها إلا في دارك، فأعطاه داره دار الندوة، التي لا تنقض قريش أمراً من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحِجَابَة واللواء والسَّقَايَة والرَّفَادَة .

مَنْ فرض الرفادة :

وكانت الرفادة خَرْجاً تُخرجه قريش في كلِّ مَوْسِمٍ من أموالها إلى قُصَيِّ ابنِ كِلَابٍ ، فيصنع به طعاماً للحاجِّ ، فيأكله مَنْ لم يكن له سَعَة ولا زاد ، وذلك أن قُصَيّاً فَرَضَهُ على قريش ، فقال لهم حين أسرمهم به : يامَقَشَرِ قريش ، إنكم جيرانُ الله ، وأهلُ بيته ، وأهلُ الحَرَمِ ، وإن الحاجَّ ضَيِّفُ الله وزوار بيته ، وهم أحقُّ الضيِّف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيامَ الحجِّ ، حتى يَصُدُّرُوا عنكم ، ففعلوا ، فكانوا يُخرجون لذلك كلَّ عام من أموالهم خَرْجاً ، فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيامَ مِنَى ، فجرى ذلك من أسره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كلَّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا من أمر قُصَيِّ بنِ كِلَابٍ ، وما قال لعَبْد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبا إسحاق بن يَسَار ، عن الحسن بن محمد ابن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، قال :

سمعتُه يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار ، يقال له : نُبَيْه بن وَهَب بن عامر بن عِكْرَمَة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيِّ .

قال الحسن : فجعل إليه قُصَيٌّ كلَّ ما كان بيده من أمر قومه ، وكان قُصَيٌّ لا يُخَالَف ، ولا يُرَدُّ عليه شيء صَنَعَهُ .

.

الحكم بالأمارات :

فصل : وذكر عامر بن الظرب وحُكمه في الخُثنى ، وما أفتته به جاريته سُخَيْلة ، وهو حكم معمول به في الشرع ، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل في الشريعة ، قال الله سبحانه : (وجاءوا على قيصه بدمٍ كذبٍ) وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميص المدمى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب ، وكذلك قوله : (إن كان قيصه قد من قبل [فصدقت ، وهو من الكاذبين] . يوسف : ٢٦) الآية . وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المولود : « إن جاءت به أرزق جعداً أجمالياً فهو للذي رُميت به ^(١) » فلا استدلال بالأمارات أصلً يُبنى عليه كثيرٌ من الأحكام في الحدود والميراث ، وغير ذلك . والخُثنمُ في الخُثنى أن يُعتَبر المَبالُ ، ويُعتَبر بالحِيض ، فإن أشكل من كلٍّ وجهه ، حُكِمَ بأن يكون له في الميراث سهمُ امرأةٍ ونصف ، وفي الدية كذلك ، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد .

(١) هذا جزء من حديث — رواه أبو داود مطولاً ، وفي إسناده عباد بن منصور ، وقد تكلم فيه غير واحد ، وهو في قذف هلال بن أمية أحد الثلاثة الذين خلفوا امرأته بشريك بن سحاء ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه الرسول دس ، البينة ، وإلا أقام عليه الحد ، فنزلت آيات اللعان من سورة النور ، وقد روى قصة هلال الجماعة وأحد ، والجمع : القصير الشعر ، والأورق : الاسمر مع بياض . والجمالى : العظيم الخلق كأنه الجمل ، وقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم أن تترك المرأة حتى تلد ، فجاءت بالولد في صفات الرجل الذي رُميت به ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن » .

الشداخ :

فصل : وذكر يَعْمَرُ الشَّدَاخُ بن عوف حين حَكَمُوهُ ، وأنه سمي بالشَّدَاخ لما شَدَخَ من دِماء خُرَاعَةٍ (١) وَيَعْمَرُ الشَّدَاخُ هو جَدُّ بني دَأْبِ الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب وهم : عيسى بن يزيد بن [بَكْر] ابن دَأْبِ ، وأبوه : يزيد ، وحَدِيفَةُ بن دَأْبِ ، ودَأْبُ هو : ابن كُرْز بن أُنْحَر من بني يَعْمَر بن عَوْفٍ الذي شَدَخَ دِماء خُرَاعَةٍ ، أي : أبطلها ، وأصل الشَّدَخ : الكسر والْفَضْخُ ، ومنه الْفَرَّةُ الشاذخة ، شُبِّهَتْ بالضَّرْبَةِ الواسعة . والشَّدَاخ بفتح الشين كما قال ابن هشام ، والشَّدَاخُ بضمها إنما هو جَمْعٌ ، وجائز أن يُسَمَّى هو وبنوه : الشَّدَاخُ ، كما يقال : الْمَنَازِرَةُ فِي الْمَنَازِرِ وبنوه ، والأشْعَرُونَ في بني الأشعر من سبأ (٢) وهو بابٌ يكثرُ ويطول . وأمُّ يَعْمَرُ الشَّدَاخُ اسمُها : السَّوْمُ بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم ، وسيأتي ذكر جُرَّة بالكسر (٣) ذكره ابن ماكولا . ومن بني الشَّدَاخ : بَلْعَاء بن قَيْس بن عبد الله بن يَعْمَر

(١) في الاشتقاق : « إنما سمي الشداخ لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم ، فقال : شَدَخْتُ الدماء تحت قدمي ، والشَّدَخ : وطوؤك الشيء حتى تفضضه ، والفرس الشاذخ : الذي انتشرت غرته في وجهه ، ولم تبلغ العينين ، والجمع : شواذخ ، والفضض : الكسر ، وبذكر السهلي عيسى بن يزيد بن دَأْب ، وهو في الاشتقاق : عيسى بن يزيد بن بكر بن دَأْب .

(٢) الأشعر هو : نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ .

(٣) في القاموس : السوم بفتح السين وواو ساكنة بنت جرة بكسر الجيم : أعرابية ، وفيه : يزيد بن الأخنس بن جُرَّة بضم الجيم : صحابي .

الشَّدَاخ الشاعر المذكور في شعر الحماسة، اسمه: حَمِيصَةُ، ولَقَّبَ :
بلعاء (١) لقوله :

أنا ابنُ قَيْسٍ سَبْعًا وابنُ سَبْعٍ أَبَارَ من قَيْسٍ قَبِيلًا فالْتَمَعِ
كأَمَّا كانوا طَعَامًا فابْتُلِغِ

(ولاية قصي البيت)

ذكر فيه أمرُ قُصَيٍّ وما جمع من أهل مكة، وأنشد :
قُصَيٌّ لَعَمْرِي كان يُدْعَى مُجَمِّعًا (٢) . البيت وبعده :
هُمُوا مَلَأُوا البَطْحَاءَ مَجْدًا وسُودُودًا وَهُمْ طَرَدُوا عَنَا غَوَاةَ بَنِي بَكْرٍ
ويذكر أن هذا الشعر لحذافة بن جُمَح .

وذكر أن قُصَيًّا قَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا (٣) ، وأن أهلها هابوا قَطَعَ شجر
الحرم للبنيان . وقال الواقدي : الأصَحُّ في هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا
البنيان قالوا لِقُصَيٍّ : كيف نصنع في شجرِ الحَرَمِ ، فحذَّروهم قَطْعَهَا وَخَوْفَهُمْ

(١) في الاشتقاق : بلعاء من قولهم : بثر بلعاء : واسعة ، ورجل بلع إذا
كان نهبها ، وقد أخرج له أبو تمام في ديوان الحماسة ثلاثة أبيات ، أولها :
وفارس في غمار الموت منغمس إذا تَأَلَّى على مكروهه صدقا
غمار الموت : شدائده ، تَأَلَّى : حلف ، وفي اللسان : حَمِيصَةُ اسم حي بلعاء
وقد كان بلعاء رئيسا في الجاهلية ، وشهد حرب الفجار الثاني، ومات في تلك الأيام
(٢) في الطبري ٢٥٦ ج ٢ ، أبو كم قصي كان يدعى مجعما .
(٣) دورا .

العقوبة في ذلك ، فكان أحدهم يخوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون في منزله . قال : فأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله ابن الزبير حين ابتنى دوراً بقميعة ، لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة ، وكذلك يروى عن عمر - رضي الله - أنه قطع دوحة كانت في دار أسد بن عبد العزى ، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فطسها عمر - رضي الله عنه - وودأها بقرة ، ومذهب مالك - رحمه الله - في ذلك : ألا دية في شجر الحرم . قال : ولم يبلغني في ذلك شيء . وقد أساء من فعل ذلك ، وأما الشافعي - رحمه الله - فجعل في الدوحة بقرة ، وفيما دونها شاة . وقال أبو حنيفة - رحمه الله - إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يفرسها الناس ، ويستذبتونها ، فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ، ففيه القيمة بالغا ما بلغت .

وذكر أبو عبيد : أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أفتى فيها بعقبة^(١) رقية .

(١) وفي الشفري للمحب الطبري : « عن عطاء أنه كان يقول في الحرم : إذا قطع شجرة عظيمة من شجر الحرم فعليه بدنة » ، وفي الدوحة : بقرة . وعنه أنه سئل عمن قطع من شجر الحرم ، فقال : يستغفر الله عز وجل ولا يعود ، وعنه أنه كان يرخص في القصب والشوك . والسني : نوع من النبات . وعنه لا بأس أن يبنى الكسماة من الحرم ولا بأس بالشعشع (نبات يتفرش على وجه الأرض عريض الورق وليس له شوك) والكسماة جمع مفردة : كم ، والكسمة : نبات ينفض الأرض ، فيخرج كما يخرج الفطر ، يأكله الناس والحيوان ، على أنه ورد في حديث أخرجه البخاري ومسلم أن الحرم لا يعصد شوك ، أي : لا يقطع .

دار الندوة :

وذكر أن قُصِيًّا اتخذ دار الندوة ، وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النَّدَى والنَّادَى والمُنْتَدَى ، وهو مجلس القوم الذي يَنْتَدُونَ حَوْلَهُ ، أى : يَذْهَبُونَ قَرِيبًا مِنْهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، وَالْمُنْتَدِيَّةُ فى الخليل . أن تُصْرَفَ عَنْ أَوْرَدَ إِلَى المَرْعى قَرِيبًا ، ثُمَّ تَعَادُ إِلَى الشَّرْبِ ، وهو المُنْتَدَى^(١) ، وهذه الدارُ تُصِيرُ بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام ابن خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُزَيِّ بْنِ قُصَيٍّ ، فباعها فى الإسلام بمائة ألف درهم ، وذلك فى زمن معاوية ، فلامه معاوية فى ذلك ، وقال : أَيْبَتَ مَكْرَمَةَ آبَائِكَ وَشَرَفَهُمْ ، فقال حكيم : ذهبت المكارمُ إِلَّا التقوى . والله : لقد اشتريتها فى الجاهلية بِزِقِّ خمر ، وقد بعثتها بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها فى سبيلِ الله ، فأثينا المغبون ؟ ! ذكر خبر حكيم هذا الدارُ قُطِنَى فى أسماء رجال الموطأ له .

من تفسير شعر رزاح :

فصل : وذكر شعر رِزَاح ، وفيه : وَنَكَمَى النَّهَارَ أَى : نَكَمُنُ وَنَسْتَرُ ، وَالْكَمَى مِنَ الْفَرَسَانِ ، الذى نَكَمَى بِالْحديد . وقيل : الذى يَكُمَى شجاعته ، أَى : يَسْتَرُهَا ، حتى يَظْهَرُهَا عند الوغى . وفيه : مَرَرْنَا بِمَسْجَرٍ ، وهو : اسم موضع ، وكذلك : وَرْقَانِ اسم جبل ، ووقع فى نسخة سفيان : وَرْقَانِ بفتح الراء ، وقيده أبو عبيد البكرى : وَرِقَانِ بكسر الراء ، وَأَنشَدَ لِلْأَخْوَصِ :

(١) والمنْتَدَى أيضاً من أسماء النادى الذى هو يجتمع مجلس القوم ومتحدثهم والمنْتَدَى : مكان ورد الإبل .

وكيف نُرجى الوصلَ منها وأصبحت ذُرَى وَرْقَانٍ^(١) دُونَهَا وَحَفِير

ويُخَفَّف ، فيقال : وَرْقَان . قال جميل :

يَا خَلِيلِيَّ إِنَّ بَذْنَةَ بَأْتَتْ يَوْمَ وَرْقَانَ بِالْفَوَادِ سَبِيًّا

وذكر أنه من أعظم الجبال ، وذكر أن فيه أَوْشَالاً^(٢) وَعُيُونًا عِذَابًا ،
وَسُكَّانَهُ : بنو أَوْس بن مُزَيْنَةَ .

وذكر أيضا الحديث ، وهو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ضُرْسُ
السَّكَافِرِ فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرْقَانٍ »^(٣) . وفي حديث آخر أنه
عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الأمة ، فقال : رجلان من مُزَيْنَةَ يَنْزِلَانِ
جِبَالًا مِنْ جِبَالِ الْعَرَبِ ، يُقَالُ لَهُ : وَرْقَانُ^(٤) كل هذا من قول البكري في كتاب
مُعْجَم مَا امْتَعَجَمَ .

فصل : وذكر أشمذين بكسر الهمزة ، وفي حاشية كتاب سفيان بن العاص :
الْأَشْمَذَانِ : جبالان [بين المدينة وخيبر] ، ويقال : اسم قبيلتين ، ثم قال في

(١) ورقان — بالفتح ثم الكسر — ويروى بسكون الراء : جبل أسود بين
العرج والروثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، وهو من جبال تهامة .

(٢) مياه تسيل من أعراض الجبال ، فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .

(٣) رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة .

(٤) الذي في الحاكم : آخر من حشر : راعيان من مزينة يريدان المدينة
ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشا ، حتى إذا بلغا ثَمَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَا عَلَى
وُجُوهِهِمَا ، ومثل هذه الإحاديث لا يعتد بها .

الحاشية : فعلى هذا تكون الرواية بفتح الدال وكسر النون من أشمذين - قال المؤلف رحمه الله - فإن صح أنهما اسم قبيلتين ، فلا يبعد أن تكون الرواية كما في الأصل : أشمذين^(١) بكسر الدال ، لأنه يجمع في المعنى . واشتقاق الأشمذ من شَمَذَتِ الناقةُ بذَنبها أى : رفعت ، ويقال للنحل : شَمَذ ، لأنها ترفع أعجازها .

وفيه : مَرَرْنَ على الحَيْلِ^(٢) وفسره الشيخ في حاشية الكتاب ، فقال : هو الماء المستنقع في بطن واد ، ووجدت في غير أصل الشيخ روايتين ، إحداهما : مَرَرْنَ على الحِلِّ والأخرى : مَرَرْنَ على الحِلْي ، فأما الحِلُّ : فجمع حِلَّة ، وهى بَقْلَةٌ شَاكَّةٌ^(٣) . ذكره ابنُ دُرَيْدٍ في الجَمْهَرَةِ . وأما الحِلْي ، فيقال : إنه ثمر القُتْمُلَانِ^(٤) وهو نَبْتُ .

(١) في المراسد : أشمذين - بفتح أوله والميم والذال مفتوحتان ، والياء ساكنة والنون مكسورة بلفظ الشنية : جبلان بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع .
(٢) الحيل في اللسان كما ذكر الشيخ ، وأيضاً : القطيع من الغنم ، وحجارة تحدر من جوانب الجبل إلى أسفله وفي الأصل : الجبل ، وهو خطأ .

(٣) وفي اللسان والقاموس : شجرة شاكَّة .

(٤) عرق هذا الشجر المغاث ، وقد خطأ أبوذر في شرحه للسيرة هذا الرأي لأن اسم النبات : الحلى بتشديد الياء وكسر اللام . وذكر أنه اسم موضع .

ورزاح بن ربيعة بكسر الراء ، وغيره بالكسر وبالفتح . ومن معاني مفردات قصيدة رزاح : الورد : الواردة . الحلبة : جماعة الحيل . السيب : المشى السريع في رفق كالسياب الحية . الرسيل : المشى الذي فيه تمهل . وعسجر : موضع قرب مكة . أسهل : حل الموضع السهل ، العرج : واد ، نواحي الطائف . العوذ : جمع عائد : الناقة أو الفرس التي لهما أولاد . والأفلاء : جمع فلو ، المهر العظيم . نعاور :

وقوله فيها : نَخَبَزُهُمْ . أى : نسوقهم سوقاً شديداً ، وقد تقدم قول
الراجز . لا تَخْزِرَا خَبْزاً وَبَساً بَساً .

وذكر شعر رِزَّاح الآخر ، وفيه : من الأعراف أعراف الجَنَاب . بكسر
الجيم ، وهو موضعٌ من بلاد قُضَاعَةَ .

وفيه : وقام بنو عَلِيٍّ ، وهم بنو كِنَانَةَ ، وإعما سموا بني عَلِيٍّ ؛ لأنَّ عَبْدَ مَنَاةَ
ابن كِنَانَةَ كان ربيباً لعليٍّ بن مسعود بن مازن من الأزد جدَّ سَطِيحِ
الساكن ، فقبل لبني كِنَانَةَ : بنو عَلِيٍّ ، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بَكْرِ
ابن عَبْدَ مَنَاةَ ؛ لأنهم قاموا مع خُرَاعَةَ .

شعر قصي والغزرتان :

وذكر شعر قُصَيٍّ : أنا ابن العاصمين بني لؤيٍّ . الأبيات . وليس
فيها ما يشكل .

== نداول مرة بعد أخرى . الأوب : الرجوع . وصلاب النسر : النسر : جمع
نسر ، وهو اللحم اليابس الذي في باطن الحافر . وصلاب النسر كناية عن الخيل
القوية ، ومن مفردات قصيدة ثعلبة : التغالى من المغالاة ، وهى ارتفاع الدابة في
سيرها ومجاورتها حسن السير . والغور : أصله ما تدخل من الأرض ، وانهبط ،
ومنه : غور تهامة ، وكل ما وصف به تهامة ، فهو من صفة الغور ؛ لأنهما اسمان لمسمى
واحد . والفيفاء : الصحراء . القاع : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال
والآكام ، تنصب إليها الأمطار ، فتمسكها ، ثم تبت العشب ، الضراب : يقال :
ضرب الفحل ضراباً : أتى الناقة . والطراب : الإبل التى اشتاقت إلى موطنها .

وذكر أن رزاحا حين استقر في بلاده نشر الله ولده وولدحن ،
ابن ربيعة ، فهما حيا عذرة .

قال المؤلف : في قضاة : عذرتان : عذرة بن ربيعة ، وهم من بني كلب
ابن وبرة . وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم بن الحلاف بن قضاة ، وأسلم هذا
هو بضم اللام من ولدحن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله
ابن معمر صاحب بئنة ، ومعمر هو ابن ولد الحارث بن خير بن ظبيان ،
وهو الضبيس بن حن . وبئنة أيضا من ولد حن ، وهى بنت حبان بن
ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن حن [وفى قضاة أيضا عذرة بن
عدى ، وفى الأزد : عذرة بن عداد] .

موتكة وأسلم :

وذكر موتكة بن أسلم وبني نهد بن زيد وإجلاد رزاح لهم (١)

(١) نسب جميل فى جهرة أنساب العرب : جميل بن عبد الله بن معمر
ابن الحارث بن الخير [فى الروض ابن خير فى] ابن طبيان ، وهو خبيس بن
جر بن ربيعة ، ويتفق الأغانى مع الجهرة حتى الحارث ، وبعدها يقول الأغانى
ابن ظبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير ، بن
عذرة بن سعد — وهو هذيم ، سبى بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لايه ، يقال له :
هذيم ، وكان يحضنه ، فغلب عليه ، وفى الاشتقاق كذلك عن سعد وهذيم — بن زيد بن
سود بن أسلم بن الحلاف بن قضاة . ونسب بئنة فى الجهرة : بئنة بنت حبا
ابن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن جريو بن ربيعة . لايها صحبة
ص ٢٠ جهرة . وفى الأغانى : بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن =

وَحَوْتَكُهُ هُوَ : عُمُّ نَهْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، وليس في العربِ أَسْلَمُ بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها في قُضَاعِهِ ، وهما : أَسْلَمُ بْنُ الْحَافِ هَذَا ، وَأَسْلَمُ بْنُ تَدُولِ بْنِ تَيْمِ اللَّاتِ (١) . بن رُفَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبٍ ، والثالث في عَكَّ أَسْلَمُ بْنُ الْقِيَانَةِ بْنِ غَابِنِ (٢) . بن الشاهد بن عَكَّ ، وما عدا هؤلاء فَأَسْلَمُ بفتح اللام . ذكره ابن حبيب في المؤلف والمختلف .

==الاحب بن حن بن ربيعة . وفي الاشتقاق عن عذرة بن ربيعة، وكذلك في جهمرة ابن حزم: أنه عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة . وفي كتاب متفق القبائل لابن حبيب ، وفي قضاة : عذرة بن سعد ، وفي كلب : عذرة ابن زيد اللات ، وعذرة بن عدى ، وفي الأزد : عذرة بن عداد ، وفي الجهمرة لابن حزم ضبط أَسْلَمُ بفتح اللام مرة ، وبضمها في مكان آخر ، وفيها ما يأتي : ولد أَسْلَمُ بْنُ الْحَافِي : سَوْدُ بْنُ أَسْلَمَ . فولد سَوْدُ بْنُ أَسْلَمَ لَيْثٌ وَحَوْتَكُهُ بفتح الحاء وإسكان الواو ، بطن بمصر مع بني خميس بن جهمنة ، وإيَّاس بن سود ، وهم في بني لؤي بن عذرة . وفي أمالي ابن الشجرى عن الحالف أنه لما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسر مثل : العاص في اسم العاص بن أمية ، والعاص بن وائل السهمي . ومثل اليان في أب حذيفة اليان ، ومثل الداع في قوله سبحانه : «أجيب دعوة الداع إذا دعان» ، انظر الاشتقاق في قبائل قضاة ، وص ١٥٤ جهمرة . ونقل ما ذكرت عن ابن الشجرى من تعليق الأستاذ هرون في الاشتقاق . وفي الاشتقاق عن هوذى أنه هُوَذَةُ .

(١) في الجهمرة والاشتقاق وغيرهما : زيد اللات . ولكن ورد في الجهمرة ص ٤٢٩ وهو يتحدث عن بني كلب بن وبرة : «وبنو أَسْلَمَ بضم اللام بن تدول بن تيم اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة» .

(٢) في الجهمرة : أَسْلَمُ بْنُ الْقِيَانَةِ بْنِ غَافِقٍ ، ومنهم كان أمير الأندلس . وفي اللسان عن أَسْلَمَ بضم اللام نقل عن كراع أنه جمع : سلم ، وذكر أنه لم يفسر أى : سلم — بفتح فسكون — يعنى ، ثم نقل أنه قد يكون جمع سلم — بفتح فسكون — وهى الدلو العظيمة .

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصي

وحلف للطيبين

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب هلك ، فأقام أمرة في قومه ، وفي غيرهم بنوه من بعده ، فاختلفوا مكة رباعاً — بعد الذي كان قطع لقومه بها — فكانوا يقطعونها في قومهم ، وفي غيرهم من خلفهم ويبيعونها فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار . يرون أن لا يُنزع منهم ما كان قصي جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بني عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسن بني عبد مناف ، وكان صاحب أمر بني عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زهرة ابن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بني عبد مناف .

• • • • •

وكان بنو مخزوم بن بَقْظَة بن مُرَّة ، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، وبنو جَحجَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لُؤَيٍّ ومحارب بن قَهْرٍ ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فَعَقَدَ كُلُّ قَوْمٍ عَلَى أَمْرِهِمْ حِلْفًا مُؤَكِّدًا عَلَى أَنْ لَا يَتَخَاذَلُوا ، وَلَا يُسَلِّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَا بَلَ بَحْرٌ صَوْفَةٌ .

فَأَخْرَجَ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً طَبِيبًا ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّ بَعْضَ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، أَخْرَجَتْهَا لَهُمْ ، فَوَضَعُوهَا لِأَخْلَافِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ غَسَسَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ فِيهَا ، فَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا وَحَلَفُوا ، ثُمَّ مَسَحُوا الْكَعْبَةَ بِأَيْدِيهِمْ تَوْكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَسَمُّوا الْمُطَيِّبِينَ .

وَتَعَاقَدَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ ، وَتَعَاهَدُوا وَحَلَفُوا ، عِنْدَ الْكَعْبَةِ حِلْفًا مُؤَكِّدًا ، عَلَى أَنْ لَا يَتَخَاذَلُوا ، وَلَا يُسَلِّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَسَمُّوا الْأَحْلَافَ .

ثُمَّ سُوِّدَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ ، وَلُزَّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، فَعُبِّيَتْ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ لِبَنِي سَهْمٍ ، وَعُبِّيَتْ بَنُو أَسَدٍ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَعُبِّيَتْ زُهْرَةُ لِبَنِي جَحجَحٍ ، وَعُبِّيَتْ بَنُو تَيْمٍ لِبَنِي مَخْزُومٍ ، وَعُبِّيَتْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ قَهْرٍ لِبَنِي عَدَى بْنِ كَعْبٍ .
ثُمَّ قَالُوا : لِنُتَفِنَ كُلُّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَسَدٍ إِلَيْهَا .

فَبَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ قَدْ أَجْعَمُوا لِلْحَرْبِ إِذْ تَدَاعَوْا إِلَى الصَّلَاحِ ، عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ السَّقَايَةَ وَالرِّفَادَةَ ، وَأَنْ تَكُونَ الْحِجَابَةُ وَاللَّوَاءُ وَالنَّدْوَةُ لِبَنِي

.

عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتماجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالقوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما كان من حائف في الجاهلية ، فإن الإسلام لم يردّه إلا شدة » .

حلف الفضول

قال ابن هشام : وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، لشرفه وسنّه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يحدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ، ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أذعى به في الإسلام لأجبت » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه : أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي

• • • • •

طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بذي العروة ، فكان الوليد تحامل على الحسين - في حقه اساطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنى من حقى ، أو لأخذن سيفى ، ثم لأقومن فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم لأدعون بحلف الفضول قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضى الله عنه - ما قال : وأنا أحلف بالله كئن دعا به لأخذن سيفى ، ثم لأقومن معه ، حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التميمى ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : قدم محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف - وكان محمد ابن جبير أعلم قريش - فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال : صدقت .

قال ابن إسحاق : فولى الرائدة والسماية هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفاراً قلماً يقيم بمكة ، وكان مُملاً ذا والدٍ ، وكان هاشم

.

مُوسِرًا فسكان - فيما يزعمون - إذا حضر الحج ، قام في قريش فقال : « يا معشر قريش ، إنكم جيرانُ الله ، وأهلُ بيته ، وإنه يأتاكم في هذا الموسم زُوارُ الله وحُجَّاجُ بيته ، وهم ضَيْفُ الله ، وأحقُّ الضَّيْفِ بالكرامة : ضَيْفُهُ ، فاجتمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعامًا أيامهم هذه التي لا بُدَّ لهم من الإقامة بها ؛ فإنه - والله - لو كان مالى يسعُ لذلك ما كلَّفتُكموه ». فيخرجون لذلك خَرْجًا من أموالهم ، كلُّ امرئٍ بقدر ما عنده ، فيصنع به للحُجَّاجِ طعامًا ، حتى يَصُدُّوا منها .

وكان هاشم - فيما يزعمون - أوَّل من سنَّ الرحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف ، وأوَّل من أطعم الثريد للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه : عمروًا ، فاستُئِى هاشمًا إلا بهشمة الخبز بمكة لقومه ، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب :
عمرو الذى هشمَ الثريد لقومه قوم بمكة مُسْنِتِينَ عِجَافٍ
سُنَّتْ إِلَيْهِ الرحلتان كلاهما سَفَرُ الشتاء ، ورحلةُ الإيلاف

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز

قوم بمكة مسنتين عجاف

قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشمُ بن عبد مناف بفزة من أرض الشام تاجرًا ، فولى السقاية والرِّقادة من بعده المطلبُ بن عبد مناف ، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف في قومه وفضل ، وكانت قُريشُ إنما تُسمِّيه : الفيضَ لسماحته وفضله .

وكان هاشم بن عبد مناف قديم المدينة ، فتزوج سَكَمَى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجَّار ، وكانت قبله عند أُحَيَّة بنِ الجَلَّاح بن الحريش . قال ابن هشام : ويقال : الحريش بن جَحْجَجِي بن كُلفَة بن عَوْف بن عمرو

ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ، فولدت له عمرو بن أُحَيَّة ، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلاً فارقتة .

فولدت لهاشم عبد المطلب ، فسَمَّته : شَيْبَةً ، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً ، أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضه ، فليأخذه ببلده وقومه فقالت له سلمى : لستُ بمُرْسَلته معك ، فقال لها المطلب : إني غيرُ منصرف حتى أخرج به معي ، إن ابن أخى قد بلغ ، وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ، نلّي كثيراً من أمرهم ، وقومُه وبلده وعشيرته خيرٌ له من الإقامة في غيرهم ، أو كما قال . وقال شيبه لعمه المطلب - فيما يزعمون - لستُ بمفارقها إلا أن تأذن لي ، فأذِنَتْ له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مُردِّفه معه على بعيره ، فقالت قُريش : عبدُ المطلب ابتاعه ، فبها سمى : شَيْبَةً عبدُ المطلب . فقال المطلب : وَيَحْكُم ! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمتُ به من المدينة .

ثم هلك المطلب برَدَمان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يَبْنِكِيه :
قد ظمئ الحَجِيجُ بعد المطلبِ بعد الجفان والشراب المُنْثَبِ
ليت قريشا بعده على نَصَبِ

وقال مطرود بن كَعْب الخُزَاعِي ، يبكي المطلب وبني عبد مناف جميعاً حين أتاه نَعْيُ نَوْفَل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هُلْكا :

يا ليلة هَيَّجَتْ لِي لَاتِي إحدى لِيَالِي الْقَسِيَّاتِ

.

وَمَا أَقَاسِي مِنْ مُهُومٍ ، وَمَا عَاجَلْتُ مِنْ رُزْءِ الْمُنْيَاتِ
 إِذَا تَذَكَّرْتُ أَخِي نَوْفَلًا ذَكَرَنِي بِالْأَوَّلِيَّاتِ
 ذَكَرَنِي بِالْأَزْرِ الْحَرِّ وَالْأَزْدِيَّةِ الصُّفْرِ الْقَشِيَّاتِ
 أَرْبَعَةَ كُلُّهُمْ سَيِّدُ أَبْنَاءِ سَادَاتِ لِسَادَاتِ
 مَيِّتٍ بَرْدَمَانَ وَمَيِّتٍ بَسْلَمَانَ وَمَيِّتٍ بَيْنَ غَزَاتِ
 وَمَيِّتٍ أَسْكِنَ لِحْدًا لَدَى الْمَخْجُوبِ شَرْقَى الْبَنِيَّاتِ
 أَخْلَصَهُمْ : عَبْدُ مَنْفٍ فَهُمْ مِنْ لَوْمٍ مَنْ لَامَ بِمَنْجَاةِ
 إِنَّ الْمَغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ

عن ملف الطيبين :

فصل : وذكر تنازعَ بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قُصَىُّ جَعَلَ
 إليهم ، وذكر في ذلك حلفَ المطيّبين ، وسامهم ، وذكر أن امرأة من نساء
 عبد مناف هي التي أخرجت لهم جَفَنَهُ مِنْ طِيبٍ ، فَعَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهَا ،
 وَلَمْ يُسَمِّ الْمَرْأَةَ ، وَقَدْ سَمَاهَا الزَّيْبُرُ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ ، فَقَالَ : هِيَ أُمُّ حَكِيمِ
 الْبَيْضَاءِ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَوَأَّمَةُ أَبِيهِ .
 قَالَ : وَكَانَ الْمُطَيَّبِيُّونَ يُسَمُّونَ : الدَّاقَةَ جَمْعَ دَائِفٍ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ
 دَافَوْا الطَّيِّبَ (١) .

(١) ذكر اسم أم حكيم أيضاً أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري
 في كتابه نسب قريش ص ٣٨٣ ، وذكر أنها قالت بعد وضعها الجنة في الحجر :
 « من كان منا فليدخل يده في هذا الطيب » ، ويذكر أن بنى سهم بن عمرو نَحَرَتْ جُزُورًا ،
 وقالوا : « من كان منا فليدخل يده في هذه الجزور » ، فأدخل من أدخل فسميت =

السناد والرفاء :

وذكر أن القبائل سُوند بعضها إلى بعض ، لتكفي كل قبيلة ما سُوند إليها ، فسُوند: من السناد ، وهى مقابلة فى الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوّه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حرفِ الروىِّ حرفُ مدّولين ، ويكون فى آخر البيت الثانى قبل حرفِ الروىِّ حرفُ لين ، وهى ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم .

أَلَا هُبِّ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا

ثم قابله فى بيت آخر بقوله : - تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا^(١) - فكان الياء المفتوح ما قبلها قد سُوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها ، فتقابلتا ، وهما غير متفتحتين فى المد ، كما يتقابل القبيلتان ، وهما مختلفتان متعاديتان ، وأما الإقواء

==الاحلاف ، وذكر أن الأسود بن حارثة أدخل يده فى الدم ، ثم لعقها ، فلعلقت بنوعدى كلها بأيديها ، فسموا : لعقة الدم ، وانظر أيضا ص ٦٦ المحبر لابن حبيب . وص ٤ شرح السيرة للبخشي . وداف الشيء دوا ، وأدافه : خلطه وأكثر ذلك فى الدواء والطيب . وداف يديف : لغة فيه . ويجيئه بالواو أكثر ، ومسك مدوف ومدووف ، وداف الطيب وغيره فى الماء يدوفه فهو دائف .

(١) أول البيت : « كَأَنَّ غَضُونَهُنَّ مَتُونُ غَدَرٍ » وفى رواية : متونن بدلا من غضون ، ويروى : إذا عرينا بدلا من جرينا ، والغدر : جمع غدير . تصفقا الرياح : تضربها . يشبه غضون الدرع بمتون الغدران إذا ضربتها الرياح فى جريها ، والطرائق التى ترى فى الدروع بالتي تراها فى الماء إذا ضربته الريح « عن الزوزنى » فى شرح المعلقات .

فهو أن يَنْقُصَ قُوَّةً من المِصْرَاعِ الأولِ ، كما تَنْقُصُ قُوَّةً من قُوَى الحَبْلِ (١) ،
وذلك أن يَنْقُصَ من آخر المِصْرَاعِ الأولِ حرفٌ من الوَتْدِ كقوله :

أَقْبَعَدَ مَقْتِلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
وكقول الآخر :

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى مَشْرُوبًا وَالْقَرْثَ يُقْصَرُ فِي الْإِنَاءِ أَرَّتْ (٢)

(١) في الأصل : الجبل ، والتصويب من اللسان . والقوة : الخصلة الواحدة
من قُوَى الحبل . وحبل مقوى : هو أن تزخى قوة ، وتغير قوة ، فلا يلبث الحبل
أن ينقطع .

وقد عرف أبو عمر بن العلاء الإقواء بأنه اختلاف حركات الروى ، فبعضه
مرفوع ، وبعضه منصوب أو مجرور . أما ما قاله السهيلي ، فهو قول أبي عبيدة .
واستشهد بقول الربيع بن زياد : « أقبعد مقتل مالك الخ » . وعرفه أبو عمرو
الشياني بأنه اختلاف إعراب القوافي ، وابن سيدة : المخالفة بين القوافي .
والأخفش : رفع بيت وجر آخر . قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيرا ،
لأحصى ، وَقَلَّتْ قَصِيدَةُ يَنْشُدُونَهَا إِلَّا وَفِيهَا إِقْوَاءٌ ، ثم لا يستكرونها ، لأنه لا يكسر
الشعر . وفي اللسان أمثلة كثيرة في مادة قوا ، ثم ذكر ابن جني أن الإقواء
وإن كان عيبا لاختلاف الصوت به فإنه قد كثر .

(٢) البيت لحجل بن نَضْلَةَ . وهو في اللسان .

ولما رأت ماء السلى مشروبا

والسلى : الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفا فيه ، وقيل : هو
في الماشية : السلى ، وفي الناس : المشيمة . وفي المثل : وقع القوم في سلى جَمَلٍ .
أي في أمر لا يخرج منه ؛ لأن الجمل لا سلى له . وإنما يكون للناقة .

وكان الأَصْمَعِيُّ يُسَمِّي هذا الإقواء : الْمُقْعَدَ ، ذكره عنه أبو عبيد ، وقال
عَدِيُّ بن الرَّقَاع [العاملي] في السَّنَاد :
وقصيدة قد بَتَّ أَجْمَعُ بَيْتَهَا حتى أَتَقَفَّ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا (١)

حلف الفضول

وذكر ابن هشام الحلف الذي عقدته قريشُ بينها على نُصْرَةِ كُلِّ مظلوم بمكة
قال : وَيُسَمَّى حِلْفُ الْفُضُول ، ولم يذكر سبب هذه التسمية ، وذكرها ابنُ
قُتَيْبَةَ ، فقال : كان قد سبق قُريشا إلى مثل هذا الحلف جُزْهُم في الزمن الأول ،
فتحالف منهم ثلاثة هُم ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضلُ بن فَضالة ، والثاني :
الفضل بن وداعة ، والثالث : فُضَيْلُ بن الحرث . هذا قول القُتَيْبِيِّ . وقال الزبير :
الفُضَيْلُ بن شُرَاعَة ، والفضل بن وداعة ، والفَضْلُ بن قُضاعة ، فلما أشبه حلفُ

(١) وكذلك ساء الخليل . ونقل عنه أيضاً : إذا كان بيت من الشعر فيه
زحاف قيل له : مقْعَد ، بضم الميم وسكون القاف وفتح العين ، .

روى ابن جني في الخصائص تحت باب : « هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة
ما جاز للعرب أولاً ؟ » ، وأنه سأل أبا علي عن هذا ، فقال : كما جاز لنا أن نقيس
منثورنا على منشورهم ، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ، ثم ذكر
أن جميع الشعر القديم لم يكن مرتجلاً ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه
والملاطفة فيه والتلوم على رباضته ، وإحكام صنعه نحو ما يعرض لكثير من
المولدين . . ثم روى شواهد له على هذا ، وفيها هذا البيت . وفي الخصائص :
أقوم بدلا من أتقف ، وبعده :

نظر المُشَقَّف في كموب قنائه حتى يقيم ثقافه منآدها

انظر ص ٣٢٣ وما بعدها ، ١٠ الخصائص ط ، ٢ زدت العاملي من الخصائص .

قريش الآخر فعل هؤلاء الجزهيين سُمي : حلف الفضول ، والفضول : جمع فضل ، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن^(١) ، ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحميدي عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت . تحالفوا أن تُردَّ الفضول^(٢) على أهلها ، وألا يُعزَّ ظالمٌ مظلوماً . ورواه في مُسنَدِ الحرث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي ، فقد بين هذا الحديث : لم سُمي حلف الفضول ، وكان حلف الفضول بعد الفجار ، وذلك أن حرب الفجار^(٣) كانت في شعبان ، وكان حلف الفضول

(١) أخذ بهذا الرأي ابن الأثير في النهاية ، لكنه ذكر هو وابن كثير في البداية : الفضل بن الحارث لافضل ، والفضل بن شراعة لافضل .

(٢) أي تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً يظلمه أحد إلا أخذوه له منه . وفي حديث رواه مسلم وأحمد : لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية ، فإنه لا يزيد الإسلام إلا شدة ، والمعنى — كما قال ابن كثير — أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه .

(٣) أيام الفجار كانت بين قيس وقريش وقيل : أيام الفجار : أيام وقائع كانت بين العرب تفاجروا فيها بمكاذ ، فاستحلوا الحرمات . وقيل : الفجار يوم من أيام العرب ، وهي أربعة أجرة كانت بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان في الجاهلية ، وكانت الدبرة على قيس ، وإنما سميت قريش هذه الحرب فجراً ؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد لجرنا ، فسميت فجراً .

في ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به ، وأشرفه في العرب ، وكان أول مَنْ تكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبَيْد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصي بن وائل ، وكان ذا قَدَرٍ بمكة وشرفٍ ، فحبس عنه حقّه ، فاستعدى عليه الزُبَيْدِيُّ الأَحلاف : عبد الدار ومَخْرُومًا وُجَّحَ وسَهْمًا وعَدِيَّ بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل ، وزَبْرُوهُ ، أي : انتهروه ، فلما رأى الزُبَيْدِيُّ الشر ، أوفى على أبي قُبَيْس (١) عند طلوع الشمس ، وقُرِيش في أُنْدِيَتِهِمْ حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آلَ فِهْرِ المَظْلُومِ بضاعته يبطن مَكَّةَ نائي الدار والنَّفَرَ
ومُحَرِّمِ أشعثٍ لم يَقْضِ عُمَرَتَهُ (٢) يا للرجال وبين الحِجَرِ والحِجَرِ (٣)
إن الحرامَ لمن تَمَّتْ كرامته ولا حَرَامَ لثوب الفاجر الفَدَرِ (٤)

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مَنَرك ، فاجتمعت هاشمٌ وزُهْرَةُ وتَيْمٌ بن مرة في دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا في ذى القعدة في شهرٍ حرام قِياما ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله : ليَكُونَنَّ يدا واحدة

(١) جبل بمكة سمي برجل من مذحج .

(٢) في تجريد الأغانى : « حرمة » .

(٣) في التجريد : « بين الركن والحجر » .

(٤) في التجريد بعد البيت السابق ورد هذا البيت :

أقام من بني سَهْمٍ بِدَمَتِهِمْ أم ذاهبٌ في ضلالٍ مالٍ مُشْتَرٍ

مع المظلوم على الظالم ، حتى يُؤدَّى إليه حَقُّه ما بَلَ بَحْرٌ صُوفَةٌ ، ومارسا حِراهِ
وَتَبِيرٌ مَكَانَهُمَا ، وعلى التَّائِسَى في العَاشِ ، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الحَلْفَ : حَلْفَ
الْفُضُولِ ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فَضْلِ من الأَمْرِ ، ثم مَشَوْا إلى العاصي
ابن وائل ، فانتزعوا منه سِلْعَةَ الزُّبَيْدِيِّ ، فدفعوها إليه ، وقال الزبير
رضي الله عنه :

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنَّ حِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارٍ
نُسَمِّيهِ : الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعْزُبُهُ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوْلَى الْبَيْتِ أَنَا أُبَاهُ الضَّيْمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارٍ
وقال الزبير بن عبد المطلب :

إِنَّ الْفُضُولَ تَحَاقَفُوا ، وَتَعَاقَدُوا أَلَّا يَقِيمَ بَيْطُنَ مَكَّةَ ظَالِمٌ
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاهَدُوا ، وَتَوَاقَعُوا فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرِفُهُمْ سَالِمٌ

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلا من خَشَمِ قَدِيمِ مَكَّةَ
مُعْتَمِرًا ، أو حَاجًّا ، ومعه بنتٌ له يقال لها : الْقَتُولُ من أَوْضَاءِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ،
فاغتصبها منه نُبَيْهَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ (١) وَغَيَّبَهَا عَنْهُ ، فقال الْخُلُوعِيُّ : من يُعْدِنِي عَلَى

(١) هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو
ابن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب . كان هو وأخوه منه من وجوه قريش
وذوى النباهة فيهم ، وكانا ممن نصب لرسول الله « ص » العداوة ، وقتلا معا يوم
بدر مشركين . انظر التجريد ص ١٨١٠ ونسب قريش ص ٤٠٤ . وقصته مع
القتول في الأغانى .

هذا الرجل ، فقيل له : عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ، ونادى :
يا لحلف الفضول ، فإذا هم يُعِنُّون إليهِ من كل جانب ، وقد انتصوا أسيافهم
يقولون : جاءك العوث ، فمالك ؟ فقال : إن نُبِّهًا ظلمني في ابنتي ، وانتزعها
مَنِّي قَـسْرًا ، فساروا معه ، حتى وقفوا على باب الدار ، فخرج إليهم ، فقالوا له :
أخرج الجارية وَنَحْكَ ، فقد علمت مَنْ نحن ، وما تعاقدنا عليه !! فقال : أفعل ،
ولكن متَّعوني بها الليلة ، فقالوا له : لا : والله ، ولا شُخْبَ لِقَحَّة (١) ،
فأخرجها إليهم ، وهو يقول :

راح صَحْبِي ولم أَحْيِ الْقَتُولَا لم أودَّعُهُمْ ودَاعَا جَمِيلَا
إِذْ أَجَدَّ الْفُضُولُ أَنْ يَمْنَعُوهَا قد أَرَانِي ، ولا أَخَافُ الْفُضُولَا
لَا تَخَالِي أَنِّي عَشِيَّةَ رَاحِ الزَّكْبُ هُنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا أَقُولَا

في أبياتٍ غير هذه ذكرها الزبير ، وذكر من قوله فيها أيضا :

حَلَّتْ تِهَامَةً حِلَّةً مِنْ بَيْتِهَا وَوِطَائِهَا
وَلَهَا بِمَكَّةَ مَنْزِلٌ مِنْ سَهْلِهَا وَحَرَائِهَا
أَخَذَتْ بِشَاشَةِ قَلْبِهِ وَنَأَتْ فَكَيْفَ بِنَائِهَا (٢)

(١) في الأصل : ولا شجت . وهو خطأ ، وأصل الشخب : ما خرج من
الضرع من اللبن ويضم وبالفتح : الدم . واللحقة بكسر اللام وفتحها : الناقة القريبة
العهد بالنتاج ، أو الغزيرة اللبن .

(٢) من القصيدة في التجريد ص ١٨١٠ .

حي الدوبيرة إذ نأت منسما على عهد وائها

الحلف وابن جردعاه :

فصل : و ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جردعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حُمْرَ النَّعَمِ ، ولو دُعيت إليه في الإسلام لأجبتُ »^(١) وعبدُ الله بن جردعان هذا تيميُّ هو : ابن جردعان ابن عمر بن كعب بن سعد بن تميم ، يكنى : أبا زهير ابن عم عائشة - رضي الله عنها - ولذلك قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن ابن جردعان كان يُطعمُ الطعامَ ، وَيَقْرِي الضيفَ ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل

= لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائنا ومنها :

أخذت حشاشة قلبه ونأت فكيف بنائها
لولا الفضول وأنه لا أمن من عدوانها
لدنوت من أيبائها ولطفت حول خبائها
ولجئتها أمشي بلا هاد إلى ظلماتها
فشربت فضلة ريقها وابت في أحشائها

وفي نسب قريش : روعاتها بدلا من : عدوانها ، ولبثت في البيت الأخير بدلا من : بت ، وفي الروض : بشاشة ، وهنا حشاشة . وفيه : ونأت وكيف بنائها ، وهنا : فكيف بنائها . وقد تكرر في الروض جذعان بالذال بدلا من الدال . ونسبه كما في كتاب نسب قريش . وتيم هو ابن مرة . انظر نسب قريش ص ٢٩١ .

(١) حديث حضور النبي مع عموته حرب الفجار ، وأنه رمى فيه حديث يروى في كتب السير والطبقات ، كطبقات ابن سعد وهو فيها في ج ١ ص ١٢٨ ، وشهوده حلف الفضول أيضا من هذا النوع ، وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٩٢ ، ولا يعتمد بمثل هذه الروايات التي ليست من الصحيح ، لإقامة حكم ديني عليها .

يوما : ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم . ومن غريب الحديث لابن قتيبة أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كنت أُسْتَظِلُّ بِظِلِّ جَفَنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَى ، يعنى : فى الهاجرة ، وتُسمّى الهاجرة : صَكَّةَ عُمَى لخبر ذكره أبو حنيفة فى الأنواء : أن عُمَيًّا رجُلًا من عدوّان ، وقيل : من إيادٍ ، وكان فقيه العرب فى الجاهلية ، فقدم فى قومٍ مُعْتَمِرًا أو حاجًّا : فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه ، وهم فى نَحْرِ الظّهيرة : من أنى مكة غدا فى مثل هذا الوقت ، كان له أجرُ عُمَرَيْنِ ، فصكّوا الإبلَ صَكَّةً شديدةً حتى أتوا مكة من الغدِ فى مثل ذلك الوقت ، وأنشد :

وَصَكَّ بِهَا نَحْرَ الظَّهِيرَةِ صَكَّةَ عُمَىٍّ وَمَا يَبْغِينَ إِلَّا ظِلَالَهَا (١)

فى أبياتٍ ، وعُمَى : تصغير أعمى على الترخيم ، فَسُمِّيتِ الظّهيرةُ صَكَّةَ عُمَىٍّ به . وقال البكرى فى شرح الأمثال : عُمَى : رجل من العاليق أوقع بالعدوّ فى مثل ذلك الوقت ، فسمى ذلك الوقت : صَكَّةَ عُمَىٍّ ، والذي قاله أبو حنيفة

(١) كل ما ذكره السهيلي هو فى اللسان : والبيت فيه هكذا .

وصك بها عين الظهيرة غائرا عُمَىٍّ ولم ينعلن إلا ظلالها

وقد ضبطت ياء ينعلن بالفتح فى مادة صك ، وبالضم فى مادة عمى ، وعمى يقال بضم العين وإسكان الميم وتخفيف الياء فى الشعر ، والجفنة : القصعة ، فى اللسان أن الظبي إذا اشتد عليه الحر طلب الكناس ، وقد برقت عينه من بياض الشمس ولمعانها ، فيسدر بصره ، حتى يصك بنفسه الكناس لا يبصره ، ويقال : صكة أعمى أيضا . ولقيته صكة عمى ، أو أعمى ، أى فى أشد الهاجرة حرا . وابن منظور ينقل عن السهيلي كثيرا فى اللسان .

أولى ، وقائله أعلى . وقال يعقوب : عَمِيَ الظبي : يتحيرُ بصره في الظهيرة من شدة الحر . قال ابن قُتَيْبَةَ : وكانت جَفَنَتَهُ يأكل منها الراكبُ على البعير ، وسقط فيها صبي ، ففرق أي : مات . وكان أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ قبل أن يمدَّحه قد أتى بني الديَّان من بني الحرث بن كعب ، فرأى طَعَامَ بني عبد المَدَّانِ منهم لُبَّابَ البرِّ والشَّهَدَ والسَّمْنَ ، وكان ابنُ جُدْعَانَ يُطْعِمُ التَّمَرَ والسَّوِيْقَ ويسْقَى اللَّبَنَ ، فقال أُمَيَّة :

ولقد رأيتُ الفاعِلينَ وفعلَهُمُ فرأيتُ أكرمهم بني الديَّانِ
البرُّ يُلَبِّكُ بالشَّهَادِ طَعَامَهُمُ لا ما يُعَلِّلُنَا بنو جُدْعَانَ (١)

(١) السويق : طعام يتخذ من مدقوق البر والشعير سمي بهذا لانسياقه في الحلق ولباب البر : الخالص من الدقيق ، ومعنى يلبك : يخلط ، والشهاد جمع شهد ، وهو العسل ، وطعام الفرس هو : الفالوذج . وهو كما عرف في اللسان : لباب القمح بلعاب النحل . يعني : أنه مصنوع من الدقيق الخالص وعسل النحل ، وفي ذيل الأماي للقالى ، ورد بعد البيت الأول قوله :

ورأيت من عبد المدان خلأفا فضل الانام بن عبد مدان
وكذلك في سمط اللالى للبكرى ، وشطرة البيت الأول في ذيل الأماي :
« ولقد رأيت القائلين وفعلهم ، وفي السمط : « الباذلين » . ويقص أُمَيَّة أنه دخل على عبد المدان بن الديان في نجران فأتى بالفالوذج ، ثم يقول : فأكلت طعاما عجيبا ، ثم انصرفت ، وأنا أقول ، وذكر الآيات « انظر ص ٣٦٢ سمط اللالى للبكرى و ص ٣٨ من الأماي والنوادر لآي على القالى . وأُمَيَّة ابن أبي الصلت اسمه : عبد الله بن أبي ربيعة ، ويكنى : أبا عثمان ، وهو شاعر جاهلي أدرك الإسلام ومات كافرا . هذا ويذكر أبو الفرج في مشير الغرام ، أن ابن جُدْعَانَ وفد على كسرى ، فأكل عنده الفالوذج ، فسأل عنه ، فقالوا : لباب البر مع العسل ، فقال : =

فبلغ شِعْرُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُدْعَانَ ، فَأَرْسَلَ أُلْفَى بَعِيرَ إِلَى الشَّامِ ، تَحْمِلُ إِلَيْهِ
الْبُرَّ وَالشَّهَدَ وَالسَّمْنَ ، وَجَعَلَ مُنَادِيًا يُنَادِي عَلَى الْكَعْبَةِ : أَلَا هَلُمُّوا إِلَى جَفْنَةِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ، فَقَالَ أُمِيَّةٌ عِنْدَ ذَلِكَ :

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ وَآخَرُ فَوْقَ كَعْبَتِهَا يُنَادِي
إِلَى رُدْحٍ مِنَ الشَّيْزَى عَلَيْهَا لُبَابُ الْبُرِّ يُلَبِّكُ بِالشَّهَادِ (١)

وَكَانَ ابْنُ جُدْعَانَ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ صُغُلُوكَ تَرَبُّبَ الْيَدَيْنِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ
شَرِيرًا فَاتَسْكَ ، لَا يَزَالُ يَجْنَى الْجَنَائِيَّاتِ ، فَيَعْقِلُ عَنْهُ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ ، حَتَّى أَبْغَضَتْهُ
عَشِيرَتُهُ ، وَنَفَاهُ أَبُوهُ وَحَلَفَ : أَلَا يُؤْوِيهِ أَبَدًا لِمَا أَتَقَلَّهَ بِهِ مِنَ الْفَرَمِ ، وَحَمَلَهُ مِنْ

== ابغوفى غلاما يصنعه ، فأتوه بغلام فابتاعه ، فقدم به مكة ، وأمره فصنعه للحجاج
ووضع الموائد من الأبطح إلى المسجد ص ٥٠ ، القرى للجب الطبرى . وفى ذيل
الأمالى للقالى أنه أرسل إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالوذج ص ٣٨ .

(١) اشعمل القوم فى الطلب : بادروا فيه ، وتفرأوا ، والمشمعل : الناقة
النشيطة ، والرجل الخفيف الظريف ، أو الطويل . والبيتان من قصيدة طويلة فى ديوانه
ص ١٩ وقبله :

وَأَبْيَضَ مِنْ بَنَى تَيْمَ بْنَ كَعْبٍ وَهُمْ كَالْمَشْرِفِيَّاتِ الْفَرَادِ
وَمِنْهَا جِزْءٌ فِى نَسَبِ قَرِيشٍ ص ٢٩٢ ، وَفِى ص ١٤٢ مِنَ الْإِشْتِقَاقِ لِابْنِ دَرِيدٍ :
وَكَانَ ابْنُ جُدْعَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَقُولُ :

شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى قَالَ قَوْمِي أَلَسْتُ عَنْ السَّقَاةِ بِمُسْتَفِيقٍ
وَحَتَّى مَا أَوْسَدَ فِى مَبِيتٍ أَبَيْتَ بِهِ سَوَى التَّرَبِّ السَّحِيقِ

ثُمَّ حَرَمَهَا عَلَى نَفْسِهِ . وَالرَّدْحُ : جَمْعُ رَدَاحٍ بِفَتْحٍ : الْجَفْنَةُ الْعَظِيمَةُ : وَالشَّيْزَى
أَوْ الشَّيْزُ : خَشَبٌ أَسْوَدُ تَصْنَعُ مِنْهُ الْجَفَنَانِ ، أَوْ هُوَ الْإِبْنُوسُ ، أَوْ خَشَبُ الْجُوزِ .

الديّات ، فخرج في شعاب مكة حائرا بائرا ، يتعنى الموت أن ينزل به ، فرأى شقما في جبل ، فظن فيه حية ، فتعرض للشقّ يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح ، فلم ير شيئا ، فدخل فيه ، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين ، فحمل عليه الثعبان ، فأفرج له ، فانساب عنه مستديرا بدارة عندها بيت ، فخطا خطوة أخرى ، فصفر به الثعبان ، وأقبل عليه كالسهم ، فأفرج عنه ، فانساب عنه قُدما لا ينظر إليه ، فوقع في نفسه أنه مصنوع ، فأمسكه بيده ، فإذا هو مصنوع من ذهب ، وعيناه ياقوتتان ، فكسره ، وأخذ عينيه ، ودخل البيت ، فإذا جثت على سرور طوال لم ير مثلهم طولا وعظما ، وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم ، وإذا هم رجال من ملوك جرهم ، وآخرهم موتا : الحرث بن مضاض صاحب الغربة الطويلة ، وإذا عليهم ثياب لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمن ، وشعر مكتوب في اللوح فيه عظات ، آخر بيت منه :

صَاحَ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاغَ رَدٍّ فِي الضَّرْعِ مَاقَرَى فِي الْحِلَابِ
وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ اللُّوحُ مِنْ رُخَامٍ ، وَكَانَ فِيهِ : أَنَا نُفَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ
ابْنِ خَشْرَمَ بْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ جُرْهُمَ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ هُودِ نَبِيِّ اللَّهِ ، عَشْتُ خَمْسِمِائَةَ
عَامٍ ، وَقَطَعْتُ غَوْرَ الْأَرْضِ بَاطِنَهَا وَظَاهِرَهَا فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ وَالْمَجْدِ وَالْمَلِكِ ،
فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يَنْجِيَنِي مِنَ الْمَوْتِ ، وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ :

قَدْ قَطَعْتُ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ وَالْمَجْدِ قَالِصُ الْأَنْوَابِ
وَسَرَيْتُ الْبِلَادَ قَفْرًا لِقَفْرِ بَقْنَاتِي وَقُوَّتِي وَاكْنَسَابِي

فأصاب الرّدى بنات فؤادى بسهام من المنيا صياب
فانقضت شرّتى ، وأقصر جهلى واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب فى محلّ الشباب
صالح هل ريت أو سمعت براع ردّ فى الضرع ما قرى فى الحلاب^(١)

وإذا فى وسط البيت كرمٌ عظيمٌ من الياقوتِ واللؤلؤ والذهب والفضة
والزبرجدِ ، فأخذ منه ما أخذ ، ثم علّم على الشقّ بعلامةٍ ، وأغلق بابَه بالحجارة
وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ، ووصل عشيرته
كلّهم ، فسادّهم وجعل يُنفق من ذلك الكنز ويُطعم الناسَ ، ويفعل المعروف .
ذكر حديث كنز ابن جُدعان موصولاً بحديث الحرث بن مُضاض : ابنُ هشام
فى غير هذا الكتاب ، ووقع أيضاً فى كتاب رىّ العاطش ، وأنس الواحش
لأحمد بن عمار^(٢) .

وابن جُدعان ممن حرّم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مُفَرّجى بها ، وذلك

- (١) القاص من الشياب : المشعر القصير . وبنات الفؤاد : طوائفه ، وهى
فى الأصل : نبات ، والمنيا : جمع منية : الموت . وصياب : جمع صائب ، كصاحب
وصحاب . شرّة الشباب : حرصه ونشاطه . والسفاه بفتح السين : خفة الحلم
ونقيضه ، أو الجهل ، وبكسر السين : جمع سفاه ، والحلاب : الإماء يحلب فيه .
وقرا : جمع ، وفى اللسان : ويروى العلاب مكان الحلاب . وریت : يعنى : رأيت ،
وهى فى الروض : رأيت ، والتصويب من اللسان ، ثم لأنها تحل بنظام الوزن .
(٢) لا ريب فى أنها أسطورة لا يحنو عليها قلب ولا عقل . يجوز أن يقال
لأنه عثر على كنز دفين . ولكن فى غير ما صورت الأسطورة .

أنه سكر ، فتناول القمر ليأخذه ، فأخبر بذلك حين صحا ، فحلف : لا يشربها أبدا ، ولما كبر وهزم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبديد ماله ، ولاموه في العطاء ، فكان يدعو الرجل ، فإذا دنا منه ، لطمه لطمَةً خفيفة ، ثم يقول له : قم فانشُد لطمَتَكَ ، واطلب ديتها ، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جُدعان حتى يرضى ، وهو جدُّ عُبَيْدِ اللَّهِ بن أَبِي مُلَيْكَةَ الفقيه . والذي وقع في هذا الحديث من ذكر نَفِيلَةٍ ، أحسبه : نفيلة بالنون والفاء ، لأن بنى نَفِيلَةٍ كانوا ملوك الحيرة ، وهم من غَسَّان ، لا من جُرْهُم ، والله أعلم .

موقف الإسلام من الحلف :

فصل : وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة ، وقوله : لأخذنَّ سيفي ، ثم لأدعُونَّ بحلف الفضول إلى آخر القصة ، وفيه من الفقه : تخصيصُ أهل هذا الحلف بالدعوة وإظهار التعصب ، إذا خافوا ضيًّا ، وإن كان الإسلام قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم : يا فلان عند التحزُّب والتعصب ، وقد سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم المُرَيْسِيع (١) رجلا يقول : يا لئسهما جرين ! وقال آخر : يا للأنصار ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ وقال - صلى الله عليه وسلم - من ادَّعى بدَّعوى الجاهلية ، فأَعْضَوْهُ بِهِنَّ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا (٢) ، ونادى رجل بالبصرة : يا عامر ! فجاءه النابغة الجعديُّ بِمَعْصَبَةٍ لَهُ ،

- (١) مصغر مرسوع : بئر وماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل ، وإليه تضاف غزوة بني المصطلق ، وتزوى بالعين ، وقد وقعت سنة ست من الهجرة .
(٢) أى قولوا له : اعضض . . . أليك ، ولا تكونوا عنه بالهسن ، وقد وضعت نقطا بعدا عضض ، وسيلح القارىء الاسم المقصود . والحديث : رواه أحمد والنسائي =
(٦ م - الروض الأتف ج ٢)

فضر به أبو موسى الأشعري — رضى الله عنه — خمسين جلدَةً ، وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوةً ، ولا يُقال إلا كما قال عمر رضى الله عنه : يا لله ويا للمسلمين ؛ لأنهم كلهم حزبٌ واحد ، وإخوة في الدين إلا ما خصَّ الشرعُ به أهلَ حلفِ الفضولِ ، والأصلُ في تخصيصه قوله — صلى الله عليه وسلم — ولودُعيت به اليوم لأجبت^(١) : لو قال قاتل من المظلومين : يا حلفِ الفضولِ لأجبتُ ، وذلك أن الإسلام إنما جاء بإقامة الحقِّ ونصرةِ المظلومين ، فلم يزدْ به هذا الحلفُ إلّا قوةً ، وقوله عليه السلام : « وما كان من حلفٍ في الجاهليّة ، فلن يزيده الإسلام إلّا شدّة » ليس معناه : أن يقول الحليف : يا فلانٍ لحلفائِهِ ، فيجيبوه ، بل الشدّة التي عنى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إنما هي راجعةٌ إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف ، وأما دَعْوَى الجاهلية ، فقد رفعها الإسلام إلّا ما كان من حلفِ الفضول كما قدمنا ، فحُكِمَ به جائرةٌ ، وقد ذهبت طائفةٌ من الفقهاء إلى أن الحليفَ يَعْقِلُ مع العاقلة إذا وَجِبَتْ

== وابن حبان عن أبي بن كعب . ورغم هذا أوفى أنه لا يجوز أن ينسب إلى أدب الرسول ذى الخلق العظيم مثل هذا الكلام الذى فيه نتن الاوشاب .

(١) سبق الرأى فى هذا الحديث ، وهو أو هن من بيت العنكبوت ، فكيف يقيم السهيلي على مثله حكماً دينياً يستهدف تقويم استغاثة شركية ، وحمية جاهلية ؟ وإن افترضنا أنه حديث صحيح ، فإننا نستطيع أن نفهم فيه معنى آخر يستقيم وهدى القرآن ، وهو أنه . لو دعى إلى تنفيذ ما دعا إليه من نصرة المظلوم لأجاب ، ولكن لا باسم حلف ، وإنما باسم الله ، لأن هذا من دينه ، والمسلمون أمة واحدة ، وحزب واحد هو : حزب الله المفلح الغالب .

الدِّيةُ لقوله - صلى الله عليه وسلم - وما كان من حِلْفٍ في الجاهلية ، فلم يَزِدْهُ
الإسلام إلا شِدَّةً ، ولقوله أيضاً للذي حَبَسَهُ في المسجد : إنما حبستك بِمَجْرِيَةِ
حِلْفائِكَ .

عن أولاد عبد مناف :

فصل : وذكر بني عبد مناف الأربعة ، وقد كان له ولدٌ خامسٌ ،
وهو أبو عمرو ، واسمه : عُبيدٌ ، دَرَجٌ (١) ، ولا عَقِبَ له ، ذكره البرقي والزبير ،
وكذلك ذكر البرقي أن قُصَيًّا كان سَمَّى ابنه عبدَ قُصَيٍّ ، وقال : سميته بنفسي
وسميت الآخرَ بدارِ الكعبةِ ، يعني : عبدَ الدار ، ثم إن الناسَ حَوَّلُوا اسمَ
عبدِ قُصَيٍّ ، فقالوا : عبد بن قُصَيٍّ ، وقال الزبير أيضاً : كان اسمُ عبدِ الدار
عبدَ الرحمن (٢) .

(١) مضى ولم يخلف نسلاً . وفي طبقات ابن سعد : أن أولاد عبد مناف كانوا
سنة نفر وست نسوة . وفي نسب قريش ص ١٥ . يقول عن أبي عمرو إنه
انقرض إلا من بنت يقال لهما : تماضر ، ولدت لأبي همهمة بن عبد العزى .
(٢) في القرآن الكريم قوله سبحانه : « وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن .
قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ، وزادهم نفورا ، الفرقان : ٦٠ ، وفي
كتاب الصلح في غزوة الحديبية دعا - صلى الله عليه وسلم - بالسكائب ، فقال :
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : وما الرحمن ، فوالله
ما أدري ما هي ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، وهذا جزء
من حديث رواه البخاري وأبو داود عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة
ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، وهذا كله يوحى بأن اسم
الرحمن كان غير معروف عندهم .

وذكر هاشما وما صنع في أمر الرِّفَادَةِ (١) وإطعام الحَجِيجِ، وأنه سُمِّيَ هَاشِمًا لِهَشْمِهِ الثَّرِيدَ لقومه، والمعروفُ في اللغة أن يقال: ثَرَدْتُ الخبزَ، فهو ثَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ، فلم يُسَمَّ: ثَارِدًا، وسمى هَاشِمًا، وكان القياسُ — كما لا يُسمَّى الثَرِيدُ هَاشِمًا، بل يقالُ فيه: — ثَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ — أن يقال في اسمِ الفاعل أيضًا كذلك، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان. ذكر أصحاب الأخبار أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاجِّ قُرَيْشٍ، فَيَرُدُّونه بأموالهم، وَيُعِينونه، ثم جاءت أزمةٌ شديدةٌ فكَرِهَ أن يُكَلِّفَ قريشا أمرَ الرِّفَادَةِ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمعَ كَعْكًا ودقيقًا، ثم أتى الموسمَ فهِشَمَ ذلك الكَعْمَكَ كُلَّهُ هَشْمًا، ودَقَّه دَقًّا، ثم صنع للحجاج طعاما شبه الثريدَ، فبذلك سُمِّيَ هاشما، لأن الكَعْمَكَ اليابس لا يُثَرَّدُ، وإنما يُهَشَّمُ هَشْمًا، فبذلك مُدِحٌ، حتى قال شاعرُهُم فيه، وهو عبد الله بن الزُّبَيْرِ:

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَقَقَّتْ فَاُمُحٌ خَالِصُهُ اِعْبَدُ مَنَافِ
الْخَالِطِينَ فَقِيرُهُمْ بَغْفِيَهُمْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْأَضْيَافِ
وَالرَّائِثِينَ وَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِشٌ وَالْقَائِلِينَ: هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
عَمَرُوا الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمٍ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عَجَافٍ (٢)

(١) الرِفَادَةُ: شيءٌ كانت تتراقد به قريش في الجاهلية، تخرج فيما بينها مالا تشتري به للحجاج طعاما وزيبيا.

(٢) نسبها اللسان والمرتضى في أماليه ١٧٨/٤ لمطروود بن كعب الخزاعي في رثاء عبد المطلب، ونسبها العيني ١٤٠/٤، وابن أبي الحديد ٤٥٣/٣ كما نسبها السهيلي إلى عبد الله بن الزُبَيْرِ، ولها في أمالي القلي قصة تزعم أن رسول الله هو =

.

== وأبا بكر كانا عند بني شيبه ، فربهما رجل ، وهو يقول :
 يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلْتُ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ
 هَبْلَتْنِكَ أُمُّكَ لَوْ نَزَلْتُ بِرُحْلِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ عَدْنٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ
 وَتَزَعُمُ الْقِصَّةُ أَنَّ الرَّسُولَ دَخَلَ ، نَظَرَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَهَكَذَا قَالَ الشَّاعِرُ ؟
 قَالَ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَكِنَّهُ قَالَ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلْتُ بِآلِ عَبْدِ مَنْفٍ
 وَهِيَ قِصَّةٌ مَصْنُوعَةٌ . وَالْآيَاتُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى بَعْدَ الْبَيْتِ السَّابِقِ :
 هَبْلَتْنِكَ أُمُّكَ لَوْ نَزَلْتُ عَلَيْهِمْ ضَمْنُوكَ مِنْ مُجُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ
 الْآخِذُونَ الْعَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا وَالرَّاحِلُونَ لِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ
 وَالْمَطْعَمُونَ إِذَا الرِّيَّاحُ تَنَاحَتْ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ
 وَفِي هَذَا الْبَيْتِ إِقْرَافٌ ، لِأَنَّ الْقَافِيَةَ مَكْسُورَةٌ ، وَلَكِنَّهَا فِيهِ مَرْفُوعَةٌ . وَقَدْ
 وَرَدَتْ لَهُ رَوَايَةٌ أُخْرَى كَمَا فِي الرَّوْضِ ، وَبَعْدَ هَذَا فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى :

وَالْمُفَضِّلُونَ إِذَا الْمُحَوَّلُ تَرَادَفَتْ وَالْقَائِلُونَ : هَلُمَّ لِلْأَصْيَافِ
 وَالْخَالِطُونَ غَنِيهِمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
 وَفِي أَمَالِي الْقَالِي : مَنَعُوكَ مِنْ عَدْنٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ ، وَهُوَ فِي اللِّسَانِ كَمَا فِي
 أَمَالِي الْمُرْتَضَى . وَفِي اللِّسَانِ أَيْضًا :

وَالْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ
 وَالْمَطْعَمُونَ إِذَا الرِّيَّاحُ تَنَاحَتْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ
 وَفِي الصَّحَاحِ رَوَيْتُ الشُّطْرَةَ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْبَيْتِ : وَالْمَطْعَمُونَ اللَّحْمَ كُلَّ عَشِيَةٍ .
 وَفِي غَيْرِهِ : وَبِكُلُّلُونَ جَفَانَهُمْ بَسَدَ يَفْهَمُ . ثُمَّ نَسَبَ الْمُرْتَضَى إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِيِّ :
 عَمَرُوا الْعِلَافَ هَشْمَ الثَّرِيدِ أَقْوَمَهُ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ
 وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرِّحِيلَ لِقَوْمِهِ رَحَلَ الشِّتَاءِ وَرَحْلَةُ الْأَصْيَافِ
 وَفِي الرَّوْضِ : وَفَالْمَخُ خَالِصُهُ ، بِالْحَاءِ ، وَالرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ «فَالْمَخُ» بِالْحَاءِ أَمَّا

وكان سبب مدح ابن الزبير بهذه الأبيات ، وهو سمي^(١) البنى
عبد مناف - فيما ذكره ابن إسحق في رواية يونس - أنه كان قد هجأ قصيا
بشعر كتبه في أستار الكعبة ، أوله :

== خالصة فرويت : خالصها ، وخالصة بالتاء . والمج أو المحة : صفرة البيض . وقال
ابن سيدة : إنما يريدون فص البيضة . وقال ابن بري : من قال : خالصة بالتاء ،
فهو في الأصل مصدر كالعافية . ومسفتون : أصابتهم سنة مجدة . وفي سمط
الآلى للبكرى : «والعرب تقول هو بيضة البلد» يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر :
هو بيضة البلد يذمونه به ، فالممدوح يراد به : البيضة التي تحتضنها الظلم ، «ذكر النعام»
ويصونها ويوقها ؛ لأن فيها فرخه . والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء ، المذرة
التي لاحاط لها ، ولا يدرى لها أب ، وهي تربة الظلم . قال الرماني : إذا كانت
النسبة إلى مثل المدينة والبصرة ، فبيضة البلد مدح ، وإن نسبت إلى البلاد التي
أهلها أهل ضعة فيبيضة البلد ذم ، ص ٥٤٩ ، والرجاف : البحر ، أو يوم القيامة ،
وفي أمالي القالي زيادة :

منهم على والنبي محمد القائلان : هلم للاضياف

وأعتقد أنها زيادة شيعية . وقد قال البكرى : «وهذا بيت محدث ذكر أبو نصر
أن جده صالحاً أباً غالباً لحقه به» وأبو نصر هو : هارون بن موسى بن صالح تلميذ
القالي ، وأحد الذين استملوا النوادر عليه ، وستأتي القصيدة في السيرة .

انظر مادة رجف في اللسان ، وص ٥٤١ ج ١ وما بعدها سمط الآلى للبكرى ،
بتعليق المحقق الميمنى ، و ص ٢٤١ ج ١ الأمالي للقالي ، والتنبيه للبكرى ، ص ١٧٨
ج ٤ أمالي المرتضى . وفي الروض : لرحلة الأضياف ، ولعلمها الأضياف . وفيه
أيضا : عمرو الغلا ، بالغين ، وهو خطأ صوابه : العلاء ص ٧٥ ، وهناك رواية :
«عمرو الذى ، كما في الطبرى .

(١) لأنه ابن الزبير بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .

ألهى قصياً عن الحد الأساطير ومشية مثل ما تمشي الشقارير^(١)

فاستعدوا عليه بنى سهم ، فأسلموه إليهم ، فضربوه وحلقوا شعره ،
وربطوه إلى صخرة بالحجون^(٢) ، فاستنفاث قومه فلم يفيثوه ، فجعل يمدح قصياً
ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد مناف منهم ، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر ،
وبأشعار كثيرة ، ذكرها ابن إسحق في رواية يونس .

عبد المطلب وابن ذى يزن :

فصل : وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له
عبد المطلب بن هاشم ، ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذى يزن

(١) وجدت في اللسان : ه شقر بضم الشىء وفجها ، مع فتح القاف : الديك
ويقال : إن الناس أصبحوا يوماً بمكة ، وعلى باب الندوة مكتوب :

ألهى قصياً عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير
وأكلها اللحم بحتا لا خليط له وقولها : رحلت غير ، أتت غير

فأنكر الناس ذلك . وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبعرى ، وأجمع على ذلك
رأيهم ، فمشوا إلى بنى سهم - وكان مما تنكر قريش وتعاتب عليه أن يهجو
بعضها بعضاً - فقالوا لبنى سهم . . . ثم تمضى القصة كما رواها السهيلي ، إلى قوله :
فربطوه إلى صخرة بالحجون . انظر ص ١٧٩ وما بعدها ج ، أمالى المرتضى
تعليق الشنقيطى ط ١٣٢٥ هـ . وللسفاسير معان عدة فهي : جمع سفسير بكسر السين
الاولى والآخرة وسكون الفاء . وهو التابع أو الذى يقوم على الناقة ، أو الإبل
ليصلح من شأنها ، والعبقري والحاذق بصناعته والقهرمان ، والسمسار ، وهذه هي
المقصودة هنا .

(٢) فى الأصل : الحجون وهو خطأ .

أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن^(١) لعبد المطلب حين وفد عليه ركب من قريش: مَرَحَبًا بابن أختنا، لأن سلمى من الخزرج، وهم من اليمن من سبأ، وسيف من حمير بن سبأ، ثم قال له: مَرَحَبًا وأهلاً، وناقّة ورَحلاً، ومَلِكًا سَبَحَلاً، يعطى عطاءً جزلاً^(٢). ثم بشره بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه من ولده^(٣)، فقال له عبد المطلب: مثلك أيها الملك سير وبر، ثم أجزل الملك حياً، وفضله على أصحابه، وانصرف مغبوطاً على ما أعطاه الملك، فقال: والله إنا بشرني به أحبُّ إلى من كل ما أعطاني. في خبر فيه طول.

نسب أمية:

وذكر نسب أحيحة بن الجلاح بن الحارث بن جحجج^(٤)،

(١) في الطبري عن سيفان بن معد يكرب: من الناس من يقول: إنه سيف بن ذى يزن. ص ١٥٣ ج ٢.

(٢) نسب القالي في أماليه هذا إلى عبد المطلب، وهو خطأ صوبه البكري في التنبيه ص ١١٤. فهو - كما ذكر السهيلي - قول سيف لعبد المطلب وسجل: بكسر ففتح فسكون، أو سبجل مثل: سفرجل، وسجل بفتح السين وإسكان الحاء المتقدمة على الباء: الضخم. وروى ملكا ربجلا - بكسر الراء وفتح الباء وسكون الحاء، وهي مثل: سبجل في المعنى. والربجلة: العظيمة الجيدة الخلق - بفتح الحاء - في طول. ويريد هنا: ملكاً عظيماً. وبعد جزلاً، قول سيف: قد سمعنا مقاتلتكم، وعرفنا قرابتكم، فلکم الکرامة ما أقم، والحباء إذا رجعت، انظر ج ٢ ص ٢١٨ الأماط ٢ والتنبيه للبكري ص ١١٤.

(٣) هذا من الغلو الذي لا يحتاج إليه مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي لم يكن يعرف هو - صلى الله عليه وسلم - ولا أحد من أهله أنه هو النبي المبشر به في كتب أهل الكتاب.

(٤) في الروض: جحجج، والتصويب من كتب النسب.

وقال ابن هشام : هو الحَرِيسُ يعنى . بالسِّين المُمَهَّلَة - وقال الدَّارُ قُطْنِي عن الزبير بن أبى بكر : أن كلَّ ما فى الأنصارِ فهو : حَرِيس بالسِّين غير مُعْجَمَة إلا هذا ، ووجدت فى حاشية كتاب أبى بحر - رحمه الله - صوابَ هذا الاسم يعنى فى نسب أُحِيحَة بن الجُلاح بن الحَرِيش بالشِّين المعجمة على لفظ الحَرِيش ابن كَعْب البَطْنِ الذى فى عامر بن صَمْعَصَمَة (١)

فصل : وأنشد لطرود بن كعب :

يَا لَيْلَةً هَيَّجَتْ لَيْلَاتِي إِحْدَى لَيْلَى الْقَسِيَّاتِ

أى : أنت إحدى ليلَى الْقَسِيَّاتِ . فَعِمِلَات من الْقَسْوَة ، أى : لالينَ عندهن ، ولأرأفة فيهن ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم الْقَسَى ، وهو الزائف ، وقد قيل فى الدرهم الْقَسَى : إنه أعْجَمَى مُعَرَّبٌ ، وقيل : هو من الْقَسَاوَة لأنَّ الدرهم الطَّيِّبَ أَلْيَنُ من الزائفِ (٢) ، والزائفُ أَضْلَبُ منه . ونصب ليلةً على التمييز كذلك ، قال سِبْيَوْنِيَّة فى قول الصَّلْتَانِ (٣) الْعَبْدَى .

(١) فى الاشتقاق : الحَرِيش بالشِّين بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَمْعَصَمَة .
(٢) فى اللسان : عام قسى - بفتح فكسر مع تضعيف الياء - شديد ذو قحط لا مطر فيه ، وعشية قسية : باردة . والقسية : الشديدة ، ويوم قسى مثقال شق : شديد من حرب أو شر . ودرهم قسى : جمع قسيان مثل صبي : وقيل درهم قسى : ضرب من الزيف ، أى فضة صلبة رديئة ليست بليئة ، وكل هذا يؤكد أنه استعمال عربى .

(٣) الصلطان : لقب ، وأصل الصلطان : النشيط الحديد الفؤاد من الخيل ، أو المضاء فى الأمور ، وهو : قثم بن خيثمة - كما نقل ابن قتيبة - أو خيبة ، وقال الأمدى عن أبى =

أيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله

==عبدة : قُتْمَ بْنَ خُشَيْمٍ ، وهو أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن الشكيز
ابن أفضس بن عبد القيس . والبيت من قصيدة أوردها المبرد في كتابه الاعتنان ،
والقال في أماليه ، وابن قتيبة في كتاب الشعراء ، وتتمه البيت :

جرير ، ولكن في كليب تواضع

وقد نظم الصلتان هذه القصيدة - وعدتها ثلاثة وعشرون - حينما جعلوا إليه
الحكم بين الفرزدق وجرير ، أيهما أشعر ، وأولها :

أنا الصَّلْتَانِ الذي قد علمت متى ما يحكم فهو بالحق صادق
وفي الأمالي : وفيها شاعرا لا شاعر اليوم مثله ، ص ١٤٢ ج ٢ الأمالي
ومن القصيدة :

أرى الخطفتي بذ الفرزدق شعره ولكن خيرا من كليب مجاشع
فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله جرير . ولكن في كليب تواضع
فرضى الفرزدق حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة ،
من لامروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير ، فغضب من المنزلة التي
أنزله إياها فجهاد . والبيت المذكور في اللسان ص ٢٠٨ ج ٢ ، وانظر ص ٢٩ ج ٢
خزانة الأدب ط دار المصور ، وإليك بعض ما قيل فيه : قال الأعلام الشاهد فيه
على مذهب الخليل وسيبويه : نصب شاعرا بإضمار فعل على معنى الاختصاص
والتعجب ، والمنادى محذوف ، والمعنى : يا هؤلاء أو يا قوم ، عليكم شاعرا ، أو
حسبكم به شاعرا ، وقال النحاس : كأنه قال : يا قائل الشعر عليك شاعرا ، وإنما
امتنع عنده أن يكون منادى ، لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعر بالحضرة ، وهو
إنما قصد شاعرا بعينه ، وهو جرير ، وكان ينبغي أن يبينه على الضم على ما يجرى
عليه الخصوص بالنداء . أما أحمد بن يحيى ، فذكر أن شاعرا منصوب بالنداء
وفيه معنى التعجب ، وقال : إن العرب تنادى بالمدح والذم ، وتنصب بالنداء ،
فيقولون : يا فلان مثله ، وكذا يا طيبتك من لينة ، وكذا شاعرا ، وفي

وذلك أن في الكلام معنى التعجب .

وقوله : وَمَيِّتَ بَغَزَاتٍ . هي : غَزَّةٌ ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل رَبَضٍ ^(١) من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غَزَاتٌ في غَزَّةٍ ، ويقولون في بغداد : بَغَادِينَ ، كما قال بعضُ الْمُحَدِّثِينَ :

شَرِبْنَا فِي بَغَادِينَ عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينِ

ولهذا نظائر ستمر في الكتاب - إن شاء الله - ومن هذا الباب :
حكمهم للبعضِ بِحُكْمِ الْكُلِّ ، كما سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ ، نحو قولهم : شَرِقتُ صَدْرُ

= الخزانة أيضا : أن المنادى محذوف ، وأن شاعرا ليس بمنادى ، لأنه مقصود إلى واحد بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبك به شاعرا على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيدا ، ويجوز أن يكون حسبك به على شريطة التفسير ، وبه في موضع اسم مرفوع لا بد منه ، ويجوز أن يكون الهاء للشاعر الذي جرى ذكره ، ثم وكده بقوله : جرير ، أي : هو جرير . وتقدير الخليل ويونس : يا قائل الشعر ، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال : يا شعراء عليكم شاعرا لا شاعر اليوم مثله ، أي حسبكم به شاعرا ، فهذا ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر المذكور ، وينتصب شاعرا على الحال ، ولا شاعر اليوم في موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه ، حتى يكون المنادى معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر في حال ما هو شاعر لا شاعر مثله .

(١) ربض المدينة : ماحولها . وفي الروض « ميت بغزات ، ولكن في السيرة « ميت بين غزات » .

القناة من الدَّم ، وذهبت بعض أصابعه (١) ، وتواضعت سورُ المدينة . وقد تركبت على هذا الأصلِ مسألة من الفقة : قال الفقهاء ، أو أكثرهم : مَنْ حلف ألا يأكلَ هذا الرغيف ، فأكلَ بعضه ، فقد حنثَ ، فحكوا للبعضِ بحكم الكل ، وأطلقوا عليه اسمه . وفيه :

إن المُغِيرَاتِ وأبناءها مِنْ خيرِ أحياءِ وأمواتِ (٢)

فالمُغِيرَاتُ : بنو المغيرة ، وهو عبدمناف ، كما قالوا : المناذرة في بنى المُنْذِرِ ، والأشْعَرُونَ في بنى أشعر بن أد ، كما قال علي بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير : آثرَ عليَّ الحميدَاتِ والثَوْبِتَاتِ والأَسَامَاتِ ، يعني : بنى حميد ، وبنى ثوبت ، وبنى أسامة ، وهم من بنى أسد بن عبد العزى (٣) .

(١) يقول الأعشى :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم
وأصل الصدر مذكر ، وأنت هنا ، إما لأنه أراد القناة ، أو لأن صدر القناة قناة ، أو لأن صدر القناة منها كقولهم : ذهبت بعض أصابعه ، لأنهم يوثنون الاسم المضاف إلى المؤنث ، واللسان ، ونص تعبير سيبويه في الكتاب : « وربما قالوا في بعض الكلام : ذهبت بعض أصابعه ، وإنما أنت البعض ، لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يوثنه : لأنه لو قال : ذهبت عبد أملك لم يحسن ، ثم استشهد بيت الأعشى ، ثم قال : « لأن صدر القناة من مؤنث ، ومثله قول جرير « في ص ٢٥ ج ١ من كتاب سيبويه ،

إذا بعض السنين تعرقنا كفى الايتام فقد أبى اليتيم

(٢) في الروض : « وأبناءها ، والصواب ما أثبتته من السيرة .

(٣) حميد بن أسامة بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي

وثوبت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأسامه بن زهير بن الحارث =

وكان اسمُ عبد مناف : المَغِيرَة ، وكان أوَّلَ بني عبد مناف هُلكاً :
 هاشمٌ ، بِغَزَّةَ من أرض الشام ، ثم عبدُ شمس بمكة ، ثم المطلب برَدْمان من
 أرض اليمن ، ثم نَوْفلاً بِسَلْمان من ناحية العراق .

فقيل لمطروود - فيما يزعمون - : لقد قلتَ فأحسنْتَ ، ولو كان أغلُ مما
 قلتَ كان أحسنَ ، فقال : أنظِرني ليالي ، فكثَّ أياما ، ثم قال :

يا عين جُودِي ، وأذري الدمع وانهمري	وابكى على السرِّ من كعب المَغِيرَاتِ
يا عين ، واسحذِ فرى بالدمع واحتفلي	وابكى خبيثةَ نفسى فى المَلِمَاتِ
وابكى على كلِّ فياض أخى ثِقَةٍ	ضَخَمَ الدَّسِيَّةِ وهَابِ الجَزِيلَاتِ
مَحْضِ الصَّرِيبةِ ، على الهَمِّ ، مُخْتَلَقِ	جَلَدِ النَّحِيْزَةِ ، ناءٍ بالعظِمَاتِ
صَغَبِ البديهة لا نِكْس ولا وَكَلْ	ماضى العزِمةِ ، متلاف الكَرِيمَاتِ
صَتْرِ تَوَسَّطَ من كعب إذا نُسِبُوا	بُحْبُوحَةَ المَجْدِ والشَّمِّ الرفيعاتِ
ثم اندبى الفيضَ والفياضَ مُطَلِّبَا	واستخرطى بعد فيضاتِ بِجَمَّاتِ

وفيه « شرقى البَنِيَّاتِ » يعنى : البَنِيَّةُ ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما
 تقدم فى غَزَّاتِ .

== بن أسد بن عبد العزى بن قصى . والاشعرون فى اللسان : نسبة إلى أشعر بن
 يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتقول العرب : جاء بك الاشعرون بحذف
 ياء النسب .

أَمْسَى بَرْدُ مَآءٍ عَنَّا الْيَوْمَ مُفْتَرِبًا يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَآتِ
وَأَبْكِي—لَكَ الْوَيْلُ—إِمَّا كُنْتُ بِأَكِيَّةِ لَعِبْدَ شَمْسٍ بِشَرْقَى الْبَنِيَّاتِ
وَهَاشِمٍ فِي ضَرْحٍ وَسَطَ بَلَقَعَةٍ تَسْفَى الرِّيحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَاتِ
وَنُوفَلٍ كَانَ دُونَ الْقَوْمِ خَالِصَتِي أَمْسَى بِسَلْمَانَ فِي رَمْسٍ بِمَوَاةِ
لَمْ أَلْقَ مِثْلَهُمْ عُجْمًا وَلَا عَرَبًا إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ أَذْمُ الْمَطِيَّاتِ
أَمَسْتُ دِيَارَهُمْ مِنْهُمْ مُعْطَلَةٌ وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْنًا فِي السَّرِيَّاتِ
أَفْنَاهُمْ الدَّهْرُ ، أَمْ كَلَّتْ سَيُوفُهُمْ أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوَادُ الْأَمْنِيَّاتِ
أَصْبَحْتُ أَرْضِي مِنَ الْأَقْوَامِ بَعْدَهُمْ بَسَطَ الْوَجُوهَ وَالْقَاءَ التَّحِيَّاتِ
يَا عَيْنُ فَاكِئِي أَبَا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ يَبْكِيهِ حُسْرًا مِثْلَ الْبَلِيَّاتِ
يَبْكِي أَكْرَمَ مَنْ يَمْشَى عَلَى قَدَمِ يُعْوِلُهُ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عِبْرَاتِ
يَبْكِي شَخْصًا طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ أَبِي الْهَضِيمَةِ ، فَرَّاحَ الْجَلِيلَاتِ
يَبْكِي عَمْرًا وَاعْلَامًا إِذْ حَانَ مَضْرَعُهُ سَمَحَ السَّحَابَةِ ، بِسَامِ الْعَشِيَّاتِ
يَبْكِيهِ مُسْتَكِينَاتٍ عَلَى حَزَنِ يَا طَوَّلَ ذَلِكَ مِنْ حَزْنٍ وَعَوَّلَاتِ
يَبْكِي لَمَّا جَلَاهُنَّ الزَّمَانُ لَهُ خُضِرَ الْخُدُودُ كَأَمْثَالِ الْحَمِيَّاتِ
مُحْتَزِمَاتٍ عَلَى أَوْسَاطِهِنَّ لِمَا جَرَّ الزَّمَانُ مِنْ أَحْدَاثِ الْمُصِيبَاتِ
أَبَيْتُ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنَ الْمِ أَبْكِي ، وَتَبْكِي مَعِيَ شَجْوَى بُنْيَاتِي
مَا فِي الْقُرُومِ لَهُمْ عِدْلٌ وَلَا خَطَرٌ وَلَا لِمَنْ تَرَكَوْا شَرَّوِي بَقِيَّاتِ
أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أَبْنَاءِ ، وَأَنْفُسُهُمْ خَيْرُ النَّفُوسِ لَدَى جَهْدِ الْأَلْيَاتِ
كَمْ وَهَبُوا مِنْ طِمَرٍ سَابِحٍ أَرْنِ وَمِنْ طِمَرَةٍ نَهَبٍ فِي طِمَرَاتِ

ومن سيوف من الهندى مخلصه ومن رماح كاشطان الركيات
ومن توابع مما يفضلون بها عند المسائل من بذل العطيّات
فلوحسبت وأحصى الحاسبون معى لم أقض أفعالهم تلك الهنيّات
هم المدلون إمّا معشر فخرّوا عند الفخار بأنساب نقيّات
زين البيوت التى خلّوا مساكنها فأصبحت منهم وخشا خليّات
أقول والعين لا ترقا مدامعها : لا يُبعد الله أصحاب الرزيّات

قال ابن هشام : الفجر : العطاء . قال أبو خراش الهذلي :

عجف أضيافى جميل بن معمر بذى فجر تاوى إليه الأرامل

قال ابن إسحاق : أبو الشعث السجّيات : هاشم بن عبد مناف .

قال : ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرّفاة بعد عمّه المطلب ،
فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يُقيمون قبله لقومهم من أمرهم ،
وشرف فى قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبّه قومه وعظم
خطره فيهم .

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجر إذ أتى ، فأمر بحفر زمزم .

قال ابن إسحاق : وكان أوّل ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها ،
كما حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن

• • • • •

عبد الله بن زُرَيْرٍ الغافقي : أنه سَمِعَ عَلَى بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أَمَرَ عبدُ المطلب بِحَفْرِهَا ، قال :

قال عبدُ المطلب : إني لنأثم في الحجر إذا أتاني آتٍ فقال : احفِرْ طِيبَةً . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي فَنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفِرْ بَرَّةً . قال : قلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعتُ إلى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفِرِ المَضْنُونَةَ قال : قلت : وما المَضْنُونَةُ ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي ، فَنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفِرْ زَمْزَمَ . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال لا تَنْزِفْ أبداً ولا تُدَمِّمْ ، تسقى الحجيجَ الأعظم ، وهى بين الفرث والدم ، عند نُقْرَةِ الْفَرَابِ الأعظم ، عند قَرْيَةِ النَّملِ .

قال ابن إسحاق : فلما بُيِّنَ له شأنها ، ودُلَّ على موضعها ، وعَرَفَ أنه قد صُدِقَ ، غَدَا بِمَعْوَلِهِ ومعه ابنُه الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولدٌ غيره فَحَفَرَ فِيهَا . فلما بدا لعبد المطلب الطُّيُّ ، كَبَّرَ ، فعرفت قريشُ أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بُرٌّ أَيْنَا إِسْمَاعِيلَ ، وإن لنا فيها حقاً فأشْرِكْنَا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأُعْطِيْتَهُ من بينكم ، فقالوا له : فأنصفنا ، فإنَّا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بيني وبينكم مَن شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بنى سَعْدِ هَذَيْنِ ، قال : نعم ، قال : وكانت بأشراف الشام ، فركب عبدُ المطلب ومعه نَقَرٌ من بنى أبيه من بنى عبدمناف ، وركب من كلِّ قبيلة من

.

قريش نفر . قال : والأرضُ إذْ ذاك مَفاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام ، فبني ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهدسكة ، فاستسقوا مَنْ معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إننا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتخوف على نفسه وأصحابه ، قال : ماذا ترون ؟ قالوا : مارأينا إلا نبيع لرأبك ، فمرنا بما شئت ، قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة . فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه . حتى يكون آخركم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا ، قالوا : نعم ما أمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب في الأرض ، ولا نبتغي لأنفسنا ، لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ازتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا قرعوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها . فلما انبعثت به ، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستسقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هلم إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا ، فجاؤا ، فشربوا واستسقوا . ثم قالوا : قد - والله - قضى لك علينا يا عبد المطلب ، والله لانخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الثلاثة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع

ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخالوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذي بلغني من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم ، وقد سمعتُ من يُحدّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادعُ بالماء الرّويّ غير السّكدر يسقي حجيج الله في كل مبرّ
ليس يُخاف منه شيء ما عمّر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قریش فقال : تعلّموا أني قد أمرت أن أحفر لكم زمزم ، فقالوا : فهل بُيّن لك أين هي ؟ قال : لا . قالوا فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه مارأيت ، فإن بك حقاً من الله يُبيّن لك ، وإن بك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه ، فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهي تراث من أبيك الأعظم ، لا تُنزف أبداً ولا تُدّم ، تسقي الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يقسم ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهي بين القرث والدم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذي قبله ، من حديث عليّ في حفر زمزم من قوله : « لا تُنزف أبداً ولا تُدّم » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فرجعوا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هي ؟ قيل له

.

عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

فعدا عبد المطلب ومعه ابنة الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنيين : إساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهما . فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وتُنيما هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : دُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفّوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيرا ، حتى بدا له الطيّ ، فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جُرُمُهما فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا فقات له قريش يا عبد المطلب ، لنا معك في هذا شرك وحق ، قال : لا ، ولكن هلُمّ إلى أمر نصفِ بنى وبينكم ، نضرب عليها بالقِداح ، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدحين ، ولى قِدحين ، ولكم قِدحين ، فمن خرج له قِدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قِدحاه فلا شيء له قالوا : أنصفت ، فجعل قِدحين أصفرين للكعبة ، وقِدحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحب القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل — وهُبَل : صنم في جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يبنى أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال : أغلِ هُبَل أى : أظهر دينك — وقام عبد المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، فضرب صاحب القِداح ، فخرج الأصفران على الغزاليين

.

للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف ، والأدراع لعبد المطلب ، وتحلف
قِدْحاً قُرَيْش . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب
الفرالين من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِيَّتُهُ الكعبة — فيما يزعمون —
ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

ذكر بئر قبائل قريش بمكة

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئراً بمكة ،
فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق ، قال :

حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوي ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند
البيضاء ، دار محمد بن يوسف .

وحفر هاشم بن عبد مناف بذر ، وهي البئر التي عند المُسْتَنْذَرِ ، خَطَمُ
الْحُنْدَمَةِ على فم شغب أبي طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلنَّها
بلاغاً للناس .

قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى الله أمواها عرفت مكانها جراباً وملكوماً وبذر والغمر

قال ابن إسحاق : وحفر سَجْلَةَ ، وهي بئر المُطْعِمِ بن عَدِيّ بن نوفل بن
عبد مناف التي يسقون عليها اليوم . ويزعم بنو نوفل أن المُطْعِمِ ابتاعها من
أسد بن هاشم ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغنوا
بها عن تلك الآبار .

• • • • •

وحفر أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ الْخَفَرُ لِنَفْسِهِ، وحفرت بنو أُسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى :
 سُفْيَةُ ، وهى بُرٌّ بَنَى أُسَدَ . وحفرت بنو عبد الدار : أُمُّ أَحْرَادَ . وحفرت بنو
 جُمَحٍ : السُّنْبُلَةُ ، وهى بُرٌّ خَلَفَ بْنَ وَهَبٍ . وحفرت بنو سَهْمٍ : الْعَمْرُ ، وهى
 بُرٌّ بَنَى سَهْمَ ، وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ ،
 وكِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ، وكُتَبَاءِ قُرَيْشِ الْأَوَائِلِ مِنْهَا يَشْرَبُونَ ، وهى رُمٌّ ، ورُمٌّ :
 بُرٌّ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . وَخُمٌّ ، وَخُمٌّ . بُرٌّ بَنَى كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ، وَالْخَفَرُ .
 قال حَذِيفَةُ بْنُ غَانِمٍ أَخُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ :

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جَهْمٍ بْنُ حَذِيفَةَ :

وَقَدِمَا غَنِينَا قَبْلَ ذَلِكَ حِقْبَةً وَلَا نَسْتَقِي إِلَّا بَحْمًا أَوْ الْخَفَرِ
 قال ابن هشام : وهذا البيتُ فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله
 فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فعفت زمزم على البئثار التى كانت قبلها يَسْتَقِي عليها الحاج
 وانصرف الناسُ إليها لِمَكَانِهَا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ؛ وَلِفَضْلِهَا عَلَى مَا سِوَاهَا مِنَ
 الْمِيَاهِ ؛ وَلِأَنَّهَا بُرٌّ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَافْتَخَرَتْ بِهَا بَنُو
 عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى قُرَيْشٍ كُلِّهَا ، وَعَلَى سَائِرِ الْعَرَبِ ، فَقَالَ مُسَافِرٌ مِنْ أَبِي عَمْرٍو
 ابْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَهُوَ يَفْخَرُ عَلَى قُرَيْشٍ بِمَا وَلُّوا عَلَيْهِمْ
 مِنَ السَّقَايَةِ وَالرَّقَادَةِ ، وَمَا أَقَامُوا لِلنَّاسِ مِنْ ذَلِكَ ، وَبِزَمَزَمَ حِينَ ظَهَرَتْ لَهُمْ ،
 وَإِنَّمَا كَانَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ أَهْلَ بَيْتٍ وَاحِدٍ ، شَرَفُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ شَرَفٌ ،
 وَفَضْلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فَضْلٌ .

• • • • •

وَرِثْنَا الْمَجْدَ مِنْ آبَا نَتْنَا فَنَمَى بِنَا صُعْدَا
أَلَمْ نَسْقِ الْحَجِيجَ وَنَنْسَحِرْ الدَّلَافَةَ الرُّفْدَا
وَنُلْفَى عِنْدَ تَقْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّدَا رُفْدَا
فَإِنْ نَهَلْكَ ، فَلَمْ نُتَمَلِّكَ وَمَنْ ذَا خَالِدٍ أَبَدَا
وَزَمَزَمَ فِي أَرْوَمَتِنَا وَنَفَقَا عَيْنَ مَنْ جَسَدَا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدى بن كعب
ابن لؤى .

وساقى الحجيج ، ثم للخبز هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهرى
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت سقايته فخرأ على كل ذى فخر

قال ابن هشام : يعنى عَبْدَ الْمَطْلَبِ بن هاشم . وهذان البيتان في قصيدة
لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

وأنشد له في القصيدة التاوية : محض الضريبة ، على الهمم مُخْتَلَق : أى
عظيم الخلق : جَلَدَ النَّحِيزَةَ نَاءً بِالْعَظِيَّاتِ . ليس قوله : ناء من النأى ، فتكون
الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء يَنْوُءُ إِذَا نَهَضَ (١) فالهمزة فيه لام
الفعل ، كما هو في جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فاعل ، والياء التى
بعد الهمزة هى : عين الفعل فى جاء يَجِئ .

(١) ناء بالحل نهض به مثقلا ، وناء به الحل إذا أنقله .

وفيه الشُّعَثُ الشَّجِيَّاتُ . فشدد ياء الشَّجِيَّ ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا :
ياء الشَّجِيَّ مخففة ، وياه الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائي
في قوله :

أياويح الشَّجِيَّ من الخَلَى وَوَيْحِ الدَّمْعِ من إحدى بِلَى

واحتج بقول يعقوب في ذلك ، فقال له الطائي : ومن أفصح عندك :
ابن الجُرْمَانِيَّةِ يعقوب ، أم أبو الأسود الدُّوَلِيَّ حيث يقول !؟ :

وَيْلُ الشَّجِيَّ من الخَلَى فَإِنَّهُ وَصَبُ الْفَوَادِ بِشَجْوِهِ مَفْعُومٌ

قال المؤلف : ويبت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبي الأسود الدُّوَلِيَّ ،
لأنه جاهلٌ مُحَكَّكٌ ، وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من
التوليد ، ولا يمتنع في القياس أيضاً أن يقال : شَجِيٌّ وشَجٍ ، لأنه في معنى : حَزَنٌ
وحزين ، وقد قيل : من شَدَّدَ الياء ، فهو فَعِيلٌ بمعنى مفعول (١) .

(١) رجل شج أى : حزين وامرأة شجية — بكسر الجيم وفتح الياء من دون
تضعيف — وفي مثل العرب : ويل للشجي من الخلى ، دون تشديد ياء إحداهما ،
وقد تشدد ياء الشجى ، والاول أعرف . وحكى الجوهري عن المبرد أنه شدد
ياء الخلى وخفف ياء الشجى . قال : وقد شدد في الشعر :

نام الخَلِيَّونَ عن ليل الشجينا

فإن جعلنا الشجى فَعِيلًا من شجاء الحزن ، فهو : مشجوةٌ وشجىٌ بالتشديد
لاغير ، وحكى ابن بري أن الصواب هو التشديد في ياء الشجى ، وأما الشجى
بالتخفيف فهو الذى أصابه الشجى ، وهو التخصُّص ، وأما الحزين فهو الشجى =

وفيه بعد قوله : أبا الشعث الشجيات . يبيّنه حُسرًا مثل البليّات .
البليّة : الناقة التي كانت تُنْعَل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت

== بتشديد الياء . قال : ولو كان المثل : ويل الشجى بتخفيف الياء ، لكان ينبغي أن
يقال : ويل الشجى من المسخ ؛ لأن الإساغة ضد الشجا ، كما أن الفرح ضد الحزن
ثم قال ابن برى : فلماذا ننظر إلى توجيهه من ناحية القياس — وقد ثبت من جهة
السماع تشديد الياء — ثم قال : ووجهه أن يكون الشجى من شجوته أشجوه ،
فهو : . شجو وشجى ، مثل : مجروح وجريح . وأما شج بالتخفيف فهو اسم الفاعل
من شجى يشجى - بكسر الجيم في الماضي وفتحها في المضارع - فهو شج . وقال
أبو زيد : الشجى : المشغول ، والخلّى : الفارغ ، وقال ابن السكيت : الشجى مقصور
والخلّى ممدود ، وفي الهذيب عن الشجى : أنه الذى شجى بمعظم غصّ به حلقة ،
يقال : شجى يشجى شجى ، فهو شج ، وكذلك الذى شجى بالهم فلم يجد مخرجاً منه .
قال الأزهري : وهذا هو الكلام الفصيح . . ثم قال : فإن تجامل إنسان ، ومد الشجى
فله مخرج من جهة العربية تسوخ له مذهبه ، وهو أن تجعل الشجى بمعنى المشجوّ .
فمبلاً من شجاه يشجوه ، والوجه الثانى : أن العرب تمد فعلاً بياء . فنقول : فلان قن
لكذا وقين ، وسميح وسميح ، وفلان كر للنائم وكرى . وقيل : إن مذهب
العرب توازن اللفظ كما وازنت الغدايا بالعشايا . وجمع الغداة غدوات . ومثل
ماساه وناءه . والاصل أناء . وكذلك وازنوا : الشجى بتشديد الياء بالخلّى .
ومعناه : ويل للهموم من الفارغ ، وعن ثعلب في الفصيح : ويل للشجى من الخلّى
بتشديد الياءين . وأنشد البيت الذى فى الروض . والشرطة الثانية من البيت : ويل
الشجى ، وردت مرة فى اللسان : ونصب الفؤاد لشجوه مغموم ، وأخرى : وجزّنه
مغموم ، وانظر ص ٣٧٣ أدب الكاتب وقول السهلى : . وبيت مطرود أقوى ،
يعنى البيت الذى يشرحه : دبا عين فابكى أبا الشعث الشجيات ، والجرمقانى — بضم
الجيم وسكون الراء وضم الميم وفتح القاف وتضعيف الياء — واحد الجرّامة ، وم
أنياط الشام ، أو هم قوم بالموصل أصلهم من العمم ، عن اللسان .

جوعاً وعطشاً، ويقولون : إنه يُحْشَرُ رَاكِباً عَلَيْهَا ، ومن لم يُفْعَلْ معه هذا
حُشِرَ رَاكِجاً ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ،
ومنهم زُهَيْرٌ ، فإنه قال :

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُجْعَلُ قَيْنَقَمٌ
وقال الشاعر في البَلِيَّةِ :

وَالْبَلَايَا رُءُوسُهَا فِي الْوَلَايَا مَا نَحَاتِ السَّمُومُ حُرَّ الْخُلُودِ (١)
والولاياء هي البراذع ، وكانوا يَنْقُبُونَ الْبَرْدَ ذَعَةً ، فيَجْمَعُونَهَا فِي عُنُقِ الْبَلِيَّةِ ،
وهي مَعْقُولَةٌ ، حتى تَمُوتَ ، وَأَوْصَى رَجُلٌ ابْنَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِهَذَا :

لَا تَنْتَرُكَنَّ أَبَاكَ يُحْشَرُ مَرَّةً عَذَّوْا يَحْزِرْ عَلَى الْيَدَيْنِ ، وَيَنْكَبْ
في أبيات ذكرها الخطابي .

وقوله : قِيَامَا كَالْحَيَاتِ . أَيْ : مُحْتَرِقَاتِ الْأَكْبَادِ كَالْبَقَرِ أَوْ الظِّبَاءِ الَّتِي
حَيْثُ الْمَاءُ وَهِيَ عَاطِشَةٌ ، فَحِمِيَّةٌ بِمَعْنَى : تَحْمِيَّةٌ ، لَكِنِّهَا جَاءَتْ بِالتَّاءِ ، لِأَنَّهَا أُجْرِيَتْ

(١) البيت في اللسان وأوله : كَالْبَلَايَا ، وَقَدْ لَسَبَهُ اللِّسَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ ، وَهُوَ
حَرْمَلَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ الطَّاقِ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ إِسْلَامِيٌّ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا
وَزَعَمَ الطَّبْرِيُّ أَنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا ، وَفِي اسْمِهِ خِلَافٌ ، وَمِنْ قَوْلِهِ :

مُعَلَّلُ الْمَرءِ بِالرَّجَاءِ وَيُضْحَى غَرَضًا لِلْمَنُونِ نَصَبُ الْعُودِ
وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَنْصَبُ عُودًا تَجْعَلُهُ غَرَضًا ، فَيَصِيهِ بِهِضَ السَّهَامِ ، أَوْ يَقَعُ قَرِيبًا
مِنْهُ ، أَوْ تَنْصَبُ مِنْهُ شَيْئًا . فَضَرْبُ ذَلِكَ مِثْلًا .

يجرى الأسماء كالرَّمِيَّةِ وَالضَّحِيَّةِ وَالطَّرِيدَةِ^(١) وفي معنى الْحَمِي قول رؤية :
قَوَاطِنُ مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي^(٢) يريد الحمام المَحْمِيَّ ، أى : الممنوع .

وقوله : فى رَمْسٍ بِمَوَماة : الأظهرُ فيه أن تكون الميم أصلية ، ويكون مما
ضوعفت فاؤه وعينه ، وَحَمَلَهُ على هذا الأصل أولى لكثرتة فى الكلام ، وإن
كان أصل الميم أن تكون زائدة ، إذا كانت أول الكلمة الرباعية أو الخماسية ،
إلا أن يَمْنَعَ من ذلك اشتقاقٌ ، ولا اشتقاق هُنا ، أو يَمْنَعَ من ذلك دخوله
فيما قلَّ من الكلام نحو : قَلِقَ وَسَلِسَ . قال أبو على فى المَرْمَر : حَمَلَهُ على
باب : قَرَقَرَوْرَبَرِ أولى من حمله على باب : قَلِقَ وَسَلِسَ ، يريد : إنك إن جعلتَ
الميم زائدةً كانت فاء الفعل - وهى الراء - مضاعفةً دون عينِ الفعل ، وهى

(١) قال سيبويه : لا يجىء هذا الضرب على مفعل - بفتح الميم وكسر العين
- إلا وفيه الهاء ، لأنه إن جاء على مفعل بغيرها اعتل ، فعدلوا إلى الاخف .
(٢) ومنه قبله :

ورب هذا البلد المحرم
والقاطنات البيت غير الريم
قواطننا مكة من ورق الحمي

واللسان مادة قطن ، وقد استشهد به سيبويه فى كتابه فى باب : « اعلم أنه
يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام من صرف ما لا ينصرف ، يشبهونه بما
ينصرف من الأسماء لأنها أسماء ؛ كما أنها أسماء ، وحذف ما لا يحذف ، يشبهونه بما
قد حذف ، أو استعمل محذوفاً ، كما قال العجاج . أقول : وقواطن منونة منصوبة
فى كتاب سيبويه ، وفى اللسان . وروى سيبويه هذه الشطرة مرة أخرى هكذا
« أو الفاء مكة من ورق الحمي ، انظر ص ٨ ، ٥٦ من كتاب سيبويه ط بولاق .

الميم ، وإذا جعلت الميم الأولى في مَرَمَرٍ أصليّة ، كان (١) من باب ماضوعفت فيه الفاء والعين ، وهذا معنى قول سيبويه في التمرّر : مر ، وهو القياس المُستتب ، والطريقُ المهيّجُ دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها ، فتأمل (٢) .

(١) في الأصل وكان .

(٢) يقول المازني في كتابه التصريف : « وأما الميم إذا كانت أولاً فهي زائدة بمنزلة الهمزة والياء ؛ لأن الميم أولاً نظيرة الهمزة ، وشرحه ابن جني بقوله : ولا فصل بين الميم والهمزة إذا وقعت أولاً ، فتي وجب في الهمزة أن تكون زائدة ووقعت الميم موقعها ، فاقض بزيادتها ، ص ١٢٩ المنصف لابن جني . والمومة بفتح وسكون : المفاضة الواسعة للمساء ، وهي جماع أسماء الفلوات . وقال المبرد : يقال لها : البوابة أيضا ، وليس للكلمة اشتقاق . ويقول ابن جني في الخصائص : « اعلم أنه متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ، ومعه حرفان مثلاً لا غير ، فهما أصلان ، متصلين كانا أو منفصلين . فالمتصلان نحو : الحفف والصدد . وقلق وسلس ، وكذلك إن كان هناك زائد ، فالحال واحدة نحو حمام وسالس . وكذلك كوكب ودودح ، ثم يقول : « فأما إذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلاً ، فعلى أضرب منها : أن يكون هناك تكرير على تساوى حال الحرفين ، فإذا كانا كذلك كانت الكلمة كلها أصولاً نحو : قلقل وقرقر . فالكلمة إذاً لذلك رباعية . وكذلك إن اتفق الأول والثالث ، واختلف الثاني والرابع . فالمثلان أيضاً . أصلان ، وذلك نحو : فرجح وقرقل وبنات الرجلة ، وقيص للنساء ، وكذلك إن اتفق الثاني والرابع ، واختلف الأول والثالث نحو : قسطاس وشلع والطويل . فالمثلان أيضاً أصلان . وكل ذلك أصل رباعي ، وكذلك إن اتفق الأول والرابع واختلف الثاني والثالث ، فالمثلان أصلان ، والكلمة أيضاً من بنات الأربعة مثل : قريق و دكان البقال ، وبلد وراء طرسوس ، وكذلك إن اتفق الأول والثاني ، واختلف الثالث والرابع ، فالمثلان أصلان ، والكلمة رباعية نحو : زيرفون . ومثاله ، فيعلول . وكذلك أيضاً إن حصل معك ثلاثة أحرف أصول ، ومعهما =

وقوله : طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَيْجَرٍ . الْفَجَرُ : الْجُودُ ، شُبَّهَ بِانْفِجَارِ الْمَاءِ . وَيُرْوَى
ذَا فَنَعٍ ، وَ الْفَنَعُ : كَثْرَةُ الْمَالِ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو نُجَيْجٍ النَّقَّيُّ :
وَقَدْ أَجُودُ وَمَا لِي بِذِي فَنَعٍ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ (١)
وقوله : بَسَامَ الْعَشِيَّاتِ : يَعْنِي : أَنَّهُ يَضْحَكُ لِلْأَضْيَافِ ، وَيَبْسِمُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ
كَمَا قَالَ الْآخَرُ ، وَهُوَ حَاتِمُ الطَّائِي :

== مثلاً غير ملتقيين ، فهما أيضاً أصلاً . نحو : شَفْلِيْقُ الْعَجُوزِ الْمُسْتَرْخِيَةِ ،
ص ٥٦ وما بعدها ، الْخَصَائِصُ ط ٢ ج ٢ ، وَانْظُرْ شَرْحَ الشَّافِيَةِ ج ١ ص ٥٩ ، وَمَا بَعْدَهَا
وَيَقُولُ ابْنُ جَنِّي فِي الْخَصَائِصِ أَيْضاً وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْأَصْلَيْنِ الثَّلَاثِيَّ وَالرَّابِعِيَّ
الْمُتَدَاخِلَيْنِ ، كَقَوْلِهِمْ سَلْسُ وَسَلْسِلُ ، وَقَلَقٌ وَقَلْقَلٌ : وَذَهَبَ أَبُو إِسْحَاقَ فِي نَحْوِ قَلْقَلٍ
وَصَلَصَلٍ وَجَرَجَرٍ وَقَرَقَرَ إِلَى أَنَّهُ فَعَلَ ، وَأَنَّ السَّكْمَةَ لَذَلِكَ ثَلَاثِيَّةٌ ، حَتَّى كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ
لَمْ يَسْمَعْ فِي هَذِهِ اللَّغَةِ الْفَاشِيَةَ الْمُنْفُوشَةَ : بَزْغَدٌ وَزَغْدَبٌ وَسَبْطٌ وَسَبْطَرُ ، ثُمَّ يَقُولُ :
« إِنْ تَكَرَّرَ الْفَاءُ لَمْ يَأْتِ بِهِ ثَبَتٌ إِلَّا فِي مَرْمَرِيْسٍ . وَحَكَى غَيْرُ صَاحِبِ الْكِتَابِ :
مَرْمَرِيْتٍ ، وَلَيْسَ بِالْبَعِيدِ أَنْ تَكُونَ التَّاءُ بَدَلًا مِنَ السَّيْنِ ، كَمَا أَبْدَلَتْ مِنْهَا فِي سِتْ ،
ص ٥٢ ، ٥٣ ج ٢ ، الْخَصَائِصُ وَيَقُولُ فِي ص ١٢ مِنَ الْمُنْصَفِ أَيْضاً : « الْفَاءُ لَمْ تَتَكَرَّرْ
فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ : مَرْمَرِيْسٍ ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ وَالشَّدَّةُ ،
فَتَكَرَّرَتْ الْفَاءُ وَالْعَيْنُ ، وَلَا نَظِيرَ لِهَذِهِ السَّكْمَةِ . »

(١) وَالْفَنَعُ أَيْضاً : الْكَرَمُ وَالْجُودُ وَالْفَضْلُ الْكَثِيرُ ، وَنَشَرُ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ
وَنَفْحَةُ الْمَسْكِ . . وَقَدْ رَوَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — قَالَ لِابْنِ أَبِي عَجْجَنٍ
الْتَّقِي : أَبُوكَ الَّذِي يَقُولُ :

إِذَا مِتَ فَادْفِنِي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تَرَوِي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عِرْوَقَهَا
وَلَا تَدْفِنَنِي فِي الْفَلَاةِ ، فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَامَتْ أَلَا أَذْوَقَهَا

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَجْجَنٍ : أَبِي الَّذِي يَقُولُ : وَذَكَرَ الْبَيْتَ . وَقَدْ رَوَى عَجْزُهُ
هَكَذَا : وَقَدْ أَكْرَمَ وَرَاءَ الْمَجْمُورِ الْفَرْقَ .

أُضاحك ضَيْفَى قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُنْخَصِبُ (١) عِنْدِي، وَالْمَحَلَّ جَدِيبٌ
وَمَا لِنُخْصِبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْفِرَى وَلَكِنَّا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ

حديث زمزم

وكانت زمزم - كما تقدم - سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ ، عليه السلام ، فَجَرَّهَا لَهُ رُوحُ
الْقُدُسِ بِعَقِبِهِ ، وَفِي تَفْجِيرِهِ إِيَّاهَا بِالْعَقِبِ دُونَ أَنْ يُفَجِّرَهَا بِالْيَدِ أَوْ غَيْرِهِ : إِمَارَةٌ
إِلَى أَنَّهَا لِعَقِبِهِ وَرِاثَةٌ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأُمَّتُهُ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : (وَجَعَلَهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) الزخرف : ٤٣ . أَيْ : فِي أُمَّهِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) - ثُمَّ
إِنْ زَمَزَمَ لَمَّا أُخْدِثَتْ جُرْمُهُمْ فِي الْحَرَمِ ، وَاسْتَخَفُّوا بِالْمَنَاسِكِ وَالْحَرَمِ ، وَبَغَى بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ وَاجْتَرَمَ ، تَفَوَّرَ مَاءُ زَمَزَمَ وَاكْتَتَمَ ، فَلَمَّا أَخْرَجَ اللَّهُ جُرْمَهُمْ مِنْ مَكَّةَ
بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرُهَا عِنْدَ الْحَرْثِ بْنِ مَضَاضٍ الْأَصْفَرِ إِلَى مَا كَانَ عِنْدَهُ
مِنْ مَالِ السَّكْبَةِ ، وَفِيهِ غَزَالَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْيَافٌ قَلَمِيَّةٌ (٣) كَانَ سَاسَانُ مَلِكُ
الْفُرْسِ قَدْ أَهْدَاهَا إِلَى السَّكْبَةِ ، وَقِيلَ : سَابُورُ ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنْ الْاَوَائِلِ مِنْ مُلُوكِ

(١) من باب علم وضرب .

(٢) قال ابن كثير في تفسيرها : هذه الكلمة - وهي عبادة الله وحده
لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي : لا إله إلا الله ، أى جعلها دائمة
في ذريته ، يقتدى به فيها من هداية الله تعالى من ذرية إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -
وقال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم : يعنى : لا إله إلا الله
لا يزال في ذريته من يقولها ، وروى نحوه عن ابن عباس ، على أن هناك رواية :
أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ .

(٣) نسبة إلى قلعة بفتح فسكون بلد بالهند .

الْفُرْسِ كَانَتْ تَحْجِبُهَا إِلَى عَهْدِ سَاسَانَ ، أَوْ سَابُورَ ، فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ مِضَاضٍ أَنَّهُ مُخْرِجٌ مِنْهَا ، جَاءَ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ حَتَّى دَفَنَ ذَلِكَ فِي زَمْرَمَ ، وَعَقَى عَلَيْهَا ، وَلَمْ تَزَلْ دَارِسَةً عَافِيَا أَثَرِهَا ، حَتَّى آتَى مَوْلِدُ الْمُبَارَكِ الَّذِي كَانَ يُسْتَسْقَى بِوَجْهِهِ غَيْثُ السَّمَاءِ وَتَتَفَجَّرُ مِنْ بَنَانِهِ بِنَابِيعُ الْمَاءِ ، صَاحِبِ الْكَوْثَرِ وَالْخَوْضِ الرَّوَّاءِ ، فَلَمَّا أَنَّ ظَهْرَهُ أَذِنَ لِلَّهِ تَعَالَى لِسُقْيَا أَبِيهِ أَنْ تَظْهَرَ ، وَلَمَّا أُنْذِفَ مِنْ مَائِهَا أَنْ تُجْتَهَرَ (٢) ، فَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ سَقَتِ النَّاسَ بَرَكَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّدَ وَسُقُوا بِدَعْوَتِهِ ، وَهُوَ طِفْلٌ حِينَ أُجْدِبَتِ الْبِلَدُ ، وَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ بِهِ جَدُّهُ مُسْتَسْقِيًا لِقُرَيْشٍ (٣) ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ - فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَسُقِيَتْ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا غُيُوثَ السَّمَاءِ فِي حَيَاتِهِ الْفَيْنَةِ بَعْدَ الْفَيْنَةِ ، وَالْمَرْءُ بَعْدَ الْمَرْءِ ، وَتَارَةً بَدْعَاتِهِ ، وَتَارَةً مِنْ بَنَانِهِ ، وَتَارَةً بِإِلْقَاءِ سَهْمِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اسْتَشْفَعَ عُمَرُ بَعْتَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَامَ الرَّمَادَةِ (٤) ،

(١) وَلَكِنْ هَذَا الْإِسْتِسْقَاءُ لَيْسَ مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ .

(٢) اجْتَهَرَ الْبُئْرُ : نَقَاها ، أَوْ نَزَحَها أَوْ بَلَغَ الْمَاءُ .

(٣) قِصَّةُ مَوْضُوعَةٍ وَلَيْسَ الْإِسْتِسْقَاءُ الدِّينِيُّ الْحَقُّ مِنْ هَذَا الزَّعْمِ .

(٤) لَيْسَ مِنْ حُبِّ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ نَكْذِبَ لَهُ ، أَوْ نَكْذِبَ

عَلَيْهِ ، وَعَظَمَةُ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ لَيْسَتْ فِي حَاجَةٍ إِلَى كَذِبٍ يَسَانِدُهَا ، لِأَنَّهَا قَامَتْ عَلَى الصِّدْقِ الْجَلِيلِ الْجَلِيلِ . وَصُورَةُ الْإِسْتِسْقَاءِ النَّبَوِيِّ نَهَتْهُ لَهَا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ :

«جَاءَ أَعْرَابِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكْتَ الْمَاشِيَةُ ، وَهَلَكْتَ الْعِيَالُ ،

وَهَلَكَ النَّاسُ ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَيْهِ يَدْعُو ، وَرَفَعَ النَّاسُ

أَيْدِيَهُمْ مَعَهُ يَدْعُونَ ، قَالَ : فَمَا خَرَجْنَا مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى مَطَرْنَا » وَخُتِّصَ مِنَ الْبَخَارِيِّ ،

وَحَدِيثِ اسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ : « عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ

كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ =

وأقسم عليه به وبنبيه^(١)، فلم يبرح، حتى قاصوا المازرَ، واعتلّوا الحذاء،

==إليك بنينا، فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك. فاسقنا، فيسقون) البخاري
ويقال: إنه كان في عام الرمادة العام الثامن عشر، ويقول العلامة السلفي السهواني
الهندي تعليقا على هذا في كتابه: صيانة الإنسان عن وسوسة ابن دحلان: المراد
بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضي الله عنه: هو
الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معبودة في الشرع، وهي أن يخرج من
يستسقى به إلى المصلى، فيستسقى، ويستقبل القبلة داعيا، ويحول رداءه، ويصلي
ركعتين، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح، والدليل عليه قول
عمر رضي الله عنه اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا صلى الله عليه وسلم، فتسقيننا،
وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا، ففي هذا القول دلالة واضحة على أن
التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، والتوسل بالنبي لم يكن
إلا بأن يخرج صلى الله عليه وسلم، ويستقبل القبلة ويحول رداءه، ويصلي ركعتين
أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء، ولم يرد في حديث ضعيف فضلا عن الحسن
والصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به صلى الله عليه وسلم
من غير أن يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا، والدعاء والصلاة
وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة، وأقول: لو كان التوسل بذات الحي
أو الميت جائزا — لا بدعائه — لتوسل عمر بذات محمد — وهو ميت —
بدلا من توسله بالعباس. ولم يرد في حديث ما أن أحدا توسل بذات محمد في
استسقاء أو غيره، لأن ذات محمد موصى، ليست من كسب أحد.

(١) لم يرد شيء مما قال في حديث صحيح. وقد وردت أحاديث الاستسقاء
في البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرها،
وكلها تجمع على أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو، وليس في شيء منها ما ذكره
السهيلي، وقد وردت صيغة الدعاء في حديث رواه أبو داود وأبو عوانة وابن
حبان والحاكم وصححه ابن السكن، وقال أبو داود: هذا حديث غريب لإسناده
جيد وهذه هي: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ==

وخاصوا الغُدرَان ، وَسمِعَت الرِّفَاقُ المَقْبَلَةُ إلى المَدِينَةِ في ذلك اليَومِ صَاحِبَا
بَصِيحٍ في السَّحَابِ : أَتَاكَ الغَوْثُ أَبَا حَفْصٍ ، أَتَاكَ الغَوْثُ أَبَا حَفْصٍ (١) ، كُلُّ
هَذَا بِرِكَهٍ المُتَبَعَتِ بِالرَّحْمَتَيْنِ ، وَالدَّاعِي إِلَى الحَيَاتَيْنِ الموعود بهما على يديه في
الدارين - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةً تَصْعَدُ وَلَا تَنْفَدُ ، وَتَنْصِلُ وَلَا تَنْفَصِلُ ،
وَتُنْقِمُ ، وَلَا تَرِيْمُ ، إِنَّهُ مُنْعِمٌ كَرِيمٌ .

أَسْمَاءُ زَمْزَمَ :

فصل : فَأَرَى عَبْدُ المَطْلَبِ في مَنَامِهِ : أَنَّ أَحْفِرَ طَيْبَةٍ ، فَسُمِّيَتْ طَيْبَةً ، لِأَنَّهَا
لِلطَّيْبِينَ والطَّيِّبَاتِ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَقِيلَ لَهُ :
أَحْفِرْ بَيْرَةً ، وَهُوَ اسْمٌ صَادِقٌ عَلَيْهَا أَيْضًا ، لِأَنَّهَا فَاضَتْ الأَبْرَارَ ، وَغَاضَتْ عَنْ
الْفُجَّارِ ، وَقِيلَ لَهُ : أَحْفِرْ المَضْنُونَةَ . قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : سُمِّيَتْ زَمْزَمُ : المَضْنُونَةُ
لِأَنَّهَا ضُنَّ بِهَا عَلَى غَيْرِ المُؤْمِنِينَ ، فَلَا يَتَضَلَّعُ مِنْهَا مَنَافِقٌ ، وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ
مَا يَقْوَى ذَلِكَ مُسْنَدًا عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ
فَلَيْتَضَلَّعَ ، فَإِنَّهُ فَرَّقُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ المَنَافِقِينَ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَضَلَّعُوا (٢) مِنْهَا ،

== اللهُ مَا يَرِيدُ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ الْغَنَى وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا
الْغَيْثَ ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ ،

(١) أَسَاطِيرُ مُرَدَّدَةٌ لَا تَعْرِفُهَا السَّيْرَةُ الْعَطْرَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِهِ
عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) تَضَلَّعَ : اِمْتَلَأَ شَبْعًا وَرِيًّا ، وَالتَضَلَّعُ أَيْضًا : الْاِمْتِلَاءُ حَتَّى تَمْتَدَّ أَضْلَاعُهُ
عَلَى أَنْ مِثْلَ هَذِهِ الْإِحَادِيثِ لَمْ يَرْوَاهَا أَصْحَابُ الصَّحِيحِ . وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ :
الدَّارِقُطْنِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

أو كما قال . وفي تسميتها بالمُضْنُونَة رواية أخرى ، رواها الزبيرُ : أن عبدَ المطلب قيل له : اخفِرِ الْمُضْنُونَة ضَنْنْتَ بها على الناس إلا عليك ، أو كما قال .

العلامات التي رآها عبد المطلب وتأويلها :

وذلك عليها بعلاماتٍ ثلاثٍ : بُنْقَرَةُ الْغَرَابِ الْأَعْصَمِ ، وأنها بين الْفَرْثِ وَالدَّمِ ، وعند قرية النَّمَلِ ، ويروى أنه لما قام لِيَحْفِرَهَا رأى مارِئِمَ مِنْ قرية النَّمَلِ وَنُقْرَةَ الْغَرَابِ ، وَلَمْ يَرَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ ، فبينما هو كذلك نَدَّتْ بَقْرَةٌ بِجَارِهَا ، فلم يُذَرِكْهَا ، حتى دخلت المسجد الحرام ، فنَحَرَهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي رُسِمَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فسال هناك الْفَرْثُ وَالدَّمُ ، فحَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَيْثُ رُسِمَ لَهُ .

ولم تَخْصَّ هذه العلامات الثلاث (١) بأن تكون دليلاً عليها إِلَّا الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، وفائدةُ مُشَاكِكَةٍ فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ ، وَالتَّوَشُّمِ الصَّادِقِ لِمَعْنَى زَمْزَمَ وَمَائِهَا . أما الْفَرْثُ وَالدَّمُ ، فَإِنَّ مَاءَ هَاطِعَامَ طُعِمَ ، وَشِفَاءُ سَقَمٍ (٢) ، وَهِيَ لِمَاشِرِبَتِهِ (٣) ، وَقَدْ تَقَوَّتْ (٤)

(١) كل هذا من رواية محمد بن إسحاق لحسب .

(٢) يقول ابن الأثير في النهاية : «أى يشبع الإنسان إذا شرب ماءها ، كما يشبع من الطعام» ، وقد ورد في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذر أن رسول الله قال في زمزم : «لأنها طعام طعم وشفاء سقم» ، ونسب هذا في بعض الأحاديث إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار .

(٣) روى الإمام أحمد : «ماء زمزم لما شرب منه» ، ورواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل ، وقد تكلموا فيه . ولفظه : «ماء زمزم لما شرب له» ، ورواه سويد بن سعيد ولكن سويدا ضعيف . ورواه الحاكم مرفوعاً عن ابن عباس ، وفيه نظر . هذا وقد وردت تسمية زمزم ببرة . والمضنونة في حديث عن كعب الأحبار ، وحسبك به ١١

(٤) حديث تَقَوَّتْ أَبِي ذَرٍّ بِمَاءِ زَمْزَمٍ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ .

(٨ م — الروض الأنف ج ٢)

من مائها أبو ذر - رضى الله عنه - ثلاثين بين يوم وليلة ، فسمِنَ حتى تكسرت عكته ، [وما وجد على كبده سخفة ^(١) جوع] فهي إذا كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في اللبن : إذا شرب أحدكم اللبن ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يسد مسد الطعام والشراب إلا اللبن ، وقد قال الله تعالى في اللبن : (مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) النحل : ٦٦ . فظهرت هذه الشقيا المباركة بين القرث والدم ، وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها .

وأما قوله : الغراب الأعصم ، قال القتيبي : الأعصم من الغربان الذى فى جناحيه بياض ، وسجل على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث : الأعصم الذى فى يديه بياض ، وقال : كيف يكون للغراب يدان ؟ . وإنما أراد أبو عبيد أن هذا الوصف لذوات الأربيع ؛ ولذلك قال : إن هذا الوصف فى الغربان عزيز ، وكأنه ذهب إلى الذى أراد ابن قتيبة من بياض الجناحين ، ولولا ذلك لقال : إنه فى الغربان محال لا يتصور . وفى مسند ابن أبى شيبه من طريق أبى أمامة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ما يُغنى عن قوليهما ، وفيه الشفاء : أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : المرأة الصالحة فى النساء كالغراب الأعصم قيل : يا رسول الله ، وما الغراب الأعصم ؟ قال : الذى إحدى رجليه بيضاء ^(٢) .

(١) جمع عكته : الطى الذى فى البطن من السمن ، ويجمع على أعكان أيضا والسخفة : الهزال .

(٢) وعن الأزهري فى اللسان : أنه الأحمر الرجلين لقلته فى الغربان ، لأن أكثر الغربان : السود البقع . هذا والعرب تجعل البياض حمرة ، فيقال للمرأة البيضاء : الحمراء

فالغراب في التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فَذَلَّتْ نُقْرَتُهُ عند الكعبة على نُقْرَةِ
الْأَسْوَدِ الْحَبَشِيِّ بِمَقُولِهِ فِي أُسَاسِ الكعبة يَهْدِمُهَا فِي آخِرِ الزمانِ ، فكان
نُقْرُ الغرابِ في ذلك المكان يُؤذَنُ بما يفعله الفاسقُ الأسودُ في آخر الزمانِ
بِقِبْلَةِ الرَّحْنِ ، وسُقْمَا أهل الإيمان ، وذلك عندما يُرفع القرآنُ ، وتحيا عبادةُ
الأوثانِ ، وفي الصحيح عن رسول - صلى الله عليه وسلم - : « لِيُخَرَّبَنَّ الكعبة
ذو السَّوَيْتَيْنِ مِنَ الحبشة (١) » وفي الصحيح أيضا من صفته : أنه [أسود] أَفْحَجٌ ،
[يقلمها حجرا حجراً] وهذا أيضا ينظر إلى كون الغراب أعْصَمَ ؛ إِذِ الْفَحَجُ : تَبَاعُدٌ
فِي الرَّجُلَيْنِ ، كما أَنَّ الْعَصَمَ اخْتِلَافٌ فِيهِمَا ، والاختلافُ : تَبَاعُدٌ وَقَدْ عُرِفَ بِذِي
السَّوَيْتَيْنِ ، كما نُمِتَ الغرابُ بصفةٍ في ساقيه ، فتَأَمَّلْهُ ، وهذا من خَفِيِّ علم التأويلِ ،
لأنها كانت رُؤْيَا ، وإن شِئْتَ : كان من باب الزَّجْرِ والتَّوْشِمِ الصَّادِقِ (٢)
والاعتبار والتفكيرِ في معالم حكمة - الله تعالى - فهذا سعيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ ،
وهو مَنْ هُوَ عَلِمَا وَوَرَعَا حين حَدَّثَ بِحديثِ البئرِ في البستانِ ، وأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم - قعد على قُعْهَا (٣) ، وَكَذَلِكَ رَجُلِيهِ فِيهَا ، ثم جاء أبو بكر
رضي الله عنه - ففعل مثل ذلك ، ثم جاء عمرُ - رضي الله عنه - ففعل مثل

(١) الحديث متفق عليه ، وفي أبي داود بسند ضعيف : «اتركوا الحبشة
ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السوَيْتَيْنِ مِنَ الحبشة» ، والسوَيْتَانِ
مثنى سويقة : تصغير لساق ، وهي مؤنثة . وقد صغر الساق ، لأن الغالب على سوق
الحبشة الدقة والخروشة ، وقد أبعد السبيل وأغرب في تأويلاته .

(٢) الزجر : أصله هو التيمن والتشؤم بالطير ، والتفؤل بطيرانها كالسائح
والبارح ، وهو نوع من الكهانة والعيافة . والتوشم . أو الزكانة : الاعتبار
(٣) قف البئر : هو الدكة التي تجعل حولها .

ذلك ، ثم جاء عثمان ، فانتبذَ منهم ناحية ؛ وَقَعَدَ حَجْرَةً (١) . قال سعيد بن المسيَّب : فَأَوَّلْتُ ذلك قبورهم ، اجتمعت قبورُ الثلاثة ، وانفرد قبرُ عثمان - رضى الله عنه - . والله سبحانه يقول : (إن في ذلك لآياتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ) الحجر : ٧٥ . فهذا من التَّوَسُّمِ وَالْفِرَاسَةِ الصادقة ، وإعمالِ الفكرِ في دلائلِ الحكمة ، واستنباطِ الفوائدِ اللطيفة من إشاراتِ الشريعة . وأمَّا قريةُ النمل ، ففيها من المُشَاكَلَةِ أيضا ، والمناسبة : أن زَمَزَمَ هى عينُ مَكَّةَ التى يَرِدُهَا الحَجِيجُ والعُمَارُ من كل جانب ، فيحملون إليها الْهَرَّ وَالشَّعِيرَ ، وغير ذلك وهى لا تحرث ولا تزرع ، كما قال سبحانه خبرا عن إبراهيم عليه السلام : (رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) . إلى قوله : (وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ [لعلهم يشكرون] إبراهيم : ٣٧) وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر ، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مَكَّةَ قال الله سبحانه : (وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) النحل : ١١٢ . مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماءَ فى الْخَوْصِ : إذا جمَعْتُهُ ، والرُّؤْيَا تُعَبِّرُ عَلَى الْلفْظَاتِ ، وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل - والله أعلم .

مع صفات زمرم :

وقد قيل لعبد المطلب فى صفة زَمَزَمَ : لَا تَنْزِفُ أَبَدًا ، وَلَا تُدْخِمُ (٢) ،

(١) قعد حجرة : أى ناحية .

(٢) نزفت - بفتح النون والزاي - ماء البئر نزفا : إذا نوحته كله ، ونزفت هى =

وهذا بُرْهَانٌ عَظِيمٌ ، لَأَنَّهُ لَمْ تَنْزِفْ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنَ إِلَى الْيَوْمِ قَطُّ ، وَقَدْ وَقَعَ فِيهَا حَبَشِيٌّ فَنَزَحَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، فَوَجَدُوا مَاءَهَا يَتَوَرَّمُ ثَلَاثَةَ أَعْيُنٍ ، أَقْوَاهَا وَأَكْثَرُهَا مَاءً : مِنْ نَاحِيَةِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ الدَّارَقُطْنِيُّ .

وقوله : وَلَا تَنْدُمُ ، فِيهِ نَظَرٌ ، وَإِسْهُوَ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ مِنْ أَنَّهَا لَا يَذْمُهَا أَحَدٌ ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّمِّ لَكَانَ مَاؤُهَا أَعَذِبَ الْمِيَاهِ ، وَلَتَضَلَّعَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ يَشْرِبُهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَتَضَلَّعُ مِنْهَا مَنَافِقٌ ، فَمَاؤُهَا إِذَا مَذْمُومٌ عِنْدَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَمِيرُ الْعِرَاقِ يَذْمُهَا ، وَيَسْمِيهَا : أُمَّ جِعْلَانَ (١) ، وَاحْتَفَرُ بَيْتاً خَارِجَ مَكَّةَ بِاسْمِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَجَعَلَ يُفَضِّلُهَا عَلَى زَمْزَمَ ، وَيَحْمِلُ النَّاسُ عَلَى التَّبَرُّكِ بِهَا دُونَ زَمْزَمَ جُرْأَةً مِنْهُ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَقَوْلُهُ حَيَاءٌ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْلَنُ وَيَفْصَحُ بِلَعْنِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا ، أَنَّهَا قَدْ ذُمَّتْ ، فَقَوْلُهُ إِذَا : لَا تَنْدُمُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : بَرَّ ذِمَّةُ أَيْ : قَلِيلَةُ الْمَاءِ ، فَهُوَ مَنْ أَذْنَمَتِ الْبَيْرُ إِذَا وَجَدَتْهَا ذِمَّةً : كَمَا تَقُولُ : أَجَبَنْتُ الرَّجُلَ : إِذَا وَجَدْتَهُ جَبَانًا ، وَأَكْذَبْتُهُ إِذَا

== يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ، وَنَزَفَتْ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ ، وَعَنْ ابْنِ سِيدَةَ : نَزَفَ الْبَيْرُ يَنْزِفُهَا وَأَنْزَفَهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، كَلَامُهُمَا نَزَحَ : وَأَنْزَفَتْ هِيَ نَزَحَتْ ، وَذَهَبَ مَاؤُهَا .

(١) جَعَلَ الْمَاءَ بِفَتْحٍ فَكَسَرَ جَعْلًا ، أَيْ : كَثُرَ فِيهِ الْجَعْلَانُ : جَمْعُ جَعَلٍ وَهُوَ دَابَّةٌ سُودَاءُ مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ قِيلَ : هُوَ أَبُو جَعْرَانَ . وَلَعَلَّهَا فَرِيَّةٌ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوَاقِفِ ، الَّذِي يَرْغَبُونَ فِي الرِّضَا بِهَذَا الَّذِي نَسَبَ إِلَى خَالِدٍ .

وجدته كاذباً^(١)، وفي التنزيل: «فإيهام لا يكذبونك»^(٢) [ولكن الظالمين
بآيات الله يَجْحَدُونَ] الأنعام . ٣٣ وقد فسّر أبو عبيد في غريب الحديث قوله
حتى مررنا ببئر ذمّة: وأنشد.

نَحْيَسَةُ خُزْرًا كَانَ عَيْونَهَا ذِمَامُ الرَّكَايَا أَنْكَرَتْهَا الْمَوَاتِحُ^(٣)

فهذا أولى ما حل عليه معنى قوله . ولا تُدْزَمُ ؛ لأنه نفي مطلق ، وخبر صادق

(١) يقول ابن جرير الطبري : «أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب
وكذبه — بتضعيف الذال — إذا أخبرت أنه كاذب .»

(٢) الذي في المصحف هو ما أثبتناه ، ولكن السهيلي يعني القراءة الثانية ، وهي
مشهورة أيضاً ، وهي : «لا يكذبونك» بضم الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال ، وهي
قراءة نافع والكسائي من : أكذب ، أما قراءة المصحف : فن كذبه بتضعيف الذال .

(٣) البيت لذى الرثيمة — بضم الراء أو كسرهما وتشديد الميم المفتوحة —
يصف إبلا غارت عيونها من السلال . وروايته في اللسان : «على حيريات ،
بدلاً من ونحْيَسَةُ خُزْرًا ، والإبل النحيسة هي التي لم تسرح ، ولكنها حبست للنحر
أو القسم ، والخزر : هو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها . أو النظر
كأنه في أحد الشقين ، أو أن يفتح عينيه ويفتحهما ، وحول في إحدى العينين . وركايا
جمع ركية — بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء المفتوحة — البئر — كما
في القاموس ، ومواتح : المنح — بفتح الميم وسكون التاء — جذبك رشاء
« حبل ، الدلو تمد بيد ، وتأخذ بيد على رأس البئر . ومواتح : جمع ماتح وهو
المستقي . والماتح الذي يملأ الدلو من أسفل البئر . أنكرتها : أقلت ماها ، والذمة :
البئر القليلة الماء . يقول عن الإبل . إن أعينها غارت من التعب ، فكانها آبار
قليلة الماء . وفي الروض : أنكرتها ، ورواها اللسان في مادة ذمم « أنكرتها ،
وفسرها بما نقلته عنه ، ولكنه في مادة فتح ذكرها : أنكرتها .»

والله أعلم - وحديث البئر الذمّة التي ذكرها أبو عبيد ، حدثنا به أبو بكر بن العربي الحافظ ، قال : أخبرنا القاضي أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد قال : حدثنا الحرث بن أبي أسامة . قال : حدثنا أبو النصر ، قال : حدثنا سليمان عن محمد بن يونس عن البراء قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسير فأتينا على ركيّ ذمّة (١) . يعني : قليلة الماء قال : فنزل فيها ستة - أو سادسهم مائة (٢) ، فأدريت إلينا دلو ، قال : ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الركيّ . فحملنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثيها ، فرفعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فحنت بإنائي . هل أجد شيئاً أجعله في حاتي ، فما وجدت ، فرفعت الدلو إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فغمس يده فيها ، فقال ما شاء الله أن يقول - قال : فأعيدت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحداً أخرج بثوب خشية الغرق . قال : ثم ساحت ، يعني : جرت نهراً (٣) .

(١) ركيّ - بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء - جنس للركية وهي البئر .

(٢) الميج - بفتح الميم وسكون الياء - أن تدخل البئر فتملأ الدلو ، وذلك إذا قل ماؤها ، ودخل ما ح ، وقوم مائة بفتح الحاء .

(٣) أصل الحديث في الصحيح باختصار كثير في إحدى الغزوات . وهذا الذي في الروض رواه أحمد والطبراني . ويقول الحافظ في الفتح : قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه ، من ، أمر عنه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي . قلت : أخذ كلام عياض أو تصرف فيه . قال : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ، وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين =

اشتقاق مفازة :

وذكر حديث عبد المطلب في مسيره مع قرش إلى الكاهنة ، وذكر
المفاز التي عطشوا فيها . المفوز : جمع مفازة ، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال . روى
عن الأحمسي أنها سُميت مفازة على جهة التناؤل لراكبها بالمفوز والنجاة ،
ويذكر عن ابن الأعرابي أنه قال : سألت أبا الكلام : لم سميت القفلة مفازة ؟
فقال : لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز . وقال بعضهم : معناها : مهلكة
لأنه يقال : فاز الرجل ، وفوز وفاد وفطس : إذا هلك . وذكر في غير رواية
على ابن أبي طالب - رضوان الله عليه - ثم ادع بالماء الروي غير الكدر
يقال : ماء روي بالكسر والقصر ، ورواء بالفتح وللد^(١) وفيه :

= واحد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق . وعن
ابن مسعود عند البخاري والترمذي ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من
طريقين .. . وأما تكثير الماء بأن يلمه بيده ، أو يتقل فيه ، أو يأمر بوضع
شيء فيه كسهم من كنانته . فجاء في حديث عمران بن حصين في الصحيحين ،
وعن البراء بن عازب عند البخاري وأحمد من طريقين ، وعن أبي قتادة عند
مسلم ، وعن أنس عند البيهقي في الدلائل .. . وأما من رواها من أهل القرن الثاني
فهم أكثر عدداً ، وإن كان شطر طريقه إفراداً ، انتهى ما في الفتح ص ٤٥٦ ج ٦
وانظر جمع الزوائد للهيتمي . وأقول : كل ما يحدث هو بأمر الله سبحانه ، ولا
يستطيع مسلم أن ينكر أن الله سبحانه فجر الماء لموسى من الحجر ، وقال لميسى
عن المائدة : « إني منزلها عليكم » والله الذي من بذلك قادر على أن ينزل هذا .
وموقفنا الإذعان ، والإيمان بأنه من قدرة الله وإذنه ، لا من قدرة نبي أو ولي ،
ولا بإذنه ولا بأمره .

(١) روى كنفى ، وروى مثل : إلى ، ورواه مثل سماء : كثير مرو .

الجمع واسم الجمع :

يستقى حَجِيجُ اللَّهِ في كل مَبْرَءٍ الحَجِيجُ: جمع حاج . وفي الجموع على وزن فَعِيل كثير كالْعَبِيدِ والبَقِيرِ والمَعِيزِ والأَيْبِلِ !! وأحسبه اسما للجمع ؛ لأنه لو كان جماعه واحد من لفظه، لجرى على قياس واحد كسائر الجموع، وهذا يختلف واحدُه فحَجِيج واحدُه: حاج، وعبيد واحدُه: عُبْدٌ، وبَقِير (١) واحدُه: بَقْرَةٌ [ومَعِيزٍ: واحدُه: مَاعِزٌ] إلى غير ذلك، فجاز أن يقال: إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة؛ ولذلك لا يُصَغَّرُ على لفظه، كما تصغر أسماء الجموع، فلا يقال في العبيد: عُبَيْدٌ، ولا في النخيل:

(١) في اللسان: البقير اسم للجمع، أما الأيبيل بفتح الهمزة وكسر الباء — فالهمزة من الحشيش والخطب، والإيبيل بكسر الهمزة وتضعيف الباء مع كسرها: القطعة من الطير والخليل . وقيل هي مفرد أباييل، وربما كانت لبلا، وهي تقع على الجمع، وليست بجمع والاسم جمع « قاموس »، ويقول الجوهري إن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لازم لها، فإذا صغرتها دخلتها التاء، فنقلت عن لبيل: أَيْبِلَة، وعن غنم: غَنِيْمَة، وقد فرق شارح السكاكية لابن الحاجب بين الجمع واسم الجمع بفروق تلتخص في ثلاثة أوجه، الأول: أن الجمع على صيغة خاصة من صيغ معدودة معروفة، وهذه الصيغة تغاير صيغة المفرد، إما ظاهرا، وإما تقديرا . فالمغايرة الظاهرة إما بالحركات كأسد، وأسد ونمر ونمر، وإما بالحروف كرجال: جمع رجل وكتب جمع كتاب، والمغايرة المقدرة كهجان وفلك، ومن المغايرة الظاهرة: الجمع السالم مذكرا أو مؤنثا .

والثاني: أن للجمع واحدا من لفظه، وليس لاسم الجمع واحد من لفظه، بل له واحد من معناه، فواحد الإبل: بعير أو ناقة، وواحد الغنم: شاة . والثالث: أن الجمع يرد إلى واحد في النسب مطلقا، وفي التصغير إن كان جمع كثرة . وأما اسم الجمع، فلا يرد، لأنه إما ألا يكون له واحد حتى يرد إليه، وإما أن يكون له واحد، لكن لا يصح الرد إليه لأن اسم الجمع لم يكن على صيغة من صيغ الجمع فهو كالمفرد في اللفظ . انظر ص ١٩٣ ج ٢ شرح الشافية للرضي والتلخيص المذكور للأستاذة المحققة للشافية .

نُخِيلٌ، بل يرد إلى واحد، كما ترد الجموع في التصغير، فيقال: نُخَيْلَاتٌ وَعُبَيْدُونَ، وإذا قلت: نخيل أو عبید، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس، قال الله سبحانه: (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) وقال: (وَمَارُبُّكَ بَطْلَامٌ لِّلْعَبِيدِ) فصلت: ٤٦، وحين ذكر الحاطبين منهم قال: العباد، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل: (وَالنَّخْلُ بِاسْقَاتٍ) ق: ١٠ وقال: (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) القمر: ٢٠ فتأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام، وأما في مذهب أهل اللغة، فلم يفرقوا هذا التفريق، ولا نهوا على هذا الغرض الدقيق.

شروع :

وقوله: في كل مَبَرٍّ: هو مَقْعَلٌ من الْمَبَرِّ، يريد: في مناسك الحج ومواقع الطاعة
وقوله: مثل نمام جافل لم يقسم. الجافل: من جَفَلَتِ الغنم: إذا انقلعت
بجملتها، ولم يُقَسَّمْ أى: لم يُتَوَزَّعْ، ولم يتفرق.

وقوله: ليس يخاف منه شيء ما عَمَرَ. أى: ما عمر هذا الماء، فإنه لا يؤذى،
ولا يخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها، بل هو بركة على كل
حال، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله: لا تَنْزِفُ، ولا تُنْذِمَ عاقبة شربها، وهذا
تأويلٌ سائغٌ أيضا إلى ما قدمناه من التأويل، وكلاهما صحيح في صفتها.

وقوله: وضرب [في الباب] الفزالين^(١) حلية الكعبة، وهو أول ذهبٍ حليت
به الكعبة، وقد قدمنا ذكر الفزالين، ومن أهدأها إلى الكعبة، ومن دفعها من
جرهم، وتقدم أن أول من كسا الكعبة: نُبَيْعٌ، وأنه أول من اتخذها غلَقًا إلى أن

(١) ما بين قوسين زيادة من السيرة.

ضرب لها عبدُ المطلب بابَ حديد من تلك الأسياف ، واتخذ عبدُ المطلب حوضاً لزمن يسقى منه ، فكان يُخَرَّبُ له بالليل حَسَدًا له ، فلما غَمَّ ذلك قيل له في النوم : قل : لا أحلها لمغتسل ، وهي لشاربِ حِلٍّ وبلٍّ^(١) وقد كُفِّيتهم ، فلما أصبح قال ذلك ، فكان بعدُ من أرادها بمكروه رُمِيَ بداء في جسده ، حتى انتهوا عنه . ذكره الزهرى في سيره .

بئار قريش بمكة :

وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئارا بمكة . ذكروا أن قصيًا كان يسقى الحَجَّيجَ في حياضٍ من أَدَمَ ، وكان يُقَلُّ الماء إليها من آبارٍ خارجةٍ من مكة منها : بئرُ مَيْمُونِ الحَضْرَمِيِّ ، وكان يَنْبِذُ لهم الزبيب ، ثم احتفر قُصَى العَجُولَ في دار أم هانئ بنت أبي طالب ، وهي أول سقاية

(١) بل : شفاء ، وقيل : بل : مباح بلفظ حير ، وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق شعرا قاله عبد المطلب حينئذ وهو :

اللهم أنت الملك المحمود ربى أنت المبدى المعيد
ومسك الراسية الجلود من عندك الطارف والتليد
إن شئت ألهمت كما تريد لموضع الحلية والحديد
فبين اليوم لما تريد إني نذرت العاهد المعبود
اجعله رب لى فلا أعود

انظر ص ٢٤٦ ج ٢ البداية . هذا وفي السيرة عند قوله : « ثم أعطوا صاحب القداح ، زدت كلمة القداح ، بعد جملة « أعطوا ، من البداية ص ٢٤٦ ج ٢ ، وقد جعل عبد المطلب لزمن حوضين . أحدهما : للشرب ، والآخر : للوضوء ، وقال : لا أحلها لمغتسل ؛ لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه ج ٢ ص ٢٤٧ بداية .

احتفرت^(١) بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا ، فقالوا :
 تُروى على العجول ، ثم ننطلق ، إن قصياً قد وفى وقد صدق
 [بشبع الحج وري مُغْتَبِق^(٢)]

فلم تزل العجول قائمة حياة قصى ، وبعد موته ، حتى كبر عبد مناف
 ابن قصى ، فسقط فيها رجل من بنى جُعيل ، فمطّلوا العجول ، واندفت ،
 واحتفرت كل قبيلة بئرا ، واحتفر قصى سجلة ، وقال حين حفرها :
 أنا قصى ، وحفرت سجلة تُروى الحجاج زغلة فزغله^(٣)
 وقيل : بل حفرها هاشم ، ووهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل ،
 وفى ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدي سجلة تُروى الحجاج زغلة فزغله
 وأما أم أحراد التى ذكرها ، فأحراد : جمع : حرذ ، وهى قطعة من السنّام ،
 فكانها سُميت بهذا ، لأنها تُنبت الشحم ، أو تُسمّن الإبل ، أو نحو هذا
 والحرذ : القطا^(٤) الواردة للماء ، فكانها تردّها القطا والطيء ، فيكون

(١) وفى المراسد : أن العجول أول بئر حفرت بمكة ، وقيل : حفرها عبد شمس قبل
 خم ، وقيل إن أصلها كانت ركية فى دار أم هانئ ، ثم وسعها قصى ، أو سماها كذلك
 (٢) الزيادة من معجم البكرى . ومغتبِق : أصل الغبوق — كصبور —
 ما يشرب بالعشى . وغبقة : سقاه ذلك ، فاعتبق هو ، والمغتبِق — بضم الميم وكسر
 الباء — من يفعل ذلك

(٣) الزغلة : الجرعة .

(٤) قطا حرذ : سراع . وقال الأزهري عن هذا : إنه خطأ . وذكر أن القطا =

أَحْرَادُ جَمْع : حُرْدٌ بِالضَّمِّ عَلَى هَذَا . وَقَالَتْ أُمِّيَّةُ بِنْتُ عُمَيْلَةَ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ امْرَأَةُ الْقَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ حِينَ حَفَرَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ أُمَّ أَحْرَادَ :
نَحْنُ حَفَرْنَا الْبَحْرَ أُمَّ أَحْرَادٍ لَيْسَتْ كَبَذَرِ الْبُرُورِ ^(١) الْجَمَادِ

فَأَجَابَتْهَا ضَرَّتُهَا : صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أُمُّ الزَّيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

نَحْنُ حَفَرْنَا بَذَرِ ^(٢) نَسَقَى الْحَجِيجِ الْأَكْبَرِ
مِنْ مُقْبِلٍ وَمُذْبِرٍ وَأُمُّ أَحْرَادَ شَرِ ^(٣)

وَأَمَّا جُرَابٌ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى : جَرِيبٌ ^(٤) نَحْوُ : كِبَارٍ وَكَبِيرٍ ،

== الحَرْدِيُّ الْقَصَارُ الْأَرَجَلُ ، وَهِيَ مَوْصُوفَةٌ بِذَلِكَ . وَفِي الْمُرَاصِدِ عَنْ أُمِّ أَحْرَادَ
أَنَّهُ جَمْعُ حَرِيدٍ ، وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ عَنْ مَحَلَّةِ الْقَوْمِ .

(١) هَكَذَا ، وَهِيَ غَيْرُ مَنَاسِبَةٍ لِّلْمَعْنَى ، فَلَعَلَّهَا : الْبُشُورُ بِضَمِّ الْبَاءِ وَالثَاءِ : جَمْعُ بَشَرٍ
بِفَتْحِ الْبَاءِ وَسُكُونِ الثَّاءِ ، وَفِي اللِّسَانِ : أَنَّهَا الْكِرَارُ — بِكَسْرِ الْكَافِ — جَمْعُ كَرٍ
الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَجْمَعُ فِيهَا الْمَاءُ الْآجِنُ ، لِيَصْفَوْا ، وَيُقَالُ لِلْبَخِيلِ : جَمَادٍ كَقَطَامٍ ذِمَالِهِ .

(٢) فِي غَيْرِ الرُّوَضِ : بَشَرٌ بِفَتْحِ فَسُكُونِ ، وَالْبَشَرُ أَرْضٌ حِجَارَتُهَا كَحِجَارَةِ الْحَرَّةِ
لَا أَنَّهَا بَيْضٌ ، وَالْمَاءُ الْبَشَرُ فِي الْغَدِيرِ إِذَا ذَهَبَ ، وَبَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ قَلِيلٍ

(٣) الْبَيْتُ : «سَقَى اللَّهُ أَمْوَاهَا» لِكَثِيرِ عِزَّةِ كَمَا فِي اللِّسَانِ ، وَكُلُّهَا آبَارٌ بِمَكَّةَ ، وَقَالَ
ابْنُ بَرِيٍّ : هَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءُ مِيَاهٍ ؛ بِدَلِيلِ إِبْدَالِهَا مِنْ قَوْلِهِ أَمْوَاهَا ، وَدَعَا بِالسَّقْيَا
لِلْأَمْوَاهِ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَهْلَهَا النَّازِلِينَ بِهَا .

(٤) الْجَرِيبُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْأَرْضِ : مَقْدَارٌ مَعْلُومٌ ، وَالْجَرِيبُ : مَكْيَالٌ قَدَرُ
أَرْبَعَةِ أَقْفُزَةٍ ، وَالْجَرِيبُ : قَدَرٌ مَا يَزْرَعُ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : لَا أَحْسِبُهُ
عَرَبِيًّا ، وَالْجَمْعُ : أَجْرِبَةٌ وَجَرِبَانٌ . وَقِيلَ : الْجَرِيبُ الْمَزْرَعَةُ ، وَالْجَرِيبَةُ : الْوَادِي وَجَمْعُهُ
أَجْرِبَةٌ . وَلَمْ أَجِدْ فِي اللِّسَانِ جَرَابًا لِلْجَرِيبِ . وَلَا فِي الْقَامُوسِ .

والجريب : الوادى ، والجريبُ أيضاً : مِكْيَالٌ كبير ، والجريبُ أيضاً : الزرعة .
وأما مَلَكُوم فهو عندى مقلوب ، والأصل : مَمْكُول من : مَكَلْتُ
البئر : إذا استخرجت ماءها ، والمُكَلَّة : ماء (١) الرَّكِيَّة ، وقد قالوا : بئر
عَمِيقَة ، ومَعِيقَة ، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه :
مَمْكُول ومَلَكُوم ، والمَلَكُومُ فى اللغة : المظلوم إذا لم يكن مقلوباً (٢) .

وأما بَدَّر فمن التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا
من غير مكان واحد ، وهذا البناء فى الأسماء قليل ، نحو : شَلَّم وخَضَّم وبَدَّر ،
وهى أسماء أعلام ، وشَلَّم : اسم بيت المقدس ، وأما فى غير الأعلام ، فلا يعرف
إلا البَقَم ، ولعل (٣) أصله أن يكون أعجميا ، فعرّب .

(١) وضع اللسان ملكوم فى مادة لكم ، وفى المراسد : أنها اسم
المفعول من لكمه ، وفيه أن المسكلة بضم الميم وفتحها وسكون الكاف : جمة
البئر . الجمة المكان الذى يجتمع فيه ماء البئر . أو أول ما يستقى منها ، وفى اللسان :
المسكلة بضم الميم الشئ القليل من الماء يبقى فى البئر أو الإناء ، فهو من الاضداد
وبئر بمكولة : نزح ماؤها .

(٢) لم أجد للملكوم هذا المعنى لافى القاموس ، ولا فى اللسان ، ولها معنى الدفع
والضرب باليد مجوعة .

(٣) خَضَّم : اسم عنبر بن تميم ، وقال اللسان عن شلم : إنها عبرانية ، وزاد
من الأعلام : عثر بفتح العين ، وتضعيف الثاء مع فتح - اسم بالين ، أو واد من
أودية العقيق ، أو مأسدة . وفى المراسد أن أهل اليمن ينطقون عثر بتخفيف الثاء
وباسكانها ، انظر المراسد ، ومعجم ما استعجم وياقوت . وفى اللسان أيضا : كَثَم
بوزن عثر : اسم موضع . أما بقم فاسم شجر عظام أو خشبة . وبضم الميم مثل =

وأما خُمّ وهى بئر مرة ، فهى من خَمَّتْ البيتَ إذا كنستهُ ، ويقال : فلان تخموم القلبِ أى : نَقِيهِ ، فكانها سُمِّيتَ بذلك لنقاها .

وأما غديرُ خَمٍّ الذى عند الجُحْفَةِ ، فسُمِّيتَ بَغِيضَةٍ^(١) عنده ، يقال لها : خُمّ فيما ذكروا . وأما رُمّ بئرُ بنى كلاب بن مُرّة ، فمن رَمَتُ الشىءَ إذا جَفَعْتَهُ وأصلَحْتَهُ ، ومنه الحديث : كنا أهل ثُمّةٍ ورُمّةٍ^(٢) ، ومنه الرُّمَّانُ فى قول سيبويه ، لأنه عنده فُعلَّانٌ ، وأما الأَخْفَشُ فيقول فيه : فُعلَّالٌ ، فيجعل فيه الثُّونَ أصليّةً ، ويقول : إن سَمِّيتَ به رجلا صرَفْتَهُ . ومن قول عبدِ شمس بن قُصَيٍّ :

==سكر شجر جوز ، وزاد ابن مالك ، شمر ، اسم فرس ، فصارت ستة أسماء ، وقد نظم ابن مالك أكثرها فيما يأتى :

وبئر وبقم وشمر وخضم وعثر لفعل

ص ٦٣ ج ٢ المزهى للسيوطى .

(١) الأجمة ، وهى مغيض ماء يجتمع ، فنبت فيه الشجر .

(٢) هو فى حديث أم عبد المطلب حين أخذه عمه منها : كنا ذوى ثمة ورمّة . يقال ، ماله ثم ولا رم . فالتم : قاش البيت : والرم : مرمة البيت أى : متاعه كأنها أرادت : كنا القائمين بأمره منذ ولد إلى أن شب وقوى . وقيل : هو من قول أخوال أحيحة بن الجلاح . قال أبو عبيد : المحدثون يروونه بالضم ، والوجه عندى الفتح ، وهو لإصلاح الشىء وإحكامه ، وهو - أى الثم والرم - بمعنى الإصلاح . وقيل : هما بالضم مصدران . والمعنى على قول أبى عبيدة : كنا أهل تربيتة والمتولين لإصلاح شأنه ، وقد رواه الهروى فى حرف الراء من قول أم عبد المطلب ، ورواه فى حرف التاء من قول أخوال أحيحة ، ورواه مالك فى الموطأ عن أحيحة .

حَفَرْتُ رُمًا ، وَحَفَرْتُ حُمًا حَتَّى تَرَى الْمَجْدَ بِهَا قَدْ تَمَّ
وَأَمَّا شُقَيْةُ بَثْرُ بْنُ أَسَدٍ ، فَقَالَ فِيهَا الْحَوِيزُ ثُبْنُ بْنُ أَسَدٍ :
مَاءٌ شُقَيْةٌ كَمَا الْمُزْنِ وَلَيْسَ مَاؤُهَا بِطَرَقٍ أُجْنِ (٢)
وَأَمَّا سُنْبُلَةٌ : بَثْرُ بْنُ جُحْجُجٍ ، وَهِيَ بَثْرُ بْنُ خَلْفِ بْنِ وَهْبٍ - فَقَالَ فِيهَا
شَاعِرُهُمْ :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَةً صَوَّبَ سَحَابِ ذَوِ الْجَلَالِ أَنْزَلَةً
ثُمَّ تَرَكْنَاهَا بِرَأْسِ الْقُنْبُلَةِ نَصَبُ مَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَعْبَلَةِ
نَحْنُ سَقَيْنَا النَّاسَ قَبْلَ الْمَسْئَلَةِ

من شرح شعر مسافر :

وَأَمَّا الْعَمْرُ : بَثْرُ بْنُ سَهْمٍ ، فَقَالَ فِيهَا بَعْضُهُمْ :
نَحْنُ حَفَرْنَا الْعَمْرَ لِلْحَجِيجِ تَشْجُ مَاءٍ أَيَّمَا مُجِيجِ
ذَكَرَ أَكْثَرُهُ أَبُو عُبَيْدِ الْبَكْرِيِّ ، وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَرْجَازِ أَوْ أَكْثَرُهُ
فِي كِتَابِ الزُّبَيْرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .
فَصَل : وَذَكَرَ شَعْرَ مُسَافِرٍ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ . وَاسْمُ أَبِي عَمْرٍو :
ذَكْوَانٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَبُو سَفْيَانَ :

(١) هِيَ سَقِيَّةٌ أَوْ شَفِيَّةٌ ، وَفِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ سَنَةِ ١٣٣٢ عَلَى هَامِشِ
الرُّوضِ : سَقِيَّةٌ .
(٢) الطَّرَقُ : الْمَاءُ الَّذِي خَوْضَتُهُ الْإِبِلُ ، وَبُولَتْ فِيهِ ، وَالْأَجْنُ : الْمَاءُ
الْمُتَغَيِّرُ الطَّعْمَ وَاللَّوْنَ .

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بْنَ أَبِي عَمَّةٍ رَوِ ، وَلَيْتَ يَقُولُهَا الْمَحْزُونُ
بُورِكَ أَلَمِيَّتُ الْغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ نَضَحُ الرُّمَّانَ وَالزَّيْتُونَ (١)

في شعري يرثيه به ، وكان مات من حُبِّ صَعْبَةِ بِنْتِ الْخَضِرِيِّ .

وفي الشعر : وَنَحْرُ الدَّلَاقَةِ الرَّفْدُ (٢)

الرَّفْدُ : جمع رَفُودٍ من الرَّفْدِ ، وهي التي تَمَلَأُ إِنْاءَينِ عِنْدَ الْحَلْبِ .

وقوله :

وَنُلْقَى عِنْدَ تَصْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّدَا رُفْدَا

هو جمع رَفُودٍ أَيْضًا من الرَّفْدِ وهو : العَوْنُ ؛ والأول من الرَّفْدِ بفتح الراء
[وبكسرهما] وهو إِنْاءٌ كَبِيرٌ قَالَ الشَّاعِرُ :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَغْشَرٍ أَقْتَالَ (٣)

(١) ينسب هذا في اللسان إلى أبي طالب بن عبدالمطلب في مادة نضح. والنضح
تفطر الشجر بالورق .

(٢) فسر الخشنى في شرحه للسيرة الدلاقة بقوله : بالإبل التي تمشي متمهلة
لكثرة سمنها . وفي اللسان ، المذلاقة بدلا من : الدلاقة . وفسر المذلاقة بأنها الناقة
السريعة . أما الدلاقة ففي اللسان ، الدلوق والدلقاء : التي تنكسر أسنانها من
الكبر فتمجج الماء والرفود من الإبل التي تملأ الرفد — بكسر الراء وفتحها — القدح
الضخم في حلبة واحدة ، أو هي الدائمة على حلبها ، أو التي تتابع الحلب .

(٣) جمع قتل بكسر القاف ، وهو العدو أو الصديق والنظير وابن العم
والشجاع والقرن . والرفد بفتح الراء وكسرهما والمرفد — بكسر الميم وفتح =
(٩ م — الروض الأنف ج ٢)

وذكر أم عبد الله بن عبد المطلب ، وهى : فاطمة بنت عمرو بن عائذ
ابن عمران^(١) هكذا قال ابن هشام . وقال ابن إسحاق : عائذ بن عبد بن
عمران بن مخزوم ، والصحيح ما قاله ابن هشام ؛ لأن الزبيريين ذكروا أن عبداً
هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هى : صخرة امرأة عمرو بن عائذ
على قول ابن إسحاق ؛ لأنها كانت له عمّة ، لابنت عمّ ، فتأمله ؛ فقد تكرّر
هذا النسب فى السيرة مراراً ، وفى كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ بن عبد
ابن عمران ، ويخالفه ابن هشام . وصخرة بنت عبد أم فاطمة ، أمها :
تخمر بنت عبد بن قصي ، وأم تخمر : سلمى بنت عميرة^(٢) بن ودبة
ابن الحارث بن فهر . قاله الزبير :

== الفاء ، أو بفتح الميم وكسر الفاء — القدح العظيم ، وفى اللسان : هراقت السماء ماءها
تهريق ، والماء مهراق . الهاء فى ذلك كله متحركة ، لأنها ليست أصلية ، إنما هى بدل
من همزة : أراق ، وهرفت مثل أرفت . وقد نسب إلى الأزهرى ، ونسب إليه
أيضاً أنه قال : ومن قال : أهرقت فهو خطأ فى القياس . ومثل هرفت والاصل أرفت
قولهم هرحت الدابة وأرحتها ، وهزرت النار وأنرتها . وقال أبو زيد : الهاء منها
زائدة ، كما قالوا : أنهأت اللحم والاصل أنأته . وقال بعض النحويين إنما هو هراق
يهرق ؛ لأن الاصل من أراق يريق يؤريق لأن أفعل يفعل كان فى الاصل يؤفعل .
والجوهرى يقول : هراق الماء يهر يقه بفتح الهاء هراقة — بكسر الهاء — صبه
(١) هى كذلك فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٣ ونسب قريش

ص ١٧ وفى حذف نسب قريش للسدوسى ص ٥ .

(٢) فى نسب قريش : سلمى بنت عامرة بن عميرة الخ ص ١٧ .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبدُ المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين لقي من قريش مالتى عند حفر زمزم : لئن وُلد له عشرة نَفَرٍ ، ثم بلغوا معه حتى يَمْنَعُوهُ ، لَيَنْفَحَنَّ أَحَدَهُمُ اللهُ عِنْدَ الكعبة . فلما توافى بنوه عشرةً ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جَمَعَهُمْ ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قِدْحًا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم اثتوني ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبَلٍ في جوف الكعبة ، وكان هُبَلٌ على بئر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يهدى للكعبة .

وكان عند هُبَلٍ قِدَاحٌ سَبْعَةٌ ، كل قِدْحٍ منها فيه كتاب . قِدْحٌ فيه العقل ، إذا اختلفوا في العقل من يَحْمِلُهُ منهم ، ضربوا بالقِدَاحِ السَّبْعَةِ ، فإن خرج العقل فعلى من خَرَجَ حَمْلُهُ . وقِدْحٌ فيه : نعم . للأمر إذا أرادوه يُضْرَبُ ، به في القِدَاحِ ، فإن خَرَجَ قِدْحٌ نعم ، عملوا به . وقِدْحٌ فيه : لا ، إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القِدَاحِ ، فإن خرج ذلك القِدَاحُ لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقِدْحٌ فيه : منكم ، وقِدْحٌ فيه مُلْصَقٌ : وقِدْحٌ فيه : من غيركم : وقِدْحٌ فيه : المياه ، إذا أرادوا أن يَحْفِرُوا للماء ضَرَبُوا بالقِدَاحِ ، وفيها ذلك القِدْحُ ، فحيثما خَرَجَ عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يَخْتَنُوا غلاماً ، أو يُنْكِحُوا منكحاً ، أو يَدْفِنُوا

• • • • •

مَيْتًا ، أَوْ شَكُوا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ ، ذَهَبُوا بِهِ إِلَى هُبَلٍ وَبِمِثَّةٍ دَرَاهِمَ وَجَزُورٍ ، فَأَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يَرِيدُونَ بِهِ مَا يَرِيدُونَ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا إِلَهَنَا هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَدْ أَرَدْنَا بِهِ كِذَابًا وَكِذًا ، فَأَخْرَجَ الْحَقُّ فِيهِ . ثُمَّ يَقُولُونَ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ : فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْكُمْ ، كَانَ مِنْهُمْ وَسِيطًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْ غَيْرِكُمْ ، كَانَ حَلِيفًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مُلْصَقٌ ، كَانَ عَلَى مَنَزَلَتِهِ فِيهِمْ ، لَا نَسَبَ لَهُ ، وَلَا حِلْفَ ، وَإِنْ خَرَجَ فِيهِ شَيْءٌ ، مِمَّا سِوَى هَذَا مِمَّا يَعْمَلُونَ بِهِ : نَعَمْ عَمِلُوا بِهِ ، وَإِنْ خَرَجَ : لَا ، أَخْرَوْهُ عَامَهُ ذَلِكَ ، خَتَى يَأْتُوهُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، يَنْتَهُونَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَتْ بِهِ الْقِدَاحُ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لَصَاحِبَ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ عَلَى بَنِي هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ ، وَأَخْبِرْهُ بِنَذْرِهِ الَّذِي نَذَرُ ، فَأَعْطَاهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِيدْحَهُ الَّذِي فِيهِ اسْمُهُ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَصْفَرَ بَنِي أَبِيهِ ، كَانَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ وَأَبُو طَالِبٍ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَائِذُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ — فِيمَا يَزْعُمُونَ — أَحَبَّ وَلَدِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَيْهِ ، فَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَرَى أَنَّ السَّهْمَ إِذَا أَخْطَأَ فَقَدْ أَشْوَى . وَهُوَ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَلَمَّا أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ عِنْدَ هُبَلٍ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ ، فَخَرَجَ الْقِدْحُ

• • • • •

على عبد الله ، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشَّفْرة ، ثم أقبل به إلى إساف وناثلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أُنْدَيْتِها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قُرَيْشُ وبنوه : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعْذَرَ فيه . لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ ! وقال له الْمُغِيرَةُ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يَقْظَةَ - وكان عبد الله ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعْذَرَ فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فَدَيْنَاهُ . وقالت له قريش وبنوه . لا نفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإنَّ به عَرَافَةٌ لها تابع ، فسَلَّمَهَا ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمرك وله فيه فَرَجٌ قَبِيلَتُهُ .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها - فيما يزعمون - بحَيْرٍ . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبدُ المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونَذَرَهُ فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتيَنِي تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم غَدَا عليها ، فقالت لهم : قد جاءني الخبرُ ، كم الدِّيَّةُ فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قَرَّبُوا صاحبكم ، وقَرَّبُوا عشرًا من الإبل ، ثم اضربوا عليها ، وعليه بالقِدَاح ، فإن خرجت على صاحبكم ، فزِيدُوا من الإبل حتى يَرْضَى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه ، فقَدَرَضِي ربُّكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام

• • • • •

عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم قرَّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هَبِل يدعو الله عزَّ وجلَّ !! ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزَّ وجلَّ ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبل خمسين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبل ستين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبل سبعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبل تسعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبل مئة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رِضا ربِّكَ يا عبدَ المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، نِجْرَج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبدُ المطلب قائمٌ يدعو الله ، فضربوا ، نِجْرَج القِدْح على

• • • • •

الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج
القِدْح على الإبل : فُنَحِرَتْ : ثم تُرِكَت لا يُصَدَّ عنها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سَبْعٌ .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحَّ عندنا عن أحد
من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضه لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فرَّ به
- فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب
ابن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : وهى أخت وَرَقَة بن نوفل
ابن أسد بن عبد العزى : وهى عند الكعبة : فقالت له حين نظرت إلى وجهه :
أبن تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثلُ الإبل التى نَحِرْتُ
عنك : وَقَعَ عَلَى الآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خِلافَه . ولا فراقه .

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهرَة
ابن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر - وهو يومئذ سيّد
بني زُهرَة نسبا وشرقا - فزوَّجه ابنته آمنة بنت وَهْب ، وهى يومئذ أفضلُ
امرأة فى قُرَيْش نسبا وموضعا .

وهى لبَّرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب
ابن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وبَّرة : لأم حبيب بنت

• • • • •

أسد بن عبد الغزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم حبيب : لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويم بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

فزعوا أنه دخل عليها حين أمليها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليوم ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس [لى] بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصّر واتبع الكتب : أنه كائن في هذه الأمة نبي .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار : أنه حدث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج حامدا إلى آمنة ، فمرّ بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ثم مرّ بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى وبين عينيّك غرة بيضاء ، فدعوتك فأبيت علىّ ، ودخلت على آمنة فذهبت بها .

قال ابن إسحاق : فزعوا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مرّ بها وبين عينيّه غرة مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك

.

بني ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه - صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله

صلى الله عليه وسلم

ويرضعون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تحدث :

أنها أتيت ، حين حملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض ، فقولى : أعينه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثم سمّيه : محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت به قصور بصرى ، من أرض الشام .

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن هلك ، وأم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حاملٌ به .

نذر عبد المطلب :

فصل : وذكر نذر عبد المطلب أن ينحدر ابنه إلى آخر الحديث . وفيه أن عبد الله ، يعنى : والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أصغر بني أبيه ، وهذا غير معروف ، ولعلّ الرواية : أصغر بني أمّه ، وإلا فخمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس : أصغر من خمزة ، وروى عن العباس - رضى الله عنه - أنه قال : أذكر مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا

ابن ثلاثة أعوامٍ أو نحوها ، فجىء بى حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقنن
لى : قَبِّلْ أَخَاكَ ، قَبِّلْ أَخَاكَ ، فقبلته ، فكيف يصح أن يكونَ عبدُ الله هو
الأصغر مع هذا ؟ ! ولكن رواه البَكَّاؤِيُّ كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو
أن يكونَ أصغرَ ولد أبيه حين أراد نحْرَه ، ثم وُلد له بعد ذلك حَزْرَةُ
والعباسُ .

وسائرُ حديث عبد المطلب ليس فيه ما يُشْكِل . وفيه أن الدِّيَّة كانت

(١) أولاد عبد المطلب هم — كافي نسب قريش : عبد الله ، وأبو طالب —
— واسمه : عبد مناف — والزيبر ، وأم حكيم البيضاء الملقبة بالحصان — بفتح
الحاء — توأمة عبد الله والد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعاتكة ، ومرة ،
وأميمة ، وأروى أمهم : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحزرة ،
والمقوم ، وحجل أو جحل — واسمه : المغيرة — وصفية وأمهم : هالة بنت
أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار ، وأمهما نائلة بنت جناب
ابن كليب ، والحارث وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى — وقثم هلك صغيراً وأمهما :
صفية بنت جندب بن حجير بن رثاب ، وأبو لهب — واسمه عبد العزى — وأمه :
لبنى بنت هاجر بن عبد مناف . والغيداق — واسمه : مصعب ، وأمه خزاعية
وفى جهرة أنساب العرب : عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، ويكنى أبا عتبة
والزيبر والمقوم والحارث وحزرة والعباس ، وأربع بنات . فعبد الله ، وأبو طالب
والزيبر وأم حكيم ، وعاتكة ، ومرة ، وأميمة ، وأروى . أشقاء من
أم واحدة .

وحزرة والمقوم وحجل وصفية أشقاء من أم واحدة .

والعباس وضرار شقيقان ، والحارث ، وقثم شقيقان ، وأبو لهب من أم ،
والغيداق من أم .

بِعُشْرِ مِنَ الْإِبِلِ قَبْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ : وَأَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالْمِائَةِ إِذَا : عَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ أَنَّ أَبَا سَيَّارَةَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ الدِّيَّةَ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالْإِبِلِ مِنَ الْعَرَبِ : فَزَيْدُ ابْنِ بَكْرٍ بَنِ هَوَازِنَ قَتَلَهُ أَخُوهُ مُعَاوِيَةُ جَدُّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَفْصَعَةَ (١) .

وَأَمَّا السَّكَاهَةُ الَّتِي تَحَاكُمُوا إِلَيْهَا بِالْمَدِينَةِ فَاسْمُهَا : قُطْبَةُ . ذَكَرَهَا عَبْدُ الْغَنِيِّ فِي كِتَابِ الْغَوَامِضِ وَالْمُبَهَّمَاتِ ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ أَنَّ اسْمَهَا : سَجَّاحٌ .

تَزْوِيجُ عَبْدِ اللَّهِ :

فَصْلٌ : وَذَكَرَ تَزْوِيجَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ، وَذَكَرَ الْبَرْقِيُّ فِي سَبَبِ تَزْوِيجِ عَبْدِ اللَّهِ أَمْنَةَ : أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلِبِ كَانَ يَأْتِي الْيَمِينَ ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِيهَا عَلَى عَظِيمٍ مِنْ عِظَائِهِمْ ، فَنَزَلَ عِنْدَهُ مَرَّةً ، فَإِذَا عِنْدَهُ رَجُلٌ يَمْنُ قَرَأَ الْكِتَابَ ، فَقَالَ لَهُ : ائْذَنْ لِي أَقْسُ مِنْخِرَكَ (٢) ، فَقَالَ : دُونَكَ فَانْظُرْ ، فَقَالَ : أَرَى نُبُوَّةً وَمُلْكًا ، وَأَرَاهَا فِي الْمَنَافِقِينَ : عَبْدُ مَنَافٍ بْنُ قُصَيٍّ ، وَعَبْدُ مَنَافٍ بْنُ زَهْرَةَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الْمَطْلِبِ انْطَلَقَ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ،

(١) اسم زيد في جمهرة أنساب العرب : يزيد . وفيه أيضا أن يزيد هو الذي قتل معاوية ، فجعل فيه عامر بن الطرب العدة وافي مائة من الإبل ، وهي أول دية قضى فيها بذلك ، وتقول العرب إن لقمان كان جعلها قبل ذلك مائة جدي .
ص ٢٥٢ جمهرة ابن حزم .

(٢) في القاموس — بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما ، وكمجلس وملبول .
« بضم الميمين » : الأنف .

فتزوج عبدُ الْمُطَلِّبِ هَالَةَ بِنْتَ وَهَيْبٍ^(١) ، وهى أم حمزة - رضى الله -
عنه ، وزوج ابنة عبد الله آمنَةَ بنت وَهَبٍ ، فولدت له رسول الله - صلى الله
عليه وسلم .

مول أمهات النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر أمها وأم أمها ، والثالثة وهى : بَرَّةُ بنت عَوْفٍ^(٢) ، وقد قدمنا
فى أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة^(٣) ونسبهن ، فليُنظَر هُنالك .
وأما أم هالة فهى : الْعَبْلَةُ بنت المطلب ، وأمها : خديجة بنت سُعَيْدِ بْنِ
سَهْمٍ^(٤) ، وقد أشكل على بعض الناس فى هذا الخبر أن عبد المطلب نذر

(١) فى نسب قريش : أهيب ص ١٧ ، وفى جهرة ابن حزم ص ١٣ : وهيب .
(٢) فى السيرة : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج . وفى كتاب حذف
نسب قريش للسدوسى ص ٦ : ضبطت عويج بفتح العين . وكسر الواو . وأكثر
المراجع ذكرته بضم العين وفتح الواو .

(٣) فى نسب قريش عن أم برة : وأمها أميمة بنت مالك بن غنم بن حنش
ابن عادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن مُهْذِل ، وأمها : قلابة بنت الحارث -
وهو أبو قلابة الشاعر ، وهو أقدم من قال الشعر فى هذيل . واسم أبى قلابة :
الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن مُهْذِل . وأمها : دَبَّةُ
بنت الحارث بن تميم وأمها : لبنى بنت الحارث بن النشم بن جرمة بن
أسيّد بن عمرو بن تميم بن مُرَّ بن أد بن طابخة بن الياس ص ٢١ وأم حبيب
بنت أسد المذكورة فى السيرة سماها السدوسى : حبيبة ص ٦ .

(٤) فى نسب قريش ص ٩٢ ذكر أن أمها هى خديجة بنت سعيد بن بحر بن
سهم بن عمرو بن مُهْصِيص ولكنّه ذكر فى ص ١٧ أن أمها هى خديجة بنت
سُحَيْد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص : وليس لسهم بن عمرو ولد اسمه =

نَحَرَ أَحَدَ بَنِيهِ إِذَا بَلَغُوا عَشْرَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ تَزْوِيجَهُ هَالَةً أُمَّ
ابْنِهِ حَمْرَةَ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ بَنْدَرِهِ ، حَمْرَةُ وَالْعَبَّاسُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِنَّمَا
وُلِدَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بَنْدَرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ جَمِيعُ أَوْلَادِهِ عَشْرَةَ . وَلَا إِشْكَالَ فِي هَذَا ،
فَإِنْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا : كَانَ أَعْمَامُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اثْنَتَيْ عَشَرَ ، وَقَالَ
أَبُو عُمَرَ ، فَإِنْ صَحَّ هَذَا فَلَا إِشْكَالَ فِي الْخَبَرِ ، وَإِنْ صَحَّ قَوْلُ مَنْ قَالَ : كَانُوا
عَشْرَةً بَلَا مَزِيدٍ ، فَالْوَلَدُ يَقَعُ عَلَى الْبَنِينَ وَبَنِيهِمْ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا ، فَكَانَ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ عَشْرَةُ رِجَالٍ حِينَ وَفَى بَنْدَرِهِ .
المرأة التي دعت عبد الله :

وَيُرْوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ حِينَ دَعَتْهُ الْمَرْأَةُ الْأَسَدِيَّةَ إِلَى نَفْسِهَا لِمَا
رَأَتْ فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ ، وَرَجَتْ أَنْ تَحْمَلَ بِهَذَا النَّبِيِّ ، فَتَكُونَ
أُمُّهُ دُونَ غَيْرِهَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ حِينَئِذٍ فِيمَا ذَكَرُوا :

أَمَّا الْخُرَامُ فَالْحَامُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِيهِ يَحْيَى الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ !
وَأَسْمَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ : رَقِيَّةُ ^(١) بِنْتُ نَوْفَلٍ أُخْتُ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ؛ تُكْنَى : أُمُّ

==بحر . وَإِنَّمَا كُلُّ وَلَدِهِ سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَرَثَابٌ . وَمِنْ وَلَدِ سَعْدٍ : سُعَيْبٌ الَّذِي أَعْقَبَ
أَوْلَادًا مِنْهُمْ : خَدِيجَةُ هَذِهِ الَّتِي يَذْكُرُ أَنَّهَا أُمُّ عُبَلَةَ . انْظُرْ ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ نَسَبِ
قَرِيشَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ أَوْلَادِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ مِنْ أَسْمَى خَدِيجَةَ ، وَإِنَّمَا قَالَ : لِأَنَّهَا بِنْتُ
سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ ص ٤٠٨ وَانْظُرْ ص ١٥٤ وَمَا بَعْدَهَا جَهْرَةً النَّسَبِ .

(١) فِي الْبَدَايَةِ ج ٢ ص ٢٦٢ أَنَّ اسْمَهَا رُقَيْصَةُ . وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ
مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَانْظُرْ ص ٥٣ مِنْ شَرْحِ السَّيْرَةِ لِلْخَشَنِيِّ .

قتال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر
البرقي عن هشام بن الكلبي ، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة (١)
بنت مُرٍّ ، كانت من أجل النساء وأعفن (٢) ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت
نور النبوة في وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إني رأيتُ مَخِيلَةَ نَشَأَتْ فَتَلَأَلَتْ بِحَنَاتِمِ الْقَطْرِ (٣)
فَلَمَّا تَهَا نُورًا يُضِيءُ بِهِ مَا حَوْلَهُ كإضاءةِ الْفَجْرِ (٤)
ورأيتُ سُقْيَاهَا حَيًّا بَلَدٍ وَقَعَتْ بِهِ وَعِمَارَةُ الْفَقْرِ (٥)

(١) كانت - كما روى الخرائطي - كاهنة من أهل قبالة متهودة خثعمية ، وأنها
عرضت عليه مائة من الإبل ليقع عليها في لحظتها ، فأبى . وأقول : لم ترد مسألة
النور هذه في صحاح الأحاديث ، ولا يرفع من قيمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن نردد
هذا . وقزابة بن زهرة بن كلاب من رسول الله - ص - من وجهين . أحدهما :
أنهم أقارب أمه ، والثاني : لإخوة قصي بن كلاب بن مرة ، وهو جد والد جد النبي .
والمشهور أن زهرة اسم الرجل - وهو المغيرة - أما ابن قتيبة ، فيقول : لأنه اسم
امراته ص ٤١٧ ج ١١ فتح الباري .

(٢) في الأصل وأعفه .

(٣) الشعر ينسب أيضا إلى الخثعمية الكاهنة التي عرضت نفسها على عبد الله
والخيلة : السحابة التي تغالها ماطرة وهي بضم الميم وفتحها . وحناتم : جمع
حنتمة : السحابة السوداء لامتلائها من الماء ، وفي الطبري : لمعت بدلا من : نشأت .
(٤) لماتها : أبصرتها .

وفي الطبري : له ، والبدر بدلا من به ، والفجر ، والبيت في اللسان .

(٥) لا يوجد هذا البيت في الطبري .

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : وُلِدَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل .

قال ابن إسحاق : وحدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قيس بن مخزومة . قال :

ولدتُ أنا ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ . قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارَةَ الأنصاري . قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت ، قال : والله إني لفلان يَفْعَةُ ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعْقِلَ كلَّ ما سمعت ، إذ سمعتُ يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمَةٍ بِبَيْتِ رَبِّ : يا معشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : وياك مالك ؟ قال : طَلَعَ الليلةَ نجمُ أحمد الذي وُلِدَ به .

ورأيتُه شَرَفًا أبوء به (١) ما كُلُّ قَادِحٍ زَنَدَه يُورِي
لِلَّهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ منك الذي اسْتَلَبَتْ وما تَدْرِي (٢)
وفي غريب ابن قتيبة : أن التي عرضت نفسها عليه هي : ليلي العَدَوِيَّة .

(١) في الطبري : فرجوتها غفرا أبوء به .
(٢) في الطبري : ثوبيك ما استلبت وما تدري . هذا وقد ذكر الطبري لها قصيدة أخرى عدتها ست أبيات وجاء في آخرها .
ولما حوت منه أمانة ما حوت حوت منه غفرا ما لذلك ثان

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ،
فقلت . ابنُ كَمْ كان حسان بن ثابت مَقْدَمَ رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقَدِمَها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسانُ ما سَمِعَ ، وهو ابن
سبع سنين .

قال ابن إسحاق : فلما وضعتُه أُمُّهُ - صلى الله عليه وسلم - أرسلت إلى
جدِّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلِدَ لك غلام ، فَأَتِهَ فانظر إليه ، فَأَتَاهُ فنظر إليه ،
وحدَّثَتْهُ بما رأت حين حَمَلَتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمِرَتْ به أن تُسمِّيَهُ .
فیزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ،
ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أُمِّهِ فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله -
صلى الله عليه وسلم - الرضعا .

قال ابن هشام : المراضع . وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى
عليه السلام : « وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ » .

قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بنى سَعْدِ بن بكر ، يقال لها :
حليمة ابنةُ أَبِي ذُؤَيْب .

وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنَةَ بن جابر بن رِزَامِ بن
ناصر بن فُضَيْيَةَ بن نَصْر بن سَعْدِ بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة
ابن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان [بن مضر] .

.

واسم أبيه الذي أرضعه - صلى الله عليه وسلم - الحارث بن عبد العزى
ابن رفاعة ابن ملان بن ناصرة بن فضة بن نصر بن سعد بن بكر
ابن هوازن .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة
بنت الحارث ، وخدامة بنت الحارث ، وهى الشيماء ، غلب ذلك على اسمها
فلا تُعرف فى قومها إلا به . وهم حليلة بنت أبى ذؤيب ، عبد الله بن الحارث ،
أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب
البحري : عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أو عن حدثه عنه قال :

كانت حليلة بنت أبى ذؤيب السعدية ، أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
التي أرضعته ، تحدث : أنها خرجت من بلدّها مع زوجها ، وابن لها صغير
ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك
فى سنة شهباء ، لم تبق لنا شيتا . قالت : فخرجت على أتان لى قمراء ، معنا
شارف لنا ، والله ما تبصّ بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ،
من بكائه من الجوع ، ما فى يديّ ما يغنيه ، وما فى شارفنا ما يغديه - قال ابن
هشام : ويقال : يغديه - ولكنّا كنّا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى

تلك ، فلقد أدمنتُ بالركب ، حتى شقّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً ، حتى قدّمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فتأباه ، إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك : أنا إنما كنّا نرجو المعروف من أبي الصبيّ ، فكُنّا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمّه وجدّه ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدّمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم ، فلا أخذه ، قال : لا عليك أن تفعل ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قالت : فذهبتُ إليه فأخذه ، وما تخافني على أخذه إلا أني لم أجد غيره . قالت : فلما أخذه ، رجعت به إلى رَحْلي فلما وضعته في حِجْري أقبلَ عليه تديباً بما شاء من لبن ، فشرّب حتى روي ، وشرّب معه أخوه حتى روي ، ثم ناما ، وما كنّا ننام معه قبلَ ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافلٌ ، فحلب منها ما شرب ، وشربتُ معه حتى انتهينا ريثاً وشبعا ، فبقنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أضحنا . تملّى والله يا حليمة ، لقد أخذت نَسمة مباركة ، قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من خُهرهم ، حتى إن صواحي ليقان لي : يا بنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بلى والله ، إنها لهي هي ، فيقلن : والله إن لها لشأنا . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها . فكانت غنمي تروح على حين قدّمنا به معنا شبياعاً لبناً . فنحلب ونشرب .

وما يحبب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع . حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرُعيانهم : وبلدكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جيعا ما تبض قطرة لبن ، وتروح غنمى شباا لبنا ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ؛ وكان يشب شباا لا يشبه العلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا . قالت : فقدّمنا به على أمّه ونحن أحرصُ شيء على مكثه فينا ؛ لما كنّا نرى من برّكته . فكلّمنا أمّه ، وقالت لها : لو تركتُ بنى عدى حتى يفاظ ، فإنى أخشى عليه وبأ مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردّته معنا .

قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدّمنا بأشهر مع أخيه لنى بهم لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعا ، فشقا بطنه ، فهما يسوطانه قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما مُنتقعا وجهه . قالت : فالترّمته والترّمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بنى ، قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاى وشقا بطنى ، فالتمسا شيئا لا أدرى ما هو . قالت : فرجعنا إلى خبائنا .

قالت : وقال لى أبوه : يا حكيمة ، لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أصيب ، فالحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدّمنا به على أمّه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظنرُ ، وقد كنت حريصة عليه ، وعلى مكثه عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابنى وقضيتُ الذى على ، وتخوّفت

الأحداث عليه ، فأدّيته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فأصدقيني خبرك . قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبنيّ لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج مني نورٌ أضاء لي قصورَ بصرى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قطُّ كان أخفّ ولا أيسرَ منه ، ووقع حين ولدته ، وإنه لواضعٌ يديّه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلقى راشدةً .

قال ابن إسحاق : وحدثني ثور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي : أن نفرًا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا له : يارسول الله . أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصورَ الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر . فبينما أنا مع أخٍ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا . إذ أتاني رجلان عليهما ثيابٌ بيض بطّست من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذاني فشقّا بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقّاه . فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها . ثم غسلا قاي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بمشرة من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمئة من أمته . فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمة لوزنها .

فصل في المولد

في تفسير بقي بن مخلد أن إبليس - لعنه الله - رَنَّ أَرْبَعَ رَنَاتٍ : رَنَةً حين لُيِّنَ ، وَرَنَةً حين أُهَيِّطَ ، وَرَنَةً حين وُلِدَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وَرَنَةً حين أُنْزِلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ . قال : والرَّائِنُ والنَّخَارُ ^(١) من عملِ الشَّيْطَانِ . قال : ويُكْرَهُ أن يُقال : أمُّ الْكِتَابِ ، ولكن : فَاتِحَةُ الْكِتَابِ . وروى عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ عن أمِّه أمِّ عُمَانَ ^(٢) النَّقِيقَةِ ، واسمُها : فَاطِمَةُ بنت عبد الله ، قالت : « حَضَرْتُ وَلَادَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَرَأَيْتُ الْبَيْتَ حين وُضِعَ قَدْ امْتَلَأَ نُورًا ، وَرَأَيْتُ النُّجُومَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَقَعُ عَلَيَّ » . ذَكَرَهُ أَبُو عُومَرُ فِي كِتَابِ النِّسَاءِ . وَذَكَرَهُ

(١) الرنة : الصيحة الشديدة ، والصوت الحزين عند الغناء أو البكاء . والنخار صوت يخرج من الحياشيم .

(٢) في الأصل : د أبي العاص أمه عن أم عثمان ، والتصويب من كتب السنة وقد أسلم عثمان هذا في وفد ثقيف ، واستعمله النبي على الطائف ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر . وهو الذي منع ثقيفا عن الردة إذ خطبهم ، فقال : كنتم آخر الناس لإسلاما ، فلا تكونوا أولهم ارتدادا ، وجاء عنه أنه شهد آمنه لما ولدت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قصة أخرجها البيهقي في الدلائل والطبراني من طريق محمد بن أبي سويد للثقي عنه ، قال : حدثني أمي : فعلى هذا يكون عاش نحو من ١٢٠ سنة . والإصابة رقم ٥٤٣٣ ، وحديثها لم يروه سوى البيهقي والطبري وابن عبد البر . ويقول الزركشي : إن ولادة النبي ص ، كانت نهرا ، ونقل تضعيف ابن دحية لرواية تدل النجوم ليلة مولده .

الطبري أيضاً في التاريخ (١) . وولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معذورا مشرورا ، أي : مختونا مقطوع الشجرة (٢) يقال : عذِر الصبي وأعذِر . إذا ختن ، وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ، ولا غير ذلك ، ولما وضعته - صلى الله عليه وسلم - وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يديه ، مشيراً بالسبابة كالمسبح بها ، وذكر ابن دُرَيْد أنه ألقيت عليه جفنة لئلا يراه أحدٌ قبل جده ، فجاء جده ، والجفنة قد انفلقت عنه (٣) ، ولما قيل له : ما سميت ابنك ؟ فقال : محمداً ، فقيل له :

(١) ص ١٥٦ ج ٢ الطبري .

(٢) ضعف ابن كثير كل الأحاديث التي رويت عن هذا ثم قال : وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر ، وفي هذا كله نظر ، وقال عن الحديث الذي زعم فيه الراوي أن جبريل ختن النبي : « وهذا غريب جدا » . ثم قال : « وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه ، وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها ، ص ٢٦٥ ج ٢ البداية . وقال ابن القيم في زاد المعاد : « إنه روى في كونه ولد مختونا مشرورا حديث لا يصح ، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ثم قال : وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ، فإن كثيراً من الناس يولد مختونا ، ويقول ابن العديم : إنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب .

(٣) الذي ذكره ابن دريد : « وكانت سنهم في المولود إذا ولد في استقبال الليل كفستوا عليه قدرا حتى يصبح ، ففعلوا ذلك بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فأصبحوا ، وقد انشقت عنه القدر ، ص ٨ الاشتقاق ط ١ السنة المحمدية ، ولم يسندها إلى أحد . وأقول : كل ما سبق ذكره لم يرد في حديث يعتد به . وليس الرسول عليه الصلاة والسلام في حاجة إلى أن نكذب له ، وليس من الصلاة عليه أن نكذب عليه !!

كيف سَمَّيتَ باسمٍ ليس لأحدٍ من آبائك وقومك؟! فقال : إني لأرجو أن يَحْمَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ ^(١) ، وذلك لرؤيا كان رآها عبدُ المطلب ، وقد ذكر حديثها عليُّ القَيْرَوَانِيُّ العَابِرُ في كتابِ البُستان . قال : كان عبدُ المطلب قد رأى في منامه كأنَّ سِلْسِلَةً من فِضَّةٍ خرجت من ظَهْرِهِ لها طَرَفٌ في السماء وطَرَفٌ في الأرض ، وطرف في المشرق ، وطَرَفٌ في المغرب ، ثم عادت كأنها شَجَرَةٌ ، على كُلِّ ورقةٍ منها نورٌ ، وإذا أَهْلُ المشرق والمغرب كأنهم يَتَعَلَّقُونَ بها ، فَقَصَّها ، فَعُبِّرَتْ له بمولودٍ يكون من صُلْبِهِ يَتَّبِعُهُ أَهْلُ المشرق والمغرب ، ويَحْمَدُهُ أَهْلُ السماء والأرض ^(٢) ، فلذلك سَمَّاهُ : مُحَمَّدًا مع ما حَدَّثَنِي به أُمُّه حين قيل لها : إنك تَحْمَلِينَ بسيدِ هذه الأُمَّة ، فإذا وَضَعْتَهُ فسمِّيه مُحَمَّدًا . الحديث .

اسم محمد وأحمد :

قال المؤلف : لا يُعْرَفُ في العربِ من تَسَمَّى بهذا الاسم قبله - صلى الله عليه وسلم - إلا ثلاثة طمع آباؤهم - حين سمعوا بذكر محمد - صلى الله عليه وسلم - وبقرُب زمانه ، وأنه يُبعثُ في الحجاز - أن يكون ولدا لهم . ذكرهم ابنُ فُورَكٍ في كتابِ الفصول ، وهم : محمد بن سفيان بن مُجاشع ، جدُّ جدِّ القُرْزَدِيِّ الشاعر ، والآخرُ : مُحَمَّدُ بنُ أَحْيَيجَةَ بنِ الجُلاَحِ بنِ الحَرِيشِ بنِ جُمحى ^(٣) بن كُلفَةَ

(١) في الاشتقاق : أردت أن يُحْمَدَ في السموات والأرض .

(٢) سَيَاقُ السَّلامِ عن هذا كله والروايات واهية .

(٣) هو جَحْجَجَبِي - بفتح الجيم الأولى والأخرى . وبسكون الحاء وفتح الهاء . فقد ورد هكذا في نسب قريش ، وفي اللسان ، وفي الاشتقاق لابن دريد =

ابن عَوْف بن عَمْرُو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْسِ ، والآخر : محمد بن حُخْران بن رَبِيعَة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفَدُوا على بعض الملوك ، وكان عنده عِلْمٌ من الكتابِ الأوَّلِ ، فأخبرهم بمبعثِ النبي - صلى الله عليه وسلم - وباسمه ، وكان كلُّ واحدٍ منهم قد خَلَفَ امرأته حاملاً ، فنذر كلُّ واحدٍ منهم : إن وُلِدَ له ذَكَرٌ أن يُسَمِّيَه محمداً ، ففعلوا ذلك .

قال المؤلف : وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمُحَمَّدُ في اللغة هو الذي يُحَمَّدُ محمداً بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّلٌ مثل : مُضَرَّبٌ ومُمدَّحٌ إلا لمن تكرر فيه الفعلُ مرة بعد مرة .

وأما أحمد فهو اسمُه - صلى الله عليه وسلم - الذي سُمِّيَ به على لسان عيسى وموسى - عليها السلام - ، فإنه منقول أيضاً من الصِّفَةِ التي معناها

== وفي القاموس ، وفي جهرة أنساب العرب . وفي الاشتقاق لابن دريد عن محمد بن أحبيحة أنه محمد بن بلال بن أحبيحة ، وفي جهرة أنساب العرب : محمد بن عقبة بن أحبيحة . وفي اللسان عن ابن بَرِي أن من سمي في الجاهلية بمحمد سبعاً ، وقد عدهم وذكر منهم الثلاثة الذين ذكرهم السبيلي . وانظر ص ١٦ نسب قريش ، ص ٩ الاشتقاق ، ص ٣١٥ جهرة ابن حزم ، ومادة حمد في اللسان ومادة جحب في القاموس . وفي الخزانة للبغدادى ورد أن الذين سموا باسم محمد في الجاهلية يبلغون عشرين أو خمسة عشر ، وذكر مغطاي أن عددهم خمسة عشر رجلاً . انظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق بتعليقات الأستاذ عبد السلام هارون ، هذا ويذكر ابن دريد أن العرب سمت في الجاهلية : أحمد ، وذكر منهم أربعة ص ٩ وما بعدها .

التفضيلُ ، فعنى أحمد : أى أحمَدُ الحامدين لربه ، وكذلك هو المعنى ؛ لأنه
تُنْتَجح عليه فى المقام المحمود محامد لم تُنْتَجح على أحد قبله ، فيحمد ربه بها ؛
ولذلك يُتَقَدِّله لواء الحمد .

وأما محمد فنقول من صفة أيضاً ، وهو فى معنى : محمود . ولكن فيه معنى
المبالغة والتكرار ، فالحمدُ هو الذى حُمد مرة بعد مرة ، كما أن المُكرَّم مَنْ
أُكْرِيم مرة بعد مرة ، وكذلك : المُمدَّح ، ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ،
والله - سبحانه - وتعالى سماه به قبل أن يُسمَّى به نفسه ، فهذا علم من أعلام نبوته ؛
إذ كان اسمه صادقا عليه ، فهو محمود - عليه السلام - فى الدنيا بما هدى
إليه ، ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة ، فقد نكرر
معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ، ثم إنه لم يكن محمداً ، حتى كان أحمداً حمد ربه
فنبأه وشرَّفه ؛ فلذلك تقدم اسمُ أحمدَ على الاسم الذى هو مُحَمَّدٌ ، فذكره
عيسى - صلى الله عليه وسلم - فقال : اسمه أحمدٌ ، وذكره موسى
- صلى الله عليه وسلم - حين قال (١) له ربه : تلك أمة أحمد ، فقال : اللهم اجعلنى
من أمة أحمد ، فبأحمد ذكر قبل أن يُذكر بحمد ؛ لأن حمده لربه كان قبل
حمد الناس له ، فلما وُجد وبُعث ، كان محمداً بالفعل .

وكذلك فى الشفاعة يَحْمَدُ ربه بالحامد التى يفتحها عليه ، فيكون أحمد
الحامدين لربه ، ثم يُشَفَّعُ فيحمد على شفاعته . فانظر : كيف ترتب هذا

(١) قبل هذا ورد كما ذكر ابن القيم : « موسى قال لربه : يا رب إني أجد
أمة من شأنها كذا وكذا ، فاجعلهم أمتي ؟ » ، ص ١٢٦ جلاء الأفهام وهو حديث ساقط

الاسم قبل الاسم الآخر^(١) في الذكر والوجود ، وفي الدنيا والآخرة تلخ

(١) أطال ابن القيم في إبداع في شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفترق بين محمد وأحمد من وجهين. فقال : وأحدهما محمد إن : هو المحمود حدا بعد حد ، فهو دال على كثرة حد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، وأحد : أفعال تفضيل من الحمد يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره ، فمحمد : زيادة حمد في السمية ، وأحد : زيادة في الكيفية. فيحمد أكثر حمد ، وأفضل حمد حمده البشر. والوجه الثاني : أن محمدا هو المحمود حدا متكررا كما تقدم ، وأحد هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره ، فدل أحد الاسمين وهو : محمد على كونه محمودا ، ودل الاسم الثاني ، وهو أحمد على كونه أحد الحامدين لربه ، ثم رد ابن القيم على السهيلي فقال : د وقد ظن طائفة منهم : أبو القاسم السهيلي وغيره أن تسميته — صلى الله عليه وسلم — بأحمد كانت قبل تسميته بمحمد ، ثم ذكر ابن القيم ما استدلل به السهيلي ، ثم قال : د وبنا على ذلك أن اسم أحمد تفضيل من فعل الفاعل ، أى : أحد الحامدين لربه ، ومحمد هو المحمود الذي تحمده الخلائق ، وإنما يترتب هذا الاسم بعد وجوده وظهوره ، فإنه حينئذ حمده أهل السماء والأرض ، ويوم القيامة يحمده أهل الموقف ، فلما ظهر إلى الوجود وترتب على ظهوره من الخيرات ما ترتب ، فحمده حينئذ الخلائق حدا مكررا ، فتأخرت تسميته بمحمد ، وهذا يقربه كل عالم من مؤمنى أهل الكتاب ، ومضى ابن القيم يناقش رأى السهيلي هذا ، فقال ردا عليه : إن محمدا — صلى الله عليه وسلم — سمي باسم محمد في التوراة ، وهى قبل الإنجيل ، ثم استشهد ابن القيم على رأيه هذا بآيات ذكر أنها من التوراة ، ومضى يثبت بتفسيرها أنها تؤيد ما ذهب إليه ، وقد أطال في هذا ، ثم قال : د والمقصود أن اسم النبي في التوراة محمد د ص ، كما هو في القرآن محمد ، وأما المسيح ، فإنما سماه : أحمد ... فإذا تسميته بأحمد وقعت متأخرة عن تسميته محمدا في التوراة ، ومتقدمة على تسميته محمدا في القرآن ، ف وقعت بين التسميتين محفوفة بهما وقد تقدم أن هذين الاسمين صفتان في الحقيقة . والوصفية فيها لاتنافى العلمانية ، وأن معناهما مقصود ، فعرف عند كل أمة بأعرف الوصفين عندها ، فمحمد =

لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين ، وانظر : كيف أنزلت عليه

== مفصل من الحمد ، وهو الكثير الخصال التي يحمد عليها حمدا متكررا حمدا بعد حمد . وهذا إنما يعرف بعد العلم بخصال الخير ، وأنواع العلوم والمعارف والأخلاق والأوصاف والأفعال التي يستحق تكرار الحمد عليها ، ولا ريب أن بنى إسرائيل هم أولو العلم الأول . . . فعرف النبي (ص) عند هذه الأمة باسم محمد الذي قد جمع خصال الخير التي يستحق أن يحمد عليها حمدا بعد حمد ، وعرف عند أمة المسيح بأحمد الذي يستحق أن يحمد أفضل مما يحمد غيره ، والذي حمده أفضل من حمد غيره ، فإن أمة المسيح أمة لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ما ليس لأمة موسى ، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وأخلاقا وحضا على الإحسان . . . فجاء اسمه عندهم الأمة بأفضل التفضيل الدال على الفضل والسكال ، كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة ، وجاء في الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله — يعني القرآن — بالاسمين معا ، فتدبر هذا الفصل . . . وقال : إن الشرائع ثلاثه : شريعة عدل ، وهي : شريعة التوراة فيها الحكم والقصاص ، وشريعة فضل وهي : شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان ، وشريعة جمعت هذا وهذا ، وهي : شريعة القرآن ، فإنه يذكر العدل ويوجبه ، والفضل ويندب إليه . وقول أبي القاسم — يعني السبيلي — إن اسم محمد — صلى الله عليه وسلم — إنما ترتب بعد ظهوره في الوجود ؛ لأنه حينئذ حمد حمدا مكررا ، فكذلك يقال في اسمه أحمد أيضا ، سواء . وقوله في اسمه أحمد : إنه تقدم لكونه أحد الحامدين لربه ، وهذا يقدم على حمد الخلاق له فبناء منه على أنه — أى : أحمد — تفضيل من فعل الفاعل ، وأمّا على القول الآخر الصحيح — يعني التفضيل من فعل المفعول — فلا يجيء هذا ، وقد ذهب ابن القيم إلى أن الاسمين محمدا وأحمد إنما يقمان على المنعول ، لأنه يحمد أكثر مما يحمد غيره وذلك أبلغ في مدحه وأتم معنى ، لأنه لو أريد به معنى الفاعل لسمى الحماد ، وهو كثير الحمد ، كما سمي : محمدا ، وهو المحمود كثيرا ؛ فإنه كان أكثر الخلق حمدا لربه ، فلو كان اسمه باعتبار الفاعل — يعني أنه فاعل الحمد — لكان الأول أن يسمى ==

سورة الحمد وخصَّ بها دون سائر الأنبياء ، وخص بلواء الحمد ، وخص بالمقام المحمود ، وانظر : كيف شرع لنا سُنَّة وقرآنا أن نقول عند اختتام الأفعال ، وانقضاء الأمور : الحمد لله رب العالمين . قال الله سبحانه وتعالى : « وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الزمر : ٧٥ . وقال أيضا : « وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ : أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » يونس : ١٠ . تنبيهنا لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور . وسَنَ - صلى الله عليه وسلم - الحمد بعد الأكل والشرب ، وقال عند انقضاء السفر : آيِبُونَ تَائِبُونَ عَائِدُونَ لِرَبِّنَا حامدُونَ (١) .

ثم انظر لكونه - عليه السلام - خاتم الأنبياء ، ومؤذنا بانقضاء الرسالة ، وارتفاع الوحي ، ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور ، مشروع عنده - تجذ معاني اسميه جميعا ، وما خص به من الحمد والحمد مُشاكلا لمعناه ، مطابقا لصفته ، وفي ذلك بُرْهانٌ عظيمٌ ، وعَلَمٌ واضحٌ على نُبُوته ، وتخصيصُ الله له بكرامته ، وأنه

= حمادا ، كما أن اسم أمته : الحمادون . وأيضا فإن الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها استحق أن يسمى : محمدا ، وأحمد ، فهو الذي يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوت عد العادين سمى باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة في القدر والصفة . ص ١٢٥ جلاء الأفهام للإمام ابن القيم .

(١) رواه مسلم .

قَدَّمْ لَهُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ قَبْلَ وَجُودِهِ تَكْرِيمًا لَهُ ، وَتَصَدِيقًا لِأَمْرِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشَرَفَ وَكَرَّمَ .

تَعْوِيزُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :

وَذِكْرُ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ دَخَلَ بِهِ السَّكْبَةَ وَعَوَّذَهُ ، وَدَعَا لَهُ . وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ وَهُوَ يَمُودُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغَلَامَ الطَّيِّبَ الْأُرْدَانِيَّ
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغُلَامَانِ أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بُلُغَةَ الْفَتْيَانِ حَتَّى أَرَاهُ بِالْغِثِ الْبُنْيَانِ
أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَتَانٍ مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ
ذِي هِمَّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ حَتَّى أَرَاهُ رَاقِعَ السَّانِ (١)
أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الْقُرْآنِ فِي كِتَابٍ ثَابِتَةٍ الثَّنَانِ
أُحْمَدُ مُكْتُوبٌ عَلَى الْبَيَانِ (٢)

(١) كَذَا ١١ وَلَعَلَّهَا الشَّاقُ وَفِي رِوَايَةٍ : اللَّسَانُ .

(٢) فِي الْبَدَايَةِ : اللَّسَانُ ، وَلَيْسَ لِهَذَا سَنَدٌ صَحِيحٌ . وَفِي كَلِمَاتِهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ كَذِبٌ مَفْتَرٍ . وَكَذَلِكَ مَا رَوَى ابْنُ هِشَامٍ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . دُ أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ ، فَقَدْ قَالَ الْعِرَاقِيُّ : لَا أَصِلُ لَهَا . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَقَالَ عَنْهُ الشَّامِيُّ : وَسَنَدُهُ وَاهٍ حَدَا .

تاريخ مولده :

فصل : وذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول ، وهو المعروف (١)

(١) روى مسلم في صحيحه أن أعرابيا سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن صيام يوم الاثنين فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل علي فيه » انفرد بإخراجه مسلم ، وروى أحمد في حديث تفرد به أنه ولد يوم الاثنين واستنبه يوم الاثنين . ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين .

والجمهور على أنه كان في ربيع الأول ، لكن متى ؟ ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب والواقدي أنه كان لليلتين خلتا منه .

ومن قالوا بأنه كان لثمان خلون منه : ابن حزم ، وقد روى هذا مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم ، وذكر ابن عبد البر أن أصحاب التواريخ صححوا هذا . وقطع به محمد بن موسى الخوارزمي الحافظ الكبير ، ورجحه أبو الخطاب بن دحية ، وقيل : كان لعشر خلون منه . وقيل لثنتي عشرة خلوت منه ، وقيل : لسبعة عشر ، وقيل : لثمان بقين منه .

وقيل : إنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار مستندا إلى أنه — صلى الله عليه وسلم — أوحى إليه في رمضان على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده في رمضان ، وكان مولده لثنتي عشرة ليلة خلوت منه ، وكان مولده عام الفيل على قول الجمهور . قيل : كان بعده بشهر ، أو بأربعين يوما . أو بخمسين وقيل : إن عام الفيل كان قبله بعشر سنين . وقيل : بل بثلاث وعشرين سنين . وقيل : بل بثلاثين ، وقيل : بل بأربعين وقال ابن خياط : المجمع عليه أنه ولد عام الفيل ، ويقول النووي : ونقل إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري وخليفة ابن خياط وآخرون الإجماع عليه — أي : على أنه ولد عام الفيل — واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر .

وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق ، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغفر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبديين الزنابا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب زناباها ، ولا ضرر في الزنابا إنما تضر العقرب بذنباها ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السماك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخالبه (١) ونابه .

وولد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت بعد محمد بن يوسف أخى الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجّت (٢) .

(١) خرافة ربط مولد الإنسان وحظوظ عيشه ، وأقدار حياته بالنجوم ومنازلها سخر عقل ، وعوار في الدين . ولا أدري كيف يردد السبيلي مثل هذا الخرف . وغيره يزعم أن مولده د ص ، كان والطالع لعشرين درجة من الجدى ، وكان المشتري وزحل في ثلاث درج من العقرب ، وهي درجة وسط السماء وكان موافقا من البروج الحمل عند طلوع القمر أول الليل ص ٢٦١ ج ٢ البداية والعقرب : برج في السماء ويؤث ، وزنا بالعقرب أو زبانياها : قرناها . وكوكبان نيران في قرني العقرب . والسماك الأعزل والرامي نجمان نيران ، أو هما رجلا الأسد ، والغفر : منزلة للقمر : ثلاثة أنجم صفار وهي من الميزان .

(٢) كانت بزقاق المدك . وكانت من قبل بيد عقيل بن أب طالب . ويقول ابن الأثير : إن المصطفى وهبها له ، فلما توفي باعها ولده ، وهذا الزقاق كان في شعب =

تحقيق وفاة أبيه :

وذكر أنه مات أبوه ، وهو حَمَلٌ^(١) ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد . ذكره الدَّوْلَابِيُّ وغيره ، قيل : ابن شهرين ، ذكره [أحمد] ابن أبي خَيْثَمَةَ ، [زهير بن حرب] وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب لِيَمْتَكِرَ لأهله تَمَرًا ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين شهرًا ، وأنشدوا رَجَزًا لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب :

أوصيك يا عبدَ مَنْأَفٍ بَعْدِي بموتم بعد أبيه فَرْدٍ
فارقهُ وهو ضَجِيعُ المهد

وكان بينه وبين أبيه - عليه السلام - في السن ثمانية عشرَ عاما .

أبوه من الرضاعة :

وذكر الحارث بن عبد المُزَيِّ أبا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة ، ولم يذكر له إسلاما ، ولذا ذكره كثير من ألف في الصحابة ،

= مشهور بشعب بنى هاشم من الطرف الشرقى لمكة . ويقال بالردم أو بعسفان ، ولما بيع الموضع لمحمد بن يوسف أدخله في داره التي يقال لها : البيضاء ، ولم يزل ذلك البيت كذلك حتى حجت الخيزران جارية المهدي فجعلته مسجدا يصلى فيه وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له : زقاق المولد . ص ٦١٤ القرى للمحب الطبري (١) توفي عن خمس وعشرين ، قال الواقدي : وهو الاثبث أو عن ثلاثين ، قاله الحاكم أو عن ثمان وعشرين ، أو عن ثمانى عشرة سنة ، وصححه الحافظ العلائي وابن حجر واختاره السيوطي .

وقد ذكره يونس بن بكير في روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثني
والدى إسحاق بن يسار ، عن رجالٍ من بنى سعد بن بكر ، قال : قدم الحارث
ابن عبد العزى ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة على رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة حين أنزل عليه القرآن ، فقالت له قريش :
ألا تسمع يا حارث^(١) ما يقول ابنك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله
يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من
أطاعه ، فقد شئت أمرنا ، وفرق جماعتنا . فأناه ، فقال : أئى بُنى مالك
ولقورك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناس يُبعثون بعد الموت ،
ثم يصيرون إلى جنةٍ ونار ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعم أنا
أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدك ، حتى
أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان
يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابني يدي ، فعرفني ما قال ، لم يرسلنى إن شاء
الله حتى يدخلنى الجنة^(٢) .

(١) ترخيم الحارث

(٢) لم يروه أحد غيره . وخاتمته مجرد تمن فقط ، وإلا فالرسول صلى الله
عليه وسلم قال لا عز أهله : العباس وصفية وفاطمة أن يعملوا ، لأنه لا يغنى عنهم
من الله شيئا . هذا ، وفي أخذ عبد المطلب للرسول دس ، وهو طفل ، ودخوله
الكعبة : قد ورد في أصل الرواية عن ابن إسحاق أنه أدخله على هبل في جوف
الكعبة .

ملحوظة : حديث ابن مخزومة أنه هو ورسول الله لدان . رواه البيهقي وأحمد

(٢ - ١١ انروز الأتف ج ٢)

تحقيق اسم ناصرة بن قصية:

وذكرنا نصرّة بن قُصَيَّةَ في نسب حليلة . وهو عندهم : قُصَيَّةُ بالفاء تصغير : فَصَاة ، وهي النَّوَاة . ووقع في الأصل في جميع النسخ : قُصَيَّةُ بالقاف (١) . وقال أبو حنيفة أيضا : الْفَصَا : حَبُّ الزَّيْبِ ، وهو من هذا المعنى .

السماء :

وذكر الشَّيْءُ أختَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة ، وقال .

== وروى قباث بن أشيم أنه حين ولد رسول الله رأى - أى قباث - خرق الفيل أخضر محيلا . وقد ورد هذا في حديث رواه الترمذى والحاكم عن ابن إسحاق .

وحديث اليهودى الذى هرخ . رواه البيهقى وأبو نعيم . ونعرج على رأى سلفى جليل فنجده يقول : « لاخلاف أنه ولد - صلى الله عليه وسلم - بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل : تقدمه قدمها الله لنبيه وبيته ، ولأفأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك ؛ لأنهم كانوا عباد أوثان ، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لاصنع للبشر فيه إرماسا وتقدمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - الذى خرج من مكة وتعظيما للبيت الحرام ، ص ٣٢ ح ١ زاد المعاد لابن القيم . وذكر رأيين في وفاة أبيه أصحابهما : أنه مات وهو حل ، والآخر : أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر .

هذا : ونيسان هو الشهر السابع من شهور السنة السريانية والعبرية ، ويقابل إبريل . وفي حديث حسان بن ثابت : سعد بن زرارة . صوابه : أسعد . ويفعة : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض « ص ٤٥ الخشنى » (١) في النسخة المطبوعة على هامش الروض : قصية بالفاء ، ويقول الخشنى ص ٥٤ أنه هو الصواب .

في اسمها : خِذامة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حُدَاقَة بالخاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النساء (١) .

(شرح ما في حديث الرضاع)

الرضعاء والمراضع :

قال ابن إسحاق : فالتمس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضعاء . قال ابن هشام : إنما هو المراضع . قال : وفي كتاب الله سبحانه : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ [مِنْ قَبْلُ]) القصص : ١٢ والذي قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المراضع جمع : مُرْضِع ، والرضعاء : جمعُ رَضِيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق تَخَرَّجَ من وجهين ، أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذَوَات الرضعاء ، والثاني : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرْضِعَةً تُرْضِعُهُ ، فقد وجدوا له رضيعا ، يَرْضَعُ معه ، فلا يبعد أن يقال : التَّمَسُّوا له رَضِيعًا ، عِلْمًا أَنَّ الرَضِيعَ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ مُرْضِعٍ .

مرضعاته عليه السلام :

وأرضعته — عليه السلام — ثُوَيْبَةَ (٢) قبلَ حليمة . أرضعته

(١) في رواية : جذامة بضم الجيم أو جذامة وانظر ص ٥٤ . الحشني .
(٢) توفيت سنة سبع . قال ابن منده : اختلف في إسلامها ، وقال أبو نعيم : لا أعلم أحدا ذكره ، ص ١٣٧ ج ١ المواهب ، وحديث حليمة بهذا السند رواه الحاكم وابن حبان وابن راهويه وأبو ليلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم . وفي شرح =

وعمه حمزة وعبد الله بن جحش ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرف ذلك لثوبية ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروق ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتها ، فلم يجد أحدا منهم حيا . وثوبية كانت جارية لأبي لهب ، وسنذكر بقية حديثها - إن شاء الله - عند وفاة أبي لهب .

يغذيه أو يغذيه :

وذكر قول حليمة : وليس في شاربنا ما يغذيه . وقال ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة ، وهو أتم في المعنى من الاختصار على ذكر الغداء دون العشاء (١) ، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية

المواهب أن النسوة اللاتي خرجت معهن حليمة كن عشرة . والسنة الشبهاء : ذات القحط والجذب ، والأرض الشبهاء : البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر . والأتان : الأثني من الخمر ، ولا يقال أتانة ، والقمر : التي في لونها بياض ، والصبي الذي كان مع حليمة هو : عبد الله بن الحارث . والشارف : الناقة المسنة ، ويقال للذكر والأثني . وماتبض بقطرة معناها : لا ترشح ولا تسيل ، ومن رواها بالصاد فعناها : ما يبرق عليها أثر لبن ، من البصيص ، وهو البريق واللمعان . ص ٥٥ الخشني

(١) يقول أبو ذر الخشني : « ومن رواه ما يغذيه فعناه : ما يقنعه ولا يمنعه من البكاء . يقال : أغذيت الرجل عن الشيء : إذا منعه منه . وقال ابن هشام : يغذيه . هذا من لفظ الغذاء ، ومن رواه : يغذيه بالعين المهملة فعناه : ما يشبعه بعض الشبع مأخوذ من النبات العذى ، وهو الذي يشرب في الصيف والشتاء بغرفة من الأرض دون أن يسقى ، أو الذي لا يسقيه إلا المطر . وتكون هذه هي الرواية الرابعة للكلمة

غير هاتين وهى يُعَذِّبُهُ بعَيْنٍ مُّهِمَّةٍ وذال منقوطة وباء مُعْجَمَةٌ بواحدة ، ومعناها عندهم : ما يُقْنَعُهُ حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عَذَبَتْهُ وَأَعَذَبَتْهُ : إذا قطعتهُ عن الشرب ونحوه ، وَالْعَذُوبُ : الرافعُ رأسه عن الماء ، وجمعه : عُدُوبٌ بالضم ، ولا يُعرفُ فَعُولٌ جُمِعَ على فَعُولٍ غيرُهُ : قاله أبو عُبَيْدٍ (١) والذي فى الأصل أَصَحُّ فى المعنى والنقل .

من شرح حديث الرضاعة :

وذكر قولها حتى أَذْمَتْ بالركب . تريد : أَنهَا حَبَسَتْهُمْ ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقف ، ويروى : حتى أَذْمَتْ . أى : أَذْمَتِ الْإِثْنَانُ ، أى : جاءت بما تُذَمُّ عليه ، أو يكون من قولهم : بُرِّ ذَمَّةٌ ، أى : قليلة الماء ، وليست هذه عند أبى الوايد ، ولا فى أصل الشيخ أبى بَحرٍ ، وقد ذكرها قاسمٌ فى الدلائل ، ولم يذكر روايةً أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبى عُبَيْدَةَ : أَذَمَّ بِالرَّكْبِ : إِذَا أَبْطَأَ ، حَتَّى حَبَسَتْهُمْ : من البئر الذَّمَّةُ ، وهى القليلة الماء (٢) .

(١) فى اللسان جمعه : عذب بضم العين والذال ، وقد خطأ الأزهري بأعبيدة لأن فعولا - بفتح الاء - يضم العين - لا يكسر على فَعُولٍ بضم الفاء .

(٢) عند أبى ذر النخشي : أَذْمَتْ : تأخرت بالركب ، أى تأخر الركب بسببها والضمير الذى فى أَذْمَتْ يرجع إلى الإثْنَانِ ، وفى رواية : أَذْمَتِ بِالرَّكْبِ أى : أطلت عليهم المسافة لتلهيهم عليها ، مأخوذ من الشيء الدائم ص ٥٥ . وصاحب حليلة المذكور فى القصة هو زوجها : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى ، وكنيته أبو ذؤيب ، وفى رواية أخرى لحديث الرضاع جاء بعد قول حليلة : فذهبت إلى مايل : فإذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك ، وتحت

وذكر قولَ حليلةٍ : فلما وضعتُه في حِجْرِي أَقْبَلَ عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِيَ ، وشرب معه أخوه حتى روى .

وذكر غير ابن إسحاق أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - كان لا يقبل إلا على ثديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر ، فيأباه كأنه قد أشعر - عليه السلام - أن معه شريكاً في لبانها ، وكان مَفْطُوراً على العدل ، يَجْبُولاً على المشاركة والفضل - صلى الله عليه وسلم .

التماس الأجر على الرضاع :

قال المؤلف : والتماسُ الأجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب ، حتى جرى المثلُ : تجوع المرأة ولا تأكل بثديها^(١) ، وكان عند بعضهم لا بأس به ، فقد كانت حليلةُ وسيطة في بني سعد ، كريمةً من كرائم قومها ، بدليل اختيار الله - تعالى - إياها لرضاع نبيه - صلى الله عليه وسلم - كما اختار له أشرفَ البُطُونِ والأَصْلَابِ . والرضاعُ كالنَسَبِ ؛ لأنه يُغَيِّرُ

== حريز أخضر راقد على قفاه يغط ، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله ، المواهب اللدنية في باب رضاعه ص ١٤٣ ج ١ ، هذا ورضاعه من ثوبة قد ورد في سياق حديث عن أم سلمة ، وقد رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والبيهقي ، منتخب السنة ، ص ٦٠ ج ١

(١) روايته : تجوع الحرة ، ولا تأكل بثديها ، أى : لا تكون ظنراً ، وإن آذاها الجوع . ويروى : ولا تأكل ثديها . وأول من قال ذلك : الحارث بن سليل الأسدي . في قصة طويلة روتها كتب الأمثال ، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال ، يجمع الأمثال للميداني ،

الطباع . في المسندِ عن عائشة - رضی الله عنها - ترفعه : « لَا تَسْتَرْضِعُوا الْحَمَقَى ؛ فَإِنَّ الْإِبْنَ يُورِثُ » ويَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ حَلِيمَةُ وَنَسَاءُ قَوْمِهَا طَلِبِنَ الرُّضْعَاءِ اضْطَرَّارًا لِلْأُزْمَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُنَّ ، وَالسَّنَّةَ الشَّهْبَاءِ الَّتِي أَفْتَحَمَتْهُنَّ .

لم كانت قريسه ترفع أولادها إلى المراضع ؟

وَأَمَّا دَفْعُ قَرِيشٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ أَوْلَادَهُمْ إِلَى الْمَرَضِعِ ، فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ لَوَجْهِهِ . أَحَدُهَا : تَقْرِيبُ النِّسَاءِ إِلَى الْأَزْوَاجِ ، كَمَا قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لَأُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَكَانَ أَخَاهَا مِنَ الرُّضَاعَةِ ، حِينَ انْتَزَعَ مِنْ حَجْرِهَا زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ ، فَقَالَ : « دَعَى هَذِهِ الْمَقْبُوحَةَ الْمَشْقُوحَةَ ^(١) الَّتِي آذَيْتِ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَيْضًا لِيَنْشَأَ الطِّفْلُ فِي الْأَغْرَابِ ، فَيَكُونُ أَفْصَحَ لِسَانِهِ ، وَأَجْلَدَ لَجْسِمِهِ ، وَأَجْدَرَ أَنْ لَا يَفَارِقَ الْهَيْئَةَ الْمَعْدِيَّةَ ^(٢) كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَمَعَّدُوا وَتَمَعَّرُوا ^(٣) وَاخْشَوْشُوا [رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَدَرْدٍ] . وَقَدْ قَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِأَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَالَ لَهُ : مَا رَأَيْتَ أَفْصَحَ مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : وَمَا يَنْعَنِي ، وَأَنَا مِنْ قَرِيشٍ ، وَأَرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ ؟! فَهَذَا وَنَحْوُهُ كَانَ يَحْمِلُهُمْ عَلَى دَفْعِ

(١) المشقوقة : المكسورة أو المبعدة ، من الشقح ، وهو الكسر أو البعد ومشقوقة اتباع لمقبوحة .

(٢) نسبة إلى قوم معد ، وكانوا أهل غلظ وقشع .

أى : تصابوا ، وتشبهوا بمعد .

(٣) وتمعرزوا : تعزز لحمه : اشتد وصلب ، وتمعرز البعير : اشتد عدوه .

الرُّضْعَاءُ إِلَى الرَّاغِضِ الْأَعْرَابِيَّاتِ . وقد ذكر أن عبدَ الملك بن مَرْوَانَ
كان يقول : أَضْرَّ بِنَا حُبُّ الْوَلِيدِ ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ لَحَانًا ، وَكَانَ مُسْلِمًا
فَصِيحًا ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ أَقَامَ مَعَ أُمِّهِ ، وَسُلَيْمَانُ وَغَيْرُهُ مِنْ إِخْوَتِهِ سَكَنُوا
الْبَادِيَةَ ، فَتَعَرَّبُوا ، ثُمَّ أَذْبُوا فَتَأَدَّبُوا ، وَكَانَ مِنْ قُرَيْشٍ أَعْرَابٌ ، وَمِنْهُمْ
حَضَرٌ ، فَالْأَعْرَابُ مِنْهُمْ : بَنُو الْأَذْرَمِ وَبَنُو مُحَارِبٍ ، وَأَحْسَبُ بَنِي عَامِرِ
ابْنِ لُؤَيٍّ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الظَّوَاهِرِ ، وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ (١) .

سَوِ الصَّدر :

وذكر قول أخيه من الرضاعة : نزل عليه رَجُلَانِ أبيضان ، فَشَقَّاعِنِ
بطنه ، وهما يَسُوطَانِه ، يقال : سَطَّتُ اللَّيْنُ أَوِ الدَّمُّ ، أَوْ غَيْرُهُمَا ، أَسُوطُهُ :
إِذَا ضَرَبَتْ بَعْضُهُ بَعْضًا . وَالْمِسْوَطُ : عُوْدٌ يُضْرَبُ بِهِ .

وفى رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ ابْنِ إِسْحَاقٍ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ كُرْكِيَّانِ (٢) ، فَشَقَّ
أَحَدُهُمَا بِمَنْقَرِهِ جَوْفَهُ ، وَمَجَّ الْآخَرَ بِمَنْقَرِهِ فِيهِ ثَلَجًا ، أَوْ بَرَدًا ، أَوْ نَحْوَ
هَذَا ، وَهِيَ رِوَايَةٌ غَرِيبَةٌ ذَكَرَهَا يُونُسُ عَنْهُ ، وَاخْتَصَرَ ابْنُ إِسْحَاقٍ حَدِيثَ
نُزُولِ الْمَلَائِكِينَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) سبق الحديث عن قریش البطاح وقریش الظواهر .

(٢) السكرکی : طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتز الذنب . ومج
الماء : لفظه .

عنه - قال : « قلت : يا رسول الله كيف علمت أنك نبيٌّ ، وبم علمت حتى استنقيت ؟ قال : يا أبا ذرٍّ أتاني ملكان ، وأنا يبطحاء مَكَّة ، فوقع أحدهما بالأرض ، وكان الآخرُ بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو : قال : فزِنهُ برجلٍ ، فوزنني برجلٍ ، فرَجَحْتُهُ ، ثم قال : زِنهُ بعشرة ، فوزنني فرَجَحْتُهُمْ ، ثم قال : زِنهُ بمائة ، فوزنني ، فرَجَحْتُهُمْ ، ثم قال : زِنهُ بألفٍ ، فوزنني فرَجَحْتُهُمْ ، حتى جَمَلُوا يَتَنَاقَلُونَ عَلَى مِنْ كِفَّةِ الْمِيزَانِ ، فقال أحدهما لصاحبه : شقُّ بطنه ، فشق بطني ، فأخرج قلبي ، فأخرج منه مَغْمَزَ الشَّيْطَانِ وَعَلَقَ الدَّمَ ، فَطَارَ هُمَا ، فقال : أحدهما لصاحبه : اغْسِلْ بطنه غَسْلَ الْأَنْاءِ ، واغْسِلْ قلبه غَسْلَ الْمَلَأِ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنه ، نَخَاطَ بَطْنِي ، وجعل الخاتم بين كَتِفَيَّ كما هو الآن ، وولّيا عني ، فكأنني أعين الْأَمْرِ مَعَايِنَةٌ » ففي هذا الحديث بيان لما أبهم في الأول ، لأنه قال : فأخرج منه مَغْمَزَ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَقَ الدَّمَ ، فبيّن أن الذي التمس فيه هو الذي يغمزه الشيطانُ من كلِّ مولودٍ إلا عيسى بن مريم وأمه (١) - عليهما السلام - لقول أمها حَنَّة : « وإني

(١) يشير إلى ما رواه البخاري ومسلم والترمذي : « مامن مولود يولد إلا نخسه الشيطان ، فيسهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه ، قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : (وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ، قال عياض : يريد أن الله قبل دعائها مع أن الأنبياء معصومون ، وقال النووي : أشار عياض إلى أن جميع الأنبياء يشاركون عيسى في هذه الخصوصية . وسيأتي أن صدره شق أيضا ليلة الإسراء في حديث من طريق شريك في الصحيحين ، ودعوى أنه لا منافاة ، لاحتمال وقوع ذلك مرتين دعوى بلا بينة ، وفي أحاديث خاتم النبوة

أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» آل عمران : ٣٦ . فلم يصل إليه لذلك ، ولأنه لم يُخْلَقْ مِنْ مَنِيِّ الرِّجَالِ فَأَعِيذُهُ مِنْ مَعْتَزٍ ، وَإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ نَفْخَةِ رُوحِ الْقُدُسِ ، ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنَّ محمداً - صلى الله عليه وسلم - قد بُرِّعَ مِنْهُ ذَلِكَ الْمَعْتَزُ ، ومُلِيَ قَلْبُهُ حِكْمَةً وإِيمَانًا ، بعد أن غَسَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْتَزُ فِيهِ لِمَوْضِعِ الشَّهْوَةِ الْمُحَرَّكَ لِلْمَعْنَى ، والشهواتُ يُحْضِرُهَا الشَّيَاطِينُ ، لا سيما شهوة مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، فكان ذلك الْمَعْتَزُ رَاجِعًا إِلَى الْأَبِّ ، لا إِلَى الْإِبْنِ الْمُطَهَّرِ - صلى الله عليه وسلم - عليه .

وفي الحديث فائدة أخرى ، وهي مِنْ نَفْسِ الْعِلْمِ ، وذلك أَنَّ خَاتَمَ النَّبِوَّةِ لم يَدْرِهِلْ خُلُقُهُ ، أم وَضِعَ فِيهِ بَعْدَ مَا وُلِدَ ، أو حِينَ نُبِّيَّ ، ، فَيَبِينُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَتَى وَضِعَ ، وكيف وَضِعَ ، وَمِنْ وَضَعِهِ ، زَادَنَا اللَّهُ عِلْمًا ، وَأَوْزَعَنَا شُكْرًا مَاعَلَّمٌ ، وفيه البيانُ لما سَأَلَ عَنْهُ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حين قال : كيف عَلِمْتَ أَنَّكَ (١)

= مغايرة لما ورد من وصف الخاتم هنا ، كما أَنَّ فِي أَلْفَاظِ بَعْضِ أَحَادِيثِ الشُّكْرِ مَا يُوْحِي بِأَنَّهُ أَحْدَاثُ مَنَامٍ ، لا أَحْدَاثُ وَاقِعٍ ، أما الإِسْرَافُ فِي قِطْعَةِ نَصِ الْقُرْآنِ وَسِيَاقِي (١) كُلِّ حَدِيثٍ يَزْعُمُ فِيهِ أَنَّ الرَّسُولَ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ نَبِيٌّ هُوَ حَدِيثُ كَذِبٍ ، لا يَعْتَدُّ بِهِ ، لِأَنَّهُ - صلى الله عليه وسلم - لم يَكُنْ يَعْرِفُ حَتَّى لَيْلَةِ الْوَحْيِ أَنَّهُ نَبِيٌّ . هذا وَعَنْ خَاتَمِ النَّبِوَّةِ وَرَدَفِي حَدِيثٍ - رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ : وَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ بَيْنِ كَتْفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ ، الزَّرُّ : الْبَيْضَةُ وَعَنْ جَابِرٍ فِي مُسْلِمَ : « رَأَيْتُ خَاتِمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَامٍ ، وَفِي مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ : « كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ وَصِّ ، الَّذِي بَيْنَ كَتْفَيْهِ غَدَةٌ حَمْرَاءُ مِثْلُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ : وَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبِوَّةِ بَيْنَ =

نبي ، فأعلمه بكيفية ذلك ، غير أن في هذا الحديث ، وهما من بعض النقلة ، وهو قوله : بينما أنا ببطحاء مكة ، وهذه القصة لم تعرض له إلا وهو في بني سعد مع حليلة ، كما ذكر ابن إسحاق وغيره ، وقد رواه البزار من طريق عروة عن أبي ذرٍّ - رضى الله عنه - فلم يذكر فيه بطحاء مكة .

== كنفه عند ناغض كتفه اليسرى جمعاً عليه خيلان ، كأمثال النأليل ، مسلم وأحمد . والناغض : أعلى الكنف ، أو ما يظهر من عظمه عند التحرك . 'مجمعاً : أى كصورة الكنف بعد جمع الأصابع وضمها . الخيلان : جمع خال وهى الغدة الصغيرة . النأليل : جمع : ثولول حييات تعلو الجسد ، وفى مسلم أيضاً عن جابر بن سمرة أنه كبيضة الحمامة . وعند الحاكم والترمذى وأبى يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن أحطب أن الخاتم شعر مجتمع عند كتفه ، وعند البخارى فى تاريخه والبيهقى أنه : لحم ناتئ ، وفى جامع الترمذى ودلائل البيهقى : كالتفاحة ، وعند ابن حبان . وفى تاريخ ابن عساكر والحاكم : كالبندة . وعند الترمذى : كبضعة ناشزة من اللحم . وعند الطبرانى : كان كأنه ركة عز على طرف كتفه اليسر ، وعند ابن حبان : كان مثل البندة من اللحم . . والحجلة تنطق بفتح الحاء والجيم ، وضم الحاء أو كسرهما وإسكان الجيم ، وضم الحاء وفتح الجيم . وجزم الترمذى بأن المراد بالحجلة : الطير المعروف ، وهو فى حجم الحمام ، أحمر المتقار والرجلين طيب اللحم ، وفسره النووى بأنها واحدة الحجال . وهى بيت كالبقة . لها أزوار كبار وعرا ، أو كما فسره الأزهري فى التهذيب : بيت كالبقة يستر بالثياب ، ويجعل له باب من جنسه ، فيه زر وعروة تشد إذا علقت

وقال القرطبي : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفيه اليسر ، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة ، وإذا كبر جمع اليد . وفى الفتح : باب خاتم النبوة : أى صفته ، وهو الذى كان بين كتفى النبي ، وكان من علاماته التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها ، وسيأتى عنه بيان آخر

مَرِيَّةُ السَّكِينَةِ :

وذكر فيه أنه قال : وَأُوتِيَتْ بِالسَّكِينَةِ كَأَنَّهَا رَهْرَهَةٌ ، فَوُضِعَتْ
فِي صَدْرِي . قال : وَلَا أَعْلَمُ لِعُرْوَةِ سَمَاعٍ مِنْ أَبِي ذَرٍّ . وذكر من طريق آخر عن
أبي ذَرٍّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَهُ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، وَزَنْتُ
بِأَرْبَعِينَ ، أَنْتَ فِيهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ » وَالرَّهْرَهَةُ : بَصِيصُ الْبَشَرَةِ ، فَهَذَا بَيَانُ
وَضْعِ الْخَاتَمِ مَتَى وَضَعَهُ .

سَأَلَتْهُ سَوْدَةُ الصَّدْرُ مَرَّةً أُخْرَى :

وَأَمَّا مَتَى وَجَبَتْ لَهُ النَّبُوءَةُ ، فَرَوَى عَنْ مَيْسِرَةَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : مَتَى وَجَبَتْ
لَكَ النَّبُوءَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : وَأَدُمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، وَيُرْوَى : وَأَدُمُ
مُجَنْدَلٌ فِي طِينَتِهِ (١) .

(١) وهكذا كل إنسان في قَدَرٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عِنْدَهُ مَقَادِيرَ الْكَائِنَاتِ جَمِيعَهَا ،
وَلَا فَالْنَبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَتَّى لَيْلَةِ الْوَحْيِ الْأُولَى أَنَّهُ نَبِيٌّ .
أَوْ أَنَّ النَّبِيَّةَ سَتَاتِيهِ . وَلَا مَا رَجَعَ فِي ارْتِجَافِهِ الشَّدِيدِ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
يَحْدِثُهَا أَنَّهُ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ . وَفِي رِوَايَةٍ لِلْحَدِيثِ : وَلَإِنِّي لَمَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ
النَّبِيِّينَ . وَحَدِيثُ الْعَرَبِ بَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
يَقُولُ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ آدَمُ لَمُجْدَلٌ فِي طِينَتِهِ ، وَسَاخِرُكُمْ عَنْ
ذَلِكَ : إِنِّي دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةَ عِيسَى ، وَرَوَّيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ ، وَكَذَلِكَ
أَمَهَاتُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ
نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ ، أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَّانٍ وَالْحَاكِمُ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ
عِنْدَ أَحْمَدَ نَحْوَهُ ، وَنَصَهُ عَنْ لِقْمَةِ بْنِ عَامِرٍ سَمِعَتْ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ -

وهذا الخبر يُروى عنه - عليه السلام - على وجهين ، أحدهما : أنه شقَّ عن قلبه ، وهو مع رابته ومُرُضته في بني سعد ، وأنه جرى بطَّستٍ من ذهب ، فيه ثلج ففسل به قلبه ، والثاني فيه : أنه غُسل بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين أُعرج به إلى السماء بعد ما بُعث بأعوام ، وفيه أنه أتى بطَّستٍ من ذهبٍ ممتلئة حكمة وإيماناً ، فأفرغ في قلبه . وذكر بعضُ من أُلّف في شرح الحديث أنه تعارض في الروايتين ، وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتغليب بعضهم ، وليس الأمرُ كذلك ، بل كان هذا التقديسُ وهذا التطهيرُ مرتين .

الأولى : في حالِ الطُفُولِيَّةِ لِيُنَقَّى قَلْبُهُ مِنْ مَغَمَزِ الشَّيْطَانِ ، وَلِيُطَهَّرَ وَيُقَدَّسَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ ، حَتَّى لَا يَتَلَبَّسَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُعَابِ عَلَى الرَّجَالِ ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّوْحِيدُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ : فَوَلِّا عَنِّي ، يَعْنِي : الْمَلَائِكَةُ ، وَكَأَنِّي أَعَيْنُ الْأَمْرَ مُعَايَنَةً .

والثانية : في حالِ الْاِكْتِهَالِ ، وَبَعْدَ مَا نُبِّئُ ، وَعِنْدَمَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي لَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا الْمُقَدَّسُ ، وَعُجِرَ بِهِ هُنَاكَ

== ما كان بدء أمرك؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاء منه قصور الشام ، تفرد به أحمد ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة . وقد روى قصة شق الصدر في الطفولة أبو نعيم في الدلائل عن طريق عمر ابن صبح مطولة جدا ، وعمر متروك كذاب متهم بالوضع .

لَتُقَرَّضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ ، وَلِيُصَلِّيَ بِمَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ ، وَمِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ : الطُّهُورُ ،
فَقُدِّسَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَغُسِّلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ .

وَفِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بِالتَّلَجِّ لِمَا يُشْعِرُ التَّلَجُّ مِنْ تَنَاجٍ الْيَقِينِ وَبَرْدِهِ عَلَى الْقَوَادِ ،
وَكَذَلِكَ هُنَاكَ حَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَبِوَحْدَانِيَةِ رَبِّهِ .

وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ ، فَقَدْ كَانَ مُوقِنًا مُنْبَأً ، فَإِنَّمَا طُهِرَ لِمَعْنَى آخِرٍ ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ .
مِنْ دُخُولِ حَضْرَةِ الْقُدُّسِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا ، وَلِقَاءِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ، فَفَسَلَهُ رُوحُ
الْقُدُّوسِ بِمَاءِ زَمْزَمَ الَّتِي هِيَ هَزْمَةُ رُوحِ الْقُدُّوسِ ، وَهَمْزَةُ عَقَبِهِ (١) لِأَيِّهِ إِسْمَاعِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجِئَ بِطَسْتٍ مُنْتَلَى حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأَفْرِغْ فِي قَلْبِهِ ، وَقَدْ
كَانَ مُؤْمِنًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الْفَتْحُ : ٤
وَقَالَ : ﴿ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ الْمَدَّثَرُ : ٣١ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ
الْإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَالْإِيمَانُ عَرَضٌ ، وَالْأَعْرَاضُ لَا يوصفُ
بِهَا إِلَّا مَحَلُّهَا الَّذِي يَقُومُ بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْإِنْتِقَالُ ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ مِنْ صِفَةٍ
الْأَجْسَامِ ، لَا مِنْ صِفَةِ الْأَعْرَاضِ ؟ قُلْنَا :

إِنَّمَا عَبَّرَ عَمَّا كَانَ فِي الطَّسْتِ بِالْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ ، كَمَا عَبَّرَ عَنِ اللَّبَنِ الَّذِي
شَرِبَهُ ، وَأُعْطِيَ فَضْلَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِالْعَلَمِ ، فَكَانَ تَأْوِيلُ مَا أُفْرِغَ فِي
قَلْبِهِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، وَلَعَلَّ الَّذِي كَانَ فِي الطَّسْتِ كَانَ تَلَجًّا وَبَرْدًا - كَمَا ذَكَرَ فِي

(١) هَزَمَ الْبَثْرَ : حَفَرَهَا ، وَالْهَمْزَةُ : النَّقْرَةُ ، هَذَا وَسَيَأْتِي بَيَانُ أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
مَفْرُوضَةً قَبْلَ الْإِسْرَاءِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ . هَذَا وَقَوْلُهُ : كَأَنِّي
أَعَايِنُ الْأَمْرَ مَعَايِنَةً يُوَكِّدُ أَنَّهُ رُؤْيَا مُنَامِيَةٍ .

الحديث الأول - فمبر عنه في المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبر عنه في المرة الأولى بصورته التي رآها ؛ لأنه في المرة الأولى كان طفلاً ، فلما رأى الثلج في طست الذهب اعتقده ثلجاً ، حتى عرّف تأويله بعد . وفي المرة الثانية كان نبيئاً ، فلما رأى طست الذهب مملوءاً ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده في ذلك المقام حكمة وإيماناً ، فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده في المقامين .

مناسبة الذهب للمعنى المقصود :

وكان الذهبُ في الحالتين جميعاً مناسباً للمعنى الذي قصدَ به . فإن نظرتَ إلى لفظِ الذهبِ ، فطابق للإذهابِ ، فإن الله - عز وجل - أراد أن يُذهبَ عنه الرِّجْسَ ، ويُطَهِّرَهُ تطهيراً ، وإن نظرتَ إلى معنى الذهبِ وأوصافه وجذته أنقى شيء وأصفاء ، يقال في المثل : أنقى من الذهب . وقالت بريرةُ في عائشة - رضى الله عنها - ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهبِ الأحمر . وقال حذيفة في صلّة بن أشيم رضى الله عنهما : إنما قلبه من ذهب ، وقال جرير بن حازم في الخليل بن أحمد : إنه لرجلٌ من ذهب ، يريدون : النقاء من الميؤب ، فقد طابق طستُ الذهب ما أريد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من نقاء قلبه . ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقة لهذا المقام ثقله ورُسُوبه ، فإنه يُجعل في الزَّيْبِقِ الذي هو أثقلُ الأشياء ، فيرسب ، والله تعالى يقول : (إِنَّمَا سُنَّتْنِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً) المزمل : ٥٠ . وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : إنما ثقلت موازينُ المُحَقِّقِينَ يومَ القيامة ، لاتباعهم الحقَّ ، وحقُّ ليزانٍ لا يوضع فيه إلا الحقُّ

أن يكونَ تَمِيلًا ، وقال في أهلِ الباطلِ بعكسِ هذا . وقد روى : أنه أنزلَ عليه الوحي ، وهو على ناقته ، فَتَمَلَّ عليها حتى ساخت قوائمُها في الأرض ، فقد تطابقت الصفةُ المَعْقُولَةُ والصفةُ المحسوسةُ . ومن أوصافِ الذهبِ أيضا أنه لا تأكله النارُ ، وكذلك القرآنُ : لا تأكل النارُ يومَ القيامةِ قلبًا وعاء ، ولا بَدَنًا عَمَلَ به ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآنُ في إهابٍ ، ثم طُرِحَ في النارِ ما احترقَ »^(١) . ومن أوصافِ الذهبِ المناسبةِ لأوصافِ القرآنِ والوحي : أنَّ الأرضَ لا تُبْلِيه ، وأن الثرى لا يَذْرِيه ، وكذلك القرآنُ لا يَخْلُقُ على كَثْرَةِ الرَّدِّ ، ولا يُسْتَطَاعُ تَغْيِيرُهُ ولا تَبْدِيلُهُ ، ومن أوصافه أيضا : نفاسته وعِزَّتُهُ عندَ الناسِ ، وكذلك الحقُّ والقرآنُ عَزِيزٌ ، قال سبحانه : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) فَصَّلَتْ : ٤١ . فهذا إذا نظرت إلى أوصافِهِ ولَفْظِهِ ، وإذا نظرت إلى ذاتِهِ وظاهرِهِ ، فإنه زُخْرُفُ الدُّنْيَا وزِينَتُهَا ، وقد فَتَحَ بالقرآنِ والوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمنه خِزَانُ المُلُوكِ ، وتَصَيَّرَ إلى أيديهم ذَهَبُهَا وَفَضْلُهَا ، وَجَمِيعُ زُخْرُفِهَا وزِينَتُهَا ، ثم وَعَدُوا بِاتِّبَاعِ القرآنِ والوحي قُصُورَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِي الْجَنَّةِ . قال - صلى الله عليه وسلم : « جَنَّاتٌ مِنْ ذَهَبٍ ، آيَتُهُمَا وَمَافِيَهُمَا مِنْ ذَهَبٍ »^(٢) « وفي التنزيل : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ) الزُّخْرُفُ : (٧١) وَيُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) الحج : ٢٣ وفاطر : ٣٣

() رواه الطبراني . وفي الجامع للسيوطي أنه ضعيف .

(٢) من حديث رواه الجماعة إلا أبا داود : « جنتان من فضة آيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آيتهما ومافيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن . »

فكان ذلك الذهب يُشعر بالذهب الذى يصير إليه من اتبع الحق ، والقرآن وأوصافه تشعر بأوصاف الحق ، والقرآن ولفظه يشعر بإذهاب الرّجس ، كما تقدم ، فهذه حكم بالغة^(١) لمن تأمل ، واعتبار صحيح لمن تدبر ، والحمد لله .

وفى ذكر الطّستِ وحروفِ اسمِهِ حكمة تنظر إلى قوله تعالى :

(طس . تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مبین^(٢)) النمل : ١ وما يسئل عنه : هل خُص هو - صلى الله عليه وسلم - بفعل قلبه فى الطست ، أم فُعل ذلك بغيره من الأنبياء قبله ، فى خبر التابوت والسكينة ، أنه كان فيه الطّستُ التى غُسلت فيها قلوبُ الأنبياء عليهم السلام . ذكره الطبرى^(٣) ، وقد انتزع بعضُ الفقهاء من حديث الطّست حيثُ جُعِلَ محلاً للإيمان والحكمة جوازَ تحلية المصحف بالذهب ، وهو فقه حسن^(٤) ، فى حديث أبي ذر - رضى الله عنه - هذا الذى قدمناه ، متى علم أنه نبيّ .

(١) تأويلات مغربة ، وإن كانت تشهد بذكاء ، لكنها لا ترف بسكينة على القلب ، وشأن القرآن أعظم .

(٢) وهذا أغرب ، وأشدّ بعدا ، وتقرأ طس هكذا : د طاسين .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : وقال لهم نبيهم : إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم ، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة (البقرة : ٢٤٨ . وقد روى العوفى عن ابن عباس أن السكينة هى الرحمة . كما فسرها عطاء تفسيرا طيبا ، إذ قال لابن جريج لما سأله عنها : أما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليه . وروى ابن كثير ما ذكره السهيلي بصيغة تفيد تضعيفه إذ جاء قبله بكلمة : وقيل . وخب فيها وهب بن منبه ووضع ، فأتى بالعجب العجيب من الاساطير . فقال : السكينة : رأس مرة ميتة .

(٤) رد ابن القيم هذا الرأى .

(م ١٢ - الروض الأنف ج ٢)

الحكمة في غم النبوة :

والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملئ قلبه حكمةً وبقينا، ختم عليه كما يُختم على الوعاء المملوء مسكاً أو دُرّاً ، وأما وضعه عند نُفْضِ (١) كتفه ، فلا نَهْ مَعْصُومٌ مِنْ وَشْوَسَةِ الشَّيْطَانِ ، وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم . روى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلاً سأل ربّه أن يُريّه موضعَ الشيطان منه (٢) ، فأرى جَسَدَ أُمِّهِ (٣) يرى داخله من خارجه ، والشيطان في صورة ضفدع عند نُفْضِ كتفه (٤) حذاء قلبه ، له خرطوم ، كخرطوم البعوضة ، وقد أدخله إلى قلبه يوسوس ، فإذا ذكر الله تعالى العبدُ خنس (٥) .

(١) هو أعلى منقطع غزروف الكتف .

(٢) في شرح المواهب : « موضع الشيطان من ابن آدم . وفي النهاية : موقع

(٣) ضبطها في اللسان وفي معجم ابن فارس وفي النهاية هكذا ، وضبطها الزرقاني بضم الميم الأولى وسكون الثانية ، وتخفيف الهاء اسم مفعول من : أمها ، أي مصفّى ، وفي النهاية : أنه رأى ذلك منا ما ، قال : والمها : البلور ، وكل شيء صفيّ ، فهو محبب تشبهاً به . زاد في الفائق : ومقلوب من عمه ، وهو مُفْعَلٌ من أصل الماء . أي مجموع ماء ص ١٥٤ ج ١ .

(٤) في شرح المواهب : « وأرى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه ، .

(٥) في شرح المواهب : « وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، والحديث مقطوع . ص ١٥٤ ج ١ شرح المواهب . وفي اللسان نقلاً عن النهاية لابن الأثير : « فرأى فيما يرى النائم جسد رجل مُسَمَّى ، . وحذاء : مقابل . وخنس : تأخر وغاب . وانظر ص ٤٣٩ وما بعدها فتح الباري ج ٦ .

رواه ابنه النبي « ص » :

فصل : وكان ردّ حليمة إياه إلى أمّه وهو ابنُ خمسِ سنينَ وشهر ،
فيما ذكر أبو عمر (١) ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداهما بعد تزويجه خديجة
- رضى الله عنها - جاءتته تشكو إليه السنّة ، وأن قومها قد أسنّوا (٢)
فسكّام لها خديجة ، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكّرات ، والمرة الثانية : يوم
حنّين (٣) وسيأتى ذكرها إن شاء الله .

تأويل النور الذي رآته آمنّة :

فصل : وذكر النور الذي رآته آمنّة ، حين ولدته عليه السلام ، فأضاءت
لها قصور الشام ، وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافة فيها
مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلادُ وغيرُها بنوره - صلى الله عليه وسلم -
وكذلك رأى خالد بن سَعِيد بن العاصي قبل المبعث يسير نوراً يخرج من
زَمْزَم ، حتى ظهرت له البُسر (٤) في نخيل يثرب ، فقصّها على أخيه عمرو ،

(١) يعنى ابن عبد البر . وفي الأصل : عمرو وهو خطأ . وفي المواهب
نقلنا عن ابن عبد البر أنها ردت بعد خمس وبومين ، وتفيد بعض الروايات أنها
ردته في السنة الثالثة ، أو الرابعة ، أو السادسة ، وجزم الحافظ العراقي وابن
حجر أنها ردت في الرابعة ص ١٥٠ ج ١ المواهب .

(٢) أسنّوا : أجدبوا .

(٣) ذكره الاموى .

(٤) البسر أوله : ططلع ثم : خلال بالفتح ، ثم بلح بفتحين ، ثم بُسر ،

ثم : رُطب ثم : تمر .

عود إلى حديث ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى النَّعَمَ ، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه : « أنا أعرِبُكُمْ ، أنا قُرَشِيٌّ ، واشْتَرَضْتُ في بني سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ » . [حديث ضعيف] قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ، والله أعلم : أن أمَّ السعدية لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس ، وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إني قد قدِمتُ بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلَّنِي ، فوالله ما أدري أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناهُ بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يُعوِّذه ويدعوه ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم ، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرتُ لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نقرأ من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعدَ فِطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلَّبوه ، ثم قالوا لها : لَنَا خَدَنٌ هذا الغلام ، فَلَمَذَّهَبَ به إلى مَلِكِنَا وبَلَدِنَا ؛ فإن هذا غلام كأن له شأن نحن نعرف أمره ، فزعم الذي حدثني أنها لم تسكِّدْ تنفلت به منهم

فقال له : إنها حَفِيرَةُ عبدِ المطلب ، وإن هذا النور منهم ، فكان ذلك سببَ مُبَادَرَتِهِ إلى الإسلام .

وفاة آمنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه ، يُدَبِّتُهُ اللهُ نَبَاتًا حَسَنًا ، لِمَا يَرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - سِتِّ سَنِينَ ، تُوَفِّيَتْ أُمُّهُ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :

أَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - آمَنَةُ تُوَفِّيَتْ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم - ابن ستِّ سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخُوهِ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، تَزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فَمَاتَتْ ، وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إِلَى مَكَّةَ .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سَلَمَى بنت عمرو النجارية فهذه الخُثُولَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ لِرَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِيهِمْ .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضَعُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ فِرَاشٌ فِي ظِلِّ السَّكْبَةِ ، فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ ، حَتَّى يُخْرَجَ إِلَيْهِ ، لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالًا لَهُ ، قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْتِي ، وَهُوَ غُلَامٌ جَفَرٌ ، حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ ، لِيُوَخِّرُوهُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ

إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ، فوالله إنَّ له لَشَأْناً ، ثمَّ يُجْلِسْهُ مَعَهُ عَلَى الْفَرَّاشِ ، وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ، وَيُسِرُّهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ .

رعي الغنم :

فصل : وذكر قول النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ » . قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا . وإنما أراد ابنُ إِسْحَاقَ . بهذا الحديثِ رَعَايَتَهُ الْغَنَمَ فِي بَنِي سَعْدِ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ رَعَاهَا بِمَكَّةَ أَيْضاً عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ . ذكره البخاري ، وذكر البخاري عنه أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ : مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ ، وَرَوَى أَنَّ إِحْدَى الْمَرَّتَيْنِ كَانَ فِي غَنَمٍ يَرَعَاهَا هُوَ وَغُلَامٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : اكْفِنِي أَمْرَ الْغَنَمِ حَتَّى آتِيَ مَكَّةَ ، وَكَانَ بِهَا عُرْسٌ فِيهَا لُتُوٌّ وَزَمْرٌ . فَلَمَّا دَنَا مِنَ الدَّارِ لِيَحْضُرَ ذَلِكَ ، أُلْقِيَ عَلَيْهِ النَّوْمُ ، فَتَنَامَ حَتَّى ضَرَبَتْهُ الشَّمْسُ عِصْمَةً مِنَ اللَّهِ لَهُ . وَفِي الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ قَالَ لِصَاحِبِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ النَّوْمُ فِيهَا ، كَمَا أُلْقِيَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . ذكر هذا المعنى ابنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رِوَايَةٍ الْبُكَّائِيِّ . وَفِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِلْقَتَنِِيِّ : « بُعِثَ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ ، وَبُعِثَ دَاوُدُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ ، وَبُعِثْتُ ، وَأَنَا رَاعِي غَنَمٍ أَهْلِي بِأَجْيَادٍ ^(١) » . وَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ هَذَا فِي الْأَنْبِيَاءِ

(١) جبل بمكة ، وهما أجيدان كبير وصغير ، وهما محلطان بمكة . وقيل فيه : جباد بنير ألف وقد سبق .

تَقْدِمَةً لَهُمْ ، لِيَكُونُوا رِعَاةَ الْخَلْقِ ، وَلِتَكُونَ أُمَمُهُمْ رِعَايَاهُمْ ، وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ يَنْزِعُ عَلَى قَلِيبٍ ^(١) وَحَوْلَهَا غَنَمٌ سُودٌ ، وَغَنَمٌ عُفْرٌ ^(٢) . قَالَ : ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — فَزَعَزَعَا ضَعِيفًا ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا ^(٣) . يَعْنِي : الدَّلْوُ ، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى قَرِيَّةً ^(٤) فَأَوَّلَهَا النَّاسُ فِي الْخِلَافَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَلَوْلَا ذِكْرُ الْغَنَمِ السُّودِ وَالْعُفْرِ لَبَعْدَتْ الرُّوْيَا عَنْ مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالرَّعَايَةِ ؛ إِذِ الْغَنَمُ السُّودُ وَالْعُفْرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يَذْكُرُوا الْغَنَمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ . ذَكَرَهُ الْبَزَّازُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَيْضًا ، وَبِهِ يَصِحُّ الْمَعْنَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فِي كِفَايَةِ الْعَمَلِ :

فصل : وَذَكَرَ كَوْنُ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي كِفَالَةِ عَمِهِ يَكْلُمُوهُ

(١) الْقَلِيبُ : الْبُشْرُ قَبْلَ أَنْ تَبْنَى بِالْحِجَارَةِ وَنَحْوَهَا يَذْكُرُ وَيُؤْنَتُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هِيَ الْبُشْرُ الْعَادِيَةُ الْقَدِيمَةُ . وَنَزَعَ الدَّلْوُ : اسْتَقَى بِهَا .

(٢) الْعُفْرُ : جَمْعُ عُفْرَاءَ : مَا يَلْعَلُو بِيَاضِهَا حَمْرَةً ، أَوِ الْبِيضَاءُ لَيْسَتْ بِالشَّدِيدَةِ الْبِيَاضِ ، أَوِ الَّتِي فِي سِرَاتِهَا حَمْرَةٌ ، وَخَاصَرَتَهَا بِيضَاءٌ . وَالسَّرَاةُ : أَعْلَى الظَّهْرِ وَالْوَسْطُ

(٣) السَّدَلْتُو الْعَظِيمَةَ .

(٤) يَعْمَلُ عَمَلَهُ الْعَظِيمَ ، وَيَقْطَعُ قِطْعَهُ . وَفَرَسَتْهُ تَقَالُ : بَفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ أَيْضًا ، وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بِدُونِ ذِكْرِ الْغَنَمِ . وَحَدِيثٌ : أَنَا أَعْرَبُكُمْ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَالتَّطَرِّافِيُّ ، وَفِي رَوَاتِهِ مَبْشَرُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ ، وَقَالَ السِّيُوطِيُّ : ضَعِيفٌ .

وَيَحْفَظُهُ . فَمِنْ حَفَظَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتِيمًا لَيْسَ لَهُ أَبٌ يَرْحُمُهُ ، وَلَا أُمَّ تَرَأُّهُ (١) لَأَنَّهُ مَاتَ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَكَانَ عِيَالُ أَبِي طَالِبٍ ضَعْفًا ، وَعَيْشُهُمْ شَقًّا (٢) ، فَكَانَ يَوْضَعُ الطَّعَامَ لَهُ وَلِلصَّبِيِّ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي طَالِبٍ ، فَيَتَطَاوَلُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَقَاعَرُ هُوَ ، وَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ ، وَتَنْقَبِضُ يَدُهُ تَكْرُمًا مِنْهُ وَاسْتِحْيَاءً وَنِزَاهَةً نَفْسٍ وَقَنَاعَةً قَلْبٍ ، فَيَصْبَحُونَ غُصَصًا رُغَصًا ، مُصْفَرَّةً أُلُوَانُهُمْ (٣) وَيُصْبِحُ هُوَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - صَقِيلًا دَهِينًا (٤) كَأَنَّهُ فِي أَنْعَمِ عَيْشٍ ، وَأَعَزَّ كِفَايَةٍ ، لُطْفًا مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهِ . كَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْقَتَبِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

موت آمنة وزيارته لهما :

فصل : وذكر موت أمه آمنة بالأبواء ، وهو موضع معروف بين مكة

(١) تحبه وتحنو عليه وتعطف . والمذكور في السيرة مع الحفظ والسكامة هو : عبد المطلب ، لا أبو طالب كما في الروض .

(٢) الضعف : كثرة العيال . والشظف والشظاف : الضيق والشدة ، وليس العيش وشدة .

(٣) الرعص - كما في الصحاح - وسخ يجتمع في الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإن جدد فهو رمص ، يقال : عين رمصاء ، وهو أرمص . وهو أغمص ، وهي غمصاء . (٤) صقيل : مجلج . ودهين : مدهون بالدهن كناية عن حسنه ونضارته .

وفي حديث الرضاع كلمات نفسرها هنا : ظئر : أصلها الناقة التي تعطف على ولد غيرها ، فتدر عليه ، فسميت المرأة التي ترضع ولد غيرها ظئرا . والجفر : الغليظ الشديد . منتقع : متغير . الحافل : الممتلئ الضرع . اربعى علينا : أقمى وانتظري . والعجف : الهزال « عن الخشنى ص ٥٦ ،

والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب كأنه سُمِّيَ بجمع بَوٍّ ، وهو جلد الخولر^(١) المَحْشُوءُ بالتبن وغيره ، وقيل : سُمِّيَ بالأبواء لتَبَوُّءِ الشُّيُولِ فيه ، وكذلك ذكر عن كثير . ذكره قاسم بن ثابت .

وفي الحديث أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زار قبر أمِّه بالأبواء في ألفِ مَقَمَّعٍ ، فسكى وأبكى ، وهذا حديث صحيح^(٢) ، وفي الصحيح أيضاً أنه قال : استأذنت ربي في زيارة قبر أمي ، فأذن لي ، واستأذنته أن أستغفر لها ، فلم يأذن لي^(٣) . وفي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ من حديث بُرَيْدَةَ أنه — صلى الله عليه وسلم — حين أراد أن يستغفر لأمه ، ضرب جبريلُ عليه السلام في صدره ، وقال له : لا تستغفر لمن كان مُشْرِكاً ، فرجع وهو حزين .

وفي الحديث زيادةٌ في غير الصحيح أنه سُئِلَ عن بُسْكَائِهِ ، فقال : ذكرت ضَعْفَتَهَا وشدةَ عذابِ الله ، إن كان صَحَّ هذا .

(١) ولد الناقة حتى يفصل . وذكر صاحب المراسد : أن الأبواء قرية من أعمال الفرع والفرع : قرية من نواحي الريزة عن يسار السقيا ، بينها وبين المدينة ثمانية برد ، من المدينة بينها وبين الجحفة بما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . وقيل : جبل عن يمين آره ويمين المصعد إلى مكة من المدينة .

(٢) رواه أحمد وفيه : ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر ابن الخطاب ، وفداه بالأب والام ، وقال : رسول الله ، مالك ؟ قال : إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لأمي ، فلم يأذن لي ، فدمعت عيناى رحمة لها من النار . .

(٣) مسلم وابن ماجه .

وفي حديث آخر ما يُصَحِّحُهُ ، وهو أن رجلاً قال له : يا رسول الله : أين أبي ؟ فقال : في النار ، فلما ولي الرجلُ ، قال عليه السلام : إن أبي وأباك في النار ^(١) ، وليس لنا أن نقول نحن هذا ^(٢) في أبيه — صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام : لا تُؤذُوا الأحياءِ بِسَبِّ الأَمْواتِ ، والله عزَّ وَجَلَّ يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .

(١) في رواية مسلم : فلما قفا : دعاه ، فقال : إن أبي وأباك في النار . والحديث رواه أبو داود أيضا . وقيل عن الرجل الذي سأل : أنه أبو رزين العقيلي . أو حصين بن عبيد والد عمران . وفي مسند أحمد أن أبا رزين سأل عن أمه : أين هي ، فقال : كذلك . هذا ، وقد ذكر البيهقي عدة أحاديث في هذا ، ثم قال بعد روايته لها في دلائل النبوة : « وكيف لا يكون أبواه وجده - عليه الصلاة والسلام - بهذه الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ، ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدر في نسبه - عليه الصلاة والسلام - لأن أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم ، فلا يلزمهم تجديد العقد ، ولا مفارقتن إذا كان مثله يجوز في الإسلام ، ويقول ابن كثير : « وإخباره عن أبيه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سنداً وممتناً — في تفسيرنا — عند تفسير قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإمرأ : ١٥ . فيكون منهم من يجيب ، ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة والله الحمد والمنة ، ص ٢٨١ ج ٢ البداية ، ورغم هذا فإنني أذكر بقول الله : (تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ، ولهم ما كسبت) ولا تُسألون عما كانوا يعملون ، البقرة : ١٤١ .

(٢) إذا سئلنا صدعنا بالحق .

الأحزاب : ٧٥ . وإنما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك الرجل هذه المقالة ، لأنه وجد في نفسه ، وقد قيل : إنه قال : أين أبوك أنت ؟ حينئذ قال ذلك ، وقد رواه مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ بغير هذا اللفظ ، فلم يذكر أنه قال له : إن أبي وأباك في النار ، ولكن ذكر أنه قال له : إذا مررت بقبر كافر ، فبشره بالنار (١) ، وروى حديث غريب لعله أن يصح . وجدته بخط جدِّي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي - رحمه الله - بسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب ، انسخ من كتاب مَعْوِذِ بْنِ دَاوُدَ الزاهد يرفعه إلى [عبد الرحمن ابن] أبي الزناد عن [هشام بن] عروة ، عن [أبيه عن] عائشة - رضي الله عنها - أخبرت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأل ربه أن يُحْيِيَ أبويه ، فأحياهما له ، وآمنا به ، ثم أماتهما ، والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيّه عليه السلام أهل أن يُخَصَّهُ بما شاء من فضله ، ويُنعم عليه بما شاء من كرامته - صلوات الله عليه وآله وسلم - قال القرطبي في تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب في كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الناسخ والنسخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : حج بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع ، فر على قبر أمه ، وهو باك حزين مُتَمَتِّمٌ ، فبكيت لبكائه - صلى الله عليه وسلم - ثم إنه نزل فقال : يا حميراء استمسكي ، فاستندت إلى جنب البعير ، فمكث غنى طويلا مليا ، ثم إنه عاد إلي ، وهو فرح مُتَمَتِّمٌ ، فقلت له : بأبي أنت وأمي

(١) ورواه البيهقي والبزار والطبراني في الكبير وفيه عن الأب : إنه في النار وقال عنه ابن كثير : غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وفاة عبد المطلب : ومارثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمانى سنين

يارسول الله نزلت من عندى ، وأنت باك حزين مُقَتَّمٌ . فبكيت لبكائك .
ثم عدت إلى ، وأنت فَرِحَ مَبْتَسِمٌ ، فَمِمَّ ذَا يارسول الله ، فقال : ذهبت لقبر
أمنة أُمى ، فسألت أن يحياها ، فأحياها فأمنت بي (١) ؛ أو قال : فأمنت .
وردها الله عز وجل .

(١) قال ابن كثير في البداية عن حديث ابن أبي الزناد : منكر جداً . وقال في التفسير عن أحد الأحاديث : وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه الخ وقال الدارقطني : باطل ، وكذا ما رواه السهيلي في الروض بسند فيه جماعة مجهولون أن الله أحيا له أباه وأمه ، وقال ابن دحية عن حديث إحياء الأم : وهذا الحديث موضوع يردده القرآن والإجماع . قال تعالى : ولا الذين يوتون ، وهم كفار ، وقال : دفيمت وهو كافر ، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة ، بل لو آمن عند المعايضة لم ينفعه ، وكيف بعد الإعادة ، ص ١٦٨ ح ١ المواهب .

وقيل إن أمه ماتت وسنه أربع كما حكى العراقي ومغلطاي ، وقيل : ست وبه قطع ابن إسحاق ، وقيل : سبع كما حكاه ابن عبد البر ، وقيل : تسع ، وينسب إلى حكاية مغلطاي أيضاً ، وقيل : اثنتا عشرة سنة وشهر وعشرة أيام ، وينسب إلى حكاية مغلطاي . وقيل : ثمان ، وهو قول ابن حبيب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيَّب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة ، وعرف أنه ميت جمع بناته ، وكنَّ ست نسوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأمّ حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، فقال لهن : ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيَّب ، كتبناه :

فقلت صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

أَرَقْتُ لَصَوْتِ نَائِحَةٍ بَدِيلٍ	على رَجُلٍ بِقَارَعَةِ الصَّامِعِ
فَقَاصَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ دُمُوعِي	على خَدَى كُنُحْدِرِ الْفَرِيدِ
على رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغَلٍ	له الْفَضْلُ الْمُبِينِ على الْعَبِيدِ
على الْفَيَاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي	أَيُّكَ الْخَيْرِ وَارِثِ كُلِّ جُودِ
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسِ	وَلَا شَخْتُ الْمَقَامِ وَلَا سَنِيدِ
طَوِيلِ الْبَاعِ ، أَرْوَعَ شَيْظَمِي	مُطَاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجَ ذِي فَضُولِ	وَعَيْثِ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْخُرُودِ
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بَذَى وَصُومِ	يَرُوقُ على السُّودِّ وَالْمَسُودِ
عَظِيمِ الْحَلِيمِ مَنْ تَقَرَّ كِرَامِ	خَضَارِمَةٍ مَلَاوِنَةٍ أَسُودِ
فَلَوْ خَلَدَ امْرُؤٌ لِقَدِيمِ مَجْدِ	وَلَكِنْ لَسَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ
لَكَانَ مُخَدِّدًا أُخْرَى اللَّيَالِي	لِفَضْلِ الْمَجْدِ وَالْحَسْبِ التَّلِيدِ

• • • • •

وقالت برة بنت عبد المطلب تبكى أباه :

أَعْيَنِي جُودًا بِدَمْعٍ دِرَرٍ عَلَى طَيِّبِ الْخِيَمِ وَالْمُنْتَصِرِ
عَلَى مَاجِدِ الْجَدِّ وَارِي الزَّنَادِ جَمِيلِ الْحَيَا عَظِيمِ الْخَطَرِ
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُنْتَخَرِ
وَذِي الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ كَثِيرِ الْمَكَارِمِ ، جَمِّ الْفَجَرِ
لَهُ فَضْلٌ تَجَدَّدَ عَلَى قَوْمِهِ مُنِيرٌ ، يَلُوحُ كَقُصْوَةِ الْقَمَرِ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا ، فَلَمْ تُشَوِّهِ بِصَرْفِ اللَّيَالِي ، وَرَبِّ الْقَدَرِ

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباه :

أَعْيَنِي جُودًا ، وَلَا تَبْخَلَا بِدَمْعِكَا بَعْدَ نَوْمِ النِّيَامِ
أَعْيَنِيَّ وَاسْتَحْنَفِرَا وَاسْكُبَا وَشُوبَا بِكَاءٍ كَمَا بِالتَّيْدَامِ
أَعْيَنِيَّ ، وَاسْتَحْزِرَا وَاسْجُمَا عَلَى رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسِ كِهَامِ
عَلَى الْجَحْفَلِ الْعَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ كَرِيمِ الْمَسَاعِي ، وَفِي الدُّمَامِ
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ ، وَارِي الزَّنَادِ وَذِي مَصْدُقٍ بَعْدُ ثَبِتِ الْمَقَامِ
وَسَيْفٍ لَدَى الْحَرْبِ صَمْصَامَةٍ وَمِرْدَى الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامِ
وَسَهْلٍ الْخَلِيقَةِ طَلَقِ الْيَدَيْنِ وَفِيَّ عُدْمِ الْمِلَى صَمِيمِ لِهَامِ
تَبَنَّاكَ فِي بَاذِخٍ بَيْتُهُ رَفِيعُ الدُّوَابَةِ صَعْبِ الْمَرَامِ

وقالت أم حَكِيمِ الْبَيْضَاءِ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهْلِي وَبَكِّي ذَا النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ

.

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَسْعِفْنِي بَدْمَجٌ مِنْ دُمُوعِ هَاطَلَاتِ
وَبَكْيِ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا أَبَاكَ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ
طَوِيلِ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالَى كَرِيمِ الْخَلِيمِ تَحْمُودِ الْهَبَاتِ
وَصُولاً لِلْقَرَابَةِ هِزْزِيًّا وَغَيْثًا فِي السَّيْنِ الْمُحَلَّاتِ
وَلَيْثًا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالَى تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاطِرَاتِ
عَقِيلَ بَنَى كِنَانَةَ وَالْمَرْجَى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهِنَاتِ
وَمَفْزَعَهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجٌ بَدَاهِيَةِ ، وَخَصَمِ الْمُفْضَلَاتِ
فَبَكِيهِ ، وَلَا تَسْمِي بِحُزْنٍ وَبَكْيِ ، مَا بَقِيَتْ ، الْبَاكِاتِ

وَقَالَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا:

أَلَا هَلَّاكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو النَّمَدِ وَسَاقِي الْحَجِيجِ ، وَالْحَامِي عَنِ الْمَجْدِ
وَمَنْ يُؤَلِّفُ الصَّيْفَ الْغَرِيبَ بِيوتِهِ إِذَا مَا سَمَاءُ النَّاسِ تَبْخَلُ بِالرَّعْدِ
كَسَبْتُ وَلِيداً خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَى فَلَمْ تَنْفَكْ كَلِّكَ تَزْدَادُ بِأَشْيِبَةِ الْحَمْدِ
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَّاضُ ، خَلَّى مَكَانَهُ فَلَا تَبْعُدَنَّ ، فَكُلْ حَى إِلَى بَعْدِ
فَإِنِّي لِبَاكِ — مَا بَقِيَتْ — وَمَوْجَعٌ وَكَانَ لَهُ أَهْلًا لِمَا كَانَ مِنْ وَجْدِ
سَقَاكَ وَلِيُّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُمِطِراً فَسَوْفَ أَبْكِيهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَحَدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْنًا لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَكَانَ حَمِيداً حَيْثُ مَا كَانَ مِنْ حَمْدِ

وَقَالَتْ أَرْزَوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا:

بَكَتْ عَيْنِي ، وَحُقَّ لَهَا الْبُكَاءُ عَلَى تَمْنَحٍ ، سَجِيَّتُهُ الْحَيَاءُ

.....

عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِي كَرِيمِ الْخَلِيمِ ، نَيْتُهُ الْعَلَامِ
 عَلَى الْفَيَاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي أَيْمِكَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاةُ
 طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ ، شَيْطَمِيَّ أَغْرَ كَانَ غُرْتَهُ ضِيَاءُ
 أَقْبَ السَّكْشَحِ ، أَرْوَعُ ذِي فُضُولِ لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ
 أَبِي الضَّمِيمِ ، أَبْلَجَ هَبْرِيَّ قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ
 وَمَنْعَلِ مَالِكٍ ، وَرَبِيعِ فِهْرِ وَفَاصِلِهَا إِذَا التَّمِيسَ الْقَضَاءُ
 وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَمًا وَجُودًا وَبَاسًا حِينَ تَنْسُكِبُ الدَّمَاءُ
 إِذَا هَابَ السَّكْمَةُ الْمَوْتَ حَتَّى كَانَ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ
 مَضَى قَدْماً بَذَى رُبْدَ خَشِيبَ عَلَيْهِ حِينَ تُبْصِرُهُ الْبَهَاءُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَرَزَعُ لِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ أَشَارَ بِرَأْسِهِ ، وَقَدْ
 أَضْمَتَ : أَنْ هَكَذَا فَاكِئِنِي .

قَالَ ابْنُ هِشَامَ : الْمُسَيَّبُ بْنُ حَزْنِ بْنِ أَبِي وَهَبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ
 ابْنُ مَخْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ غَانِمٍ أَخُو بَنِي عَدَى بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ
 يَبْنِي عَبْدِ الْمَطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ ، وَفَضْلَ قُصَى عَلَى
 قُرَيْشٍ ، وَفَضْلَ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ بَغْرَمَ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ
 بِمَكَّةَ ، فَوَقَفَ بِهَا فَرَّ بِهِ أَبُو هَلَبٍ عَبْدُ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ ، فَافْتَكَّهَ :

أَعْيَى جُودًا بِاللَّهِ مَوْعٍ عَلَى الصَّدْرِ وَلَا تَسَامَا ، أَسْقِمْتُمَا سَبَلَ الْقَطْرِ

وجود ابد مع ، واسفحاً كل شارق
 وسحاً ، وجماً ، واسجماً ما بقيتا
 على رجل جلد القوى ، ذى حفيظة
 على الماجد البهلول ذى الباع واللى
 على خير حاف من معدة وناعل
 وخبرهم أصلاً وفرعاً ومعدنا
 وأولاهم بالمجد والحلم والنهى
 على شعبة الحمد الذى كان وجهه
 وساقى الحبيب ثم للخبر هاشم
 طوى زمز ما عند المقام ، فأصبحت
 ليبيك عليه كل عان بكربة
 بنوه سراة ، كهلهم وشبابهم
 قصي الذى عادى كنانة كلها
 فإن تك غائته المنابا وصرفها
 وأبقى رجالاً سادة غير عزل
 أبو عتبة الملقى إلى حباءه
 وحزرة مثل البدر ، يهتز للندى
 وعبد مناف ماجد ذو حفيظة
 كهلهم خير الكهول ، ونسلهم

بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهر
 على ذى حياء من قرش ، وذى سنر
 جميل المحيا غير نكس ولا هذر
 ربيع لوى فى القحوط وفى العسر
 كريم المساعى ، طيب الخيم والنجر
 وأخطاهم بالمكرمات وبالذكر
 وبالفضل عند المجحفات من العبر
 يضى سواد الليل كالقمر البدر
 وعبد مناف ، ذلك السيد الفهرى
 سقايتهم فخراً على كل ذى فخر
 وآل قصي من مقل وذى وفر
 نفلق عنهم بيضة الطائر الصقر
 ورابط بيت الله فى العسر واليسر
 فقد عاش ميمون النقيبة والأمر
 مصاليت ، أمثال الردينية السمر
 أغر ، هجان اللون من نفر غر
 نقى الثياب والذمام من الغدر
 وصول لذي القربى رحيم بذى الصهر
 كنسل الملوك ، لانبور ولا تحزى

متى ما تلاقى منهم الدهر ناشئاً
 ثم ملئوا البطحاء مجداً وعزة
 وفيهم بناء للعلماء ، وعمارة
 بإنسكاح عوف بنته ، ليجيرنا
 فسرنا بها مي البلاد ونجدها
 ومم حضروا والناس باد فرمهم
 بنوها دياراً جمّة ، وطوّوا بها
 لكي يشرب الحجاج منها ، وغيرهم
 ثلاثة أيام تظل ركابهم
 وقدما غنينا قبل ذلك حقبة
 ومم يغفرون الذنب ينقم دونه
 ومم جموا حلف الأحابيش كلها
 فخارج ، إماماً هليكن ، فلا نزل
 ولا نسا ما أسدى ابن لثني ؛ فإنه
 وأنت ابن لثني من قصي إذا انتموا
 وأنت تناولت العلماء ، فجمعتها
 سبقت ، وقت القوم بذلاً وناثلاً
 وأمك سيرة من خزاعة جواهر
 إلى سبأ الأبطال ننتى ، وتنتى

تحذه بإجرباً أوائله يجري
 إذا أسدى الخيرات في سالف العصر
 وعبد مناف جدتم ، جابر الكسر
 من أعدائنا إذ أسلمتنا بنو فهر
 بأمنه حتى خاضت العير في البحر
 وليس بها إلا شيوخ بني عمرو
 بثاراً تسح الماء من نبع البحر
 إذا ابتدروها صبح تابعة النحر
 تحيسة بين الأخاشب والحجر
 ولا تستقى إلا بحم أو الحفر
 ويمنون عن قول السفاهة والأهجر
 وهم نكلوا عنا غواة بني بكر
 لهم شاكر حتى تفيب في القبر
 قد أسدى بدأ تحفوة منك بالشكر
 بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
 إلى محتد للمجد ذي تسج جسر
 وسدت وليداً كل ذي سؤدد غمر
 إذا حصل الأنساب يوماً ذووا الخبر
 فأكرم بها منسوبة في ذرا الزهر

أَبُو شَمِيرٍ مِنْهُمْ ، وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ وَذُو جَدَانٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجُبَرِ
وَأَسْعَدُ قَادَ النَّاسِ عَشْرِينَ حِجَّةً يُؤَيِّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنَّصْرِ

قال ابن هشام : « أُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خِرَازَةِ » ، يعنى : أبا لهب ، أمه : لُبْنَى
بنت هاجر الخَزَاعِي . وقوله : « بِإِخْرِيًّا أَوَانِلَهُ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال مَطْرُودُ بْنُ كَعْبٍ الْخَزَاعِيُّ يَبْنِكِي عَبْدَ الْمَطْلَبِ
وَبَنَى عَبْدَ مَنْفٍ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنْفٍ
هَبَلَتْكَ أُمُّكَ ، لَوْ حَلَلْتَ بَدَارِمَ ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافِ
الْخَالِطِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِ
الْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِبْلَافِ
وَالْمُنْعَمِينَ إِذَا الرِّيَّاحُ تَنَاقَحَتْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ
إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الْفَعَالِ فَمَا جَرَى مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عِقْدَ ذَاتِ نِظَافِ
إِلَّا أَيْبُكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحْدَهُ وَالْفَيْضِ مُطْلَبِ أَبِي الْأَضْيَافِ

قال ابن إسحاق : فلما هَلَكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ وَلِيَ زَمْزَمَ وَالسَّقَايَةَ
عليهما بعده الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَحْدَثِ إِخْوَتِهِ سِنًا ، فَلَمْ
تَزَلْ إِلَيْهِ ، حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ وَهُوَ بِيَدِهِ . فَأَقْرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَهُ
عَلَى مَا مَضَى مِنْ وَلَايَتِهِ ، فَهَبَى إِلَى آلِ الْعَبَّاسِ ، بَوْلَايَةَ الْعَبَّاسِ إِيَّاهَا ، إِلَى
الْيَوْمِ .

كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد عبد المطلب مع عمّه أبي طالب ، وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصي به عمّه أبا طالب ، وذلك لأنّ عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا طالب أخوان لأب وأمّ أُمّهمَا : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم [بن بَقَظَة بن مِرّة] .

قال ابن هاشم : عائذ بن عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذي يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه ، فكان إليه ومعه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أبااه حدثه : أن رجلا من لُهب - قال ابن هشام : ولُهب : من أزد شنوءة - كان عائقا ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بفيلمانهم ينظر إليهم ، ويعتاف لهم فيهم . قال : فأتى به أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام . علىّ به ، فلما رأى أبو طالب حرّصه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : وَيَلِكُكُمْ ! رُدُّوا علىّ الغلام الذي رأيت آتيا ، فوالله لَيَكُونَنَّ له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

وفاة عبد المطلب

قول صفية :

ففاضت عند ذلك دُمُوعِي على خَدَّي كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ

يروى : كمنحدر بكسر الدال أى : كالدر المنحدر ، وَمُنْحَدَرٌ بفتح الدال
فيكون التشبيه راجعاً للفيض ، فعلى رواية الكسر : شَبَّهَتِ الدَّمْعَ بِالْدرِّ الْفَرِيدِ ،
وعلى رواية الفتح شَبَّهَتِ الْفَيْضَ بِالْأَمْحَدَارِ .

وقولها : أَيْبِكَ الْخَيْرِ . أرادت : الْخَيْرُ نَخَفْتُ ، كما يقال : هَيْنٌ وَهَيْنٌ ، وفى
التنزيل : (خَيْرَاتٌ حَسَنٌ) الرحمن : ٧٠ . وكان اسمُ أمِّ الدرداء : خَيْرَةُ بنتُ أبي
حَدَرْد (١) وكذلك أم الحسن بن أبي الحسن البصرى ، اسمُها : خَيْرَةُ ، فهذان
المخفف ، ويموز أن يكون الْخَيْرُ هُنَا هو ضد الشَّرِّ ، جعلته كله خيراً على المبالغة
كما تقول : ما زيدٌ إِلَّا عِلْمٌ أو حُسْنٌ ، وما أنت إِلَّا سَيْرٌ ، وهو تَجَازَ حَسَنٌ ،
فعلى هذا الوجه لَا يَثْنَى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤَنَّثُ ، فيقال : خَيْرَةُ .

(١) هى صحابية ، وكانت زوجا لأبى الدرداء . وكانت له زوجتان كل
واحدة منهما كنيتهما : أم الدرداء ، وهما كبرى وصغرى . والكبرى : هى الصحابية ،
والصغرى : تابعة ، وهى التى روت فى الصحيح ، أما الكبرى فليس لنا فى الصحيحين
حديث ، وهى خَيْرَةُ بنتُ أبى حدرد ، واسمها : سلامة بن عمر . وهى أصلية
وفى القاموس : أبو الحدرد الأسلى : صحابى ، ولم يحمى . فمطلع بتكرير العين
غيره . والحدرد : القصير .

وقولها : ولا شَخْتُ المقامِ ولا سَنِيدُ : الشَّخْتُ : [الدقيق الضامِرُ لا هُزَّ أَلَا]
ضدُّ الضَّخْمِ ، تقول : ليس كذلك ، ولكنه ضَخْمٌ المقام ظاهرُهُ . والسَّيْدُ :
الضَّعِيفُ الذي لا يَسْتَقِيلُ بنفسه ، حتى يَسْنُدَ رأيه إلى غيره .

وقولها : خَصَّارِمَةٌ مَلَاوِيَّةٌ . ملاوئته : جَمْعُ مِلَوَاتٍ ^(١) من اللَّوْنَةِ ، وهي
القوة ، كما قال المُكَعَّبَرُ :

عند الحَفِظَةِ إِنْ ذُو لَوْنَةٍ لَانَا

وقد قيل : إِنْ اسْمَ اللَّيْثِ مِنْهُ أُخِذَ ، إِلَّا أَنْ وَآوَهُ انْقَلَبَتْ يَاءٌ ؛ لَأَنَّهُ
فَعِيلٌ ، فَخُفَّفَ كَمَا تَقْدُمُ : فِي هَيْنٍ وَهَيْنٍ ، وَلَيْنٍ وَلَيْنٍ .
وقول بَرَّةَ :

أَنَّهُ الْمَنَايَا فَلَمْ تُشَوِّهِ

أى : لَمْ تُصِيبِ الشَّوْىَ ^(٢) ، بَلْ أَصَابَتْ الْمَقْتَلَ ، وقد تقدم فى حديث
عبد المطلب وضربه بالقِدَاحِ على عبد الله ، وكان يَرَى أَنْ السَّهْمَ إِذَا خَرَجَ
على غيره أَنَّهُ قَدْ أَشْوَى ، أَى : قَدْ أَخْطَأَ مَقْتَلَهُ ، أَى : مَقْتَلَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وابنه ،

(١) فى اللسان : الملائ بفتح الميم والمملووث : السيد الشريف والشيظمى :
اللقى الجسم . والخصارمة : جمع خصرم بكسر الخاء والراء : الكثير العطاء .
النكس : الضعيف الذى لا خير فيه . الحروود : الناقة القليلة الدر .

(٢) الشوأة : جلدة الرأس ، والشوى : اليدان والرجلان والأطراف ، وما كان
غير مقتل .

ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرك^(١) فالأول من الشوى ، وهذا من الشى بالنار ، قاله أبو حنيفة .

وقول عائكة : ومردى المخام ، المردى : مفعل من الردى ، وهو الحجر الذى يقتل من أصيب به ، وفى المثل : كُـلُّ شَيْبٍ عنده مرداته^(٢) [أى : يقرب منه حقه ، لأنه يُرمى به فيقتل]

وقولها : وف . أى : وفى ، وخفف للضرورة ، وقولها : عُدْمِلَى . العُدْمِلَى : [وَالْعُدَامِلُ وَالْعُدَامِلَى] الشديد . واللهم : فَعَالٌ من لَهْمْتُ الشىء ، ألهمه : إذا ، ابتلغته ، قال الراجز : [رُوْبَةٌ بن العجاج] .

كالخوت لا يروبه شىء بَلَهْمَهُ . يُصبح عَطَشَانَا^(٤) وفى البحر فمه
ومنه سعى الجيش : أهاماً

(١) أفرك : حان له أن يفرك . وفى اللسان : أشوى القمح : أفرك ، واصلح أن يشوى .

(٢) هذا والخيم فى قصيدة برة : السجية والطبيعة . وطيب المعتصر : جواد حين يسأل .

(٣) فى الأصل : عند . وفى مجمع الأمثال وسط اللآلىء : «عنده» . والمرداة : الحجر الذى يرمى به ، والضرب قليل الهداية ، فلا يتخذ حجره إلا عند حجر يكون علامة له . فن قصده ، فالحجر الذى يرمى بالضرب به يكون بالقرب منه . فعنى المثل : لا تأمن الحدثنان والسيير . فإن الآفات مُعَدَّةٌ مع كل أحد : يضرب إن تعرض للهلكة .

(٤) فى ديوان روبة : ظلمان . وانظر ص ٣٤٣ > خزائن البغدادى .

وقولها : على الجَحْفَلِ . جملة كالجَحْفَلِ ، أى : يقوم وحده مقامه ،
وَالْجَحْفَلُ : لفظ مَنْحَوْتُ من أصلين ، من : جَحَفَ وَجَفَلَ ، وذلك أنه يَجَحَفُ
ما يمر عليه أى : يَفْشِرُهُ وَيَجْفِلُ : أى يَقْلَعُ (١) ونظيره نَهَشَلُ : الذئبُ ، هو
عندهم منحوت من أصلين أيضاً ، من : نَهَشَتُ اللحمَ ونَشَلْتُهُ (٢) وعائكة : اسم
منقول من الصَّفَاتِ ، يقال : امرأةٌ عَائِكَةٌ ، وهى الْمُصَفَّرَةُ لبدنها بالزَّعْفَرَانِ
والطَّيْبِ . وقال الْقَتَيْبِيُّ : عَتَكَتِ القوسُ : إِذَا قَدَمَتْ (٣) وبه سُمِّيَتِ المرأةُ .
والقول الأول قولُ أبى حنيفة .

وقول أَرْوَى : وَمَعْقِلُ مالِكٍ وربيعٍ فِهْرٌ . تريد : بنى مالك بن النضر
ابن كِنَانَةَ . وقولها : بذى رُبْدٍ . تريد : سيفاً ذا طرائق . والرُّبْدُ : الطرائقُ .
وقال صَخْرَةُ النُّعْمَى [الهَذَلِيُّ] :

وصارمٌ أَخْلَصَتْ خَشِيبَتَهُ أبيضُ مَهْوٌ فى مَتْنِهِ رُبْدٌ (٤)

(١) يجفل فى اللسان ويجحف : يقشر : وفى الأصل : جحف بدلا من جحف ،
وهذه أثبتنا خطأ الأولى .

(٢) نهشه : كمنعه ، نهسه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان ونشفه . ونشل
اللحم : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة ، أو أخذ بيده عضواً ، فتناول ما عليه
من اللحم بفيه .

(٣) فى القاموس : عتك القوس عتكا . وعتوكا ، فهى عاتك :
احمرت قداماً ، وكذلك فى اللسان .

(٤) خشبية فى الأصل : خشيشة ، وهو خطأ صوبته ، من اللسان . والخشيشة : الطبيعة
أخلصها المداوس والصقل ، يقال : خشب السيف : طبعه أو صقله . المهو : السيف
الرفيق الشفرتين . وهى على وزن قلع ، لأنها مقلوقة من موه ، لأنها من الماء الذى لأمه =

وقول عاتكة : تَبَنِّكَ في باذخ بيته . أى : تَبَنِّكَ بيته في باذخ من الشَّرَفِ ، ومعنى تَبَنِّكَ : تَأَصَّلَ من البُنْكَ وهو : الأَصْلُ . وَالبُنْكَ أيضاً : ضَرْبٌ من الطَّيْبِ ، وهو أيضاً عود السوس^(١) [شجر يغمى به البيوت ،

== هاء ، بدليل قولهم في جمعه : أمواه . والربد : شبه غبار أو مدب نمل في جوهره وقيل : الخشب الذى فى السيف هو أن يضع عليه سنانا عريضا لمس ، فيدلكه به . والمعنى : أن هذا السيف أرق حتى صار كالماء فى رفته . والبيت فى اللسان فى مادة خشب : ومرهف - برفعها ورفع أبيض - ومهو . وفى مادة : مها - وصارم ، كما فى الروض ، وقد ورد البيت فى معجم ابن فارس فى مادة ربد كما فى الروض وقال عن الربد : وفأما ربد السيف فهو فرند ديباجته ، وهى «ذلية» .

وقال فى مهو : د وسيف مهو : رفيق الحد كأنه يمر فى الضريبة مر الماء . . واللسان يرويه فى مادى ربد ومهو كما ذكر الأستاذ عبد السلام هارون فى تعليقه على معجم ابن فارس . ويوجد البيت فى ديوان الهذليين وشرح السكرى للهذليين . . ومن معانى قصيدة عاتكة : اسحنفرا : صبا الدموع بكثرة . الالتدام : ضرب النساء وجوههن فى النباحة . استخرط الرجل فى البكاء : لج فيه . الكهام : الرجل السكيل السن . ومن معانى قصيدة أم حكيم : استهلى ، أظهرى البكاء . التيار : معظم الماء . والفرات : الماء العذب . التهميرى : الحاذق فى أموره . تشتجر العوالى : تختلط الرماح فى الحرب . الهنات : جمع هنة ، وهى كناية عن القبيح . ولاتسسمى ، أرادت : ولاتسمى . ومن غريب شعر أميمة : ذو الفقد : الفياض الكثير العطاء ، فإنى لباك : أخبرت عن نفسها لإخبار المذكر على معنى الشخص . ومن غريب شعر أروى ، السجية : الطبيعة ، أبطحى : نسبة إلى بطحاء مكة ، وهو الموضع السهل منها . الأقب : الضامر . الكشخ : الخصر .

(١) فى اللسان وفى القاموس ما وضعت بين قوسين عن عود السوس ، ويقول الأزهرى عن البَنك : إنها فارسية ومعناها : الأصل . ولهذا يقول ابن فارس فى مادة بنك : كلمة واحدة وهو قولهم : تبَنِّكَ بالمسكان ، أقام به .

وَيَدْخُلُ عَصِيرَهُ فِي الْأَدْوِيَةِ ، وَفِي عُرُوقِهِ حَلَاوَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَفِي فُرُوعِهِ مَرَارَةٌ] .
 وَقَوْلُهُ : فَأَشَارَ إِلَى يَمِينِ بَرَأْسِهِ ، وَقَدْ أُضْمِتْ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْيَمِيمِ ، هَكَذَا قَيْدُهُ
 الشَّيْخُ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ ، وَيُقَالُ : صَمَتَ وَأُضْمِتَ ، وَسَكَتَ وَأُسْكِتَ
 بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، [وَسَمَحَ وَأَسَمَحَ ، وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَعَصَفَتْ ، وَطَلَعَتْ عَلَى الْقَوْمِ
 وَأَطْلَعَتْ . ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أدَبِ الْكَاتِبِ] .

أَبُو جَهْمٍ :

وَذَكَرَ شِعْرَ حُذَيْفَةَ بْنِ غَانِمٍ الْعَدَوِيِّ ، وَهُوَ وَالِدُ أَبِي جَهْمِ بْنِ
 حُذَيْفَةَ (١) ، وَاسْمُ أَبِي جَهْمٍ : عُبَيْدٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَهْدَى الْخُمَيْصَةَ (٢)

(١) قَالَ الْبُخَارِيُّ وَجَمَاعَةٌ : اسْمُهُ عَامِرٌ ، وَكُنْيَتُهُ فِي الْإِصَابَةِ : أَبُو الْجَهْمِ . وَأَبُو
 جَهْمٍ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ ، وَفِي نَسَبِ قُرَيْشٍ : أَبُو جَهْمٍ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ غَانِمٍ ، بْنُ عَامِرٍ ،
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَوْجٍ ، بْنُ عَدَى بْنِ كَعْبِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ . وَقَدْ ضَبَطَ
 النَّوَوِيُّ عُبَيْدَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَضَبَطَ فِي النَّسَبِ بِضَمِّهَا . انْظُرْ ص ٣٦٩ نَسَبِ
 قُرَيْشٍ ، وَتَرْجُمَةُ أَبِي جَهْمٍ فِي التَّهْذِيبِ لِلنَّوَوِيِّ .

(٢) الْخُمَيْصَةُ ، ثَوْبٌ حَرٌّ ، أَوْ صُوفٌ مُعَلَّمٌ ، وَقِيلَ : لَا تُسَمَّى خُمَيْصَةً إِلَّا أَنْ
 تَكُونَ سُودَاءَ مُعْمَلَةٍ ، وَكَانَتْ مِنْ لِبَاسِ النَّاسِ قَدِيمًا . وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى مَا رَوَى
 فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : صَلَّى النَّبِيُّ -
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَسَلَّمَ - فِي خُمَيْصَةٍ لَهَا أُنْثَلَامٌ ، فَقَالَ : أَذْهَبُوا بِخُمَيْصَتِي هَذِهِ
 إِلَى أَبِي جَهْمٍ . وَاتَّوَنَى بِأَنْتَبَجَانِيَةِ أَبِي جَهْمٍ ، فَبَيْنَمَا الِتِّقَى آتِفًا عَنْ صَلَاقٍ .
 وَالْأَنْتَبَجَانِيَّةُ - بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِهَا وَفَتْحِ الْهَمْزَةِ - نَسَبَةٌ إِلَى مَنْبِجٍ أَوْ أَنْبَجَانٍ ، وَهُوَ كَسَاءٌ
 يَتَّخَذُ مِنَ الصُّوفِ ، وَلَهُ خُمَلٌ [الْقَطِيفَةُ أَوْ أَهْدَابُهَا] ، وَلَا عِلْمَ لَهُ . وَهُوَ
 مِنْ أَدْوَنِ الثِّيَابِ الْغَلِيظَةِ . وَإِنَّمَا طَلَبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْأَنْتَبَجَانِيَّةَ
 لِتَلَايُوثِهَا بِرَدِّ الْهَدِيَّةِ - وَهِيَ الْخُمَيْصَةُ - فِي قَلْبِهِ .

لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى علمها . الحديث . وقد روى
أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أتى بجمعيتين ، فأعطى إحداها أبا جهم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ،
فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم ، وأخذ الأخرى بدلاً
منها ، هكذا رواه الزبير^(١) . وأم أبي جهم : بسيرة بنت عبد الله بن أذاة
ابن رباح ، وابن أذاة : هو خال أبي قحافة ، وسيأتي نسب أمه ، وقد قيل :
إن الشعر لحذافة بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافه ، وله يقول
فيه : أخرج إن أهلك . وفي الشعر : غير نكس ولا هذر . النكس من
السهم : الذي نكس في الكنانة ليمزه الرامي ، فلا يأخذه لرداءته . وقيل :
الذي انكسر أعلاه ، فنكس ورد أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمي .

وقوله : لا تبور ولا تحري . أي : لا تهلك ولا تنقص ، ويقال للأفمى : حارية
لرقتها^(٢) وفي الحديث : ما زال جسم أبي بكر يحري حزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أي : ينقص لحمه ، حتى مات ، والإجرباء : السيرة وهي
إفصيلاء من الجري^(٣) ، وليس لها نظير في الأبنية إلا الإهجيراء في معنى

(١) رواه مرسلًا .

(٢) هي التي كبرت ، ونقص جسمها ، ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسعها .

(٣) في الأصل : إجرباء والحري بالحاء ، وهو خطأ صوابه ما أثبتته . والإجرباء
في اللسان : الوجه الذي تأخذ فيه ، وتحري عليه . وتقصر وتمد .

الهِجِيرَى (١)

وفيها قوله : وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو . يريد : بَنَى هَاشِمٌ ؛ لأنَّ اسمَه
عَمْرُو .

وفيها : غَيْرُ عَزَلٍ ، وهو : جمعُ أَغْزَلَ ، ولا يُجمعُ أَفْعَلٌ على فَعَلٍ ، ولكن
جاء هكذا ؛ لأنَّ الأَعْزَلَ في مقابلة الرامح (٢) وقد يحملون الصفة على ضدها ،
كما قالوا : عَدُوَّةٌ - بناءً التانيث - حَمَلًا على صديقة ، وقد يجوز أن يكون أجراه
تَجَرَّى : حُسْرٍ جمع : حَاسِرٍ ؛ لأنه قريبٌ منه في المعنى (٣)
تهام وشأم :

وقوله : فسرنا تهامِيَّ البلاد مخففاً مثل يمانِيَا ، والأصلُ في يَمَانٍ : يَمَنَى ،
نخففوا الياء ، وعوضوا منها ألفاً ، والأصل في تهَامٍ : تهَامِيَّ بكسر التاء من تهَامِيَّ
لأنه منسوب إلى تهامة (٤) ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما فعلوا في يَمَانٍ

(١) الدأب والعادة والقول السيء وكثرة الكلام . ولا تسكاد تستعمل إلا في
العادة الذميمة .

(٢) في اللسان : العزل ، بضم العين والراء ، والأعزل الذي لا سلاح معه ،
فهو يعتزل الحرب . أو الذي لا رمح معه . وجمعهما أعزال وعُزُلٌ وعُزْلَانٌ ،
وعُزْلٌ . والأعزل والرامح : نجران نيران . قال الأزهري : وفي نجوم السماء
سماكان ، أحدهما : السماك الأعزل ، والآخر : السماك الرامح . وفي شرح الشافية
للرضي . المطارد في تكسير أَفْعَلٍ : فعلاء . وفي مؤنثه : فَعْعَلٌ ، ولا يضم عينه
إلا لضرورة الشعر ، ويحذف فعلاً أيضاً كثيراً . كسودان وبيضان .

(٣) الحاسر : من لا مِفْقَر له ولا درع ، أو لا جنة له .

(٤) تهامة : تسابير البحر . منها : مكة . وقيل : طرف تهامة من قبل الحجاز : =

وفتحوا التاء من تَهَامٍ لما حذفوا الياء من آخره ، لتسكون الفتحة فيه كالمعوض من الياء ، كما كانت الألف في يَمَانٍ ، وكذلك الألف في شَامٍ بفتح الهمزة ، وألف بعدها عِوَضًا من الياء المحذوفة ، فَإِنْ شَدَّدَتِ الياء من شَامٍ قلت : شَامِيٌّ بسكون الهمزة ، وتذهب الألف التي كانت عوضا من الياء لرُجُوع الياء المحذوفة ، ولا تقول في غير النسب : شَامٍ بالفتح والهمز ، ولا في النسب إذا شددت (١)

== مدارج العرج . وأول تهامة قبل نجد : ذات عرق ، وقيل : يخرج من مكة . فلا يزال في تهامة حتى يبأغ عُسُفَّان .

(١) هذا من النسب المسموع ، ويتميز هذا النوع بتخفيف ياء النسب المشددة ، والإتيان بألف التعويض عنها قبل لام الكلمة . فيقال في يَمَنِيٍّ : يَمَانِيٌّ وفي شَامِيٍّ : شَامِيٌّ بياء واحدة ساكنة فيها . وبهذا يصير الاسم منقوصاً ، فتقول : قام اليماني ، رأيت اليماني ، ومررت باليماني . ولا تجتمع ألف التعويض مع الياء إلا شذوذاً في ضرورة الشعر . ويستحسن الاختصار على المسموع . ولم يرد غير يمان وشَامٍ وتهَامٍ وزاد الجوهري في الصحاح : نباطى ونباط ، وفي اللسان : ورجل شَامٍ وتهَامٍ إذا نسبت إلى تهامة والشَام ، وكذلك : رجل يمان ، زادوا ألفاً فخففوا ياء النسبة . وفيه أيضاً عن تهامة : والنسبة إليه تَهَامِيٌّ بكسر التاء وتشديد الياء ، وتهَامٍ بفتح التاء على غير قياس ، كأنهم بنوا الاسم على تَهَمِيٍّ أو تَهَمِيٍّ ، ثم عوضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها . ويقول الجوهري : إذا فتمت التاء في تهَامٍ لم تشدد ، كما قالوا : يمان وشَامٍ إلا أن الألف في تهَامٍ من لفظها والألف في يمان وشَامٍ عوض من ياء النسبة . وفي شرح الشافية ص ٨٣ ح ٢ : وقالوا : يمان وشَامٍ وتهَامٍ . ولأربع لها . والأصل : يَمَنِيٌّ وشَامِيٌّ وتَهَمِيٌّ لحذف في الثلاثة إحدى ياء النسبة ، وأبدل منها الألف ، وجاء : يَمَنِيٌّ وشَامِيٌّ على الأصل ، وجاء تَهَامِيٌّ بكسر التاء وتشديد الياء منسوبا إلى تهامة ، وجاء يَمَانِيٌّ وشَامِيٌّ =

الياء شامية. وسألت الأستاذ أبا القاسم بن الرماك - وكان إماماً في صنعة العربية عن البيت الذي أملاه أبو علي في النوادر ، وهو قوله :

[أَتَظَنُّ عَنْ حَبِيبِكَ ثُمَّ تَبْكِي عَلَيْهِ ، فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ]
[كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقِ لِلْبَيْتِ طَعْمًا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مُرٌّ الْمَذَاقِ]
[أَقِمِّ وَانْعَمِ بِطَوْلِ الْقَرَبِ مِنْهُ وَلَا تَظَنِّ فُتُكِبْتَ بِاشْتِيَاقِ]
فما اعتاضَ الفَارِقُ مِنْ حَبِيبٍ وَلَوْ يُعْطَى الشَّامُ مَعَ الْعِرَاقِ
فقال : مُحَدَّث ، ولم يره حُجَّةً . وكذلك وَجَدْتُ فِي شِعْرِ حَبِيبٍ : الشَّامُ
بِالْفَتْحِ كَمَا فِي هَذَا الْبَيْتِ . وَلَيْسَ بِحُجَّةٍ أَيْضًا .

[فِي اللَّسَانِ : « وَقَدْ جَاءَ الشَّامُ لَفَةً فِي الشَّامِ قَالَ الْمَجْنُونُ :
وَحُبْرَتُ لَيْلَى بِالشَّامِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودَهَا
وَقَالَ آخِرُ :
أَتَنَّا قَرِيشَ قَصَّهَا بِقَضِيضِهَا وَأَهْلَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ تَقَصَّفُ (١)]
وَقَوْلُهُ :

مُحَذَّفُ الْيَاءِ مِنْ هَاءِ الْكِنَايَةِ :
مُحَذَّفُ الْيَاءِ مِنْ هَاءِ الْكِنَايَةِ بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعِيرُ فِي الْبَحْرِ *

= وَكَانَهُمَا مُنْسَوْبَانِ إِلَى يَمَانٍ وَشَّامٍ الْمُنْسَوْبِينَ بِمُحَذَّفِ يَاءِ النِّسْبَةِ دُونَ أَلْفِهَا . إِذْ لَا اسْتِقَالًا فِيهِ كَمَا اسْتَقَالَ النِّسْبَةُ إِلَى ذِي الْيَاءِ الْمَشْدُودَةِ لَوْ لَمْ تَمْحُذَفْ . وَالْمُرَادُ بِيَمَانَ وَشَّامٍ فِي هَذَا مَوْضِعٌ مُنْسَوْبٌ إِلَى الشَّامِ وَالْيَمَنِ . فَيَنْسَبُ الشَّيْءُ إِلَى هَذَا الْمَسْكَنِ الْمُنْسَوْبِ . وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ يَمَانِي وَشَّامِي جَمْعًا بَيْنَ الْعَوْضِ وَالْمَوْضِعِ عَنْهُ وَأَنْ يَكُونَ الْأَلْفُ فِي يَمَانِي لِلْإِشْبَاعِ . وَانْظُرِ الْمَرْهَرَّ لِلْيَوْطَى ص ١٠١ ح ٢ (١) عَنِ اللَّسَانِ وَالْأَمَالِيِّ

.

ضرورة ، كما أنشد سيديويه : سأجعل عينيه لِنَفْسِهِ مَقْنَمًا (١) * في أبيات كثيرة
أنشدها سيديويه ، وهذا مع حذف الياء والواو ، وبقاء حركة الهاء ، فإن سكنت
الهاء بعد الحذف ، فهو أقل في الاستعمال من نحو هذا ، وأنشدوا :

وَنُضَوَايَ مُشْتَقَانِ لَهُ أَرْقَانِ (٢)

وهذا الذي ذكرناه هو في القياس أقوى ؛ لأنه من باب حل الوصل على
الوقف نحو قول الراجز :

لما رأى أن لادعة ولا شبع

ومنه في التنزيل كثير نحو إثبات هاء السكت في الوصل ، وإثبات الألف
من أنا ، وإثبات ألف الفواصل نحو : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ الأحزاب : ١٠٠
وهذا الذي ذكره سيديويه من الضرورة في هاء الإضمار إنما هو إذا
تحرك ما قبلها نحو : به وله ، ولا يكون في هاء المؤنث البتة خلفه الألف ، فإن
سكن ما قبل الهاء نحو : فيه وبنيه كان الحذف أحسن من الإثبات ؛ فإن قلت

(١) الشعر لما لك بن خُزَيْمِ الحمداني وهو :

فإن يك غثا أو سمينا فإنني سأجعل عينيه لنفسه مَقْنَمًا

أراد لنفسه ، لحذف الياء ضرورة في الوصل تشبيها بها في الوقف إذ قال :
لنفسه . يصف ضيفا فيقول : إنه يقدم إليه ما عنده من القرى ويحكمه فيه ،
ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه ، فيقنع بذلك انظر ص ١٠ ح ١ الكتاب
لسيديويه ط ١ .

(٢) النضو : البعير المهزول والناقة .

فقد قرأ عيسى بن مينا : نُصْلِهِ وَيُودُّهُ وَأَرْجِهْ (١) ونحو ذلك في اثني عشر

(١) يعنى الآيات القرآنية : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونُصْلُهُ جهنم ، وساءت مصيراً) النساء : ١١٥ و : (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدُّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدُّه إليك إلا ما دمت عليه قائماً) آل عمران : ٧٥ و : (قالوا : أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين) الأعراف : ١١١ . وفي « يؤدُّه ونُصْلُهُ » خمس قراءات . إحداها : بكسر الهاء ، وصلتها بياء في اللفظ ، والثانية : بكسر الهاء من غير ياء . اكتفى بالكسرة عن الياء لدالاتها عليها ، ولأن الأصل ألا يزداد على الهاء شيء كبقية الضمائر ، والثالثة : إسكان الهاء ، وذلك أنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، وهو ضعيف ، وحق هاء الضمير الحركة ، وإنما تسكن هاء السكت ، والرابعة : ضم الهاء وصلتها بواو في اللفظ على تبين الهاء المضمومة بالواو ، لأنها من جنس الضمة كما بينت المكسورة بالياء . والخامسة : ضم الهاء من غير واو لدلالة الضمة عليها ، ولأنه الأصل ، ويجوز تحقيق الهمزة وإبدالها واوا للضممة قبلها . وأرجه يقرأ بالهمزة وضم الهاء من غير إشباع « أرجته » وهو الجيد ، وبالإشباع وهو ضعيف ، ويقرأ بكسر الهاء مع الهمزة وهو ضعيف ، ويقرأ من غير همزة من أرجيت بالياء ، ثم منهم من يكسر الهاء ويشبعها ومن لا يشبعها . ومنهم من يسكنها . هذا ، ومن معاني مفردات قصيدة حذيفة - كما ذكر الخشني : السبل : المطر : كل شارق : عند طلوع الشمس . سُحْحًا : صبا . جُمُعًا : أجمعاً وأكثر . واسجاً : أسبلاً . والحفيظة : الغضب مع عزة . والهدر : الكثير الكلام في غير فائدة . البهلول : السيد . واللهي : العطايا . وفي رواية : الندى ، وأخرى : النهش . والنجر : الأصل . والمجحفات : التي تذهب بالأموال . والغبر : السنين المقطعات . وسراة : خيار . غالته : ذهبت به . النقية : النفس وميمون النقية : يسعد فيما يتوجه له . مصاليت : شجعان . ردينية : رماح . جباء : عطاء . هجان اللون : بيض . والإجريا : ما يجري عليه من أفعال آبائه ويتعوده . وفي القاموس : الوجه الذي تأخذ فيه وتجرى عليه . وهي بالمدة =

موضعا بحذف الياء ، وقبل الهاء متحرك ، فكيف حسن هذا ؟ قلنا : إن ما قبل الهاء في هذه المواضع ساكن ، وهو الياء من نُضْلِيهِ وَيُؤَدِّيهِ وَيُؤْتِيهِ ، ولكنه حذف للجازم ، فمن نظر إلى اللفظ ، وأن ما قبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتناها : به وله ، ومن نظر إلى الكلمة قبل دخول الجازم ، رأى ما قبل الهاء ساكنا ، فحذف الياء ، فهما وجهان حسنان بخلاف ما تقدم

من شرح قصيدة مزينة :

وذكر في هذا الشعر : وأسعدُ قَادِ الناس . وهو أسعدُ أبو حَسَّان بن أسعد ، وقد تقدم في التَّبَاعِيَةِ ، وكذلك أبو شَمِيرٍ ، وهو شَمِيرُ الذي بنى سَمَرْقَنْدَ (١) ، وأبوه : مالك ، يقال له : الأُمْلُوكُ (٢) ، ويحتمل أن يكونَ أرادَ أبا شَمِيرٍ النَّسَائِيَّ والدَّ الحَرِث بن أبي شَمِيرٍ .
وعَمْرُو بن مالك الذي ذكرَ أَحْسَبَهُ عَمْرًا ذا الأَذْعَار ، وقد تقدم في التبابعة ،

== القصر . تهاوى البلاد ونجدها : ما انخفض منها وما علا . ثَج الشيء : أعلاه ومعظمه . مخيسة : مذلة . الأخاشب : جبال يسكنها وهما جيلان ، لجمعهما مع ما عليهما ، وخم : اسم بئر . والحفر : اسم بئر . والمُحْجَر : القبيح من الكلام الفاحش . والآحابيش : من حالف قريشاً من القبائل ودخل في عقدها وذمتها . ونكلوا : صرفوا . فخرج : أراد : يا خارجة فحذف حرف النداء ، ورخم . وأسدَى : أعطى ، والمحتد : الأصل . جسر : ماض في أموره قوى عليها . غمر : كثير العطاء . أملك سرّاً : خالصة النسب .

(١) في القاموس : شمر بن أفریخش غزا مدينة السغند ، فقلعها ، فقليل : شمر كند ، أو بناها ، فقليل : شمر كنت ، وهي بالتركية : القرية فعربت : سمرقند .

(٢) الأملوك : اسم جمع للملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقاول حمير .
(م ١٤ — الروض الأنف ج ٢)

وهو من ملوك اليمن ، وإنما جعلهم مَفْخَرًا لأبي لهب ؛ لأن أمه خُزاعية من سبأ ، والتبابعة كُثْلهم من حمير بن سبأ ، وقد تقدم الخلاف في خُزاعة .
وأبو جَبْرِ الذي ذكره في هذا الشعر : ملكٌ من مُلوك اليمن ذكر القُتَيْبِيُّ أن سُمَيَّةَ أم زياد ، كانت لأبي جَبْرِ ملكٍ من ملوك اليمن ، دفعها إلى الحرث بن كَلْدَةَ الْمُتَطَبِّبِ في طِبِّ طَبِّه .

زيد أفضل إخوته :

وذكر ولاية العباس - رضى الله عنه - السَّقَايَةَ ، وقال : كان من أ حَدَثِ إِخْوَتِهِ سَنًا ، وكذلك قال في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم : كان من أَفْضَلِ قَوْمِهِ مُرُوءَةً ، وهذا مما منعه النحويون أن يقال : زيد أفضل إخوته ، وليس بممتنع ، وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسُنُ لأن المعنى : زيد يَفْضُلُ إِخْوَتَهُ ، أو يَفْضُلُ قَوْمَهُ ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذى يمتنع بإجماع : إضافة أفضل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه ، إلا أن تقول : الأخوين ، بغير إضافة (١) .

(١) بما اشترط النحاة في أفعال التفضيل المضاف أن يكون المضاف بعضها من المضاف إليه بشرط إرادة التفضيل ، وبقاء معناه ووجوده . ويقول الأشعرون في شرح الألفية : « وإن لم تنو بافعل معنى : من ، بأن لم تنويه المفاضلة أصلاً ، أو تنويها ، لأعلى المضاف إليه وحده ، بل عليه وعلى كل ماسواه كقوله : الناقص والأشج (يعنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لنقصه أرزاق الجند ، وعمر بن عبد العزيز لشجته أصابته بضرب الدابة ، أعدلا بنى مروان . أى : عادلاهم ، فكان أفعِلُ بمعنى فاعِل ، وليس في هذا تفضيل ، ونحو : محمد - صلى الله عليه وسلم -

أَفْضَلُ قُرَيْشٍ . أى : أفضل الناس من بين قريش . وإضافة هذين النوعين مجرورة

من شرح شعر مطرود :

فصل : وذكر في شعر مطرود : منعوك من جَوْرِ ومن إقراف (١) ،

==التخصيص ؛ ولذلك جازت إضافة أفعل فيهما إلى ما ليس هو بعضه بخلاف المنوى فيه معنى من د. أى : إرادة التفضيل ، فإنه لا يكون إلا بعض ما أضيف إليه ، فلذلك يجوز : يوسف أحسن إخوته ، إن قصد : الأحسن من بينهم ، أو قصد : أحسنهم — رأى جعله صفة مشبهة — ويمتنع إن قصد أحسن منهم ، ص ٤١ ج ٣ ط ١٣٠٥ هـ ويقول ابن يعيش في شرح المفصل : قد علم أن أفعل إنما يضاف إلى ما هو بعضه . فليعلم أنه لا يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، وذلك أنك إذا أضفت الإخوة إلى ضميره خرج من جملتهم ، وإذا كان خارجا عنهم ، صار غيرهم وإذا صار غيرهم لم يحز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، كما لا يجوز أن تقول : الياقوت أفضل الزجاج ؛ لأنه ليس من الزجاج ، حينئذ يلزم من المسألة أحد أمرين ، كل واحد منهما يمتنع . أحدهما : ما ذكرناه من إضافة أفعل إلى غيره ، إذ إخوة زيد غير زيد . والثاني : إضافة الشيء إلى نفسه ، وذلك أننا قلنا : إن زيدا من جملة الإخوة — نظرا إلى مقتضى إضافة أفعل ، ثم أضفت الإخوة إلى ضمير زيد ، وهو من جملتهم — كنت قد أضفته إلى نفسه ، بإضافتك إياه إلى ضميره وذلك فاسد . فأما النوع الثاني — يعنى ابن يعيش : أفعل بمعنى فاعل ، وهو غير دال على معنى التفضيل — وهو أن يكون أفعل فيه للذات بمعنى فاعل ، فإنه يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، ولا يمتنع فيه كاستناعه من القسم الأول إذ المراد أنه فاضل فيهم ، لأنه لا يلزم في هذا النوع أن يكون أفعل بعض ما أضيف إليه ، وعليه جاء قولهم لنصيب الشاعر : أنت أشعر أهل جلدتك ، لأن أهل جلدته غيره . وإذا كانوا غيره لم تسهم إضافة أفعل إذا كان هو إياه إليهم ؛ لما ذكرته ويجوز على الوجه الثاني لأنه بمعنى : الشاعر فيهم ، أو شاعرهم ، ص ٨ ج ٣ شرح المفصل لابن يعيش . وبهذا يتبين أن النحويين لم يمنعوا هذا منعا مطلقا . بل أجازوا نفس ما ذكره السهيلي .

(١) الذى فى السيرة ، ضمنوك . والمقرف الذى دانى الهجنة من الفرس وغيره ==

أى : منعوك من أن تُسكِح بناتِك أو أخواتِك من لثيمٍ ، فيكون الابن مُقْرِفاً لِلْوَمِ أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وَصَمٌ من ذلك ، ونحو منه قول مُهْلِيل (١) :

أَنسَكِحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمَ (٢)

وهو الذى أمه عربية ، وأبوه ليس بعربى ، فالإقراف من قبل الأب ، والهجنة من قبل الأم .

(١) المهليل : قال الأمدى : اسمه : امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب ، وهو الشاعر المشهور ، ويقال اسمه : عدى ، وقال ابن قتيبة : مهليل بن ربيعة ، هو : عدى بن ربيعة ، وسُمي مهلاً ؛ لِأَنَّهُ هَلَلُ الشَّعْرِ ، أى : أَرْقَلُهُ ، ويقال : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَصَدَ الْقَصِيدَ . وهو خال امرئ القيس صاحب المعلقة . وهو أخو كليب الذى هاج بمقتله حرب البسوس : وقيل : إِنَّهُ مَاتَ أُسَيْراً ، وذلك أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ الْيَمَنُ نَزَلَ فِي بَنِي جَنْبٍ ، وجنب من مذحج ، فخطبوا إليه ابنته . فقال لهم : إِنِّى طَرِيدٌ بَيْنَكُمْ ، فَتَى أَنْسَكِحْتُمْ ؟ قالوا : فَأَجْبِرُوهُ عَلَى تَزْوِيجِهَا ، وساقوا إليه فى صداقها أَدَمَ ، فقال :

أَنسَكِحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمَ
ثم انحدر ، فلقبه عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الأكبر ، فأسره ، فمات فى أسره . وقيل فى وفاته غير ذلك ص ٢٣ وما بعدها ج ٢ خزانة الأدب للبغدادى ط دار المعصور .

(٢) قيل عن جنب إنه لقب لا اسم أب . وفى نهاية الأرب ج ٣ ص ٦٧ جاء هذان البيتان :

أَعَزَّزْ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتَ أَخْتَ بَنَى الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُشَمٍ
لِيسُوا بِأَكْفَانِ الْكِرَامِ ، وَلَا يُغْنُونَ مِنْ ذُلَّةٍ وَلَا عَدَمٍ =

أى : أنكِحت لقربتها من غير كُفء . قال مَبْرَمَان (١) : أنشدنا أبو بكر ابن دريد : وكان الخِباء من أَدَم ، بجاء معجزة الأعلى ، وهو خطأ وتصحيف ، وإنما هو بالحاء المهملة ، وهو معدود في تصحيقات ابن دريد ، وفيه يقول المَفْجَع [البصرى] ردًا على ابن دُرَيْد :

أَلَسْتَ قَدِمًا جَمَلْتَ تَفْتَرُقُ مَ الطَّرْفَ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَفْتَرُقُ (٢)
وقلت : كان الخِباء من أَدَم وهو جِباء يُهْدَى ، وَيُصَلِّدُ
وذلك أن مُهْلِلًا نَزَلَ فِي جَنْبٍ ، وهو حَيٌّ وَضِيعٌ مِنْ مَذْحِج .
فخطبت ابنته ، فلم يستطع مَنَعُهَا ، فزَوَّجَهَا ، وكان نَقْدُهَا مِنْ أَدَم ، فأنشد :
أَنْكَحَهَا فَقَدَّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وكان الخِباء من أَدَم
لو بِأَبَانَيْنِ جَاءَ خَاطِبُهَا ضُرَّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بَدَم (٣)

= والاول منهما قبل : د أنكحها فقدها الخ ، والآخر بعد قوله : ولو بأبانين ، الذى سيأتى . والاراقم : حى من تغلب قوم المهلهل . وقد تقدم من قبل الحديث عن جنب .

(١) لقب لآبى بكر الازمى .

(٢) تفترق الطرف : تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنا ، وانظر المزمهر ص ٣٦٦ ج ٢ للسيوطى فيه قول المفجع . وقد روى بدر الدين الزركشى ابن دريد بهذا التصحيف كما ذكر السبيل ، وأورده التيجانى فى تحفة العروس وروى الشطرة الاولى هكذا : د ألم تصحف ، فقلت تفترق الخ ، وروى أيضا فى غيره : د ألسنت مما صحت تفترق .

(٣) الابانان : جبلان بالبادية اسم أحدهما : أبان ، والآخر : متالع ، أحدهما : =

وقوله : حتى تغيب الشمس بالرجاف^(١) . يعنى : البحر . لأنه يرَجُف .
ومن أسمائه أيضاً : خُضَارَة ، [سُمِّيَ بذلك لخُضْرَة مائه] . والدأْمَاء [سُمِّيَ بذلك
لتداوُم أمواجه أى : تراكمها ، وتكسر بعضها على بعض] وأبو خالد .

وقوله : عَقْدُ ذاتِ نِطَاف . النُّطْفُ^(٢) : اللؤلؤ الصافى . ووصيفةٌ
مُنَطَّفَةٌ [وَمُنَطَّفَةٌ أى : مُقَرَّطَةٌ بِتَوَمَتَيْنِ] والتَّوَمَة : اللؤلؤة ، أوحبة تعمل
من النضة كالذرة [والنُّطْفُ فى غير هذا : التَّاطُخُ بالغيث ، وكلاهما من
أصل واحد ، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى ؛ لأن النُّطْفَةَ هى الماء
القليل ، وقد يكون الكثير ، وكان اللؤلؤ الصافى أُخِذَ من صفاء النُّطْفَةِ .
والنُّطْفُ الذى هو العيب : أُخِذَ من نُطْفَةِ الإنسان ، وهى ماؤه ، أى :
كانه نُطْفُ بها .

وقوله : والفَيْضُ مُطْلَبُ أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه

== أبيض ، وهولبى أسد ، والآخِر : أسود ، وهولبى فزارة ، هذا ، وقد روى اللسان
البيتين . وفيهما : « الحباء ، ورُمْل » بدلا من « الحباء ، وضرع » .

(١) فى السيرة : فى الرجاف .

(٢) مفردا . نطفة كهزمة . بضم النون وفتح الطاء .

ملحوظة : فى السيرة أن فاطمة بنت عمرو بن عائذ هى أم عبدالله وأبى طالب . فى
نسب قريش وعند السدوسى هى : أمهما أيضا ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم . وفى السيرة
فى نسب فاطمة هذه قال ابن إسحاق : « ابن عائذ بن عبد بن عمران » ، وفى نسب
قريش لا توجد عبد بن عائذ وعمران ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم ، وعند السدوسى ،
ولم يأت هذا ذهب ابن هشام ، وما بين قوسين فى نسب زائدة فاطمة من كتب النسب .

كلأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف . كما قال مُرَّة بن
نَحْكَانَ [السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ سِيدُ بَنِي رُبَيْع] :

أَدْعَى أَبَاهُمْ ، وَلَمْ أَقْرِفْ بِأُمِّهِمْ وَقَدْ عَمِرْتُ . وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا

اللهم العائف :

فصل : وذكر خَبَرُ اللَّهْبِيِّ العائف . قال ابن هشام : وَلِهَبٌ : حَيٌّ مِنْ
الْأَزْدِ : وقال غيره : وهو لِهَبٌ بْنُ أَخْجَنَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَضْرَ بْنِ الْأَزْدِ . وهي القبيلة التي تُعْرَفُ بِالْعِيفَةِ
وَالزَّجْرِ^(١) . ومنهم اللَّهْبِيُّ الذي زَجَرَ حِينَ وَقَعَتِ الْحِصَاةُ بِصَلَمَةَ عُمَرَ

(١) العيافة : تتبع آثار الأقدام والاختفاف والحوافر في المقابلة للأثر ، وهي
التي تكون في تربة حرة تشكل بشكل القدم . وقد اشتهر بها قديما بنو مدج قبيلة
من كنانة وبنو لُهب وبلوغ الأرب للألوسي ، وانظر ص ٤٩١ الاشتقاق ، واللسان
في مادة لُهب ، والزجر : الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر
أحوالها واستعلام ما غاب عنهم . ويقول ابن خلدون عنه : هو ما يحدث من
بعض الناس من التسكُّم بالغيب عند سماع طائر أو حيوان . ويقول ابن القيم
في مفتاح دار السعادة عنه : وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير ، والوحش
ويثيرونها ، فأتيا من منها وأخذ ذات اليمين سموه سائحا ، وماتياسر منها سموه :
بارحا ، وما استقبلهم منها فهو : الناطح ، وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد . . ومن
العرب من يتيمن بالسائح ويتشاءم بالبارح ومنهم غير ذلك . وقيل عن السائح والبارح
غير هذا . ويقول الأزهري : العيافة : زجر الطير ، وهو أن يرى طائرا ، أو
غرابا ، فيتطير ، وإن لم ير شيئا ، فقال بالحدس كان : عيافة أيضا ، وفي القاموس :
العائف : المتسكن بالطير ، وكل هذا حرمة الإسلام ، وقيل في تعريفهما غير ذلك .

قصة بحيرى

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركبٍ تاجرًا إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسيرَ صَبَّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فَرَقَّ له ، وقال : والله لَأُخْرُجَنَّ به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصِّرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له : بِحَيْرَى في صَوْمَعَةٍ ، وكان إليه عِلْمُ أهلِ النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قَطَّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون

رضى الله عنه - فَأَدَمَّتْهُ ، وذلك في الحج ، فقال : أَشْعِرُ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . والله لا يَحْبُجُّ بعد هذا العام ، فكان كذلك (١) وَاللَّهْبُ : شَقٌّ في الجبلِ (٢) [والجمع : أَلْهَابٌ وَلُهوبٌ] . وبنو ثُمَالَةَ رَهْطُ الْمُبَرِّدِ الثَّمَالِيِّ : هُمُ بَنُو أَسْلَمَ بْنِ أُخْجَنَ ابنِ كَعْبٍ . وَثُمَالَةُ : أُمُّهُمْ . وكانت العِيَافَةُ والزجر في لِهَبٍ قال الشاعر (٣) :

سَأَلْتُ أَخَا لِهَبٍ لِيَزَجُرَ زَجْرَةً وَقَدْ رُدَّ زَجْرُ الْعَالَمِينَ إِلَى لِهَبٍ

وقوله : لِيَعْتَفَ لَهُمْ : وَهُوَ يَفْتَعِلُ مِنَ الْعَيْفِ . يقال : عِفْتُ الطَيْرَ . وَاعْتَفْتُهَا عِيَافَةً وَاعْتِيَاً : وَعِفْتُ الطَّعَامَ أَعَافَهُ عَيْفًا . وعافت الطيرُ الماءَ عِيَاً .

(١) هذا خرف أسطورى . فالله وحده هو عالم الغيب .

(٢) عند ابن دريد في الاشتقاق ، واللَّهْبُ : الشعب الضيق في أعلى الجبل والجمع أَلْهَابٌ وَلُهوبٌ .

(٣) هو كثير عزة ، والييت في نهاية الأرب هكذا :

تيسمت لها أبتنى العلم عندها وقد رد علم الطائفين إلى لِهَبٍ

يتوارثونه كابرأ عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببجيرة ، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، وعمامة تظله من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى العمامة حين أغلّت الشجرة ، وهتّرت أغصان الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بجيرة نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً بامعشر قريش ، فانا أحب أن تحضروا كلكم ، وصغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحرّكم ، فقال له رجل منهم : والله يا بجيرة إن لك لشأناً اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنّا نمرّ بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟ قال له بجيرة : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم صيّفت ، وقد أحببت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعاماً ، فتأكلوا منه كلكم . فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم ، لحداثة سنه ، في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بجيرة في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجدّ عنده ، فقال : بامعشر قريش : لا يتخلّفن أحدٌ منكم عن طعامي ، قالوا له : يا بجيرة ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غلامٌ ، وهو أحدث القوم سناً ، فتخلّف في رحالهم ، فقال : لاتفعلوا ، ادعوه ، فليحضّر هذا الطعام معكم قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللّات والعزّى ، إن كان

لَلَّوْمِ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ . فَلَمَّا رَأَاهُ بَحِيرَى ، جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ ، وَقَدْ كَانَ يَحْدُّهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا ، قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرَى ، فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا ، فَرَعَمُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بُغْضَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بَحِيرَى : فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي عَمَّا بَدَاكَ . فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ ، فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ ، فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المِحْجَمِ .

قال ابن إسحاق : فلما فَرَّغَ ، أَقْبَلَ عَلَى عَمَّةِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْغَلَامُ مِنْكَ ؟ قَالَ : ابْنِي . قَالَ لَهُ بَحِيرَى : مَا هُوَ بَابُنْكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغَلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهَ حَيًّا ، قَالَ : فَإِنَّهُ ابْنُ أُخِي ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَبُوهَ ؟ قَالَ : مَاتَ وَأُمُّهُ حُبَلَى بِهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَارْجِعْ بَابُنْ أَخِيكَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِ يَهُودَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا ، فَإِنَّهُ كَاثِرٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ ، فَاسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ .

فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمته مكة حين فرغ من تجارته بالشام
فزعوا فيأروى الناس : أن زُريرا وتما ماودريسا - وهم نفر من أهل الكتاب -
قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر
الذى كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوه ، فردم عنه بحيرى ، وذكروهم الله
وما يحدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم
يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه
وانصرفوا عنه . فشَبَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله تعالى يَكْلُؤُهُ ، ويحفظه
ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان
رجلا أفضل قومه مُروءةً ، وأحسنهم خُلُقًا ، وأكرمهم حَسَبًا ، وأحسنهم
جِوَارًا ، وأعظمهم حِلْمًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأعظمهم أمانةً ، وأبعدهم من
الفحش والأخلاق التى تُدنُّسُ الرجال ، تنزُّها وتكرُّما ، حتى ما سمع في قومه
إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لى - يُحدِّث عما كان
الله يحفظه به فى صِغَرِهِ وأمر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتني فى غِلْمانٍ قُرَيْشٍ نَنَقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ ما يلعب به الغِلْمانُ ،
كلُّنا قد تعرَّسَى ، وأخذ إزاره ، فجعله على رَقَبَتِهِ ، يحمل عليه الحِجَارَةَ ، فإنى لأقبل
مَعَهُمْ كَذَلِكَ وأدبر ، إِذْ لَكُمْنِى لَأَكِمْ ما أراه ، لَكُمَا وَجِيعَةٌ ، ثم قال :
شُدَّ عَلَيْكَ إِزَارُكَ . قال : فأخذته وشدته علىّ ، ثم جعلت أحمل الحِجَارَةَ على
رَقَبَتِي وإزارى علىّ من بين أصحابى .

فصل بحرى :

فصل : فى قصه بحرى وسفر أبى طالب بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وقع فى سِير الزُّهْرَى أن بحيرى كان حَبْرًا من يَهُودِ تَيْسَمَاءَ (١) ، وفى السَّعُودِ : أنه كان من عبد القَيْسِ ، واسمُه : سَرْجِسُ ، وفى المعارف لابن قُتَيْبَةَ ، قال : سَمِعَ قبل الإسلام بقاليل هاتِفٌ يهتِفُ : أَلَا إِنَّ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ : بِحَيْرَى ، وَرِبَابُ بْنُ الْأَبْرَاءِ الشَّئْبَى (٢) وَالثَّالِثُ : الْمُنْتَظَرُ ، فكان الثالثُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال الْفَتْحِيُّ : وَكَانَ قَبْرُ رَبَابِ الشَّئْبَى ، وقبر ولده من بعده ، لا يزال يُرى عليها طَشٌّ ، وَالطَّشُّ : المطرُ الضَّعِيفُ (٣) .

وقال فيه : فَصَّبَ (٤) رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعمه . الصَّبَابَةُ : رِقَّةُ الشَّوْقِ ، يقال : صَبَبْتُ - بكسر الباء - أَصَبْتُ ، ويذكر عن بعض السَّلَفِ أنه قرأ : ﴿ أَصَبْتُ إِلَيْهِمْ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ يوسف : ٣٣

(١) بليد فى أطراف الشام ، بينها وبين وادى القرى على طريق حاج دمشق .

(٢) هو فى المعارف : أرباب بن رثاب من عبد القيس .

(٣) نص قول ابن قتيبة فى المعارف : « كان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن إلا رأوا طشا على قبره ، ونص كلامه عن الرسول - كما زعموا - صلى الله عليه وسلم - « وآخر لم يأت بعد . النبي (ص) ، ص ٣٠ تحت باب : من كان على دين قبل مبعث النبي (ص) ، وهو خبر مصنوع ولا شك

(٤) وفى رواية - كما جاء فى الطبرى وشرح الحشنى - ضَبَّ ، وفسرها الأخير بقوله : تعلق به وامتسك .

وفي غير رواية أبي بَحرٍ: ضَبَّتْ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَى :
لَزِمَهُ قال الشاعر :

كَأَن فَوَادَى فِي يَدِ ضَبَّتَتْ بِهِ مُحَاذِرَةً أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهُ
فَسَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذْ ذَاكَ ابْنُ تِسْعِ سَنِينَ فِيمَا
ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَلْفَ فِي السَّيْرِ ، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : ابْنُ نِزْنَتَى عَشْرَةَ سَنَةً (١) .

من صفات هتم النبوة :

وذكر فيه خاتَمَ النبوة وقول ابن هشام : كان كَأَثَرِ الْمِحْجَمِ يَعْنِي : أَثَرَ
الْمِحْجَمَةِ الْقَابِضَةِ عَلَى اللَّحْمِ ، حَتَّى يَكُونَ نَاتِئًا . وفي الخبر أنه كان حوله
خِيَلَانٌ فِيهَا شَعْرَاتٌ سُودٌ . وفي صفته أيضا أنه كان كَالْتَفَاحَةِ ، وَكَزِرِّ الْحَجَلَةِ
وَفَسْرِهِ التَّرْمَذِيُّ تَفْسِيرًا وَهَمَّ فِيهِ فَقَالَ : زِرُّ الْحَجَلَةِ يُقَالُ : إِنَّهُ بَيِضٌ لَهُ فَتَوَهَّمُ
الْحَجَلَةُ مِنَ الْقَبِيجِ (٢) وَإِنَّمَا هِيَ حَبَلَةُ السَّرِيرِ ، وَاحِدَةٌ : الْحِجَالُ ، وَزِرُّهَا الَّذِي
يَدْخُلُ فِي عُرْوَتِهَا - قَالَ عَلِيٌّ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - لِأَهْلِ الْعِرَاقِ : يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ :

(١) في الطبري : وهو ابن تسع سنين ، وقبل ، ثلاث عشرة . حكاه أبو عمر
وقال ابن الجوزي ، اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام . وفي سيرة مغلطاي : وشهر
(٢) هو الحجل ، وفي اللسان أنه الكروان ، وأنه معرب ، وهو بالفارسية .
كبيج معرب ؛ لأن القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب ، وقد ضبط
البنخاري الحجل بضم الحاء ، وقال : لأنه من حجل الفرس بضم الحاء وسكون الجيم ، الذي بين
عينيه ، وهو بعيد لأن الذي بين العينين اسمه الفرة لا الحجل ، والحجيل في القوائم .

ولارِجَالٍ، وَيَاطْغَامَ الْأَحْلَامِ. وَيَا عَقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ (١). وفي حديث آخر: كان كبيضة الحمأة، وفي حديث عيَّاذ بن عبد عمرو، قال: رأيت خاتَمَ النبوة، وكان كَرُّ كَبَةِ الْعَنْزِ. ذكره الفهرستُ مُسْتَنْدَاً في كتاب الاستيعاب، فهذه خمس

(١) من خطبة منسوبة إلى علي بن أبي طالب، وقدرها ما المبرد في أول الكامل وهي في كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضي خطبا رائعة، ونسبها إلى علي. وفي رأى كثير أنها للشريف نفسه، وفي المبرد كما هنا. ومعنى طغام: من لا معرفة عنده — كما ذكر المبرد — أو أوغاد الناس ورذال الطير، مفردا: طغامة وفي نهج البلاغة: وحلوم الاطفال وعقول ربات الحجال، برفع حلوم وعقول. وربات الحجال: النساء. وبداية الخطبة كما في النهج: «أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحة الله الخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة الخ، انظر ص ٧٤ وما بعدها نهج البلاغة ط الرحمانية، و ص ١٦٤ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ٣ دار الفكر لبنان.

(٢) أما عيَّاذ فترجمته في الإصابة عيَّاذ بن عمرو، أو ابن عبد عمرو الأزدي أو السلي أو عباد بدلا من عيَّاذ، وكان — كما جاء في بعض الروايات — يخدم النبي «ص»، فخطبه يهودى، فسقط رداؤه عن منكبيه — وكان النبي صلى الله عليه وسلم — يكره أن يرى الخاتم. يقول عيَّاذ. فسويته عليه، فقال: من فعل هذا؟ فقلت، أنا. قال: تحول إلى، فجلست بين يديه، فوضع يده على رأسي، فأمرها على وجهي وصدرى، وكان الخاتم على طرف كتفه الأيسر، كأنه رقبة عنز وهذه رواية ابن منده والطبراني، ومن تبعهما وسنده ضعيف، وللخطيب من هذا الوجه، وفيه أن الخاتم مثل ركة العنز، وفي سنده من لا يعرف، الإصابة باختصار. هذا وقد سبق الحديث عن الخاتم، ويقول ابن حجر في الفتح ماورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم، أو الشامة السوداء، أو الخضراء — كما في تاريخ ابن أن خيشمة — المكتوب عليها: محمد رسول الله — كما في تاريخ الحاكم وغيره، أو سر فإنك المنصور، لم يثبت منها شيء، ولا يغتر بشيء مما وقع في صحيح ابن حبان؛ فإنه غفل حيث صحح ذلك.

روايات في صفة الخاتم : كالنفاحة وكَبَيْضَةِ الحمامة ، وكَرِزِّ الحَجَلَةِ ، وكَاثِرِ المِخْجَمِ
وَكُرْكَبَةِ العَنْزِ ورواية سادسة : وهي رواية عبد الله بن سرجس : قال : رأيت
خاتم النبوة كالجُمُعِ يعني : كالمِخْجَمَةِ ، [وهي الآلة التي يجتمع بها دُمُ الحُجامة
عند المصِّ] لا كجُمُعِ الكَفِّ ، ومعناه كمعنى الأول أى كَاثِرِ الجُمُعِ . وقد
قيل في الجُمُعِ : إنه جُمُعُ الكَفِّ : قاله القَتَيْبِيُّ (١) : والله أعلم .

ورواية سابعة عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - وقد سئل عن
خاتم النبوة : فقال : بَضْعَةٌ ناشِزَةٌ (٢) هكذا : ووضع طَرَفُ السَّبَّابَةِ في مَفْصِلِ
الإبهام ، أو دون المَفْصِلِ ، ذكرها يونس عن ابن إسحاق ، وفي صفته أيضاً
رواية ثامنة ، وهي رواية من شبهه بالسَّلْعَةِ (٣) ، وذلك لِتَنَوُّهِ ، وقد تقدم
حديث ، فيه عن أبي ذر - رضى الله عنه - مرفوعاً بيانُ وَضْعِ الخاتم بين كتفيه

(١) يقول الزرقاني في شرح المواهب عن تفسير السهلي . وهو تكلف
والمتبادر في تفسير ابن قتيبة ، وقد تبعه عليه عياض ، والنووي والمصنف وغيرهم ،
ص ١٥٧ ج ١ وجمع بضم الجيم . وحكى ابن الجوزي وابن دحية كسرهما ، وجزم
به في المفهم . والجمع صورة الكف بعد أن تجمع الأصابع وتضمها وحديث ابن
سرجس في مسلم ومسنده أحمد .

(٢) حديث الخدري رواه الترمذي في الشمائل .

(٣) حديث السلعة رواه البيهقي ، وبضعة ناشزة : قطعة لحم مرتفعة ، وتروى
بضعة بفتح الباء ، وضما وكسرهما ، انظر المواهب ص ١٥٥ ج ١ ، ولاحمد عن
الخدري : لحم ناشز بين كتفيه ، والبيهقي ، والبخاري في التاريخ عنه : لحم ناتئة
وأحمد وابن سعد من طرق عن أبي رمانة ، والسلعة : زيادة تحدث في البدن كالغدة
تتحرك إذا حركت ، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة .

مضى كان ، وروى التَّرمِذِيُّ^(١) في مصنفه ، قال : حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي ، حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح ، أخبرنا يونس ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فَحَلَّوْا رِحَالَهُمْ : فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت : فجعل يتخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ : وهم يَحْلُونَ رِحَالَهُمْ : حتى جاء فأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول ربِّ العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : ما عَلمَكَ ؟ . فقال : إنكم حين أشركتم من العَقَبَةِ لم يبق حَجَرٌ ، ولا شجر إلا خَرَّ ساجداً : ولا يسجدان إلا للنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من عُضْرُوفِ كتفه . ويقال : عُضْرُوفٌ مثل التفاحة . ثم رجع : فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهاهم به - وكان هو في رِغْيَةِ الإبل - قال : أرسلوا إليه . فأقبل وعليه غَمَامَةٌ تَظِلُّهُ ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جالس مال فيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة ، فيقتلونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم فقالوا : جئنا أن هذا النبيَّ خارجٌ في هذا الشهر ،

(١) ورواه أيضاً الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم والحرائطي وابن أبي عساكر ، وابن أبي شيبة .

فلم يبق طريق إلا يُبعث إليه بآناس ، وإنا قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خلفكم أحدٌ هو خير منكم ، فقالوا : إنما اخترنا خيرة لطريقك (١) هذا ، قال : أفراأيتُمُ أمراً أراد الله أن يتفضيه : هل يستطيع أحدٌ من الناس رده؟ قالوا : لا ، قال : فبايعوه (٢) وأقاموا معه . قال : أنشدُكم بالله أيكم وليُّه؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يُناشده حتى رده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالا - رضى الله عنهما - وزوَّده الراهبُ من الكعك والزيت (٣) ، قال

(١) فى لفظ الحديث اضطراب وخطأ ، وفى المواهب وشرحها ما يأتى : ج ١ ص ١٩٥ : « فلم يبق طريق إلا بعث إليها بآناس ، وأنا هذا أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا : إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا ، وانظر الخصائص للسيوطى ج ١ ص ٢٠٨ و ١٤٢ و ١٠ السيرة الحلبية .

(٢) معناه : بايعوا بحيرا على ألا يأخذوا النبی « ص » ، ولا يؤذوه على حسب ما أرسلوا فيه ، وأقاموا مع بحيرا خوفاً على أنفسهم إذا رجعوا بدونه ، انظر ص ٢٨٥ ج ٢ البداية والمواهب ، ومن أسماء بحيرا : جرجس وجرجيس .

وأكرر مرة أخرى بحجة من القرآن أن رسول الله « ص » لم يكن هو نفسه يعرف عن أمر نبوته شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحى ، والآيات التى جعلت آيات له - كما ورد فى القرآن والإنجيل والتوراة - لاتتعلق بصفات جسمية ، وإنما بالحقائق النورانية من دعوته صلى الله عليه وسلم ، فهو نبى أمى اسمه : أحمد يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث ، ويضع الأغلال والإصر عن البشر .

(٣) يقول القسطلانى والزرقانى فى المواهب وشرحه : « وضعف الذهبى الحديث - حديث بحيرى - لقوله فى آخره : وبعث معه أبو بكر بلالا ، فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلاً . قال ابن سيد الناس : لأنه حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، فإن المصطفى أزيد منه بعامين ، وكان له يومئذ تسعة أعوام على ما قاله الطبرى وغيره ، أو اثنا عشر عاماً على ما قاله آخرون ، ولا اشتري =

أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وما
قاله أبو طالب في هذه القصة :

== بلالا . قال اليعمرى : لأنه لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين
عاما ، فإنه كان لبني خلف الجمحين . وعندما عذب في الله اشتراه أبو بكر رحمة
له ، واستنقاذا له من أيديهم . ولفظ الذهب في الميزان في ترجمة عبد الرحمن ابن
غزوان : كان يحفظ وله مناكير ، وأنكر ماله : حديث عن يونس بن أبي إسحاق
عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبي موسى في سفر النبي ، ص ، وهو مرافق مع
أبي طالب إلى الشام .

وما يدل على أنه باطل قوله : وبعث معه أبو بكر بلالا ، وبلال لم يكن
خلق ، وأبو بكر كان صبياً ، وقال في تلخيص المستدرک بعد ما ذكر تصحيح
الحاكم للحديث : قلت : أظنه موضوعاً ؛ فبعضه باطل ، ويقول عنه عباس الدوري :
ليس في الدنيا أحد يحدث به - أي بهذا الحديث - غير قراد أبي نوح - أي
عبد الرحمن بن غزوان - وقد سمعته منه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين لغرابته
وانفراده . وفي رواية الترمذی لم يذكر اسم الراهب ، وهو تارة يهودى ، وتارة
نصراني ، وتارة ببحري ، وأخرى مرجس وغيره ١١ هذا وبصرى التي في القصة بلد
بالشام ، وهي قسبة كورة حوران . ولا ريب في أن قصة ببحري مخترة وإفك
صراح ، وقد استغلها عدو الإسلام ، فزعموا أنه - صلى الله عليه وسلم - اقتبس
دينه مما تعلمه من رهبان النصارى وأجبار اليهود ، وقد تردى في هذه المهلكة مؤرخ
ينتسب إلى الإسلام ، فزعم أن رحلتى الرسول إلى الشام كان لهما أثرهما فيما صدر
عنه من تشريع .

وأقول : لو أنها حدثت لتواتر خبرها ، ولأجَّ في مكة وما حولها من القرى ،
ولبدا من رسول الله العلم بما جاءه ليلة الوحي الأولى ، وكيف ، وهو كما أكد
القرآن - لم يكن يعرف حتى الإيمان قبل الوحي ١١ .

هذا وفي رواياته متناقضات ، فبحري من يهود تيماء ، كما جاء في بعض السنن
للزهرى ، وفي مروج الذهب وغيره أنه كان نصرانياً من عبد القيس . والرحلة
كانت مع أبي طالب ، والرحلة مع أبي بكر ، والرحلة وهو في سن التاسعة ==

أَلَمْ تَرَنِي مِنْ بَعْدِهِمْ هَمَّتْهُ
بِأَحْمَدَ لَمَّا أَنْ شَدَّذْتُ مَطِيَّتِي
بِكِي حَزَنًا وَالْعَيْسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ، ثُمَّ رَقَرْتُ غَبْرَةً
فَقُلْتُ : تَرَوْحَ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ
فَرُحْنَا مَعَ الْعَبِيرِ الَّتِي رَاحَ أَهْلُهَا
بُفْرَقَةً حُرًّا الْوَالِدِينَ كِرَامٍ
لِتَرْحَلَ إِذْ وَدَّعْتُهُ بِسَلَامٍ
وَأَمْسَكَتُ بِالسَّكْفِينَ فَضَلَّ زِمَامٍ
تَجُودُ مِنَ الْعَيْنِينَ ذَاتَ سِجَامٍ
مَوَاسِينَ فِي الْبُأَسَاءِ غَيْرَ لَثَامٍ
شَامِي الْهَوَى ، وَالْأَصْلُ غَيْرُ شَامِي

= أو الثانية عشرة أو الثامنة عشرة . وأبو بكر هو الذي يتوجه إلى الراهب في
رواية ، وبحيرا هو الذي ينزل في رواية ، والراهب مجهول الاسم في رواية ، والراهب
سرجس ، أو جرجس ، أو جرجيس في رواية ١١ والراهب يحذر أبا طالب
من الروم ، والراهب يحذر أبا طالب من اليهود في رواية ، وعدد الروم سبعة ،
وعددهم تسعة في رواية . هذا الكاتب الهندي خدا بخش - على ما في قوله من
اتهم لابن عباس بأنه واضع الحديث ، وابن عباس بريء من إفسكه - يحكم بزييف
هذه القصة فيقول : « ولكن القصة بأكملها ليست حقيقية ، بل موضوعة ،
وهي من صنع خيال ابن عباس ١١ وربما تكون قد دونت حوالى سنة ١٠٠ هـ ،
ثم يستعرض موقف الصليبية من قصة هذا الراهب ، فيذكر أمورا مذهلة ترينا
إلى أى حد استغل أعداء الدين هذه القصة المنتهرة ، فانظر كتابه (الحضارة
الإسلامية ترجمة الدكتور الخربوطلى) من ص ٤٠ . ويقول المؤرخ
سيديو - رغم اعتداله : « وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبى طالب
في سنة ٥٨٣ م فبلغ بصرى ، فاجتمع فيها بيجيرى الذى كان اسمه لدى النصارى
جرجيس أو سرجيس ، فنال حظوة عنده ، ص ٦٦ تاريخ العرب العام ، ويقول
غستاف لوبون عن قصة بيجيرى : (وتقول القصة : إن محمدا سافر مرة مع عمه إلى
سورية ، فتعرف في بصرى براهب نسطورى في ديار نصراى ، فتلقى منه علم
التوراة) ص ١٣٠ حضارة العرب . وذكر هذا في مثل هذا الأسلوب الهادى
الذى يختال بأنه سكتة من اليقين يفتح قلب من لا يعي لهذا الباطل الصريح ١١

فلما هَبَطْنَا أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ جِسَامَ
نَجَاءٍ بَحِيرَى عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِدًا لَنَا بِشْرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامٍ
قَالَ : ائْتَمُّوا أَصْحَابَكُمْ أَطْعَمَانَا فَقُلْنَا : جَعَلْنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غَلَامٍ (١)
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْهُ ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الشَّعْرَ .

مِفْظُهُ فِي الصَّفَرِ :

فصل : وَذَكَرَ مَا كَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْفَظُهُ بِهِ : أَنَّهُ كَانَ صَغِيرًا يَلْعَبُ
مَعَ الْغُلَامِ ، فَتَعَرَّى فَلَمَكَمَهُ لَا كَمَ . الْحَدِيثُ . وَهَذِهِ الْقِصَّةُ إِنَّمَا وَرَدَتْ
فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي حِينَ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ مَعَ قَوْمِهِ إِلَيْهَا ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَ أُرُزْمَهُ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ
لِتَقْفِيَهُمُ الْحِجَارَةُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَحْمِلُهَا عَلَى
عَاتِقِهِ ، وَإِزَارُهُ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا بَنَ أَخِي !
لَوْ جَعَلْتَ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ ، فَقَعَلَ نَسَطَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِزَارِي
إِزَارِي ! فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ ، وَقَامَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ (٢) ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّهُ لَمَّا
سَقَطَ ، ضَمَّهُ الْعَبَّاسُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ نُودِيَ مِنَ
السَّمَاءِ : أَنْ اشْدُدْ عَلَيْكَ إِزَارَكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ : وَإِنَّهُ لِأَوَّلُ مَا نُودِيَ . وَحَدِيثُ
ابْنِ إِسْحَاقَ ، إِنْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ فِي صَفَرِهِ ، إِذْ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامِ : فَمَحَمَلُهُ عَلَى
أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً فِي حَالِ صَفَرِهِ ، وَمَرَّةً فِي أَوَّلِ اكْتِهَالِهِ هُنْدَ
بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ .

- (١) تَبْدُو فِي الشَّعْرِ رَاحِمَةُ الْوَضْعِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَصْرَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ سَمَةُ ،
وَلِهَذَا لَمْ يَرَوْهُ ابْنُ هِشَامٍ .
(٢) الْحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني أبو عُبَيْدَةَ النُّجُومِيُّ ، عن أبي عمرو بن العلاء - هاجت حربُ الفَجَّارِ بين قُرَيْشٍ ، ومن معها من كِنانة ، وبين قَيْسِ عَيْلانَ . وكان الذي هاجبها أنْ عُرُوَّةُ الرَّحَّالِ بنِ عُثْمَةَ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلَابِ بنِ رَبِيعَةَ ابنِ عامِرِ بنِ صَعْمَةَ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوَازِنَ ، أجازَ أَطِيمَةَ للنعمانِ ابنِ الْمُزَنَدَرِ ، فقال له الْبَرَّاضُ بنُ قَيْسٍ ، أحدُ بني ضَمْرَةَ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَنَافَةَ ابنِ كِنانة : أَتُجِيرُها على كِنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخَلْقِ ، فخرجَ فيها عُرُوَّةُ الرَّحَّالِ ، وخرجَ الْبَرَّاضُ يَطْنُبُ غَفَنَتَهُ ، حتَّى إِذَا كانَ بَنِي مَنَافَةَ طَلَّالًا بِالْعَالِيَةِ ، غَفَلَ عُرُوَّةُ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الْبَرَّاضُ ، فَقَتَلَهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ : الْفَجَّارُ . وقال الْبَرَّاضُ في ذلك :

وَدَاهِيَةٍ سَهُمُ النَّاسِ قَبْلِي شَدَدْتُ لَهَا - بَنِي بَكْرٍ - ضُلُوعِي
هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِي كِلَابٍ وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِيَ بِالضَّرْعِ
رَفَعْتُ لَهُ بَذَى طَلَّالٍ كَفِّي فَخَرَّ يَمِيدُ كَلْبُذَعِ الصَّرِيعِ

وقال لَبِيدُ بنِ مَالِكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلَابٍ :

أُبْلِغْ - إِنْ عَرَضَتْ - بَنِي كِلَابٍ وَعَامِرَ وَالْخُطُوبُ لَهَا مَوَالِي
وَبْلِغْ إِنْ عَرَضَتْ بَنِي مُنَمِرٍ وَأَخْوََالَ الْقَتِيلِ بَنِي هِلَالٍ
بِأَنَّ الْوَافِدَ الرَّحَّالَ أَمْسَى مُقِيمًا عِنْدَ تَيْمَنَ ذِي طَلَّالٍ

.

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قال ابن هشام : فأتى آتٍ قريشا ، فقال : إنَّ البرأض قد قتل عُرْوَةَ ، وهم في الشهر الحرام بمكأظ ، فارتحلوا ، وهوازن لا تشعُرُ ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقبتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التفتوا بعد هذا اليوم أياما ، والقوم مُتساندون ، على كلِّ قبيل من قريش وكنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كلِّ قبيل من قيس رئيسٌ منهم .

وشهد رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعض أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كنت أنبئُ على أعمامى ، أى : أرُدُّ عنهم ، نبيلَ عدوهم ، إذا رمَوْهم بها .

قال ابن إسحاق : هاجت حربُ الفجار ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ابنُ عشرين سنة ، وإنما سُمي يومُ الفجار ، بما استحلَّ هذان الحيان : كنانةٌ وقيسٌ عيَّلان فيه المَحارمَ بينهم .

وكان قائدُ قريش وكنانة حربُ بن أمية بن عبد شمس ، وكان الظفر في أولِ النهار لقيس على كِنانة ، حتى إذا كان في وسطِ النهار كان الظفرُ لـكنانة على قيس .

قال ابن هشام : وحديثُ الفجار أطولُ ممَّا ذكرت ، وإنما منعى من استقصائه قطعُه حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • • • •

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمساً وعشرين سنة ، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المديني .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه ، بشئ تجعله لهم ، وكانت قريش قومًا تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بلغها ، من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكبرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتُعطيه أفضل ما كانت تُعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قَدِمَ الشام .

فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي .

ثم باع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سِلْعَتَهُ التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، ومعه مَيْسِرَةٌ ، فكان مَيْسِرَةٌ - فيما يزعمون - إذا كانت الهَاجِرَةُ ، واشتدَّ الحرُّ ، يرى مَلَكَ كَيْنٍ يُظَلِّلُهُ مِنَ الشَّمْسِ - وهو يسير على بعيره ، فلما قَدِمَ مكةَ على خديجة بما لها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريبا . وحدثها مَيْسِرَةٌ عن قول الراهب ، وعمّا كان يرى من إِظلال المَلَكَ كَيْنِ إِيَّاهُ ، وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفةً لبيبةً ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها مَيْسِرَةٌ بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له - فيما يزعمون : يَا بَنَ عَمٍّ ، إني قد رَغِبْتُ فَيْكَ لِقَرَابَتِكَ ، وَسِطَّتِكَ فِي قَوْمِكَ وَأَمَانَتِكَ ، وَحُسْنِ خَلْقِكَ ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، كلُّ قَوْمِهَا كان حريصاً على ذلك منها لو يقدّر عليه .

وهي خديجة بنت خُوَيْلِدٍ بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر . وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رِزَاحَة بن حَجَر بن عَبْد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنْكَذ بن عمرو ابن مَعِيص بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر . وأم هالة : قِلَابَةُ بنت سَعِيد ابن سَعْد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْن بن كَعْب بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر . فلما قالت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذَكَرَ ذلك لأعمامه ، فخرج معه عُمَةُ حمزة بن عبد المطلب - رحمه الله - حتى دخل على خُوَيْلِد بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها .

قال ابن هشام : وأُضِدَّ قَهْرُ رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — عشرين بَكْرَةً ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

قصة الفجار

والفجار بكسر الفاء بمعنى : المفاجرة كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالا في الشهر الحرام ، ففَجَرُوا فيه جميعاً ، فسمى : الفَجَارَ ، وكانت للعرب فِجَارَاتٌ أربع ، ذكرها السعدي ، آخرها : فِجَارُ الْبَرَّاضِ (١) اللذ كور في السيرة . وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذ كورة : يوم شَمْطَةَ ، ويوم الشَّرِبِ ، وهو أعظمها يوماً ، وفيه قَيْدُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ وَسُفْيَانِ وَأَبُو سُفْيَانَ ابْنَاهُ أُمَيَّةٌ أَنْفُسَهُمْ كِي لَا يَفِرُّوا ، فَسَمُّوا : الْعُنَابِسَ (٢) ، ويوم الْحَرِيرَةِ عند نخلة ، ويوم الشَّرِبِ انهزمت قيسٌ إِلَّا بَنِي نَضْرٍ مِنْهُمْ ، فإِذَا نَبِتُوا ، وَإِنَّمَا لَمْ يَقَاتِلْ رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — مع أَعْمَامِهِ ، وَكَانَ يَنْبُلُ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ كَانَ بَلُغَ سِنِّ الْقِتَالِ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ حَرْبَ فِجَارٍ ، وَكَانُوا أَيْضاً كُلُّهُمْ كُفَّاراً ، وَلَمْ يَأْذِنْ اللَّهُ تَعَالَى لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقَاتِلَ إِلَّا لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا .

(١) هي : فجار الرجل ، أو فجار بدر بن معشر ، وفجار القرد ، وفجار المرأة ، والأولى بين كنانة وهوازن . والثانية أيضاً : بينهما ، والثالثة : بين قريش وهوازن ، وكانت البراض بين قريش وكنانة كلها . وبين هوازن ، وتسمى : ثلاثة الفجارات . الأول : أيام الفجار الأول . أما البراض فالفجار الآخر .

(٢) العنابس من أسماء الاسد ، والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم ستة ، منهم الذين ذكرهم السهيلي والآخرين هم : أبو حرب وعمر وأبو عمرو ، وسموا بالاسد ، والباقيون يقال لهم : الإغصاء

واللَّطِيمَةُ : عَيْرٌ تَحْمِلُ الْبَرْءَ وَالْعِطَرَ .

وقوله : بذى طَلَّالٍ (١) بتشديد اللام ، وإنما خففه لِيَبِيدَ في الشعر الذي ذكره ابن إسحاق ههنا للضرورة .

منع تنوين العلم :

وقول البراءض : رفعت له بذى طَلَّالٍ كَفَى . فلم يَصْرِفْهُ ، يجوز أن يكون جعله اسمَ بُقْعَةٍ ، فتَرِكَ إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذاتِ طَلَّالٍ ، أَى : ذات هذا الاسم للمؤنث ، كما قالوا : ذو عمرو أَى : صاحبُ هذا الاسم ، ولو كانت أنثى ، لقالوا : ذاتُ هذا ، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وصفاً لطريق ، أو جانب مضافٍ إلى طَلَّالٍ اسم البقعة . وأحسنُ من هذا كُله أن يكونَ طَلَّالُ اسماً مذكراً علماً ، والاسمُ العلمُ يجوز تركُ صرفه في الشعر كثيراً ، وسيأتي في هذا الكتاب من الشواهد عليه ما يدلُّك على كثرتِه في الكلام ، ونؤخرُ القولَ في كشفِ هذه المسئلة وإيضاحها إلى أن تأتي تلك الشواهدُ . - إن شاء الله - ووقع في شعر البراءض مُشَدَّداً ، وفي شعر لَبِيدٍ الذي بعد هذا مُخَفَّفاً ، وقلنا : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم يُقَلَّ : إنه شَدَّدَ للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه فَعَالٌ من الطَّلَّ ، كأنه موضعٌ يكثر فيه الطَّلُّ ، فَطَلَّالٌ بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً ؛ فإننا وجدناه في الكلام المنشور مُشَدَّداً ، وكذلك تقييد في كلام ابن

(١) تنطق بالظاء أيضاً ، وتيمن ذى طلال ، قيل : إنه واد إلى جنب فذلك ، والصحيح : أنه بعالية نجد ، كما ذكر ابن هشام . والعالية : كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائوها إلى تهامة . وما كان دون ذلك : فالسافلة .

إسحاق هذا في أصل الشيخ أبي بجر (١).

من تفسير سمر البراصم :

وقوله في البيت الثاني : وألحقت الموالى بالضروع (٢) . جمع : ضَرَع ، هو في معنى قولهم : ائيمم راضع ، أى : ألحقت الموالى بمنزلتهم من اللؤم . ورضاع الضرُوع ، وأظهرت فسالتهم (٣) . وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وضرعائهم .

وقول ليبد : بين تيمن ذى طلال . بكسر الميم وافتحها ، ولم يضرِفهُ لَوَزْنِ النِّعْل ، والتعريف ؛ لأنه تَفْعِل ، أو تَفْعَل من التَّيْمَن أو التَّيْمِين .
أضر أمر الفجار :

وكان آخر أمر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بمسكاظ فجاءوا للوعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قریش وكنانة ، وكان عتبة بن ربيعة يتيمًا في حجره ، فضنَّ به حرب ، وأشفق من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير إذنه ، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصَّغِين ينادى : يا معشر مضر ، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصالح ، على أن ندفع إليكم دية قتلاكم ، ونقفو عن دماننا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهنًا مِنَّا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضوا ورضيت كنانة ، ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلًا : فيهم : حكيم بن حزام [بن خويلد] ، فلما رأيت بنو عامر بن صعصعة الرهن

(١) انظر عن هذا ص ٦١ شرح السيرة للخشني .

(٢) في السيرة : وأرضعت .

(٣) الفصل من الرجال : الرذل .

في أيديهم ، عَفَوْا عن الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حَرْبُ النِجَارِ (١) ، وكان يقال : لم يَسُدَّ من قريشٍ مُمْلِقٌ إِلَّا عُتْبَةُ وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

فصل في تزويجه عليه السلام خديجة رضي الله عنها

شرح قول الراهب :

ذكر فيه قول الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إِلَّا نَبِيٌّ . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إِلَّا نَبِيٌّ ، ولم يُرِدْ : ما نزل تحتها قط إِلَّا نَبِيٌّ ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان في لفظ الخبر : قَطَّ ، فقد تسكلم بها على جهة التوكيد للنفي ، والشجرة لَا تُعَمَّرُ في العادة هذا الْعُمَرُ الطويل حتى يَدْرِي أنه لم يَنْزِلْ تحتها إِلَّا عيسى ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - وَيَبْعُدُ في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن يَنْزِلَ تحتها أحدٌ ، حتى يحى نبي إِلَّا أن تَصِحَّ رواية من قال في هذا الحديث : لم يَنْزِلْ تحتها أحدٌ بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - وهي رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نَسْطُوراً (٢) وليس هو بخيرا المتقدم ذكره .

- (١) ومن حديث حرب الفجار نفسر ما يأتى : اللطيمة : الإبل تحمل التجارة والطيب واللبز وأشباههما القوم متساندون : ليس لهم أمير واحد يجمعهم . ولم يرد في حضور النبي ، ص ، حرب الفجار حديث يعتد به .
- (٢) قلت : إن الصليبية استغلت هذه الأكذوبة ، فادعى أحدهم وهو =

تحقيق معنى الوسط :

وقول خديجة - رضى الله عنها : لِسِطَتِكَ فى عَشِيرَتِكَ ، وقوله فى وصفها :
هى أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا . فالسَّطَةُ : من الوَسَطِ ، مَصْدَرٌ كَالْعِدَّةِ وَالزَّيْنَةِ ، وَالْوَسَطُ
من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب ، وفى ذكر
الشهادة . أما النسب ؛ فلأن أَوْسَطَ الْقَبِيلَةِ أَغْرَفُهَا ، وأولاهها بالصميم وأبعدُها
عن الأطراف والوسيط ، وأجدرُ أن لاتضاف إليه الدعوة ؛ لأن الآباء والأُمهات
قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان أَوْسَطُ من أجل هذا مدحاً فى النسب
بهذا السبب ، وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : (قال أوسطهم) وقوله :
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة : ١٤٣
فكان هذا مدحاً فى الشهادة ؛ لأنها غاية العَدَالَةِ فى الشاهد أن يكون وَسَطًا
كاليزان ، لا يميل مع أحد ، بل يُصَمِّمُ عَلَى الْحَقِّ تَصْمِيمًا ، لا يَجْذِبُهُ هَوًى ،
ولا يميل به رغبة ، ولا رهبة من هُنا ، ولا من هُنا ، فكان وصفه بأَوْسَطِ
غاية فى التزكية والتعديل ، وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط : الأفضل
على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الوُسْطَى : التَّضَلُّى ، وليس كذلك ، بل هو
فى جميع الأوصاف لَامْدَحٌ وَلَادِمٌ ، كما يقتضى لفظ التَّوَسُّطِ ، فإذا كان وَسَطًا فى
السَّمَنِ ، فهى بين الْمُمِخَّةِ (١) وَالْعَجْفَاءِ . والوسط فى الجمال بين الحسناء

= نيكولس ، أن اثنين من اليهود ، ومسيحيًا يعقوبيا يدعى : بيميرى أمدأ
محمدًا بكثير من المعلومات التى استفاد منها فى دينه ص ٢٣ - الحضارة الإسلامية ،
ويزعم د أندريا داندولو ، أن هذا الراهب النسطورى د نسبته إلى فرقة مسيحية ،
أراد محاربة الكنيسة ، فاستغل محمدًا فى هذا . وكما مفتريات من تن فرية خبيثة
انظر خدابخش الحضارة الإسلامية .

(١) فى اللسان : الممخة بضم فكسر نغاء مشددة مفتوحة : السمينة
وفى المثل : بين الممخة والعجفاء .

والشَوْهَاءَ ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحا ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا في المثل : أُنْقَلْ مِنْ مُغْنٍ وَسَطٍ عَلَى الذَّمِّ ؛ لأن المغنى إن كان مجيدا جدا أُمْتَعَ وأطْرَبَ ، وإن كان باردا جدا أضْحَك وأَلْهَى ، وذلك أيضا مما يَنْتَسِع . قال الجاحظ : وإنما الكَرْبُ الذى يَجْتَمُّ عَلَى الْقُلُوبِ ، ويأخذ بالأنفاس الفناء الفاتر أَوْسَطُ الذى لَا يُنْتَسِعُ بِحُسْنٍ ، وَلَا يُضْحِكُ بِلَهْوٍ ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو : أَوْسَطُ النَّاسِ . أى : أفضاهم ، ولا يوصف بأنه وَسَطٌ فى الْعِلْمِ ، ولا فى الْجُودِ ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب والشهادة ، كما تقدم ، والحمد لله ، والله المأمود .

من الذى زوج خديجة ؟

فصل : وذكر مشى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ مع عمه حمزة — رضى الله عنه — وذكر غيرُ ابن إسحاق أن خُوَيْلِدًا كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة — رضى الله عنها — هو عمُّها عمرو بن أسد ، قاله المبرد وطائفة معه ، وقال أيضا : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى خَطَبَ خُطْبَةَ النِّكَاحِ ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمداً يَمُنُّ لَا يُؤَاوِزُنْ بِهِ فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ شَرَفًا وَنُبُلًا وَفَضْلًا وَعَقْلًا ، وإن كان فى المال قُلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله فى خديجة بنت خُوَيْلِدٍ رَغْبَةٌ ، ولها فيه مثل ذلك » فقال عمرو : هو الفحل الذى لَا يَقْدَعُ أَنْفَهُ ، فأنكحها منه ، ويقال : قاله وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، والذى قاله المبرد هو الصحيح ؛ لما رواه

(١) ونص الخطبة فى نهاية الأرب : والحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم =

الطَّبْرِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَائِشَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلُّهُمْ — قَالَ : إِنْ عَمَرُوْا بَنَ أَسَدٍ هُوَ الَّذِي أَنْكَحَ خَدِيجَةَ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَنْ خُوَيْلِدًا كَانَ قَدْ هَلَكَ قَبْلَ الْفَجَارِ ، وَخُوَيْلِدُ ابْنِ أَسَدٍ هُوَ الَّذِي نَازَعَ تُبْعًا الْآخَرَ حِينَ حَجَّ ، وَأَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ مَعَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَامَ فِي ذَلِكَ خُوَيْلِدٌ ، وَقَامَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ إِنْ تُبْعًا رُوِّعَ فِي مَنَامِهِ تَرْوِيْعًا شَدِيدًا حَتَّى تَرَكَ ذَلِكَ ، وَانصَرَفَ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل : وذكر الزُّهْرِيُّ فِي سِيَرِهِ ، وَهِيَ أَوَّلُ سِيرَةِ أُلْفَتِ فِي .

= وزرع لإسماعيل ، وَضِيضِيَّةٌ مَعْدَةٌ أَى مَعْدَنُهُ وَأَصْلُهُ ، وَعَنْصَرٌ مُضَرٌّ ، وَجَعَلْنَا حَضْنَةَ بَيْتِهِ ، وَوُسْوَاسَ حَرَمِهِ ، وَجَعَلْنَا لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا ، وَحَرَمًا آمِنًا ، وَجَعَلْنَا الْحِسْكَامَ عَلَى النَّاسِ ، ثُمَّ إِنْ ابْنُ أَخِي هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوْزَنُ بِهِ رَجُلٌ إِلَّا رَجَحَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ ، فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَأَمْرٌ حَائِلٌ ، وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ ، وَقَدْ خُطِبَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا أَجَلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالٍ كَذَا . وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْدَ هَذَا نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَخُطِبَ جَلِيلٌ ، ص ٩٨ - ١٦ نَهَايَةُ الْأَرْبِ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ صَدَاقَهَا كَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ذَهَبًا وَنَشْأًا ، وَقَالَ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ فِي السَّمَطِ الثَّمِينِ : إِنَّهُ كَانَ عَشْرِينَ بَكْرَةً وَفِي الْمُنْتَقَى : أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ . وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ خُطِبَ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا كَمَا ذَكَرْتَ ، وَفَضَّلَنَا عَلَى مَا عُدَدْتَ ، فَتَحَنَّنَ سَادَةً الْعَرَبِ وَقَادَتَهَا ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ ، لَا تَنْكُرُ الْعَشِيرَةَ فَضْلَكُمْ ، وَلَا يَرُدُّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَرْمَكَ وَشَرْفَكُمْ ، وَقَدْ رَغَبْنَا فِي الْإِتِّصَالِ بِجَلِيلِكُمْ وَشَرْفِكُمْ ، فَاشْهَدُوا عَلَيَّ يَا مَعْاشِرَ قُرَيْشٍ بَأَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ ، قَدْ أَحْبَبْتَ . أَنْ يَشْرَكَكَ عَمُّهُ . فَقَالَ عَمُّهُ : اشْهَدُوا عَلَيَّ يَا مَعْاشِرَ قُرَيْشٍ أَنِّي قَدْ أَنْكَحْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَشَهِدَ عَلَى ذَلِكَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ .

الإسلام ، كذا روى عن [عبد العزيز بن محمد بن عبيد] الدَّرَّاءُورِدِي أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لشريكه الذي كان يَتَجَرُّ معه في مالِ خديجة : هَلُمَّ فَلَمَنَّا جَدْتُ عِنْدَ خَدِيجَةَ ، وَكَانَتْ تُسَكِّرُ مُمَّهَما وَتُتَحِفُهُمَا (١) ، فَلَمَّا قَامَا مِنْ عِنْدِهَا جَاءَتْ امْرَأَةٌ مُسْتَنْدِسَةٌ (٢) — وَهِيَ الْكَاهِنَةُ — كَذَا قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَقَالَتْ لَهُ : جِئْتَ خَاطِبًا يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ : كَلَّا ، فَقَالَتْ : وَلَمْ ؟ ! فَوَاللَّهِ مَا فِي قَرِيشٍ امْرَأَةٌ ، وَإِنْ كَانَتْ خَدِيجَةُ إِلَّا تَرَكَ كُفْمَنَا لَهَا ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — خَاطِبًا لَخَدِيجَةَ مُسْتَحْيِيًا مِنْهَا ، وَكَانَ خَوْبِلْدٌ أَبُوهَا سَكْرَانٌ مِنَ الْخَمْرِ ، فَلَمَّا كَلَّمُ فِي ذَلِكَ أَنْكَحَهَا ، فَأَلَقَتْ عَلَيْهِ خَدِيجَةُ حُلَّةً وَضَمَّخَتْهُ بِخُلُوقٍ (٣) فَلَمَّا صَجَا مِنْ سُكْرِهِ قَالَ : مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ وَالطَّيِّبُ ؟ فَقِيلَ : إِنَّكَ أَنْكَحْتَ مُحَمَّدًا خَدِيجَةَ ، وَقَدْ ابْتَنَى بِهَا ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ ، ثُمَّ رَضِيَ وَأَمْضَاهُ ، فَنَفَى هَذَا الْحَدِيثَ أَنَّ أَبَاهَا كَانَ حَيًّا ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ أَنْكَاحُهَا . كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ . وَقَالَ رَاجِزٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي ذَلِكَ :

لَا تَزْهَدِي خَدِيجَ فِي مُحَمَّدٍ نَجْمٌ يَضِيءُ كِبَاضِ الْفَرْقَدِ (٤)

(١) التحفة بالضم وكهمزة : البر واللفظ والطفرة .

(٢) كانت من مولدات قريش ، يقال : يستنشى الاخبار ، أى : يبحث عنها . وقال الأزهري : إن مُسْتَنْدِسَةٌ علم املك الكاهنة .

(٣) الخلق : ضرب من الطيب . والضمخ : طخ الجسد بالطيب .

(٤) الفرقد : النجم الذي يهتدى به ، وفي شرح المواهب : « كإضياء الفرقد » . بدلا من « كإضياء الفرقد » .

أولاده صلى الله عليه وسلم منها :

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَهُ كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ : الْقَاسِمَ ، وَبِهِ كَانَ يُسَكَّنِي صلى الله عليه وسلم ، وَالطَّاهِرُ ، وَالطَّيِّبُ ، وَزَيْنَبُ ، وَرُقِيَّةُ ، وَأُمُ كَلْثُومَ ، وَفَاطِمَةَ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

قال ابن هشام : أَكْبَرُ بَنِيهِ : الْقَاسِمُ ، ثُمَّ الطَّيِّبُ ، ثُمَّ الطَّاهِرُ ، وَأَكْبَرُ بَنَاتِهِ : رُقِيَّةُ ، ثُمَّ زَيْنَبُ ، ثُمَّ أُمُ كَلْثُومَ ، ثُمَّ فَاطِمَةُ .

قال ابن إسحاق : فَأَمَّا الْقَاسِمُ ، وَالطَّيِّبُ ، وَالطَّاهِرُ فَهَلَكُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَمَّا بَنَاتُهُ فَكَلَّهْنَ أَدْرَكَنَ الْإِسْلَامَ ، فَأَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ مَعَهُ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَأَمَّهُ : مَارِيَّةُ الْقِبْطِيَّةُ . حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ عَنْ ابْنِ كَلْبَةَ ، قَالَ : أُمُّ إِبْرَاهِيمَ : مَارِيَّةُ سُرِّيَّةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمُقَوْقِسُ مِنْ حَفْنٍ مِنْ كُورَةِ أَنْصَنًا .

قال ابن إسحاق : وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ قَدْ ذَكَرَتْ لَوَرَقَةَ بِنْتُ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُزَيِّ - وَكَانَ ابْنُ عَمِّهَا ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا قَدْ تَبِعَ الْكُتُبَ ، وَعَلِمَ مِنَ عِلْمِ النَّاسِ - مَا ذَكَرَ لَهَا غُلَامُهَا مَيْسَرَةً مِنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ ، وَمَا كَانَ يَرَى مِنْهُ إِذْ كَانَ الْمَلَكَانَ يُظْلَانَهُ ، فَقَالَ وَرَقَةُ : لَنْ كَانَ هَذَا حَقًّا يَا خَدِيجَةُ ، إِنْ مُحَمَّدًا لَنَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةُ ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ كَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ نَبِيٌّ يُنْتَظَرُ ، هَذَا زَمَانُهُ ، أَوْ كَمَا قَالَ :

.

فَجْعَلَ وَرَقَةً يَسْتَبْطِئُ الْأَمْرَ وَيَقُولُ : حَتَّى مَتَى ؟ فَقَالَ وَرَقَةً فِي ذَلِكَ :

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِى لُجُوجًا اِهْمَّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوُصِفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِى يَا خَدِيجَا
يَبْطُنُ الْمَكْتَبَيْنِ عَلَى رَجَائِى حَدِيثَكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَبْعُوجَا
بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا
وَيُظْهَرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءُ نُورٍ يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فِيَلْتَقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فِيَالْيَتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَتُوجَا
وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا
أُرْجَى بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَقَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ بَيْنَ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقُوا وَأَبْقَى نَكُنْ أُمُورٌ يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَحِيجَا
وَأِنْ أَهْلَكَ فَكُلُّ فِتَى سَيَلْتَقَى مِنَ الْأَقْدَارِ مَتْلَفَةٌ حَرُوجَا

وقيل : إن عمرو بن خويلد أخاها هو الذى أنسكحها منه ، ذكره ابن إسحاق فى آخر الكتاب .

أورده من ضميمته :

فصل : وذكر ولده منها - صلى الله عليه وسلم - فذكر البنات ، وذكر القاسم والطاهر والطيب ، وذكر أن البنين هلكوا فى الجاهلية ، وقال

الزبير — وهو أعلم بهذا الشأن — ولدت له القاسم وعبد الله ، وهو الطاهر ، وهو الطَّيِّبُ سُمِّيَ بالطاهر ، والطيبُ لأنه وُلِدَ بعد النبوة ، واسمُهُ الذي سُمِّيَ به أَوَّلُ هو : عبد الله ، وبلغ القاسمُ المشي ، غير أن رضاعته لم تكن كملت ، وقع في مُسْنَدِ الْفَرَّابِيِّ أن خديجة دخل عليها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — بعد موت القاسم ، وهي تبكي : فقالت : يا رسول الله دَرَّتْ لُبَيْنَةُ القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهوَّنَ عليٌّ ، فقال : إن له مَرَضًا في الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لهوَّنَ عليٌّ ، فقال : إن شئتَ أسمعُكَ صوته في الجنة ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله . قولها ، لُبَيْنَةُ هي تصغير لُبْنَةٍ ، وهي قطعة من اللبن ، كَالْعُسَيْلَةِ ، تصغير عَسَلَةٍ ذكر سيبويه اللَّبْنَةُ وَالْعَسَلَةُ والشُّهْدَةُ على هذا المعنى . قال المؤلف : وهذا من فقهها — رضى الله عنها — كرهت أن تؤمن بهذا الأمر مُعَايِنَةً ، فلا يكون لها أَجْرُ التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ ، وإنما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب . وهذا الحديث يدل أيضاً على أن القاسم لم يهلك في الجاهلية . واختلفوا في الصُّغْرَى والكُبْرَى من البنات ، غير أن أم كلثوم لم تسكن الكبرى من البنات ، ولا فاطمة ، والأصحُّ في فاطمة أنها أصغرُ من أم كلثوم (١)

(١) في نسب قريش ص ٢١ : « فولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — القاسم ، وهو أكبر ولده ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ثم هكذا الأول فالأول ، ثم مات عبد الله ، ثم ولدت له مارية بنت شمعون ابنة إبراهيم ، وفي زاد المعاد : وقد قيل في كل واحدة منهن إنها أسن من اختها ، وقد ذكر عن ابن عباس : رقية أسن الثلاث ، وأم كلثوم أصغرهن

خديجة وبجبرى وتبهرها :

وخديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة في الجاهلية والإسلام ، وفي سير
الأنبياء . أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم -
حين أخبرها عن جبريل ، ولم تكن سمعت باسمه قط ، ركبت إلى بجبرى الراهب ،
واسمهُ سَرَجِس (١) فيما ذكر السمودي ، فسأته عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ
قُدُّوسٌ يا سيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم ؟ ! فقالت : بعلى وابن عوى
محمد أخبرنى أنه يأتىه ، فقال : قُدُّوس قُدُّوس ما علم به إلا نبيٌّ مُقَرَّب ، فإنه
السفير بين الله وبين أنبيائه ، وإن الشيطان لا يجترئ أن يتَمَثَّل به ، ولا أن
يَتَسَمَّى باسمه ، وكان بمكة غلامٌ لِعُتْبَةَ بن ربيعة سياتى ذكره ، اسمه : عَدَّاس
عنده علم من الكتاب ، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ
قُدُّوسٌ ! ! أنى لهذه البلاد أن يُذكرَ فيها جبريلُ يا سيدة نساء قريش ، فأخبرته
بما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال عَدَّاس مثل مقال الراهب ،
فكان مما زادها الله تعالى به إيماناً وبقيناً .

وذكر ابن إسحاق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، ولم يذكر اسم
الأصم ، وذكره الزبير وغيره ، فقال : جُنْدُب بن هِذَم بن حَجَر ، بفتح الحاء والجيم
من حَجَر . كذا قيده الدارقطني (٢) ، وأخوه : حُجَيْر بن عبد بن معيص بن عامر ،

(١) استقلت الصليبية هذا الإفك المفترى ، فهبت القديسة العظيمة خديجة
بأنها كانت على صلة بهذا الراهب المزعوم .

(٢) صوب الخشنى أيضاً في ضبط حجر رواية الدارقطني ص ٦٢ وفي نسب
ص ٢١ ، ٢٣٠ قريش عن أم خديجة : وأمها : فاطمة بنت زائدة بن جندب ، وهو
الأصم بن هدم بن رواحة بن حجير بن عبد بن معيص ، وضبط حجير بضم الحاء . .

وأما حَجْرٌ يسكون الجيم ففي حَى ذَى رُعَيْنٍ وإليه ينسب الحَجْرِيُّونَ ، وأما حَجْرٌ بكسر الحاء ، ففي بنى الدَّيَّانَ : عبدُ الحَجْرِ بن عبد المَدَّانِ ، وهم من بنى الحارث ابن كعب بن مَذْحِج ، وذكر يونس عن ابن إسحاق نسب أم خديجة ، كما ذكر في رواية ابن هشام ، وزاد فقال : كانت أم فاطمة بنت زائدة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عبد بن مُنْقِذِ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ ، وأُمُّها قِلَابَةُ ، وهى العَرِيقَةُ بنت سَعِيد بن سَعْدٍ (١) بن سهم بن عمرو بن هُصَيْنِ بن كعب بن لُؤَيٍّ وأُمُّها : أُمَيْمَةُ بنتُ عامر بن الحارث بن فِهْرٍ (٢) .

من نزلت خديجة قبل الرسول ؟

وكانت خديجة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أبى هالة ، وهو هند بن زُرَّارَةَ ، وقد قيل فى اسمه : زُرَّارَةَ ، وهند : ابنة ، ابن النَّبَّاشِ من بنى عَدِيٍّ ابن جِرْوَةَ بن أُسَيْدٍ (٣) ابن عمرو ابن تميم ، فهو أُسَيْدِيٌّ بالتخفيف ، منسوب إلى أُسَيْدٍ بالتشديد ، كذا قال سيبويه فى النسب إلى أُسَيْدٍ . وعدى بن جِرْوَةَ . يقال

(١) فى نسب قريش : هالة ، وهى العرقَةُ بنت سعيد بن سهم بن عمرو الخ . وأما قِلَابَةُ بنت سعيد بن سعد بن سهم فلا تُلَقَّبُ بالعرقَةُ انظر ص ٢٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٨ نسب قريش . وفى نسب هالة جدة خديجة المذكور فى ابن هشام مخالفة لما فى نسب قريش ، فهو فى هذا كما يأتى هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص ، ص ٢٢ و ص ٤٣٨

(٢) فى نسب قريش : أُمَيْمَةُ بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر .

(٣) فى مشابهة القبائل لابن حبيب : ه أن كل شىء فى العرب أُسَيْدٌ - بفتح الهمزة وكسر السين سوى أُسَيْدٍ بن عمرو فى بنى تميم فإنه على مثال التصغير ه ص ٤٥١ ج ٢ المزهر .

إن الزُّبَيْرَ صَحَفَهُ ، وإنما هوى عِذَى بن جِرْوَةَ ، وكانت قبل أبي هَالَةَ عند عَتِيق ^(١) بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ولدت له عبد مناف بن عَتِيق ، كذا قال ابن أبي خَيْثَمَةَ ، وقال الزُّبَيْرُ : ولدت لعَتِيقٍ جاريةً اسمُها : هِنْدُ ^(٢) وولدت لهند أبي هَالَةَ ابناً اسمُه : هِنْدُ ^(٣) أيضاً ، مات بالطاعون طاعون البَصْرَةِ ، وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفاً ، فشقَّ الناسُ بجنازتهم عن جنازته ، فلم يوجد من يحملها ، فصاحت نادبته : واهِنْدُ بن هِنْداه !! وارِيبَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم تبق جنازةٌ إلَّا تُرِكَتْ ، واحتَمِلَتْ جنازته على أطراف الأصابع إعظاماً لريب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكره الدُّوَلَابِيُّ ، وخديجةٌ من أبي هَالَةَ ابنان غير هذا ، اسم أحدهما : الطاهرُ ، واسم الآخر : هَالَةُ . واختلف في سنِّه - صلى الله عليه وسلم - حين تزوّج خديجةً فقيل ما قاله ابن إسحاق ، وقيل : كان ابن ثلاثين سنةً ، وقيل ابن إحدى وعشرين سنة ^(٤) .

مارية وإبراهيم :

فصل : وذكر أن خديجةً - رضى الله عنها - ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، فإنه من مارية التي أهداها إليه المموقِس ،

(١) وقيل : إن عتيق تزوجها بعد أبي هالة والقولان في الإصابة .

(٢) قيل : إنها أسلمت ولها صحبة .

(٣) صحابي روى حديث صفة النبي شهد بدرا ، وقيل : أحدا . وذكر الدارقطني وابن بكار أنه قتل مع علي يوم الجمل .

(٤) في البيهقي والحاكم أن عمره كان خمسا وعشرين ، وعمرها خمسا وثلاثين .

وقد تقدم اسمُ الْمُعَوِّقِسُ ، وأنه جُرْنُجُ بن مينا ، وذكرنا معنى الْمُعَوِّقِسِ في أول الكتاب ، وذكرنا أنه أهدى ماريةَ مع حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعَةَ ، ومع جَبْرِ مَوْلى أبي رُفْهِمِ الْغِفَارِيِّ ، واسم أبي رُفْهِمِ : كَلْثُومُ بن الْحَصَيْنِ . وذلك حين أرسلها إليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوهُ إلى الإسلام ، وأهدى معها أختها سِيرِينَ ، وهى التى وهبها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لِحَسَّانِ ابن ثابتٍ - رضى الله عنه - فأولدها عبد الرحمن بن حسان ، وأهدى معها الْمُعَوِّقِسُ أيضاً غلاماً خَصِيّاً اسمه : مَأْبُورٌ ، وبغلة تسمى : دُلْدُلٌ ، وقدحاً من قَوَارِيرِ كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يشرب فيه ، وتُوفيت ماريةَ - رضى الله عنها - سنة ستَّ عَشْرَةَ فى خلافةِ عُمرَ - رضى الله عنه - وكان عُمرُ هو الذى يَحْشُرُ الناسَ إلى جِنَازَتِها بنفسِهِ ، وهى ماريةُ بنتُ شَمْعُونِ (١) الْفِطِيطِيَّةُ من كُورَةِ حَفَنَ . وأما إبراهيمُ ابن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فمات ، وهو ابن ثمانيةَ عَشَرَ شَهْراً فى سنة عَشْرِ من الهجرة فى اليوم الذى كَسِفَتْ فيه الشمسُ ، وكانت قابِلَتُهُ ، سَلَمَى امرأةُ أبى رافعٍ ، وأرضعته أُمُّ بُرْدَةَ بنتُ الْمُنْذِرِ النَّجَّارِيَّةِ امرأةُ الْبَرَاءِ بن أَوْسٍ ، وسَلَمَى : هى مَوْلَاةُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وقابلهُ بنى فاطمةَ كُلَّهم ، وهى غَسَلَتْها مع أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ الْحُثُمَيْيَّةِ ، وغسلها معها على بن أبى طالب - كَرَّمَ الله وجهه - - وفى الْمُسْنَدِ من طريقِ أَنَسٍ أَنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - حين

(١) زاد فى نسب قريش بعد شمعون : ابن إبراهيم .

ولدت له ماريّة ابنة إبراهيم وقع في نفسه منه شيء ، حتى نزل جبريل عليه السلام ، فقال له : السلام عليك يا أبا إبراهيم ^(١) .

ترجمة ورقة :

وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وأم ورقة : هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي ، ولا عقب له ^(٢) ، وهو أحد من آمن بالنبي -

(١) في زاد المعاد : أن الطيب والطاهر لقبان لولده المسمى : عبد الله الذي ولد بعد النبوة . وأما إبراهيم فذكر ابن القيم أنه ولد في العام الثامن من الهجرة . وأن الذي بشره به هو أبو رافع مولاه . فوهب له عبدا ، أما الحديث المروى عن طريق أنس ، ففيه ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه ، وفي روايات الحديث أن مابورا هذا كان يدخل كثيرا على مارية ، فهل يصدق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لمثل هذا أن يغشى بيته هكذا ١٤١ وقد اختلف في مابور ، فقيل إنه أخوها ، وقيل أيضاً : إنه ابن عمها ، وهو خصي ، ويقول ابن أبي الحديد — على تشييعه — في شرحه لنهج البلاغة وهو يتحدث عما بهتت به عائشة ، وعن براءتها في سورة النور ، وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها . وإنما أنزلت في مارية القبطية ، وما قذفت به مع الأسود القبطي . وجهدهم لإنزال ذلك في عائشة جحد لما يعلم ضرورة من الأخبار المتواترة . ص ٤٤٢ > ٣ طبع لبنان ، وأما المرتضى صاحب كتاب الآمال المعروف باسمه . فافترض صحة الحديث ، وراح يزول ألفاظه انظر ص ٥٤ ج ١ أمالي المرتضى ط ١ .

(٢) اسم أبي كبير : منهب بضم الميم وسكون النون وكسر الهاء انظر ص ٣٠٧ نسب قريش ، ٢٥٦ وما بعدها .

صلى الله عليه وسلم - قبل التَّبَثِ (١) ، وروى التِّرْمِذِيُّ أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال : رأيتُه في المنام ، وعليه ثيابٌ بيضٌ ، ولو كان من أهلِ النار ، لم تكن عليه ثيابٌ بيضٌ ، وهو حديثٌ في إسناده ضَعْفٌ . لأنه يدور على عُثْمَانَ بن عبد الرحمن ، ولكن يُقَوِّيه ما يأتي بعد هذا من قوله عليه السلام : رأيتُ النَّقْسَ يعني ، وَرَقَةً وعليه ثيابٌ حرير ، لأنه أولُ مَنْ آمَنَ بِي ، وصدقني ، وسيأتي بقيةٌ من خبره (٢) فيما بعد - إن شاء الله - وقد أُلْفِيتُ للحديث الذي خرَّجه التِّرْمِذِيُّ في وَرَقَةٍ إسناده جيداً غير الذي ذكره التِّرْمِذِيُّ ، وهو ما رواه الزُّبَيْرُ بن أبي بكر عن عبد الله بن مُعَاذِ الصَّنَعَانِيِّ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ - رضى الله عنه - قال : سئل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن ورقة بن نوفل ، كما بلغنا فقال : رأيتُه في المنام ، وعليه ثيابٌ (٣) بيضٌ ، فقد أظن أن لو كان من أهلِ النارِ لم أرَ عليه البياضَ ، وكان يذكر الله في سفره في الجاهلية ، ويسبِّحه ، وهو الذي يقول :

(١) يقول ابن عساكر : لا أعرف أحداً قال إنه - أى ورقة - أسلم .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل وقال : إنه منقطع .

(٣) أخرجه أحمد عن طريق ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه . وهكذا كل حديث يتحدث عن إسلام ورقة أو آخرته ، فهو ضعيف وحسبنا ما ورد عنه في الصحيحين .

لقد نصحت لأقوام ، وقلت لهم : أنا النذير ، فلا بفرزكم أحد
لا تعبدن^(١) إلها غير خالقكم فإن دعواكم^(٢) فقولوا : بيننا جدد^(٣)
سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له وقبلنا^(٤) سبَّح الجودي والجمد
مُسَخَّر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يُناوى^(٥) مُلكه أحد
لا شيء مما ترى تبقى بشاسته يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تُغن عن هُرْمَز يوماً خزانته وأُخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سُليمان إذ تجرى الرياح به والإنس والجن فيما بينها مرد^(٦)
أين الملوك التي كانت لعزتها من كل أوب إليها وافد يفد
خوض هنالك موزود بلا كذب لا بد من وزده يوماً كما وردوا^(٧)

(١) في نسب قريش جعل لا نافية فأثبت الواو وهو خطأ - كما اعتقد - من محقق الكتاب .

(٢) في النسب « فإن أبيتم » .

(٣) في الأغاني وفي النسب « حدد ، بالحاء لا بالجيم » .

(٤) « في الأغاني » نعوذ به ، وقبل قد » .

(٥) في النسب : يساوى ، وفي الأغاني كما هنا .

(٦) في الأغاني : « والجن والإنس تجرى بينها البرد » وكذلك في نسب قريش بدون الواو قبل « الجن » .

(٧) هذا البيت غير موجود في الأغاني ص ١١٥ مجلد ٣ والقصيدة في نسب قريش ، وبينها وبين ما هنا اختلافات وزيادات مثل :

سبحان ذي العرش الخ فقد ورد هكذا في نسب قريش

سبحان ذي العرش لا شيء يعادله رب البرية فرد واحد صمد

وورد بعده في نسب قريش :

نسبه أبو الفرج (١) إلى وَرَقَةَ ، وفيه أبياتٌ تُنسب إلى أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ ، ومن قوله فيما خبرته به خديجة — رضى الله عنها — عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

بالرَّجَالِ اصْرَفِ الدَّهْرَ وَالْقَدَرِ (٢)	وما لشيء قضاء الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها	أمرأ أراه سيأتى الناس من آخر (٣)
نخبزني بأمرٍ قد سمعت به	فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره	جبريل : إنك مبعوث إلى البشر
فقلت : علّ الذى ترّجى ينجزه	لك الإله فرجى الخير وانتظري
وأرسلته إلينا كي نسأله	عن أمره ما يرى فى النوم والسهر
فقال حين أنانا منطقاً عجبا	يقف منه أعلى الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهنى	في صورة أكلت في أهيب الصور
ثم استمر فكان الخوف بذعرنى	مما يسلم من حولى من الشجر

== سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبل سبحانه الجودى والجد
والبيتان الاخيران فى الروض غير مذكورين فى النسب انظر نسب قريش
ص ٢٠٨ .

(١) يعنى صاحب كتاب الاغانى .

(٢) فى الإصابة ، وصرف الدهر .

(٣) فى الإصابة .

هذى خديجة تأتيني لاخبرها وما لنا يخفى الغيب من خبر

فقلت : ظنى وما أدرى أَيْضُذُنِي أَنْ سَوْفَ تُبْعَثَ تَمْلُومُنْزَلِ الشُّورِ
وسوف أبليك إن أعلّنت دعوتهم من الجهاد بلا مَنْ ولا كَدَرِ
متى يقصده الفرد :

فصل : وفي شعر وَرَقَة :

بَيِّنُ الْمَسْكَتَيْنِ عَلَى رَجَائِي حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا
ثَنَى مَكَّةَ ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ ؛ لِأَنَّ لَهَا بَطَاحًا وَظَوَاهِرَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَنْ أَهْلُ
الْبَطَاحِ ، وَمَنْ أَهْلُ الظُّوْهِرِ فِيمَا قَبْلَ ، عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ مَذْهَبًا فِي أَشْعَارِهَا فِي
تَثْنِيَةِ الْبُقْعَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَجَمْعِهَا نَحْوُ قَوْلِهِ : وَمَيِّتَ بَغْزَاتٍ . يَرِيدُ : بَغْزَةً وَبَغَادِينَ .
فِي بَغْدَادَ ، وَأَمَّا التَّثْنِيَةُ فَكَثِيرٌ نَحْوُ قَوْلِهِ :

بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ وَالْحَمَتَيْنِ سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ دَارِ (١)
وقول زهير : ودار لها بالرَّقْمَتَيْنِ (٢) . وقول ورقة من هذا : بيطان

(١) فِي اللِّسَانِ : الرِّقَّةُ : الرُّوضَةُ ، وَرَقَّةُ الْوَادِي حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْمَاءُ ، وَأَجْرٌ :
جَمْعُ جَرَوْ ، وَجَمْعُ الْعِمْرِسِ وَهِيَ امْرَأَةُ الرَّجُلِ وَرَجُلُهَا ، وَلِبْوَةُ الْأَسَدِ : أَعْرَاسُ
وَقَدْ اسْتَعَارَهُ الْهَذَلُ لِلْأَسَدِ فَقَالَ :

لَيْتَ مَهْزَبُشْ مُدِلٌ حَوْلَ غَابَتِهِ بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ
قَالَ ابْنُ بَرِي : الْبَيْتُ لِلْمَلِكِ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْخُزَيْمِيِّ وَقَبْلَهُ .

يَامِي لَا يَعْجِزُ الْإِيَّامُ مَجْرِيٌّ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ رَزَاءُكُمْ وَفَرَّاسُ
الرِّزَامِ الَّذِي لَهُ زَمِيرٌ ، وَالْفَرَّاسُ الَّذِي يَدُقُّ عُنُقَ فَرِيَّتِهِ

(٢) الرَّقْنَانُ — كَمَا فِي اللِّسَانِ — رَوْضَتَانِ بِنَاحِيَةِ الصَّيْفَانِ ، وَإِيَّاهُمَا أَرَادَ زَهِيرٌ .
وَدَارَ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيعُ وَشَمٌ فِي نَوَاشِرِ مَعْصَمٍ

المكتبين . لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها
البطن ، كما أضافه المبرق حين قال :

ببطن مكة مقهور ومفتون .

وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى
أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المعنى ، وقد قالوا : صدنا
بقتون^(١) وهو قنا اسم جبل ، وقال عنتره .

شربت بباء الدخضين^(٢) .

وهو من هذا الباب في أصح القولين ، قال عنتره أيضا ،

بعنيزتين وأهلنا بالغيم^(٣)

(١) في القاموس : القنسوان . جيلان

(٢) الدخضضان : موضعان أحدهما : دخرض ، والآخر : وسيع وقال
الجوهري : الدخضضان : اسم موضع . وقال : وسيع ودخرض ماءان تئاهما
بلفظ الواحد ، وببت عنتره :

شربت بباء الدخضضين ، فأصبحت

زوراء تنفر عن جاض الديلم

(٣) في المراد : عنيزة . موضع بين البصرة ومكة ، وأيضاً : برعلى ميلين من
القريتين ببطن الرمة ، وعنيزة من أودية اليمامة قرب سواح ، وقرى عنيزة بالبحرين
وعنيزتن تشبة الذي قبله . قيل : هو موضع آخر ، وقيل : هو الذي قبله ، ثنى كما
قالوا في عماية : عمياتان ، وفي رامة : رامتان وأمثاله كثير .

والغيم بالغين لا بالعين . ففي المراد . واللسان : الغيم : موضع في شعر عنتره .

كيف المزار وقد تربع أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيم

وَعُمَيْزَةُ اسْمُ مَوْضِعٍ ، وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

عَشِيَّةَ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كِلَاهُمَا (١)

وَأَمَّا هُوَ مِرْبَدُ الْبَصْرَةِ . وَقَوْلُهُمْ :

تَسْأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا (٢)

(١) الشعر للفرزدق :

عَشِيَّةَ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كِلَاهُمَا عَجَاجَةٌ مَوْتٌ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
وَالْمِرْبَدُ : الْمَسْكَنُ الَّذِي يُحْبَسُونَ فِيهِ الْإِبِلُ وَبِهِ سَمِي مِرْبَدُ الْبَصْرَةِ وَبِهِ كَانَتْ
مُفَاخِرَاتُ الشُّعْرَاءِ ، وَبِجَالِسِ الْخُطَبَاءِ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي بَيْتِ الْفَرَزْدَقِ إِنَّهُ عَنِ
بِهِ سَكَّةُ الْمِرْبَدِ بِالْبَصْرَةِ ، وَالسَّكَّةُ الَّتِي تَلِيهَا مِنْ نَاحِيَةِ بَنِي تَمِيمٍ جَعَلَهُمَا الْمِرْبَدَيْنِ كَمَا يُقَالُ
الْأَحْوَصَانِ وَهُمَا : الْأَحْوَصُ وَعُوفُ بْنُ الْأَحْوَصِ ، وَاللَّسَانُ الْمُرَاصِدُ ، يَأْقُوتُ ،
(٢) رَامَةٌ : مَنْزِلٌ فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ وَبَعْدَهُ بِمَرِحَلَةٍ أُخْرَى دِيَارُ بَنِي تَمِيمٍ ،
وَقِيلَ : جَبَلُ بَنِي دَارِمٍ ، وَرَامَةٌ أَيْضًا مِنْ قَرْيَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَلِلسَّلْجَمِ عِدَّةُ مَعَانٍ مِنْهَا
أَنَّهُ نَبْتٌ ، وَقِيلَ : هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْبَقُولِ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ السَّلْجَمُ : مُعَرَّبٌ وَأَصْلُهُ بِالسِّينِ
وَالْعَرَبُ لَا تَسْكُنُ بِهِ إِلَّا بِالسِّينِ ، وَكَذَا ذَكَرَهُ سَيِّبُوهُ بِالسِّينِ فِي بَابِ عِلَلٍ
مَا يَجْعَلُهُ زَائِدًا فَقَالَ : وَتَجْعَلُ السِّينُ زَائِدَةً إِذَا كَانَتْ فِي مِثْلِ سَلْجَمٍ . وَقِيلَ لِرَامِي .
لَمْ زَرَعْتُمُ السَّلْجَمَ ، فَقَالَ مُعَانِدَةٌ لِقَوْلِهِ :

تَسْأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا

بَاقِي لَوْ سَأَلْتَ شَتَا أَمَّا

جَاءَ بِهِ السَّكْرِيُّ أَوْ تَجَشَّمَا

لَوْ أَنَّهَا تَطْلُبُ شَيْئًا أَمَّا

وَفِي اللَّسَانِ ، فَأَمَّا لِكَثَرِهِمْ مِنْ ثَنِيَّةٍ رَاصَةٍ فِي الشُّعْرِ فَعَلِيَ قَوْلُهُمْ لِلْبَعِيرِ . ذُو عَثَانَيْنِ
كَأَنَّهُ قَسَمَهَا جَزَائِنَ . وَيَقُولُ ابْنُ سَيِّدَةٍ إِنَّهَا سَمِيَتْ رَامَتَيْنِ لِلضَّرُورَةِ لِأَنَّهَا لَوْ
كَانَتَا أَرْضَيْنِ لَقِيلَ : الرَّامَتَيْنِ .

وإنما هو رامة وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنت إذا دخلتها ، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قُرَّةً ، وصدرَكَ مَمَرَّةً ، وفي التنزيل : ([لقد كان إسبأً في مَسْكَنِهِمْ آيَةً . جَنَّاتٍ] عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) إلى قوله سبحانه : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ﴾ . سبأ : ١٥ . وفيه : ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ الآية . السكهف : ٣٢ ، وفي آخرها : (ودخل جَنَّتَهُ) فأفرد بعد مائتي ، وهي ^(١) هي ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ الرحمن : ٤٦ ، والقول في هذه الآية يتسع ، والله المستعان .

النور والضياء :

فصل : وقال في هذا الشعر : ويظهر في البلاد ضياء نور . هذا البيت بوضع لك معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفي التنزيل : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ﴾ البقرة : ١٧ . وفيه : ﴿ جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ﴾ يونس : ٥ . لأن نور القمر ، لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، [و] لاسيما في طرفي الشهر ، وفي الصحيح : الصلاة نور ، والصبر ضياء ، وذلك أن الصلاة هي

(١) في البيضاوي : « أفراد الجنة ، لأن المراد . ما هو جنته ، وهي مامتع به في الدنيا تنبها على أنه لا جنة له غيرها ، ولاحظ له في الجنة التي وعد المتقون ، أولا أعمال كل واحد من جنتيه بالآخرى ، أو لأن الدخول يكون في واحدة » . وهو أجود .

عمود الإسلام ، وهى ذكر وقرآن ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن ، والذكر ، وفى أسماء البارى سبحانه (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه - سبحانه - وقد أمليت فى غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء ، والحمد لله .

نونه الوقاية فى إبه وأغواها :

فصل : وفى شعر ورقة : فياليتنى إذا ما كان ذاكم . بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ليت ردى ، وهو فى لعل أحسن منه ، لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعلّ ولعنّ ولأن بمعنى واحد ، ولا سيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بلعل ، وهذا يؤكد حذف النون من لعلنى ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون فى إنّ وأنّ ولكنّ وكأنّ لاجتماع النونات ، وحسنه فى لعل أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفى التنزيل : ﴿أعلىّ أرجع إلى الناس﴾ يوسف : ٤٦ . بغير نون ، وبجى . هذه الياء فى ليتى بغير نون مع أن ليت ناصبة ، بذلك على أن الاسم المضمر فى ضربنى هو الياء ، دون النون كما هو فى : ضربك ، وضربه حرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء - كما قالوا فى المحفوض : منى وعنى بنونين نون : من ، ونون أخرى مع الياء ، فإذا الياء وحدها هى الاسم فى حال الخفض ، وفى حال النصب .

مول نغرم صدر المصدر عليه :

فصل : وفيه : حديثك أن أرى منه خروجاً . قوله منه الماء راجعة على الحديث ،

وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدّر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة أن ، فلا يتقدم ، فمن أطلق القول في هذا الأصل ، ولم يخص مصدراً من مصدر ، فقد أخطأ المَفْصِل ، ونَاهِ فِي تَضَلُّلٍ ؛ ففي التنزيل : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا [إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ]﴾ يونس : ٢ . ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا ، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب ؛ لأنها ليست في موضع صفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها ، وفيه أيضاً : ﴿لَا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ الكهف : ١٠٨ : ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ الكهف : ٥٣ . وفيه أيضاً : ﴿لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ الكهف : ١٨ . وتقول : لى فيك رغبة ، ومالى عنك مَعْوَلٌ ، فيحسن كلُّ هذا بلا خلاف ، وقد أجاز ابن السراج أبو بكر ، و[محمد بن يزيد] المبرِّد أيضاً في ضَرْبًا زِيدًا ، إذا أردت الأمر : أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر ، وقال : لأن ضَرْبًا هاهنا في معنى : اضرب ، فقد خصص لك ضرباً من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فإن كان المصدر غير أمر ، وكان نكرة لم يتقدم المفعول خاصة عليه ، بخلاف المجرور والظرف ، فالواجب إذا رَبَطَ هذا الباب وتفصيله .

متى يجوز تقديم معمول المصدر ؟

فنقول : كل مصدر نكرة غير مضاف إلى ما بعده يجوز تقديم معموله عليه إلا المفعول لأن المصدر النكرة لا يتقدر بأن والفعل ؛ لأنك إن قدرته بأن والفعل بقي الفعل بلا فاعل ، وما كان مضافاً إلى ما بعده ، فالمضاف إليه فاعل في المعنى أو مفعول ؛ فذلك يصير المصدر مقدراً بأن والفعل ، فقف على هذا الأصل ، فمنه (١٧٢ - الروض الأنف ج ٢)

حُسْنُ قول ورقة : أن أرى منه خُرُوجًا ، أى : أرى خروجًا منه ، وكذلك لو ذكر الدخُولُ ، فقال : أرى فيه دخولا ، يريد : دخولا فيه ، اسكان حسنا ، وتقول : اللهم اجعل من أمرنا فَرْجًا ونَحْرًا ، فَمِنْ أمرنا : متعلق بما بعده ، وهو مصدر ، ولا خفاء في حُسْن هذا التقديم لما ذكرناه .

ومن قول وَرَقَةَ بن نوفل في معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن إسحاق :

أُتْبِكِرُ أم أنت العَشِيَّةُ رَاغٍ وفي الصدر من إضمارِكَ الحزن قَادِحٌ (١)
لِفُرْقَةٍ قومٍ لا أحب فِرَاقَهُمْ كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبارِ صِدْقٍ خَبَرْتُ عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فتاك الذي وجهت ياخير حُرَّةً بِغُورٍ وبالنجْدِينِ حيث الصَّحاصِحُ (٢)
إلى سُوْقٍ بُصِّرَى في الركاب التي غدت وَهْنٌ من الأحمال قُفُصٌ دَوَالِحُ (٣)
نَجَّيْنَا عن كلِّ خيرٍ بعلمه وللحق أبوابٌ لهنَّ مفاتيح

(١) إما أن تكون اسم فاعل من قدح الزند ، أو هي أكال يقع في الشجر والاسنان ، وهي الصدع في العود .

(٢) الغور : ما بين ذات عرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مغربا عن تهامة ، وموضع بديار بني سليم . والنجد : ما خالف الغور أى تهامة : أعلاه : تهامة واليمن ، وأسفله : العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز . ذات عرق ، والصحاصح : جمع صحصح الأرض الجرداء المستوية .

(٣) دلح كمنع مشى بحمله منقبض الخطو لثقله ، والقفص : الموت السريع والقعاص : داء في الصدر كأنه يكسر العنق ، وشاة قعوص : تضرب حالبة وتمنع الدرة .

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين قريش في وضع الحجر

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم - خمساً وثلاثين سنة - اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يَهْمُونَ بذلك ، لِيُسَقُّوها ويهايون هَدْمَهَا ، وإنما كانت رَمَّماً فوق القامة ، فأرادوا رَفْعَهَا وتَسْقِيفَهَا ، وذلك أن نفرأ سرقوا كنزاً للكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز دُوَيْكَا مولى لبني مُلَيْح بن عمرو من خزاعة . قال ابن هشام : قَطَعَتْ قريشُ يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْكَا وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّةَ لرجل من تجَّار الروم ، فتحطَّمت ، فأخذوا خَشَبَهَا فأعدَّوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبضيَّ نَجَار ، فنهبا لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصْلَحُهَا وكانت حَيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطْرَحُ فيها ما يهدى لها كل يوم ، فتَشَرَّقُ على جدار الكعبة ، وكانت مما يهايون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا اخْزَأَلَتْ وَكَشَّتْ ، وفتحت فاهَا ، وكانوا يهايونها . فبينما هي ذات يوم تَتَشَرَّقُ على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع

بأن ابن عبد الله أحمد مُرْسَلٌ إلى كلِّ مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ الأَبَاطِحُ
وخطبى به أن سوف يُبْعَثَ صادقاً كما أُرْسِلَ العبدان هُودٌ وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له بهاءً ومنشوراً من الذكر واضح
ويتبعه حيّاً لُوًى جماعة شياهم والأشقيون الجحاجج^(١)

(١) جمع ججج وججج : السيد.

بِعثَ اللهُ إِلَيْهَا طَائِراً فَاخْتَطَفَهَا ، فَذَهَبَ بِهَا ، فَقَالَتْ قَرِيشٌ : إِنْ أَنْزَلْنَاهُ أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدَرًا غَيَّيَ مَا أَرَدْنَا ، عِنْدَنَا عَامِلٌ رَفِيقٌ ، وَعِنْدَنَا خَشَبٌ ، وَقَدْ كَفَانَا اللهُ الْحَيَّةَ .

فَلَمَّا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ فِي هَدْمِهَا وَبِنَائِهَا ، قَامَ أَبُو وَهَبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَائِدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَائِدٌ : ابْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ . فَتَنَازَلُوا مِنَ الْكَعْبَةِ حَجَرًا ، فَوُثِبَ مِنْ يَدِهِ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مَنْ كَسَبَكُمْ إِلَّا طَيِّبًا ، لَا يَدْخُلُ فِيهَا مَهْرُ بَغِيٍّ وَلَا بَيْعُ رَبَا ، وَلَا مَظْلَمَةٌ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَالنَّاسُ يَنْتَحِلُونَ هَذَا الْكَلَامَ الْوَالِدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثَنِي عَبْدِ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ الْمَكِّيُّ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفِ بْنِ وَهَبِ بْنِ حُدَافَةَ بْنِ جُمَحٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ . أَنَّهُ رَأَى ابْنَ الْجُعْدَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهَبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ طُوفٍ بِالْبَيْتِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا ابْنُ الْجُعْدَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ عَبْدِ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ عِنْدَ ذَلِكَ : جَدُّ هَذَا ، يَعْنِي : أَبَا وَهَبِ الَّذِي أَخَذَ حَجَرًا مِنَ الْكَعْبَةِ حِينَ أَجْمَعَتْ قَرِيشٌ لِهَدْمِهَا ، فَوُثِبَ مِنْ يَدِهِ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ : لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مَنْ كَسَبَكُمْ إِلَّا طَيِّبًا . لَا تَدْخُلُوا فِيهَا مَهْرُ بَغِيٍّ ، وَلَا بَيْعُ رَبَا ، وَلَا مَظْلَمَةٌ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

فَإِنْ أَبْقَى حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ فَإِنِّي بِهِ مُسْتَبْشِرٌ الْوَدَّ فَارِحٌ
وَلَا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ — فَاعْلَمِي عَنْ أَرْضِكَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِضَةِ سَاطِعٌ

قال ابن اسحاق : وأبو وهب : خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان شريفاً ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وهب أنختُ مطيَّتي غَدَت من نداهُ رَحَلُها غيرُ خائبِ
بأبيضَ من فرَعَى لُؤَيَ بنِ غالبِ إذا حُصِّلَت أنسابُها في الدَّوائبِ
أبيُّ لأخذِ الضَّيمِ يرتاحُ للندى توسَّطَ جدَّاهُ فرُوعَ الأطايِبِ
عظيمَ رَمادِ القَدَرِ يَلا حِفانَه من أُلْهِزَ يعلوهُنَّ مثلُ السَّبابِ

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شقُّ الباب لبني عبد مناف وزُهْرَةَ
وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل من قريش
انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُحَاحٍ وسهم ، ابني عمرو بن هُصَيْنٍ بن
كعب بن لُؤَيَ . وكان شقُّ الحِجْرِ لبني عبد الدار بن قُصَيٍّ ، ولبنى أسد بن
العُزَيٍّ بن قُصَيٍّ ، ولبنى عَدِيٍّ بن كعب بن لُؤَيَ وهو الحَظِيمُ

ثم إن الناس هابوا هَدْمَها وقرِّقُوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا
أبدؤكم في هَدْمِها ، فأخذ المِعْوَلَ ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرَعْ - قال
ابن هشام : ويقال : لم تَزِغْ - اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية
الركنَيْنِ ، فترَبَّصَ الناسُ تلكَ اللَّيْلَةَ ، وقالوا : ننظرُ ، فإن أُصِيبَ لم نهدم
منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصِبْه شيءٌ ، فقد رضى الله صُنْعَنا ،
فهدمنا . فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله ، فهدمَ وهدَمَ الناسُ معه ،
حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساسِ أساسِ إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى
حجارة خضر كالأسنمة أخذ بعضهم بعضها .

• • • • •

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض مَنْ يَرَوِي الحديث : أَنَّ رجلاً من قُرَيْشٍ ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حَجَرَيْنِ منها لِيَقْلَعَ بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تَنَقَّضَتْ مَكَّةُ بِأَسْرَها ، فاتَّهوا عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحاق : وَحُدِّثْتُ أَنَّ قُرَيْشًا وَجَدُوا فِي الرُّكْنِ كِتَابًا بِالْأَسْرَ يَانِيَةِ ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يَهُودٍ ، فإذا هو : « أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ ، خلقتها يوم خلقتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَصَوَّرْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَخَفَقْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلاكٍ خُنَفَاءَ ، لَا تَزُولُ حَتَّى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا ، مُبَارَكٌ لِأَهْلِهَا فِي الْمَاءِ وَاللَّيْلِ » .
قال ابن هشام : أَخْشَبَاهَا : جِبَلَاهَا .

قال ابن إسحاق : وَحُدِّثْتُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي الْمَقَامِ كِتَابًا فِيهِ : « مَكَّةُ بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ سُبُلٍ ، لَا يُحْلِيهَا أَوَّلُ مِنْ أَهْلِهَا » .

قال ابن إسحاق : وَزَعَمَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ أَنَّهُمْ وَجَدُوا حَجَرًا فِي الْكَعْبَةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً - إِنْ كَانَ مَا ذَكَرَ حَقًّا - مَكْتُوبًا فِيهِ : « مَنْ يَزْرَعْ خَيْرًا ، يَحْصُدْ غَبِطَةً ، وَمَنْ يَزْرَعْ شَرًّا ، يَحْصُدْ نَدَامَةً . تَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، وَتُجْزَوْنَ الْحَسَنَاتِ ! أَجَلٌ ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الشُّوْكِ الْعَنْبُ » .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ جَمَعَتْ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَا ، كُلُّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ بَنَوْهَا ، حَتَّى بَلَغَ الْبُنْيَانُ مَوْضِعَ الرُّكْنِ ، فَاتَّخَصَمُوا فِيهِ ، كُلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْآخَرَى ، حَتَّى تَحَاوَرُوا

.

وتحالفوا ، وأعدوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جَفَنَةً مَمْلُوءَةً دِماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدِيٍّ بن كَعْب بن لُؤَيٍّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فَسَمُّوا : لَمَعَةَ الدِّم ، فسكنت قُرَيْش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أُمَيَّة بن الْمُغَيَّرَة بن عبد الله بن عُمر بن حُزُوم ، وكان عامِئذٍ أَسَنَّ قُرَيْش كلها ، قال : يا معشر قُرَيْش ! اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا : فكان أولَ داخل عليهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينَا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ إِلَى ثَوْبَا ، فَأَتَى بِهِ ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ، ثم قال : لِنَأْخُذْ كُل قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضِعَهُ ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قُرَيْش تَسْمِي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحي : الأمين . فلما فرغوا من البنیان ، وبنوها على ما أرادوا ، قال الزُّبَيْر بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بُنْيَان الكعبة لها .

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَتِ الْعُقَابُ إِلَى الثَّعْبَانِ وَفِيهَا اضْطِرَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ وَأَخِيَانَا يَكُونُ لَهَا وَثَابُ
إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّاسِيسِ . شَدَّتْ تَهَيَّبُنَا الْبِنَاءُ . وَقَدْ تَهَابُ

فلما أن خَشِينَا الرَّجْزَ . جاءت عُقَابٌ تَتَلَسَّبُ لَهَا انْصِبابُ
فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ، ثم خَلَّتْ لَنَا الْبُنْيَانُ ، لَيْسَ لَهُ حِجَابُ
فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءِ لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتُّرَابُ
غَدَاةَ تُرْفَعُ التَّاسِيسَ مِنْهُ وَلَيْسَ عَلَى مُسَوِّينَا ثِيَابُ
أَعَزَّ بِهِ الْمَلِيكُ بَنِي لُؤَيٍّ فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَابُ
وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ وَامْرَأَةٌ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ
فَقَبَّوْنَا الْمَلِيكَ بِذَلِكَ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ يُبْتَلَمَسُ الثَّوَابُ
قال ابن هشام : وَيُرْوَى :

وليس على مَسَاوِينَا ثِيَابُ

وكانت الكعبة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى عَشْرَةَ
ذِرَاعًا ، وكانت تُكْسَى الْقَبَاطِي ، ثم كُسِيَتِ الْبُرُود . وأول من كساها
الديباج : الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسَفَ .

بُنْيَانُ الْكَعْبَةِ

ففى خبرها أنها كانت رَضْمًا فوق القامة . الرَّضْمُ : أَنْ تُنْصَدَّ الْحِجَارَةُ بَعْضُهَا
عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ مِلَاطٍ ^(١) كما قال :
رُزِثْتُهُمْ فِي سَاعَةٍ جَرَّعْتُهُمْ كُشُوسَ الْمَنَایَا تَحْتَ صَخْرٍ مُرَضَّمٍ
وقوله : فوق القامة ، كلامٌ غَيْرُ مُبَيَّنٍّ لِمَقْدَارِ ارْتِفَاعِهَا إِذْ ذَاكَ ، وَذَكَرَ

(١) الطين يجعل بين ساقى البناء ، ويملأ به الحائط .

غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع ، فكانت ثمان عشرة ذراعا ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم ، وقد ذكرنا أول من عمل لها غلقاً ، وهو تبع . ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع ، فكانت سبعا وعشرين ذراعا ، وعلى ذلك هي الآن ، وكان بناؤها في الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيث بن آدم ^(١) ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس ، فوقعت في أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تُجَمِّرها ، فطارت شرارة من المِجْمَرِ ^(٢) في أستارها ، فاحترقت ، فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره ، فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصالح ما وهى ، ولا تهدم . فقال : لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكل صلاح . ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها . فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر . فحركوا حَجَرًا فَرَأَوْا تَحْتَهُ نَارًا وَهَوَلا ^(٣) . أفزعهم فأمرهم أن يَقْرَؤُوا

(١) أول من بناها إبراهيم .

(٢) ما يوضع فيه الجمر بالدخنة ، والعود نفسه . ويقال أيضاً بضم الميم الأولى وفتح الثانية .

(٣) لم يرد في الحديث الذى أخرجه مسلم ذكر لهذه النار بل ورد : وفقضوه أى بناء الكعبة - حتى بلغوا به الأرض . فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه . وفيه أنه زاد فيه خمسة أذرع ، وأن طول الكعبة كان ثمانية عشر ذراعا ، فلما زاد فيه استقصره ، فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما : يدخل منه ، والآخر يخرج منه .

القواعد ، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد ، فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب ، واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا أجل يطوف بها ، فلما استتم بنيانها ، ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خلفاً أي : باباً آخر من ورائها ، وأدخل الحجر فيها ، وذلك لحديث حديثه به خالته عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ألم ترني قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة ، ثم قال عليه السلام : لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها ، وجعلت لها خلفاً^(١) وألصقت بابها بالأرض ، وأدخلت فيها الحجر أو كما قال — عليه السلام — قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة ، فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال : لسنّا من تخليط أبي خُبَيْب^(٢) بشيء ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما فرغ من بنيانها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع^(٣) ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ومعه رجل آخر ،

(١) وردت في معناه أحاديث رواها البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والفساني والترمذي .

(٢) هو عبد الله بن الزبير ، ويقال عنه وعن ابنه أو أخيه مصعب : الخبييان
(٣) القُبَاع بضم القاف وفتح الباء : مكيال ضخم ، ولقد لقب الحارث بهذا لأنه اتخذها ، أو لأنه قال لأهل البصرة حين ولي عليهم وأتوه بمكيال : إن مكيالكم هذا لقُبَاع ، وهو : الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وقد سقط من الروض : ابن عبد الله ، وأمه : بنت أبرهة . ويقال إنه وجد الصليب في =

فحدثناه عن عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالحديث المتقدم ،

== عنقها حين ماتت ، وخرج إلى الناس ، فقال : انصرفوا رحمكم الله ، فإن لها أهل دين هم أولى بها منا ومنكم ، فاستحسن ذلك منه . يقول عنه ابن سبة : « كان الحارث ابن عبد الله شريفا كريما ديننا وسيدا من سادات قريش ، وله قصص طريفة مع أخيه الشاعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة . انظر ص ٣١٨ نسب قريش ط ١ و ص ١١٤ المجلد الاول من الأغاني طبع لبنان . »

وفي حديث مسلم عما ذكره الروض عن هذا أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كتب إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاده في طوله فأفره ، وأما ما زاد فيه من الحجر ، فرده إلى بنائه ، وسد الباب الذي فتحه ، فنقضه وأعادته إلى بنائه . وفي رواية أخرى أن الحارث بن عبد الله وفد على عبد الملك بن مروان في خلافته ، فقال عبد الملك : ما أظن أبا مخشيب سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها ، فقال الحارث : « بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداته عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا ، فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهل يملأ لآريك ما تركوا منه ، وأراها قريباً من سبعة أذرع . هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير في مسلم ، وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض ، شرقياً وغربياً ، وهل تدريين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت : قلت : لا . قال : تعزراً ألا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى ، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط . » وفي رواية : أن عبد الملك قال : قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين — ثم ذكر حديث عائشة — فقال الحارث لا تقل هذا يا أمير المؤمنين ؛ فإنني سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير . ويقول ابن كثير : فهذا الحديث

فندم ، وجعل يَنْسَكْتُ في الأرض بِمِخْصَرَةٍ في يده ، ويقول : وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُ
أَبَاخُبَيْبَ ، وما تَحْمَلُ من ذلك ، فهذه المرة الخامسة ، فلما قام أبو جعفر المنصور ،
وأراد أن يبنّيها على ما بناها ابن الزبير ، وشاور في ذلك ، فقال مالك بن أنس :
أَشْهَدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وأن تجعل هذا البيتَ مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ بِعَدِكَ ، لا يشاء
أحد منهم أن يُغَيِّرَهُ إِلَّا غَيْرُهُ (١) فتذهب هيئته من قلوب الناس ، فصرفه عن
رأيه فيه ، وقد قيل : إنه بنى في أيام جُرْهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان
قد صدع حائطه ، ولم يكن ذلك بنيانا على نحو ما قدمنا ، إنما كان إصلاحاً لما
وَهَى مِنْهُ ، وجداراً بَنَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيْلِ ، بناه عامر الجارود (٢) ، وقد تقدم هذا
الخبر ، وكانت الكعبة قبل أن يبنّيها شيثٌ عليه السلام خيمةً من يا قوتة حمراء
يطوف بها آدم ، ويأتس إليها ؛ لأنها أنزلت إليه من الجنة ، وكان قد حجج إلى
موضعها من الهند ، وقد قيل : إن آدم هو أول من بناها ، ذكره ابن إسحاق في
غير رواية البَكاكِي . وفي الخبر أن موضعها كان غُثَاءَةً على الماء قبل أن يخلق
اللهُ السموات والأرض ، فلما بدأ الله بخلق الأشياء خلق التُّرْبَةَ قَبْلَ السَّمَاءِ ، فلما

== كالملقوع به إلى عائشة ؛ لأنه قد روى عنهما طرق صحيحة متعددة ، فدل هذا على
صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيداً . ولكن بعد ما رجع الأمر إلى
هذا الحال ، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله .

(١) نقل النوى وعياض أن هذا حدث من الرشيد أو أبيه المهدي ، وأن
ما لكا قال : مالك يا أمير المؤمنين . لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء
أحد أن يهدمها إلا هدمها .

(٢) انظر ص ١٤ من نسب قریش ،

خلق السماء ، وقضاهن سبع سموات دحا الأرض ، أى : بسطها ، وذلك قوله سبحانه : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ النازعات : ٣ . وإنما دحاها من تحت مكة ؛ ولذلك سُمِّيَتْ أم القرى ، وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت : ١١ لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم ^(١) ، فلذلك حرمها . وفى الحديث : أن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض ، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن ، لأن المؤمن إنما حُرِّمَ دمه وعرضه وماله بطاعته لربه ، وأرض الحرم لما قالت : أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، حُرِّمَ صيدها وشجرها وخلاها إلا الإذخر ^(٢) ، فلا حُرْمَةً إِلَّا لَئِى طَاعَةٍ ، جعلنا الله يَمَنَ أطاعه .

(١) هذا من كلام كعب الأحبار وهو معروف بإسرائيلياته . وكل ما قيل عن حج آدم ، وعن أصل الكعبة وعن موضعها قبل إبراهيم وعن إجابة أرض الحرم . كل هذا أكاذيب مفتراة . ومن عيوب السبيل أنه يأتي أحياناً بأسطورة ثم يقيم عليها بناء يتوهمه ثابتاً ، فليست أرض الحرم وحدها هى التى أطاعت الله ، بل الأرض كلها ، كما بين القرآن فما بالها لم تحرم ؟ !

(٢) فى حديث أخرجه البخارى ومسلم . « إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، ومعناه : أن الله قضى هذا كما قضى كل أمر له . هذا وفى حديث رواه مسلم : « إن إبراهيم حرم مكة ، ولأنى أحرم ما بين لابتيها ، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن المدينة . « اللهم لى أحرم ما بين جليها مثل ما حرم إبراهيم مكة » ، وفى حديث رواه البخارى : « إن إبراهيم حرم مكة ، ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة » ، وهذه الأحاديث تؤكد أن إبراهيم هو الذى حرم مكة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم حرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة . . =

سبب آفر بنيان البيت :

وروى في سبب بنيان البيت خبر آخر ، وليس بمعارض لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ؟ البقرة : ٢٩ .

خافوا أن يكون الله عاتباً عليهم لاعتراضهم في علمه ، فطافوا بالعرش سبعة ، يسترضون ربهم ، ويتضرعون إليه ، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة ، وأن يجعلوا طوافهم به ، فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتاً ، وفي كل أرض بيتاً ، قال مجاهد : هي أربعة عشر بيتاً ، كل بيت منها مناصب صاحبها ، أى : في مقابلته ، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض .

حول بناء الكعبة مرة أخرى :

روى أيضاً أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهائها ، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل ، فتلک القواعد من البيت التي رفع إبراهيم وإسماعيل ، فلما جاء الطوفان رفعت ، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس (١) .

= وفي هذا نظر ، فالتة جل شأنه هو الذي يحل ويحرم لا النبيون ، ولم يذكر تحريم المدينة في القرآن كما ذكر تحريم مكة ، والإذخر : الحشيش الطيب الرائحة . (١) ليس لكل ما قاله عن الملائكة هنا سند صحيح ، ولم يرد حديث طواف الملائكة المذكور هنا سوى : « أبو الفرج » ، في كتابه « مشير الغرام » ، وليس من البر في الدين أن تفتري الأكاذيب لتعظيم أمر ، شأنه بالصدق في النفوس أعظم ، والحق لا يحويه لباطل ، والجمال يشينه الكذب

وذكر ابن هشام أن الماء لم يعلها حين الطوفان ، ولكنه قام حولها ، وبقيت في هواء إلى السماء ^(١) ، وأن نوحا قال لأهل السفينة ، وهي تطوف بالبيت : إنكم في حرم الله ، وحول بيته ، فأحرموا الله ، ولا يمس أحد امرأة ، وجعل بينهم وبين السماء حاجزا ، فتعدى حام ، فدعا عليه نوح أن يسودّ لون بنيه ، فاسودّ كوش بن حام ونسله إلى يوم القيامة ، وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا ^(٢) ، والله أعلم .

وذكر في الخبر عن ابن عباس ، قال : أول من عاذ بالكعبة حوت صغير ، خاف من حوت كبير ، فعاذ منه بالبيت ، وذلك أيام الطوفان . ذكره يحيى بن سلام ، فلما نضب ماء الطوفان ، كان مكان البيت ربوة من مدرّة ^(٣) وحبج إليه هود وصالح ، ومن آمن معهما ، وهو كذلك ^(٤) .

(١) كلام لا سند له ، وقد روى أن من أسباب بنائها احتراقها أو تصدعها من السيل ، فكيف لم ترتفع إلى الهواء .
هذا وفي السيرة عن السفينة أنها كانت لرجل من تجار الروم ، ولكن ورد عن الاموى أنها كانت لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحا قيصر مع باقوم الرومى إلى الكنيسة التي أحرقتها الفرس للحبشة وقيل عن باقوم القبطى لأنه كان مولى سعيد بن العاصى بن أمية وفي الإصابة أن اسم الرجل الذى بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا ، وكان في سفينة حبستها الريح ، فخرجت إليها قريش ، وأخذوا خشبها ، وقالوا له : ابنها على بناء الكنائس .

(٢) لأنه رأى عورة أبيه لإصحاح ٩ سفر التكوين .

(٣) المدر — محرّكة — قطع الطين اليابس ، أو العلك الذى لا رمل فيه واحدة مدرّة .

(٤) لم يرد هذا في نقل صحيح .

وَبُذِّكَرَ أَنْ يَغْرُبَ قَالَ لهُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا نَبْنِيهِ ؟ قَالَ : إِنَّمَا بَيْنِيهِ نَبِيٌّ كَرِيمٌ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي يَتَّخِذُهُ الرَّحْمَنُ خَلِيلًا ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَشَبَّ إِسْمَاعِيلُ بِمَكَّةَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ ، فَدَلَّتهُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ^(١) ، وَظَلَّلَتْ لَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ ، فَكَانَتْ عَلَيْهِ كَالْجُحْمَةِ ^(٢) ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّكِينَةَ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ ، فَجُعِلَتْ عَمَلًا عَلَى قِبْلَتِهَا حِكْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٣) ، وَبَنَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبِلٍ ، كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَأْتِيهِ بِالْحِجَارَةِ مِنْهَا ، وَهِيَ : طَوْرُ تَيْنًا ، وَطَوْرُ زَيْتَا ^(٤) الَّذِينَ بِالشَّامِ ، وَالْجُودَى وَهُوَ بِالْجَزِيرَةِ ^(٥) ، وَتَيْنَانٌ ^(٦) وَحِرَاءٌ وَهِيَ بِالْحَرَمِ ، كُلُّ هَذَا جَمْعُهُ مِنْ آثَارٍ مَرْوِيَةٍ . وَانْتَبَهَ لِحِكْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ جَعَلَ بِنَاءَهَا مِنْ خَمْسَةِ أَجْبِلٍ ، فَشَاطِلُ ذَلِكَ مَعْنَاهَا ؛ إِذْ هِيَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَعُمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ بَنِيَ عَلَى خَمْسٍ ، وَكَيْفَ دَلَّتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ؛ إِذْ هِيَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ ، وَالسَّكِينَةُ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَأَتَوْهَا

(١) وَهِيَ عِنْدَ رَوَاةِ هَذَا : رِيحٌ خَجْجُوجٌ ، وَلَهَا رَأْسَانِ ، فَاتَّبَعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَكَّةَ ، فَتَطَوَّتْ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ كَطَى الْجَحْفَةِ . وَالْخَجْجُوجُ : الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْمَرَّةُ ، أَوْ الْمَلْتَوِيَّةُ فِي هَبْوِهَا .

(٢) بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي جَوَانِبِ الْحَوْضِ .

(٣) مَرَّةً أُخْرَى بَنِيَ عَلَى أَسْطُورَةٍ رَأَى وَحْدَيْهِ السَّكِينَةَ لَيْسَ لَهُ سِنْدٌ صَحِيحٌ

(٤) تَيْنَا تَقَالُ بِالْكَسْرِ وَبِالْفَتْحِ وَيَقُولُ الْقَامُوسُ وَتَيْنَا هِيَ بِمَعْنَى سَيْنَاءَ

(٥) يَعْنِي جَزِيرَةَ ابْنِ عَمَرَ فِي شَرْقِ دَجْلَةٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُوَصَّلِ

(٦) فِي الْمَرَاوِدِ ، لِبْنَانِ جَبَلَانِ قَرَبَ مَكَّةَ يُقَالُ لَهَا ، ابْنُ الْأَسْفَلِ وَابْنُ الْأَعْلَى

وَفَوْقَ ذَلِكَ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ : الْمُبْرَكُ بَرَكَ الْفِيلُ بِهِ

وعليكم السكينة^(١) « فلما بلغ إبراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الأسود من جوف أبي قُبَيْس ، وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « أنزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم »^(٢) ، وروى الترمذى أيضاً من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طُمِسَ من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية غيره : لأبرءاً من استلهمهما من الخرس والجذام والبرص^(٣) ، وروى غير الترمذى من طريق على رحمه الله أن العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يشركوا به شيئاً كتبه فى صكٍّ ، وألقمه الحجر الأسود ؛ ولذلك يقول المستمل له : إيماناً بك ، ووفاء بعهدك^(٤) ، وذكر هذا الخبر الزبير ، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهراً أطيب

(١) فى حديث رواه الجماعة إلا الترمذى : « إذا سمعتم الإقامة ، فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم ، فصلوا ، وما فاتكم فأتموا ،

(٢) لا يعتد بمثل هذا . وفى البخارى : « فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وهما - أى إبراهيم وإسماعيل - يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وهو عند ابن أبي حاتم من كلام السدى ، ولم يرو البخارى ولا مسلم شيئاً من هذا .

(٣) الأحاديث الصحيحة تخالف ما رواه الترمذى ، وتخالف ما رواه بعده ، والقرآن يؤكد أن الله هو الذى بيده الشفاء لا الركن اليماني . وإنما هو مكر الأساطير بدين الله الحق ۱۱

(٤) لا يشهد لما قاله حديث صحيح ، ولا آية من كتاب الله ، وإليك التفسير الصحيح لآية أخذ العهد عن الحسن البصرى ، كما رواه عنه جماعة من السلف والخلف = (م ١٨ - الروض الأنف ج ٢) -

من اللين ، وأمين من الزبد ، فاستمد منه القلم الذى كتب العهد ، قال : وكان أبو قُبَيْس يسمي : الأمين ؛ لأن الركن كان مُودَعاً فيه ، وأنه نادى إبراهيم حين .

== (ولما أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره (ذرياتهم) أى جعل نسلهم جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، كقوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) وقال : (ويجعلكم خلفاء الأرض) وقال : (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ثم قال : (وأشهدهم على أنفسهم : ألسنت بربكم ، قالوا : بلى) أى : أوجدكم شاهدين بذلك ، قائلين له حالا . وقال : أى الحسن البصرى - والشهادة تكون تارة بالقول ، وتارة تكون حالا . كما أن السؤال تارة يكون بالمقال ، وتارة يكون بالحال . قالوا - يعنى جماعة من السلف والخلف - وما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم فى الإشراف ، فلو كان قد وقع هذا - يعنى استخراج الذرية من ظهر آدم واستنطاق الله لها - كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة له (ثم فسروا هذا الإشهاد بأنه الفطرة التى فطر الله الناس عليها من الإقرار بالتوحيد . انظر ابن كثير فى تفسير الآية . هذا وقد حكم الطبرى بعدم صحة نسبة ما روى من أحاديث فى هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحديث موقوف على ابن عمر . ولهذا قال : الظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : « وأشهدهم على أنفسهم . ألسنت بربكم ؟ » قالوا : بلى شهدنا . فسكانه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا . فقالوا : بلى شهدنا . عليكم بما أقررتم به على أنفسكم . وفى مكان آخر : « وأشهدهم على أنفسهم ، أى : أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك . ويقول المرتضى فى أماليه . « وقد ظن بعض من لا بصيرة له ، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أن الله استخراج من ظهر آدم جميع ذريته ، وهم فى خلقت النذر ، فقرروهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ، لأن الله تعالى قال : ولما أخذ ربك من بنى آدم ، ولم يقل . من آدم ، وقال : من ظهورهم ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ذرياتهم ، ولم يقل . ذريته ، ثم أخبر تعالى بأنه ==

بلغ بالبنيان إلى موضع الركن ، فأخبره عن الركن فيه ، ودله على موضعه (١) منه ،
وانتبه من ههنا إلى الحكمة في أن سوّده خطايا بني آدم دون غيره من حجارة
الكعبة وأستارها ، وذلك أن العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها
من توحيد الله ، فكل مولود يولد على تلك الفطرة ، وعلى ذلك الميثاق ، فلولا أن
أبويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، حتى يسود قلبه بالشرك ، لما حال عن
العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محلاً لذلك العهد والميثاق ، وصار الحجر محلاً لما
كتب فيه من ذلك العهد والميثاق ، فتناسبا ، فاسودّ من الخطايا قلب ابن آدم
بعدما كان وُلد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجر بعد ابيضاضه ، وكانت
الخطايا سببا في ذلك حكمته من الله سبحانه ، فهذا ما ذكر في بنيان الكعبة
ملخصا ، منه ما ذكر المأوردى ، ومنه ما ذكره الطبري ، ومنه ما وقع في كتاب
التمهيد لأبي عمر ، ونبد أخذتها من كتاب فضائل مكة لِرَزِين بن معاوية ، ومن
كتاب أبي الوليد الأزرق في أخبار مكة ، ومن أحاديث في المسندات المروية ،
وسنورد في باقي الحديث بعض ما باعنا في ذلك مستعينين بالله . وأما الركن

= فعل ذلك ، لئلا يقولوا : إنهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم ،
وأنهم نشئوا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه ،
وأنها تناولت من كان له آباء مشركون ، وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد
آدم ، فهذه شهادة الظاهر بطلان تأويله ، ثم استشهد بدليل عقلي على بطلانه
أيضا . واستدل ببعض النقول الصحيحة ، انظر ص ٢٠ وما بعدها ط ١

(١) لست أدري — والسبيل رجل كبير العقل — كيف يردد هذه الاساطير

الصغيرة ١٩ .

اليَمَانِي فَسُمِّيَ بِالْيَمَانِي - فِيمَا ذَكَرَ الْقَتَيْبِيُّ - لِأَن رَجُلًا مِنَ الْيَمَنِ بَنَاهُ اسْمُهُ : أَبِيُّ بْنُ سَالِمٍ وَأَنْشَدَ :

لَنَا الرُّكْنُ مِنْ بَيْتِ الْحَرَامِ وَرِاثَةٌ بَقِيَّةَ مَا أَبَقَى أَبِيُّ بْنُ سَالِمٍ

مَوْلَى بَنَاءِ السَّجَرِ الْحَرَامِ :

وَأَمَّا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ فَأُولُو مَنْ بَنَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ ضَيَّقُوا عَلَى الْكَعْبَةِ ، وَأَلْصَقُوا دَوْرَهُمْ بِهَا ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنْ الْكَعْبَةُ بَيْتُ اللَّهِ ، وَلَا بَدَّ لِلْبَيْتِ مِنْ فَنَاءٍ ، وَإِنْ كُمْ دَخَلْتُمْ عَلَيْهَا ، وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْكُمْ ، فَاشْتَرَى تِلْكَ الدَّوْرَ مِنْ أَهْلِهَا وَهَدَمَهَا ، وَبَنَى الْمَسْجِدَ الْحَيْطُ بِهَا ، ثُمَّ كَانَ عُثْمَانُ ، فَاشْتَرَى دَوْرًا أُخْرَى ، وَأَعْلَى فِي ثَمَنِهَا ، وَزَادَ فِي سَعَةِ الْمَسْجِدِ فَلَمَّا كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ زَادَ فِي إِتْقَانِهِ ، لَا فِي سَعَتِهِ ، وَجَمَلَ فِيهِ عَمْدًا مِنَ الرُّخَامِ ، وَزَادَ فِي أَبْوَابِهِ ، وَحَسَّنَهَا ، فَلَمَّا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ زَادَ فِي ارْتِفَاعِ حَائِطِ الْمَسْجِدِ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ السَّوَارِي فِي الْبَحْرِ إِلَى جُدَّةَ ، وَاحْتَمَلَتْ مِنْ جُدَّةَ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَرَ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفٍ فَكَسَاهَا الدِّيبَاجَ ، وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَسَاهَا الدِّيبَاجَ قَبْلَ الْحَجَّاجِ ، ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، وَذَكَرْنَا أَيْضًا أَنَّ خَالِدَ بْنَ جَعْفَرٍ بْنُ كَلَّابٍ مِمَّنْ كَسَاهَا الدِّيبَاجَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَزَادَ فِي حَلِيِّهَا ، وَصَرَفَ فِي مِيزَابِهَا وَسَقَفَهَا مَا كَانَ فِي مَائِدَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَكَانَتْ قَدْ احْتَمَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ طُلَيْطِلَةٍ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَتْ لَهَا أَطَوَاقٌ مِنْ يَاقُوتٍ وَزَبَرْجَدٍ ، وَكَانَتْ قَدْ احْتَمَلَتْ عَلَى بَغْلٍ قَوِيٍّ فَتَفَسَّخَ تَحْتَهَا ، فَضَرَبَ مِنْهَا الْوَلِيدُ حِلِيَّةً

للكعبة ، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زاد أيضا في إيتقان المسجد ، وتحسين هيئته ، ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل إلى الآن . وفي اشتراء عمر وعثمان الدور التي زادا فيها دليل على أن رباع أهل مكة ملك لأهلها ، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا ، وفي ذلك اختلاف .

كنز الكعبة والتجار القبطي :

فصل : وذكر ابن إسحاق دوينكا الذي سرق كنز الكعبة ، وتقدم أن سارقا سرق من مالها في زمن جرهم ، وأنه دخل البئر التي فيها كنزها فسقط عليه حجر فخبسه فيها ، حتى أخرج منها ، وانزع السال منه ، ثم بعث الله حية لها رأس كرأس الجدي ، بيضاء البطن سوداء المتن ، فكانت في بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين ، وهي التي ذكرها ابن إسحاق ، وكانه لا يدنو أحد من بئر الكعبة إلا اخزألت (١) أي : رفعت ذنبها ، وكشمت أي : صوّتت (٢) . وذكر ابن إسحاق أن سفينة رماها البحر إلى جدة ، فتحطمت ، وذكر غيره عن ابن منيه أن سفينة خجتها الريح إلى الشَّعْبِيَّة ، وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . والشَّعْبِيَّة بضم الشين ذكره البكري ، وفسر الخطابي خجتها : أي دفعته بقوة ، من الريح الخجوج أي : الدفوع .

(١) في الأصل ، وفي شرح السيرة للخشني : اخزألت بالخاء ، وهو خطأ صوبته منه نسخ أخرى للسيرة ومن اللسان والقاموس .

(٢) وللخشني : الكشيش صوت جلدها إذا تقبض بعضه في بعض . وفي السيرة . تشرق : أي تبرز للشمس .

قال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قبطى ، وذكر غيره أنه كان عاجاً (١)
 فى السفينة التى خَبَّتْها الرِّيحُ إلى الشَّعْثِيَّةِ ، وأن اسمَ ذلك النجار : يا قوم (٢)
 وكذلك روى أيضا فى اسم النجار الذى عمل مِنْبَر رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - من طَرَفِاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

الحية والدابة :

فصل : وذكر خبر الْعُقَابِ ، أو الطائر الذى اختطف الحية من بئر السكعبة ،
 وقال غيره : طرحها الطائر بِالْحَبْجُونِ ، فالتقمطها الأرض . وقال محمد بن الحسن
 المقرئ هذا القول ، ثم قال : وهى الدابة التى تسكلم الناس قبل يوم القيامة ،
 واسمها : أَقْصَى فَمَا ذُكِرَ ، ومحمد بن الحسن المقرئ هو النَّقَّاشُ ، وهو من
 أهل العلم - والله أعلم بصحة ما قال ، غير أنه قد روى فى حديث آخر أن موسى
 عليه السلام سأل ربّه أن يُرِيه الدابة التى تُسكلمُ الناسَ ، فأخرجها له من
 الأرضِ ، فرأى منظرا هالكا وأفرعه ، فقال : أَيْ رَبِّ : رُدَّهَا ، فَرَدَّهَا (٣) .
 لم نزع :

وذكر ابن إسحاق حديثَ الحَجَرِ الذى أُخِذَ من السكعبة ، فوثب من يد
 آخذه ، حتى عاد إلى موضعه ، وقال غيره : ضربوا بِالْمَعْمُولِ فى حجر من أحجارها ،

(١) الرجل من كفار المعجم .

(٢) وقيل . يا قوم أوبأ قول . وقد سبق وانظر ص ٦٣ شرح

السيرة للخشنى .

(٣) لا يروى فى حقيقة صفات الدابة حديث يعتد به . والدابة تطلق على الإنسان .

فلنقف عند القرآن والنقاش بكذب ويروى المناكير وليس فى تفسيره حديث صحيح .

فلمعت برقة كادت تحطف أبصارهم ، وأخذ رجل منهم حجرا ، فطار من يده ،
وعاد إلى موضعه . وذكر ابن إسحاق قولهم : اللهم لم ترغ ، وهى كلمة تقال
عند تسكين الرّوع ، والتأنيس ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولاروع في هذا
الموطن فيُنْفَى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ،
وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرّوع الذى هو
مُحالٌ في حق البارئ تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا ، جاز النطقُ
بها ^(١) ، وسيأتى في هذا الكتاب إن شاء الله زيادة بيان عند قوله : فاغفر فداءً
لك ما اقتنينا .

ويروى أيضاً : اللهم لم ترغ ، وهو جلي لا يشكل .

من تفسير صريّ أبي لهب : وذكر قولهم : لا تُدْخِلُوا في هذا البيت مَهْرًا
بَغْيًا وهى الزانية ، وهى قُول من البغاء ، فاندغمت الواو فى الياء ، ولا يجوز
عندهم أن يكون على وزن فَعِيل ، لأن فَعِيلًا بمعنى : فاعل يكون بالهاء فى المؤنث
كرحيمة وكريمة . وإنما يكون بغير هاء إذا كان فى معنى : مفعول نحو :
امرأة جريح وقتيل .

وقوله : ولا يبيع ربا يدل على أن الربا كان محرّمًا عليهم فى الجاهلية ، كما
كان الظلم والبغاء ، وهو الزنا محرّمًا عليهم ، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع

(١) الرّوع : الفزع ، ولا يجوز مطلقاً نسبته إلى الله ، ثم لأنه لم يرد قول صحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا . وفى شرح الزرقانى على المواهب : اللهم لم
ترع . أى : لم تفزع الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها ، وهذا أولى من إعادة
السهيل الضمير لله ، وهو نقد حق ، وهو رأى الحشنى فى شرحه للسيرة . هذا إن
كان للحديث سند صحيح .

إبراهيم عليه السلام ، كما كان بقي فيهم الحج والعمرة وشيء من أحكام الطلاق والعتيق وغير ذلك . وفي قوله سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ ﴾ البقرة : ٢٧٥ دليل على تقدم التحريم .

الحجر الذي كان مكتوباً :

فصل : وذكر الحجر الذي وجد مكتوباً في الكعبة ، وفيه : أنا الله ذوبكة . لحديث . روى مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ في الجامع عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشاً حين بنوا الكعبة ، وجدوا فيها حجراً ، وفيه ثلاثة صُفُوح (١) في الصَّفْحِ الأول : أنا الله ذوبكة صُفْعَتُها يوم صُفِّت (٢) الشمس والقمر إلى آخر كلام بن إسحاق ، وفي الصَّفْحِ الثاني : أنا الله ذوبكة ، خلقت الرَّحِمَ ، واشتنت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بَتَّته ، وفي الصَّفْحِ الثالث : أنا الله ذوبكة (٣) ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه ، وفي حديث ابن إسحاق : لا يُحِبُّهَا أُولُ من أهلها ، يريد - والله أعلم - ما كان من استحلال قريش القتال .

(١) في البداية : أصفح ، وهو أنسب وصفة الشيء : جانبه

(٢) في البداية : صنعها وهو يناسب رواية : خلقتها التي في السيرة

(٣) في البداية : . «إني أنا الله ، في جميع المواضع . والقصة ولاشك مصنوعة ، ووراء بعضها رجل من أهل الكتاب ، ففيما ذكر السهيلي وابن هشام ما يدل على هذه النسبة . وإن كانت كلمات حق . ففي الإصحاح الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى بعض كلماته . أما قوله : « خلقت الرحم » إلى تبته ، لحديث رواته أبو داود والترمذي . أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بَتَّته ،

فيها أيام ابن الزبير، وحُصَيْن بن مُنَمِّرٍ ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبي ربيعة :

أَلَا مَنْ لِقَابٍ مُعْنَى غَزَلٍ يُحِبُّ الْمُحِلَّةَ أُخْتِ الْمُحِلِّ

يعنى بالحلل : عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم .

هول الحجر الأسود وقواعد البيت :

فصل : وذكر اختلافهم في وضع الركن ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي وضعه بيده ، وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدى ، وأنه صاح بأعلى صوته : يامعشر قريش : أَرْضَيْتُمْ أَنْ يَضَعَ هَذَا الركنَ ، وهو شرفكم غلامٌ يَتِيمٌ دون ذوى أَسْنَانِكُمْ ، فكاد يثير شراً فيما بينهم ، ثم سَكَنُوا ذَلِكَ . وأما وضع الركن حين بُنِيَتِ الكعبة في أيام ابن الزبير ، فوضعه في الموضع الذى هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس فى المسجد اغتَمَّ شُغْلَ النَّاسِ عَنْهُ بِالصَّلَاةِ لِمَا أَحْسَنَ مِنْهُمْ التَّنَافُسَ فِي ذَلِكَ ، وخاف الخلافَ ، فأقره أبوه . ذكر ذلك الزبير بن أبى بكر . وذكر ابن إسحق أيضاً أنهم أَفْضَوْا إِلَى قَوَاعِدِ الْبَيْتِ ، وَإِذَا هُمُ خُضِرُوا كَالْأَسْنِمَةِ ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ رِوَايَةُ السَّيْرَةِ ، إِنَّمَا الصَّحِيحُ فِي الْكِتَابِ : كَالْأَسْنَةِ ، وَهُوَ وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ النَّقَلَةِ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ بِهَذَا اللَّفْظِ لَا عِنْدَ الْوَاقِدِيِّ وَلَا غَيْرِهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي بَنِيَانِ الْكَعْبَةِ هَذَا الْخَبَرَ ، فَقَالَ فِيهِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ : فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا هِيَ كَأَسْنِمَةِ الْإِبِلِ ، وَتَشْبِيهُهَا بِالْأَسْنَةِ لَا يَشْبَهُ إِلَّا فِي الزَّرْقَةِ ، وَتَشْبِيهُهَا بِأَسْنِمَةِ

الإبل أولى ، لعظمها ، ولما تقدم في حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا (١) .

شعر الزبير بن عبد المطلب :

فصل : وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب : عجبت لما تصوّبت
العقاب . إلى قوله : تَتَلَبَّثُ لها انصباب . قوله : تَتَلَبَّثُ ، يقال : اتَّالَبَّ
على طريقه إذا لم يُعَرِّجْ يَمَنَّةً (٢) ولا يَسْرَةَ ، وكأنه مَنَحُوتٌ من أصلين كما تقدم
في مثل هذا من تلا : إذا تبع ، وأَلَبَ : إذا أقام ، وأَبَّ أيضاً قريبٌ من هذا
المعنى . يقال : أَبَّ إجابة - من كتاب العين - إذا استقام وتهايا ، فكانه مُقِيمٌ
مُسْتَمِرٌّ على ما يتاوه ويتبعه مما هو بسبيله ، والاسم من اتَّالَبَّ : التَّلَائِبَةُ على
على وزن الظمانينة والقشعريرة ، قاله أبو عبيد .

وقوله : وليس على مُسَوِّبنا ثيابٌ . أى : مُسَوِّى البنيان . وهو فى

(١) عند أبى ذر الخشنى فى تفسير تشبيهها بالأسنة . وأراد أن الحجارة دخل
بعضها فى بعض كما تدخل عظام السنام بعضها فى بعض ، ومن رواه كالأسنة
فهمو جمع سنان الرمح شبهها بالأسنة فى الخضرة ، وفى القصيدة البائية فى السيرة .
الدوايب : يريد الأنساب الكريمة . والسباب : جمع سببية وهى ثياب رفاق بيض
شبهه الشحم الذى يمازج الجفان بها . عن الخشنى ، والخطيم : سعى حطياً ؛ لأن
الناس يزدحمون فيه ، حتى يحطم بعضهم بعضاً ، وقيل : لأن الثياب كانت تجرد فيه
عند الطواف . وذومكة : اسم المسجد ، ومكة : اسم البلدة . تحاوزوا : انحازت كل
قبيلة إلى جهة . هلم إلى ثوبا : هى كلبة سمى بها الفعل . ومعناه : أقبلوا إلينا
تتلبث : تتابع فى انقضاضها

(٢) وفى القاموس : استقام وانتصب

حديث الخمس

قال ابن إسحاق : وقد كانت قُرَيْش - لا أدري أقبَلُ القيل أم بعده - ابتدعت رأى الخمس رأياً رَأَوْهُ وأَدَارُوهُ ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهلُ الحُرمة ، وولاية البيت ، وقُطْنُ مَكَّةَ وساكنُها ، فليس لأحدٍ من العرب مثْلُ حَقِّنا ، ولا مثْلُ منزلتنا ، ولا تَعْرِفُ له العربُ مثْلَ ما نعرفُ لنا ، فلا نَعْظُمُوا شيئاً من الحِلِّ كما تَعْتَلِمُونَ الحرم ، فإنَّكم إنْ فعلتم ذلك استخفت العربُ بِحُرْمَتِكُمْ ، وقالوا : قد عَظَّمُوا من الحِلِّ مثل ما عَظَّمُوا من الحرم . فتركوا الوقوفَ على عَرَفَةَ ، والإفاضة منها ، وهم يَعْرِفُونَ وَيَقْرُونَ أنها من المَشَاعِرِ والحجِّ ودين إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وَيَرَوْنَ لسائر العرب أن يُقْبِضُوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحَرَمِ ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرمة ، ولا نَعْظُمَ غيرها ، كما نَعْظُمُا نحن الخمس ، والخمس : أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلَدُوا من العرب من ساكنِ الحِلِّ والحَرَمِ مثلَ الذي لهم ، بولادتهم إِيَّاهُمْ ، يَحِلُّ لهم ما يَحِلُّ لهم ، وَيَحْرُمُ عليهم ما يَحْرُمُ عليهم . وكانت كِنَانَةً وَخَزَاعَةً قد دخلوا معهم في ذلك .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عُبَيْدَةَ النُّجُومِيُّ : أن بني عامر بن صعصعة معاوية بن بَكْرٍ بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعمرو بن مَعْدِيكَرْبٍ :

معنى الحديث الصحيح في نقلناهم الحجارة إلى السكبة أنهم كانوا ينقلونها عُرَاءَةً ، ويرون ذلك دِينًا ، وأنه من باب التَّشْمِيرِ والجِدِّ في الطاعة . وقول ابن هشام : ويروى : مَسَاوِينَا ، يريد : السَّوَاءَاتِ ، فهو جمع مَسَاءَةٍ ، مفعلة من السَّوَاءَةِ والأصل مَسَاوِيءٌ ، فسهلت الهمزة .

أَعْبَاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً جِيَادُنَا بَدَثَلِيثٌ مَا نَاصَبَتْ بَعْدَى الْأَحَامِسِ

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار : الحسان . يعنى بالأحامس :
بنى عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس السلمي ، وكان أغار
على بنى زُبَيْد بتثليث . وهذا البيت في قصيدة لعمرؤ .

وَأُنْشِدُنِي لِلْقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِيِّ فِي يَوْمِ جَبَلَةَ :

أَجْزِمُ إِلَيْكَ إِنِّهَا بَنُو عَبْسٍ الْمَغْشَرُ الْجَلَّةُ فِي الْقَوْمِ الْحَسِ

لأن بنى عبس كانوا يوم جَبَلَةَ حُلَفَاءَ فِي بَنِي عامر بن صعصعة .

ويومُ جَبَلَةَ : يومٌ كان بين بنى حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْد مَنَاةَ بن تَمِيمٍ ،
وبين بنى عامر بن صعصعة ، فكان الظَّفر فيه لبني عامر بن صعصعة على بنى
حَنْظَلَةَ ، وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ لَقَيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ بن عُدُسَ ، وَأُسِرَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ بن
عُدُسَ ، وَاَنْهَزَمَ عَمْرُو بْنُ عَمْرُو بن عُدُسَ بن زَيْدُ بن عبد الله بن دَارِمِ بن
مالك بن حَنْظَلَةَ . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقَيْطًا وَحَاجِبًا وَعَمْرَ بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَا لِدَارِمِ

وهذا البيت في قصيدة له :

ثُمَّ اتَّقُوا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ فَكَانَ الظَّفرُ لِحَنْظَلَةَ عَلَى بَنِي عامر ، وَقُتِلَ
يَوْمَئِذٍ حَسَّانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْكِنْدِيُّ ، وَهُوَ أَبُو كَبْشَةَ . وَأُسِرَ يَزِيدُ بْنُ الصَّمِيقِ

• • • • •

السكلابي، وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفيل .
ففيه يقول الفرزدق :

ومنهنّ إذ نجى طفيل بن مالك على قُرْزُلٍ رَجَلارَ كَوْضِ الهَزَامِ
ونحنُ ضَرْبْنَا هَامَةً ابنُ خُوَيْلِدٍ يزيدُ على أُمِّ الفِرَاحِ الجَوَامِ
وهذان البيتان في قصيدة له :

فقال جرير :

ونحنُ خَضْبُنَا لابنِ كَنْبَشَةَ نَاجَهُ ولاقى امرأً في صَمَّةِ الْخَلِيلِ مِصْقَعَا
وهذا البيت في قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلَةَ ، ويوم ذى نَجَبٍ أطول مما ذكرنا . وإنما منعى من
استقصائه ما ذكرتُ في حديث يوم الفِجَارِ .

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أمورا لم تكن لهم ، حتى قالوا :
لا يذنبى للحُمس أن يَأْتَقِطُوا الْأَقِطَ ، ولا يَسَلُّوا السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا
بيتا من شَعَرٍ ، ولا يَسْتَظِلُّوا - إن استظلوا - إلا في بيوت الأدم ما كانوا
حُرُمًا ، ثم رفعوا في ذلك ، فقالوا : لا يذنبى لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام
جاءوا به معهم من الحِلِّ إلى الحرم إذا جاءوا حُجَّاجًا أو عُمَّارًا ، ولا يطوفوا
بالبيت إذا قَدِمُوا أوَّلَ طَوَافِهِمْ إلا في ثياب الحُمس . فإن لم يجدوا منها شيئا
طافوا بالبِيتِ عُرَاةً ، فإن تكرّم منهم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة ، ولم يجد

.

ثياب الخمس . فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسّها هو ، ولا أحدٌ غيره أبداً .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عُرَاءً ، أمّا الرجال فيطوفون عرأة . وأمّا النساء فتضع إحداهنّ ثيابها كلها إلا درعا مفرّجا عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهي كذلك تطوف بالبيت :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ ، أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أَحَدٌ

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلِّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه ، فلا يقربهُ - وهو يُحِبُّهُ - :

كَفَى حَزَنًا كَرَّيْ عَلَيْهَا كَأَنَّهَا لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ

يقول : لا تُمسّ .

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأنزل عليه حين أحكم له دينه . وشرع له سنن حجّه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة : ١٩٩ . يعنى قريشا ، والناس : العرب ، فرفعهم في سنّة الحجّ إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها ،

• • • • •

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا كَانُوا حَرَّمَوا عَلَى النَّاسِ مِنْ طَعَامِهِمْ وَلِبُوسِهِمْ عِنْدَ الْبَيْتِ . حِينَ طَافُوا عُرَاءَةً ، وَحَرَّمُوا مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْحَلِّ مِنَ الطَّعَامِ : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا . إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ : مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ : هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » . الْأَعْرَافُ : ٣١ : ٣٣ . فَوَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ الْحُمْسِ ، وَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ ابْتَدَعَتْ مِنْهُ ، عَنِ النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ ، حِينَ بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : حدثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبي سُلَيْمَانَ بن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ ، عن عَمِّهِ نَافِعِ بن جُبَيْرٍ عن أبيهِ جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ . قال : لقد رأيت رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، وَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بِعَرَفَاتٍ مَعَ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ حَتَّى يَدْفَعَ مَعَهُمْ مِنْهَا تَوْفِيقًا مِنَ اللَّهِ لَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

الحُمس

فصل : وَذَكَرَ الْحُمْسَ ، وَمَا ابْتَدَعَتْهُ قُرَيْشٌ فِي ذَلِكَ ، وَالْتَحَمَسَ : التَّشَدُّدُ ، وَكَانُوا قَدْ ذَهَبُوا فِي ذَلِكَ مَذْهَبَ التَّزَهُدِ وَالتَّأَلُّهِ (١) ، فَكَانَتْ نِسَاؤُهُمْ

(١) فِي الْبَدَايَةِ أَنَّهُمْ لَقَبُوا بِهَذَا مِنَ الشَّدَةِ فِي الدِّينِ وَالصَّلَابَةِ ، لِأَنَّهُمْ عَظَمُوا الْحَرَمَ تَعْظِيمًا زَائِدًا بِحَيْثُ التَّزَمُّوا بِسَبِيهِ أَلَّا يَخْرُجُوا مِنْ لَيْلَةٍ عَرَقَةً . . فَكَانُوا لَا يَقْفُونَ بِعَرَفَاتٍ مَعَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ مُشَاعِرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى لَا يَخْرُجُوا عَنْ نِظَامِ مَا كَانُوا قَرَرُوهُ مِنَ الْبِدْعَةِ الْفَاسِدَةِ

لَا يَنْسُجَنَّ الشَّعَرَ وَلَا الْوَبَرَ، وَكَانُوا لَا يَسْكُنُونَ السَّعْنَ، وَسَلَا السَّعْنَ أَنْ
يُطْبَخَ الزُّبْدُ، حَتَّى يَصِيرَ سَمْنًا، قَالَ أَرْهَةً :

إِنْ لَنَا صِرْمَةٌ مُخَيَّسَةٌ نَشْرَبُ أَلْبَانَهَا وَنَسْلُوها^(١)

ذكر قول ابن معد يكرب : أعباسُ لو كانت شياراً جِئادُنا . البيت :
شياراً من الشارة الحسنة بمعنى : سماناً حسناً وبعد البيت :

وَلَكِنَّا قِيدَتْ بِصَعْدَةٍ مَرَّةً فَأَصْبَحْنَا مَائِمْشِينَ إِلَّا تَسْكَارُسا^(٢)

وَأُنْشِدْ أَيْضاً : أَجْذِمُ إِلَيْكَ إِنَّهَا بَنُو عَبْسٍ^(٣) . أَجْذِمَ : زَجَرَ
معروفٌ للخيل وكذلك : أَرْحَبُ، وَهَبَ وَهَقَطَ وَهَقَبَ^(٤) .

(١) صرمة بكسر الصاد: الإبل. مخيسة: لم تشرح ، وإنما حُبست للنحر أو القسم
(٢) تسكارش الشيء : تراكم وتلازب، وناصيت في البيت الذي قبله في السيرة
بالياء والباء معا — كما يقول الخشني — معناها وهي بالياء : عارضت ، وأردت
المساواة في المنزل ، وقد يكون ناصبت : بمعنى إظهار العداوة ، وتثليث
موضع بالحجاز قرب مكة

(٣) في السيرة : د المعشر الجلة ، الجلة : العظام ، ومن رواه الحلة ، فعناه الذين
يسكنون الحل ، وفي رواية أبي ذر المعشم — وزن مقعد — بدلا من معشر *
(٤) هقط : تكرار من الطبع ، وفي اللسان : أرحب أيضاً ، ولم أجد في مادة
هَبَ إلا د هَبَ إِذَا زَجَرَ ، وفي مادة رَحِبَ روى بيت السكيت بن معروف
نعلها هي وهلا وأرحبُ وفي أبياتنا ولنا افلتينا

يوم جبلة :

وذكر يوم جبلة . وجبلة^(١) هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيسُ نجران ، وهو ابن الجون الكندي وأخ للنعمان بن المنذر ، أحسب اسمه : حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان لأمه ، وفي أيام جبلة كان مولدُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولِثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان بن قباد ، وكان مولد أبيه عبد الله لأربع وعشرين مَضَتْ من ملك أنوشروان المذكور ، فيبينه - عليه السلام - وبين أبيه عبد الله نحو من ثمانِ عشرة سنة .

عرس والحزن والطلس :

وذكر زُرارة بن عدس بن زيد ، وهو : عدس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عدس في العرب سواء فإنه مفتوح الدال . وذكر الحلة وهم ما عدا الحُسن ، وأنهم كانوا يطوفون عُرّة إن لم يجدوا ثياب أحسن ، وكانوا يَقْصِدُونَ في ذلك طَرَح الثياب التي اقترفوا فيها الذنوبَ عنهم ، ولم يذكر الطلس من العرب ، وهم صِنْف ثالث غير الحلة ، والحسن كانوا يأتون من أقصى اليمن طُلَسًا من الغُبَارِ ، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس ، فسُمُّوا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

(١) في ٢٥ من نهاية الأرب كلام طويل عن أيام العرب . وفيه عن يوم جبلة أنه كان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وفي الأغاني بتسع وخمسين سنة ، وفي النقائض بسبع وخمسين . وأم الفراع : الرماح . الجواثم : الساكنة اللاطئة مع الأرض ، وسيأتي تفسير السهيل لها ، وهو مخالف للخشني

اللقى :

فصل : وذكر اللقي وهو الثوب الذي كان يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد ، وأنشد :

كفى حزنًا كَرَّيْ عليه كأنه لقي بين أبدى الطائفين حريمُ
حريم : أى مُحَرَّم ، لا يؤخذ ، ولا ينتفع به ، وكل شيء مَطْرَح ، فهو لقي .
قال الشاعر يصف فرخ قَطَا :

تَرَوِي نَقِيَّ أَلْقِي فِي مَنَاصِفٍ (١) تَضْمَرُهُ الشَّمْسُ ، فَمَا يَنْصَهَرُ

تَرَوِي بفتح التاء أى : تَسْتَقِي له ، ومن اللقي : حديث فاختة أم حكيم
ابن حزام ، وكانت دخلت السكبة وهي حامل مُتِمَّ بحكيم بن حزام ، فأجاءها
الْمَخَاضُ ، فلم تستطع الخروج من السكبة ، فوضعت فيها ، فُلِقَتْ فى الأنطاع
هى وجنينها ، وَطَرِحَ مَثِيرُهَا (٢) وثيابها التى كانت عليها ، فجعلت لَقَى
لا تقرب .

رمز المرأة الطائفة :

فصل : وذكر قول المرأة: اليوم يبدو بعضه ، أو كله (٣) البيتين ويذكر

(١) البيت لابن أحر ، والصفصف : المستوى من الأرض

(٢) الموضع تلد فيه المرأة

(٣) فى مسلم والنسائى وابن جرير عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنساء . الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول :
ثم ذكر البيت : اليوم يبدو بعضه الخ

أن هذه المرأة ، هي ضُبَاعَةُ بنت عامر بن صَعَصَعَةَ ، ثم من بنى سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ ،
وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم خطبها ، فذكرت
له عنها كِبَرَةً ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كَمَدًا وحُزْنَا على ذلك قال المؤلف :
إن كان صح هذا ، فما آخرها عن أن تكون أمًّا للمؤمنين ، وزوجا لرسول
رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعضه أوكاه . تَكْرِمَةً من الله لنبيه وعلمه
منه بغيره ، والله أَعْبَرُ منه .

أسطورة :

ومما ذكر من تَعَرِّيهِمْ في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك ،
فانضم الرجل إلى المرأة تَلَدُّدًا واستمعا ، فلصق عَضُدُهُ بَعْضِدِهَا ، ففزعوا عند
ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحدهما على فكِّ عَضُدِهِ
من عَضُدِهَا ، حتى قال لهما قائل : توبا مما كان في ضميركما ، وأخلصا الله التوبة ،
ففعلا ، فأنحل أحدهما من الآخر (١)

قرزل وطفيل :

وأشد للفرزدق :

ومنهم إذ نبجى طَفِيلُ بن مالك على قُرْزُلٍ رَجَلَارِكُمْ ضَ المزامم (٢)
قُرْزُلُ : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارس قُرْزُلُ ، وقُرْزُلُ : القيد
سمى الفرس به ، كأنه يقيد ما يسابقه (٣) ، كما قال امرؤ القيس :

(١) هي أسطورة تروى .

(٢) في التقائض : أرخى : ورجلى .

(٣) وله عدة معانٍ آخر .

بِمَنْجَرْدٍ قَتِيلِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وُطْفَيْلٌ هذا هو : والد عامر بن الطفيل ، عدو الله وعدو رسوله ،
وأخو طفيل هذا : عامرٌ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ ، وسنذكر لم تُسَمَّيْ مَلَاعِبٌ ، ونذكر
لأخوته وألقابهم في الكتاب إن شاء الله .

الهامة :

وقوله : على أم الفِراخ الجوائم . يعنى : الهامة ، وهى البوم ، وكانوا
يعتقدون أن الرجل إذا قُتِلَ خرجت من رأسه هامةٌ تصيح : اسقوني
اسقوني ، حتى يؤخذ بثأره . قال ذو الإصبع العَدَوَانِي :
أَضْرِبْكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسقوني (١)

شرح بيت جبرير :

فصل : وأنشد لجبرير :

وَنَحْنُ خَضَبْنَا لابن كَبْشَةَ تاجَهْ ولأقَى أَمْرًا فِي صَمَّةِ الْخَلِيلِ مِصْقَعًا

وجدت فى حاشية الشيخ أبى بحر هذا البيت . المعروف فى اللغة أن - المِصْقَعُ :
الخطيبُ البليغُ ، وليس هذا موضعه ، لكن يقال فى اللغة : صَمَقَ : إذا ضَرَبَ به على
شئ ، مُصَمَّتٍ يابس ، قاله الأصمعى ، فيشبه أن يكون مِصْقَعٌ فى هذا البيت من

(١) البيت من ميمون قصائده ، والشرطة الاولى منه :
يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقضى

هذا المعنى ، فيقال منه : رجل مصقع كما يقال : مخرب وفي الحديث : إن سعدا لمخرب^(١) ، يعنى [ابن] أبى وقاص .

ما نزل من القرآن في أمر الخمس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الخمس ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ الآية . «الأعراف : ٣٠» فقوله : «كُلُوا وَاشْرَبُوا» إشارة إلى ما كانت الخمس حرمته من طعام الحج إلا طعام أحمس ، وخذوا زينتكم : معنى اللباس ، وَلَا تَتَقَرَّوْا ، ولذلك افتتح بقوله : يَا بَنِي آدَمَ ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، إذ ينصفان عليهما من ورق الجنة ، أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة . كما قال : ملة أبيكم إبراهيم ، أى : إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم ، فإبراهيم أبوكم ، ولم يكن من المشركين ، ومما نزل في ذلك : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَمًّا وَتَصَدِيَةً ﴾ الأنفال : ٣٥ . ففى التفسير أنهم كانوا يطوفون عراة ، ويصفقون بأيديهم ويصفرون ، فالسكاء : الصغير ، والتصدية : التصفيق^(٢) قال الراجز : وأنا من غرو الهوى أصدى . ومما نزل من أمر الخمس : ﴿ وَإِيسَ الْبِرُّ بَأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ البقرة : ١٨٩ .

(١) تشابه ألفاظه هنا بالخشنى في شرح السيرة . يقال : رجل حرب بفتح فسكون ، وحرب - بوزن منبر - ومحراب : شديد الحرب شجاع

(٢) رواه ابن أبى حاتم ، وقال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ، ليخطووا بذلك على النبي و ص ، صلاته . وقال الزهرى : يستهزئون بالمؤمنين

لأنَّ الحُمْسَ لَا يَدْخُلُونَ تَحْتَ سَقْفٍ ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ عَتَبَةٌ بَابٌ وَلَا غَيْرُهَا ، فَإِنْ احتَاجَ أَحَدُهُمْ إِلَى حَاجَةٍ فِي دَارِهِ تَسْمَى الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ مِنَ الْبَابِ ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَنْتُمْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة : ١٨٩ (١) .

وقوف النبي بعرفة قبل الهجرة والنسوة :

وذكر وقوف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة ، وقبل النبوة توفيقاً من الله ، حتى لَا يَفُوتَهُ ثَوَابُ الْحُجِّ ، والوقوف بعرفة قال جَمِيرُ بْنُ مُطِئِمٍ حِينَ رَأَاهُ واقفاً بعرفة مع الناس : هَذَا رَجُلٌ أَحْمَسُ ، فَمَا بِهِ لَا يَقِفُ مَعَ الْحُمْسِ حَيْثُ يَقِفُونَ (٢) ؟ !

(١) فِي هَذَا وَرَدَ عَنِ الْإِبْرَاهِيمِ فِي الْبُخَارِيِّ : « كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوْا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ أَقْوَامٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَرَادُوا حُدُومَ سَفَرٍ ، وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَرِيدُ سَفَرَهُ الَّذِي خَرَجَ لَهُ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ أَنْ يَقِيمَ ، وَيَدْعُ سَفَرَهُ لَمْ يَدْخُلِ الْبَيْتَ مِنْ بَابِهِ ، وَلَكِنْ يَتَسَوَّرُهُ مِنْ قَبْلِ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا . الْآيَةُ . أَقُولُ : وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى مَفْهُومِ الْآيَةِ وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ : كَانَ أَهْلُ يَثْرِبَ إِذَا رَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ دَخَلُوا مَنَازِلَهُمْ مِنْ ظُهُورِهَا ، وَيُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ أَذْنَى إِلَى الْبِرِّ . وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ مَدْنِيَّةٌ . (٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ : كَانَتْ قَرِيشٌ وَمِنْ دَانَ دِينُهَا يَقِفُونَ بِالْمَزْدَلِفَةِ ، وَكَانُوا يَسْمُونَ : الْحُمْسَ ، وَسَاءَتْ الْعَرَبُ يَقِفُونَ بِعُرَفَاتٍ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنْ يَأْتِيَ عُرَفَاتَ ، ثُمَّ يَقِفُ بِهَا ، ثُمَّ يَفِضُ مِنْهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَبِجَاهِدٍ وَعَطَاءٌ وَقَتَادَةُ وَالسَّدي وَغَيْرُهُمْ ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَحَكَى عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ =

إخبار الكهان من العرب ، والأخبار من يهود والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق : وكانت الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،
والكهنة من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل
مبعثه ، لما تقارب من زمانه . أمّا الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،
فعمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم
فيه ، وأمّا الكهان من العرب : فأنتم بهم الشياطين من الجن فيما تسترق من
السمع إذ كانت وهى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن
والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكركم بعض أموره ، لا تُلقي العرب لذلك فيه
بالأ ، حتى بعته الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون .
فعرفوها .

فلما تقارب أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحضر مبعثه .
حُجبت الشياطين عن السمع ؛ وحِيل بينها وبين المقاعد التي كانت تُعْمَد
لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من

== وأخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال : أضللت بعيرى إلى بعرفة . فذهبت
أطلبه فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - واقف ، قلت : إن هذا من الخمس
ما شأنه ههنا ، وأخرجه البخارى ومسلم ، ثم رواه البخارى من حديث موسى
ابن شعبة عن كريب عن ابن عباس بما يفيد أن المراد من الإفاضة هى الإفاضة
من المزدلفة لومى الجمار .

أمر الله في العباد ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حُجِبُوا عن السَّمْع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : ﴿ قُلْ : أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . فَقَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا مَّجْبَىٰ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ، مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالُ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا . ۝ إِلَى قَوْلِهِ : « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَن يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ الْجِنِّ : ١ - ٦ - ٩ ، ١٠ .

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السَّمْع قبل ذلك ، لنلا يشكّل الوحي بشيء خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لوقوع الحجة ، وقطع الشبهة . فآمنوا وصدقوا ، ثم : ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ . قَالُوا : يَاقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، وَ إِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ... الآية . الأحقاف : ٣٠ .

وكان قول الجن : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا » . أنه كان الرجل من العرب من قریش وغيرهم .

.....

إذا سافر فنزل بطن وادٍ من الأرض ليبيت فيه ، قال : إني أعوذ بعزب هذا الوادى من الجنّ الليلة من شرّ ما فيه .

قال ابن هشام : الرهق : الضيق والسقم . قال رؤبة بن العجاج .

إِذْ تَسْتَبِيهِ الْهَيَّامَةُ الْمُرْهَقَا

[تَمَقَّلْتِي رِيْمٍ وَحِيدٍ أَرْشَقَا]

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضا : طلبك الشئ ، حتى تدنو منه ، فتأخذه . أو لا تأخذه . قال رؤبة بن العجاج يصف سمير وحش :

بَصْبَصْنِ وَأَفْشَعَرْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقِ

[يَمَصَّغْنَ بِالْأَذْنَابِ مِنْ لَوْحٍ وَبَقِ]

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضا : مصدر لقول الرجل : رهقت الإنم أو العسر ، الذى أرهقتني رهقا شديدا ، أى : حملت الإنم أو العسر الذى حملتني حملا شديدا ، وفى كتاب الله تعالى : ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ السكف : ٨٠ ، وقوله : ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ السكف : ٧٣ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أول العرب فرزع للرمى بالنجوم - حين رُمى بها - هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بنى عِلاج - قال : وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا - فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم

.

التي يُهتدى بها في البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ،
لما يُصالح النَّاس في معاشهم ، هي التي يُرمى بها ، فهو والله طَيُّ الدنيا ،
وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجومًا غيرها ، وهي ثابتة على
حاملها ، فهذا لأمرٌ أراد الله به هذا الخلق ، فما هو ؟

وقال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عليّ
ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الأنصار :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « ماذا كنتم تقولون في هذا الذَّجَم الذي
يُرمى به ؟ قالوا : يا نبي الله كنّا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِكٌ ، مُلْكٌ
مَلِكٌ ، وُلد مولود ، مات مولودٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك
كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خَدْمَةِ أمرا سمعه حَمَلَةٌ
العرش ، فسَبَّحُوا ، فسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ ، فسَبَّحَ لتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ ،
فلا يزال التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ، فسَبَّحُوا ثم
يقول بعضهم لبعض : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون : سَبَّحَ مَنْ فوقنا فسَبَّحْنَا
لتَسْبِيحِهِمْ ، فيقولون : ألا تسألون مَنْ فوقكم : مِمَّ سَبَّحُوا ؟ فيقولون مثل
ذلك ، حتى ينتهوا إلى حَمَلَةِ العرش ، فيقال لهم : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون :
قضى الله في خَدْمِهِ كذا وكذا ، للأمر الذي كان ، فيهبِطُ به الخبرُ من سماء
إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ، فيتحدَّثُ ثوابه ، فتَسْتَرِقُّهُ الشياطين بالسمع ،
على توهم واختلاف ، ثم يأتوا به السكّهان من أهل الأرض ، فيحدثونهم به ،
فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به السكّهان ، فيصيبون بعضاويهم يخطئون بعضا . ثم

• • • • •

إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقذفون بها ، فانقطعت
السكّانة اليوم ، فلا كهانة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن
ابن أبي لبيبة ، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه بمثل حديث
ابن شهاب عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن امرأة من بنى سَهْم يقال لها
الغَيْطَلَةُ ، كانت كاهنة في الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي ،
فأنقضَ تحتها ، ثم قال : أذِرْ ما أذِرِ . يوم عَقْرٍ وَنَحْرٍ ، فقالت قَرِيش حين
بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فأنقضَ تحتها ، ثم قال :
شُعُوبٌ ، ماشُعُوبٌ ، تُصرع فيه كَغَبٍّ اجنُوبٌ : فلما بلغ ذلك قريشا ،
قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن ، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه
حتى كانت وقعة بدرٍ وأحد بالشعب ، فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبته .

قال ابن هشام : الغَيْطَلَةُ : من بنى مُرَّةَ بن عَبدِ مناة بنِ كنانة ،
إخوة مُدَلِج بن مرة ، وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله :

لَقَدْ سَفَهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلْفَ قَيْضًا . بنا والغياطل
فَقِيلَ لَوْلَاهَا : الغياطل ، وهم من بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْنٍ . وهذا
البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع الجُرَشِيُّ : أن جَدَّتَنَا بَطْنًا

• • • • •

من اليمن ، كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله صلى الله وسلم ، وانتشر في العرب ، قالت له جَنب : انظرُ لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً مُتَّكِئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل يَنْزُو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومُكِّنْهُ فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتدَّ في جبله راجعاً من حيث جاء .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفَّان ، أنه حدَّث : أن عمر بن الخطاب ، بينما هو جالس في مَسْجِد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلاً المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لَعَلِّي شَرَّكَه ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية . فَسَلَّمَ عليه الرجلُ ، ثم جلس ، فقال له عمر - رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهناً في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سُبْحَانَ اللَّهِ يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتُ فيَّ ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلتَه لأحد من رَعِيَّتِكَ منذ وَلَّيتَ ما وَايْتَ ، فقال عمر : اللَّهُمَّ غَفِّراً ، قد كنَّا في الجاهلية على شَرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ، وَنَعْتَنِقُ الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية ، قال : فأخبرني ما جاءك به صاحِبُكَ ، قال : جاءني قبل الإسلام بشمراً أو شَيْعَةٍ ، فقال : ألم تَرَ إلى الجنِّ وإِبِلَاسِها ، وإِبَاسِها من دينها ، ولُحُوقِها بالِقِلَاصِ وأَحْلَاسِها .

.

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمرُ بن الخطاب عند ذاك يُحَدِّثُ
الناس : والله إني لَعِنْدَ وَثْنٍ من أوثان الجاهلية في نَفَرٍ من قريش ، قد ذَبَحَ
له رجل من العرب مجلًّا ، فنحن ننتظر قَسْمَهُ لِيَقْسِمَ لنا منه ، إذ سمعت من
جوف العجل صوتًا ما سمعت صوتًا قَطُّ أَنْفَذَ منه ، وذلك قُبَيْلَ الإسلام بشهر
أوشَيْعِهِ ، يقول : يَا ذَرِيحَ ، أَمْرٌ نَجِيحٌ ، رجلٌ يَصِيحُ ، يقول : لا إله
إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجلٌ يَصِيحُ ، بلسان فصيح ، يقول : لا إله
إلا الله . وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر .

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلِيسَ وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَخْلَاسِهَا
تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَانَجَاسِهَا

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكُفَّانِ من العرب .

فصل في الكهانة

رُوي في مآثور الأخبار أن إبليسَ كان يَحْتَرِقُ السَّمَوَاتِ قَبْلَ عِيسَى ،
فلما بُعثَ عِيسَى ، أو وُلِدَ حُجِبَ عن ثلاث سَمَاوَاتٍ ، فلما وُلِدَ مُحَمَّدٌ حُجِبَ
عنها كُلُّهَا ، وَقُدِّفَتِ الشَّيَاطِينُ بِالنَّجُومِ وَقَالَتِ قَرِيشٌ حينَ كَثُرَ الْقَذْفُ بِالنَّجُومِ :
قَامَتِ السَّاعَةُ ، فقال عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : انظُرُوا إِلَى الْعَيُّوقِ (١) فَإِنْ كَانَ رُمَى بِهِ ،
فَقَدْ آنَ قِيَامُ السَّاعَةِ ، وَإِلَّا فَلَا ، وَمِنْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ .

(١) نجم أحمر مضيء في طرف الحجره الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

رمي الشياطين :

وذكر ابن إسحاق في هذا الباب ما رُميت به الشياطين ، حين ظهر القذف بالنجوم ، ثلثا يلتبس بالوحي ، وليكون ذلك أظهر للحجة ، وأقطع للشبهة ، والذي قاله صحيح : ولكن القذف بالنجوم قد كان قديماً ، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عَوْفُ بْنُ الْجَزْعِ ، وَأَوْسُ بْنُ حَجَرَ ، وبِشْرُ بْنُ أَبِي خازم ، وكلهم جاهلي ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم ، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مُشْكِلِ ابن قُتَيْبَةَ في تفسير سورة الجن^(١) ، وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن مَعْمَرٍ عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم : أكان في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلِّظَ وشُدِّدَ ، وفي قول الله سبحانه : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها مُمْلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝ الجن : ٨ الآية ولم يقل : حُرست دلائل على أنه قد كان منه شيء ، فلما بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - مُمْلِئَتْ حرساً شديداً وشُهَبًا ، وذلك لِمِنْحَسِمِ أمر الشياطين ، وتخليطهم ، ولتسكون الآية أبين ، والحجة أقطع ، وإن وجد اليوم كاهن ، فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع ، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ، ثم بقيت منه ، أعني من استراق السمع بقايا يسيرة

(١) انظر ص ١٨٤ ط ٢ ١ كتاب القرطبي الذي هذب فيه ابن مطرف الكنتاني كتابي مشكل القرآن أو غريبه لابن قتيبة ، وفي هذا يقول ابن قتيبة : وفي أيدي الناس كتب الأعاجم ، وسيرهم تنبيه عن انقضاخ النجوم في كل عصر ، وكل زمان ، وفيه بشر بن خازم وهو خطأ صوابه ما أثبتته ، انظر ترجمة ابن أبي خازم في الشعر والشعراء لابن قتيبة ،

بدليل وجودهم على التدور في بعض الأزمنة ، وفي بعض البلاد . وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكهان فقال : ليسوا بشيء ، قليل : إنهم يتكلمون بالكلمة ، فتكون كما قالوا ، فقال : تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنى ، فيقرؤها في أذن وليه قرء الزجاجة ، فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة ، و يروى : قرء الدجاجة بالدال ، وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل . والزجاجة بالزاي أولى ؛ لما ثبت في الصحيح ، فيقرؤها في أذن وليه ، كما تُقرء القارورة ، ومعنى يُقرؤها : يصبها ويُفرغها ، قال الرازي :

لَا تُفَرِّغَنَّ فِي أُذُنِي قَرَّهَا مَا يَسْتَفِرُّ فَأَرِيكَ فَقَرَّهَا

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس ، قال : إذا رمى الشهاب الجنى لم يُخطئه ، ويحرق ما أصاب ولا يقتله ، وعن الحسن قال : في أسرع من طرفة العين ، وفي تفسير ابن سلام أيضا عن أبي قتادة أنه كان مع قوم ، فرمى بنجم ، فقال : لَا تُتْبِعُوهُ أَبْصَارَكُمْ ، وفيه أيضا عن حفص أنه سأل الحسن : أَيُتْبَعُ بَصَرُهُ السُّكُوبُ . فقال : قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ الملك : ٥٠ . وقال : ﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكَوَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأعراف : ١٨٥ . قال : كيف نعلم إذا لم ننظر إليه ، لَا تُتْبِعْنَهُ بَصَرِي .

الجن الذين ذكرهم القرآن :

وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين : ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ

(١) وفي رواية : قرء الزجاجة بالزاي ، أى : بصوتها إذا صب فيها الماء

مُنْذِرِينَ، قَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ فِي الْأَحْقَافِ: ٣٠. وفي الحديث أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ^(١). وفي التفسير أَنَّهُمْ كَانُوا يَهُودًا؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَىٰ، وَلَمْ يَقُولُوا مَنْ بَعْدَ عِيسَى ذَكَرَهُ ابْنُ سَلَامٍ^(٢). وَكَانُوا سَبْعَةً، قَدْ ذُكِرُوا بِأَسْمَائِهِمْ فِي التَّفَاسِيرِ وَالْمُسْنَدَاتِ، وَهُمْ: شَاعِرٌ، وَمَاعِرٌ، وَمَنْشَى، وَلَا شَى، وَالْأَحْقَابُ، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ ذَكَرَهُمُ ابْنُ دُرَيْدٍ، وَوَجَدْتُ فِي خَبَرٍ حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْبِيلِيُّ الْقَيْدِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ النَّسَائِيِّ فِي فَضْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَمْشِي فِي أَرْضِ فَلَاةٍ فَإِذَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فَكَفَّنَهَا بِفَضْلَةٍ مِنْ رِدَائِهِ، وَدَفَنَهَا فَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: يَا سُرَّقُ أَشْهَدُ، لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ لَكَ: سَتَمُوتُ بَأَرْضِ فَلَاةٍ، فَيَكْفِنُكَ وَيُدْفِنُكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ الَّذِينَ تَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنَا وَسُرَّقُ، وَهَذَا سُرَّقُ قَدْ مَاتَ. وَذَكَرَ ابْنُ سَلَامٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ [عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ] السَّبَّيْعِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) ذَكَرَ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَعْرِبُهَا كَجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّلَامِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ نَصِيبُونَ وَهِيَ مَدِينَةُ عَامِرَةَ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ عَلَى جَادَةِ الْقَوَافِلِ مِنْ مَوْصِلَ إِلَى الشَّامِ وَنَصِيبِينَ أَيْضًا مِنْ قَرْيِ حَلَبٍ، وَنَصِيبِينَ كَذَلِكَ: مَدِينَةُ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ كَبِيرَةٌ تَعْرِفُ بِنَصِيبِينَ الرُّومِ.

(٢) مَا هَذَا الَّذِي يَنْقُلُهُ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ؟ إِنَّهُ تَهْوِيَةٌ خِيَالٍ. وَلَعَلَّهُمْ قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ التَّوْرَةِ كِتَابُ تَشْرِيعٍ يَنْسَخُ الشَّرَائِعَ قَبْلَهُ سِوَى الْقُرْآنِ، أَمَا الْإِنْجِيلُ فَيَذْكُرُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ

يُشُونَ فَرُفَعُ لَهُمْ إِعْصَارٌ ، ثُمَّ جَاءَ إِعْصَارٌ أَعْظَمُ مِنْهُ ، ثُمَّ انْقَشَعَ ، فَإِذَا حَيَّةٌ قَتِيلٌ ، فَعَمَدَ رَجُلٌ مَنَا إِلَى رِدَائِهِ فَشَقَّهُ ، وَكَفَّنَ الْحَيَّةَ بِبَعْضِهِ وَدَفَنَهَا ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ إِذَا امْرَأَتَانِ تَتَسَاءَلَانِ : أَيُّكُمْ دَفَنَ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقَالَا : مَا نَدْرِي مَنْ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقَالَا : إِنْ كُنْتُمْ ابْتَغَيْتُمُ الْأَجْرَ فَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ . إِنْ فَسَدَتِ الْجَنُّ اقْتَتَلُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ ، فَقَتِلَ عَمْرُو ، وَهُوَ الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتُمْ ، وَهُوَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ !!

ابن عسلاط والجحش :

فصل : وأما ما ذكره في معنى قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعْبُودُونَ بَرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ الآية : الجن : ٦ . فقد رُوي في معنى ذلك عن حجاج ابن عسلاط السَّكَمِي ، وهو والد نصر بن حجاج الذي قيل فيه :

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى نَصْرِ ابْنِ حَجَّاجٍ (١)

(١) يقول البغدادي في الخزانة : وحكى السهيلي في الروض الاتف هذه الحكاية على خلاف ما تقدم . قال : الحجاج بن عسلاط : وهو والد نصر الذي حلق عمر رأسه ، فنتفاه من المدينة ، فأتى الشام ، فنزل على أبي الأعور السلي فهو يته امرأته ، وهويها ، وفطن أبو الأعور لذلك ، بسبب يطول ذكره ، فابتنى له قبة في أقصى الحى ، فكان بها ، فاشتد ضناه بالمرأة حتى ماتت كلما بها ، وسمى المضنى ، وضربت به الأمثال ، وذكر الأصهباني في كتاب الأمثال له خبره بطوله ، انتهى . أقول : والقصة مشهورة في كتب الأدب والأمثال . قالوا : أول من عس بالليل في الإسلام : عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فبينما يعس ليلة سمع امرأة تقول :

(م ٢٠ - الروض الاتف ج ٢)

== ياليت شعري عن نفسي أراهقة منى ، ولم أقض ما فيها من الحجاج
ألا سبيل إلى خمر فأشربها أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتي ماجد الاخلاق ذى كرم سهل الحيا كريم غير فجفاج
تنمية أعراق صدق حين تنسبه ذى نجدات عن المكروب فراج
سامى النواظر من بهزله كرم تضى سفته فى الحالك الداجى
نعم الفتى فى سواد الليل نصرته لياثس أو للمهوف ومحتاج
يامنية لم أرب فيها بضائرة والناس من صادق فيها ومن داجى

قالوا : فدعا عمر المرأة وهى الذلعة. لقب فريعة بنت همام أم الحجاج - وضربه
بالدرة ضربات، ثم سأل عنها، فلم يخبر عنها إلا بخير، وأتى بنصر، وأمر بشعره لخلق.
ثم أرسل به إلى البصرة إلى مجاشع بن مسعود السلى، فكان ما كان منه بما ذكره
السهيل مختصراً — كما جاء فى خزائن البغدادى : وقيل إن المرأة أرسلت إلى عمر
بهذه الأبيات :

قل للإمام الذى تخشى بواده مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
إنى فتنت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف فاتر ساجى

أخ قالوا : فبكى عمر ، وقال : الحمد لله الذى حبس الهوى التقوى . وبعث عمر
إلى المرأة : لم يلقنا عنك إلا خير، وقد ضرب المثل للمرأة عذبة، فقالوا : «أصب من
المتمنية ، وبنصر ، فتالوا : «أدنف من المتمنى ، وقالوا : إن هذه المتمنية هى
الفريعة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفى. والبيت الأول يروى : «ألا سبيل إلى
خمر فأشربها ، وهى — كما يقص البغدادى — رواية الجاحظ وحمزة الأصهانى
والسهيل لكنك ترى الرواية فى الروض «أم لا سبيل أخ. وروى المدائنى وغيره :
هل من سبيل ، ويروى الزجاج المصراع المذكور فى الروض :

أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

ودواه أبو على الفارسى فى إيضاح الشعر عن أبى عبيدة :

أولا سبيل إلى نصر بن حجاج

أنه قدِم مكة في ركب ، فأَجَنَّهُم لليلِ بوادٍ مُحُوفٍ مُوحشٍ ، فقال له
الركب : قم خذ لنفسك أماناً ، ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أَعِيزْ نَفْسِي وَأَعِيزْ صَاحِبِي

من كل جِيٍّ بِهَذَا النَّقْبِ

حتى أُهَوِّبَ سَالِمًا وَرَكْبِي

فسمع قارئاً : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْمِعْتُمْ أَنْ تَتَفَكَّرُوا مِنْ
أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [فَاثْفُكُّوا ، لَا تَتَفَكَّرُونَ إِلَّا بِسَاطَانٍ] ﴾ الآية .
الرحمن : ٣٣ . فما قدم مسكة خبَرَ كُفْرَ قُرَيْشٍ بما سمع ، فقالوا : أصبت (١)
يا أبا كلابٍ . إن هذا يزعم محمد أنه أنزل عليه ، فقال : والله لقد سمعته
وسمعه هؤلاء معي ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وابتغى بها
مَسْجِداً فهو يُعرف به (٢) .

= على أن أو بمعنى : الواو . وروايته د . ألا ، يستشهد بها النحويون على أن
د . ألا ، تستعمل للتمني . ويقول البغدادي : وقال قوم : هذا الشعر مصنوع
إلا البيت الأول د . ألا سبيل أخ ، وقد جمع البغدادي كل أطراف القصة ، وقال
عن الشعر : د . ولا يخفى ما فيه من الاختلاف من جميع الجهات حتى في البيت الشاهد ،
انظر ص ٥٩ وما بعدها ، ط السلفية خزانة الأدب للبغدادي والأمثال
الميداني في حرف الصاد ما جاء منه على وزن أفعل . و ص ٥١٣ ح ٢ ألفه
بام ليوسف بن محمد البلوي .

(١) روى البلوي نفس القصة ، وفيها د صبات ، بدلا من أصبت وهو التليق

(٢) ما ذكره هنا لا سند له ، وسنذكر ما ورد من أحاديث حول استماع الجن . روى

البیهقي في الدلائل عن ابن عباس : ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على =

الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذى حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بنحلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم : قالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشd ، فأما به ، ولن نشرك بربنا أحداً ، وأنزل الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم — (قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحى إليه قول الجن ، ورواه البخارى عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيخان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من حديث أبي عوانة ، وروى أحمد عن ابن عباس أنه قال : كان الجن يستمعون الوحى ، فيسمعون الكلمة ، فيريدون فيها عشراً ، فيكون ما سمعوا حقاً ، وما زادوا باطلاً ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أحدهم لا يأتى بمقعدة إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابت

فشكروا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث . فبث جنوده فإذا بالنبي — صلى الله عليه وسلم — يحلى بين جبلى نخلة فأثروه ، فأخبروه . فقال : هذا الحدث الذى حدث فى الأرض . ورواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير وقال الترمذى : حسن صحيح . وروى البخارى ، قال : حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة ، يقول : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : إن نبي الله — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — قال : إذا قضى الله تعالى الأمر فى السماء —

== ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ما ذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعون مسترق السمع، ومسترقوا السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه خرفاه، وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة، فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها - وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قاله لنا يوم كذا وكذا: كذا، وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء، انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه، وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والله أعلم. وروى أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالسا في نفر من أصحابه، فرمى بنجم، فاستنار، فقال - صلى الله عليه وسلم - ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم، أو يموت عظيم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا - سبج حلة العرش، ثم سبج أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستخير أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستخير أهل السماء الذين يلون حلة العرش، فيقول الذين يلون حلة العرش حلة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطفه الجن السمع، فيرمون، فما جاءوا به على وجهه، فهو حق، ولكمهم يفرقون فيه ويؤيدون، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعاقل بن عبيد الله، أربعتهم، عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من الأنصار به. وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به، ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي. عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من الأنصار - رضي الله عنه، وحسب المؤمن في مثل هذا وغيره أن يتدبر القرآن أولا، ثم الصحيح المشهود له بالصحة القوية من الحديث ==

مول انقطاع الكهانة :

فعل : وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه : كنا نقول إذا رأينا : يموت عظيم أو يولد (١) عظيم ، وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديماً ، ولكنه إذ بُعث الرسول عليه السلام غلظت وشدت — كما قال الزهري — وملئت السماء حرساً . وقوله في آخر الحديث : وقد انقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة . يدل قوله : اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه ، والذي انقطع اليوم ، وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجاهلاء ، وعند تمسكها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبرٌ منهم عما يرونه في الأرض ، مِمَّا لا نراه نحن كسرقه سارقٍ ، أو خبيثته في مكان خفي (١) ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تحريضاً وتظنيماً ، فيصيبون قليلاً ، ويخطئون كثيراً .

وذلك القليل الذي يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة في العنّان ، كما

== لأن موضوع الجن من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يعرف إلا عن الوحي . وقول الله تعالى في سورة الاحقاف وسورة الجن يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن الذين استمعوا له .

(١) ذكرته من قبل

(٢) هذا إلفك يفتره الدجاجة . وأحب أن أذكر بقصة الجن الذين مات سليمان أمام أعينهم دون أن يعلموا (فلما خر تبست عينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) فلنتدبر هذه الآية المحكمة تؤمن بأن الجن لا يعرفون غيباً كما بين الله . بل إنهم لم يعرفوا حتى ما وقع تحت عيونهم !!

في حديث البخاري ، فَيُطَرَّدُونَ بالنجوم ، فيضيئون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة — كما قال عليه السلام — في الحديث الذي قدمناه ، فإن قلت : فقد كان صاف بن صياد ، وكان يَتَكَهَّنُ ، ويدعى النبوة ، وخبأ له النبي — صلى الله عليه وسلم — خَبِيئَةً ، فعلمه ، وهو الدُّخُّ (١) فأين انقطاع السكّهانة في ذلك الزمان ؟ قلنا : عن هذا جوابان ، أحدهما ذكره الخطابي في أعلام الحديث قال : الدُّخُّ نبات يكون من النخيل ، وخبأ له عليه السلام : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ الدُّخَانُ : ١٠ ، فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأ له النبي — صلى الله عليه وسلم .

(١) بضم الدال وفتحها : الدخان ، ويقول ابن الأثير في النهاية : وفسر في الحديث أنه أراد بذلك : (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وقيل إن الدجال يقتله عيسى عليه السلام بجبل الدخان . انتهى . فيحتمل أن يكون أرادته تعريضاً بقتله ، لأن ابن صياد كان يظن أنه الدجال ، وحديث ابن صياد متفق عليه ، وفيه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لابن صياد : ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خلط عليك الأمر ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إني خبأت لك خبيئاً وخبأ له . (يوم تأتي السماء بدخان مبين) فقال : هو الدُّخُّ ، فقال : اخسأ : فلن تعدو قدرك الحديث . وإذا كان الله سبحانه قد نفي علم الغيب عن الجن وعن الملائكة وعن الرسل ، فكيف يجوز لنا أن ننسب إلى دجال كابن صياد أنه كان يعرف الغيب ؟ ولا أظن أن رسول الله ص ، — على فرض الصحة — قصد من الاختبار هل يعرف ابن صياد الغيب أو لا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يؤمن قبل هذا بأن الله وحده هو عالم الغيب ، وأنه لا ابن صياد ، ولا غيره يعلمون من الغيب شيئاً . إنما قصد الرسول بالاختبار أن يظهر أمام الحضور وأن يوضح حقيقة ابن صياد . وهي أنه مفسر كذاب ، وأن علم الغيب إنما هو لله وحده .

الثاني : أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض ، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم ، فإن كان أراد بالدُّخَّ الدخان بقوة جُعِلَتْ لهم في أسماهم ليست لنا ، فأتى الكلمة عن لسان صافي وحدها ، إذ لم يمكن سماع سائر الآيات ؛ ولذلك قال له النبي - عليه السلام : اخسأ فلن تعدو قدر الله فيك أي : فلن تعدو منزلتك من العجز عن علم الغيب ، وإنما الذي يمكن في حقه هذا القدر دون مزيد عليه ، على هذا النحو فسرره الخطابي .

الغيطلة الطاهنة وكرائها :

فصل : وذكر حديث الغيطلة الكاهنة ، قال : وهي من بنى مرة بن عبد مناة بن كنانة أخى مُدَلِجٍ ، وهي : أم الغياطل الذي ذكر أبو طالب ، وسند ذكر معنى الغيطلة عند شعر أبي طالب إن شاء الله . ونذكر هاهنا ما ألفيته في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضع . قال : الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِقِ ابن شنوق بن مرة ، وشنوق أخو مُدَلِجٍ ، وهكذا ذكر نسبها الزبير .

وذكر قولها : شعوب وما شعوب ، تُصرع فيها كعبٌ لجنوب . كعبٌ ههنا هو : كعب بن لؤي ، والذين صرعو الجنوبهم ببدرٍ وأحدٍ من أشرف قريش ، معظمهم من كعب بن لؤي ، وشعوبٌ ههنا أحسبه بضم الشين ، ولم أجده مقيدا ، وكأنه جمع شعب ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يُدر ما قالت ، حتى قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ببدرٍ وأحدٍ بالشَّعب (١) .

(١) ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمنية لا يصرف ص ٦٨ الحشني .

وذكر قول التابع : أذُر ما أذُر ، وقيد عن أبي عليّ فيه رواية أخرى : وما بذُر ؟ وهي أبين من هذه ، وفي غير رواية البَـكَّائِي عن ابن إسحاق أن فاطمة بنت النعمان النَجَّارِيّة كان لها تابعٌ من الجن ، وكان إذا جاءها اقتحم عليها في بيتها ، فلما كان في أول البعث أتاها ، فقمعد على حائطِ الدار ، ولم يدخل فقالت له : لم لا تدخل ؟ فقال : قد بُعث نبي بتحريم الزَّنا ، فذلك أول ما ذُكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (١) .

تقيف ولهب والرمي بالنجوم :

فصل : وذكر إنكار تقيف للرمي بالنجوم ، وما قاله عمرو بن أمية أحد بني عِلاجٍ إلى آخر الحديث ، وهو كلام صحيح المعنى ، لكن فيه إيهاما لقوله : وإن كانت غير هذه النجوم فهو لأمرٍ حدث ، فما هو وقد فعل ما فعلت تقيف بنو لَهَبٍ عند فرعهم للرمي بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خَطَر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة . روى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لَهَبٍ يقال له : لَهَبٌ أو لَهَيْبٌ (٢) . وقد تكلمنا على نسب لَهَبٍ في هذا الكتاب . قال لَهَيْبٌ : حضرت مع رسول

(١) لا أدري كيف يلحق السهيلي وأمثاله آذانهم إلى مثل هذا الخرف ، وإلى الباطل الذي يؤكد القرآن أنه باطل . ولنتدبر عشرات الآيات في القرآن التي تنفي علم الغيب عن غير الله . وتابعتها : شيطان إنسى بدليل الزنا ١١
(٢) في الأصل : لهيب أو لهيب ، وهو خطأ صوبته من الإصابة ، فابن منده يقول : ولهيب بالتصدير بن مالك اللهي ، وأبو عمر يقول : لهب مكبرا وبه جزم الرشاطي . .

الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت عنده الكهانة ، فقالت : بأبي وأمي : نحن أول من عرف حراسة السماء ، وزجر الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خطر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً ، قد أنت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا : يا خطرُ هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها ، فإننا قد فرغنا لها ، وخشينا سوء عاقبتها ؟ فقال :

إِنْتُوْنِي بِسَحَر

أَخْبِرْكُمْ الْخَبَر

أَبْخَيْرُ أَمْ ضَرر

أَوْ لِأَمْنٍ أَوْ حَذر

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناها ، فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص في السماء بعينه ، فننادينا : أخطرُ يا خطرُ ؟ فأومأ إلينا : أن أمسكوا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعا صوته :

أَصَابَهُ إِصَابُهُ خَامَرُهُ عَقَابُهُ

عَاجِلُهُ عَذَابُهُ أَحْرَقَهُ شِهَابُهُ

زَالَهُ جَوَابُهُ

يَا وَبَّاهُ مَا حَالُهُ بَدَبَهُ بَلْبَاهُ

عَاوَدَهُ خَبَاهُ تَقَطَّطَ حَبَاهُ

وغيَّرت أحواله

ثم أمسك طويلاً وهو يقول :

يا معشرَ بني قَحْطَانَ أخبركم بالحقِّ والبيان
أقسمت بالكعبة والأركانِ والبلدِ المؤمنِ الشَّدَانِ
لقد مُنِعَ السَّمْعَ عُنَاةُ الجَانِ بِنَاقِبِ بَكْفٍ ذِي سُلْطَانِ
من أَجْلِ مَبْعُوثٍ عَظِيمِ الشَّانِ يُبْعَثُ بِالتَّنْزِيلِ والقُرْآنِ
وبالهدى وفصلِ القرآنِ تَبْطُلُ به عِبَادَةُ الأوثَانِ

قال: فقلنا: وَيَحْكُ يا خَطَرَ إِنَّكَ لَتَذَكِّرُ أَسْرَأَ عَظِيماً، فإذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى لِقَوْمِي ما أرى لِنَفْسِي أَنْ يَتَّبِعُوا خَيْرَ نَبِيِّ الْإِنْسِ
بُرْهَانُهُ مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ يُبْعَثُ فِي مَكَّةَ دَارِ الْخُسِ
بِمُحْكَمِ التَّنْزِيلِ غَيْرِ اللَّبْسِ

فقلنا له : يا خَطَرُ، وَمَنْ هُوَ؟ فقال : والحياة والعيش . إنه لمن
قَرِيشٍ، ما في حِلْمِهِ طَيْشٌ، ولا في خَلْقِهِ هَيْشٌ (١) يكون في جَيْشٍ، وأى
جَيْشٍ، من آل قَحْطَانَ وآل أَيْشٍ، فقلت له : بين لنا: من أى قَرِيشٍ هو؟
فقال : والبيت ذى الدعائم، والركن والأحائم، إنه كَيْنِ نَجْلِ هَاشِمٍ، من
معشرِ كُرَائِمٍ، يُبْعَثُ بِالتَّلَاحِمِ، وقتل كل ظالم، ثم قال : هذا هو البيان،
أخبرنى به رئيس الجان، ثم قال : الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن
الجن الخبر- ثم سكوت وأغنى عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاثة، فقال : لا إله إلا

(١) ليس في طبيعته وسجيته قول فيبح .

الله ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لقد نطق عن مثل نبوءة ، وإنه
لُيَبْعَثُ يوم القيامة أمة وحده (١).

أصل ألف إصابت :

قال المؤلف : في هذا الخبر قوله : أصابه إصابه ، هكذا قيدته بكسر الهمزة
من إصابه على أبي بكر بن طاهر ، وأخبرني به عن أبي علي القسائي ، ووجهه
أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح [ووسادة
وإسادة] ، والمعنى : أصابه وصابه جمع : وصب مثل : بجل وجمالة ،
معنى كلمة أبش والأصائم :

وقوله : من آل قحطان وآل أيش ، يعني بآل قحطان : الأنصار ؛ لأنهم من
قحطان . وأما آل أيش ، فيجتمعل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ، ينسبون إلى
أيش ، فإن يكن هذا ، وإلا فله معنى في المدح غريب ، تقول : فلان أيش هو وابن
أيش ، ومعناه : أى شىء أى شىء عظيم فمكانه أراد من آل قحطان ، ومن المهاجرين
الذى يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم ، وما هم ؟ وزيد وما زيد ، وأى شىء زيد ،
وأيش فى معنى : أى شىء ، كما يقال ويُلْمُهُ فى معنى : ويل أمه (٢) على الحذف .

(١) هو فى الإصابة مع اختصار واختلاف يسير عما هنا . وعيب السهلى
أنه يصدق مثل هذا ، ويعلق عليه كأنه صحيح . بينما يقول أبو عمر : إسناده
ضعيف ، ورواته مجهولون ، وعامة بن زيد راوى الحديث اتهموه بوضع الحديث .
(٢) ويل أمه : أى هو داهية . ويقول ابن جنى د وأما وزن قوله : ويلمه
فإن حكيت أصله ، فوزنه (فع ل عله) وإن وزنت على ما صار إليه بعد .
التركيب فمثالها (فيعلة) بسكون الياء وضم العين وتضعيف اللام مع فتح فإن قلت :
فإن هذا مثال غير موجود ، قيل : إنما ينكر هذا : لو كان المثال أصلا برأسه
، فاما وهو فرع أدى إليه التركيب شيئا بعد شىء ، فلا ينكر ذلك ... ويجوز =

لكثرة الاستعمال ، وهذا كما قال : هو في جيش أيما جيش ، والله أعلم . وأحسبه أراد بآل أيش : بنى أقيش ، وهم حلفاء الأنصار من الجن ؛ فحذف من الاسم حرفاء ، وقد تفعل العرب مثل هذا ، وقد وقع ذكر بنى أقيش في السيرة في حديث البَيْمَةِ .
وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد : الأحوام بالواو ، فهمز الواو لانكسارها ، والأحوام : جمع أحوام والأحوام جميع حَوْم ، وهو الماء في البئر ، فكأنه أراد : ماء زمزم ، والحوْم أيضاً : إبل كثيرة ترد الماء ، فعبّر بالأحائم عن وُرَاد زمزم ، ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التي تحوم على الماء ، فيكون بمعنى الحوائم ، وقلب اللفظ ، فصار بعد فواعل : أفاعل ، والله أعلم .

دى جنب :

فصل : وذكر أن جَنْباً وهم حتى من النمين اجتمعوا إلى كاهن لهم ، فسألوه عن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - حين رمى بالنجوم إلى آخر الحديث : جَنْبٌ هم من مَذْحِج ، وهم : عَيْدُ الله ، وَأَنْسُ الله ، وزَيْدُ الله ، وأَوْسُ الله ، وجُعْفَى ، والحكَم ، وجرّوة ، بنو سعد العشيرة ^(١) بن مَذْحِج ، ومَذْحِج هو : مالك بن أَدَد ، وسمّوا : جنباً لأنهم جانبوا بنى عمهم ضَدَاءً .
= أن يكون قولهم : (ويله) أصله : ويل لأمه ، ثم حذف حرف الجر والهمزة - التي هي فاء - والتنوين ، أو لم ينون ، لأنه نوى المعرفة كغفاق ، فبقى : ويله) ص ١٦ التمام في تفسير أشعار هذيل ط بغداد . وقال ابن الشجري ، أنها يقال بضم اللام وكسرهما ، وانظر ص ٢٥١ > ٣ خزانة البغدادى ط السلفية ، فقد فصل القول فيها . وفيه أن معناها مدح خرج بلفظ الذم . وأنها يقال المستجاد وللداهية .
(١) في جمهرة ابن حزم عن ولد سعد العشيرة أنهم : الحكم - وبه كان يكنى - والصعب ونمرة لأمهات شتى ، وجعفى وعائد الله ، وأوهن الله ، وزيد الله وأنس الله ، والحر أمهم : أسماء بنت أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة ص ٣٨٣

ويزيدا بنى سعد المشيرة بن مذحج (١) . قاله الدارقطني . وذكر في موضع آخر خلافاً في أسماهم ، وذكر فيهم بنى غليّ بالغين ، وليس في العرب غليّ غيره ، قال مهمل :

أَنْسَكْهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْجِبَاهُ مِنْ أَدَمَ

وهي خلت في وسيم

فصل : وذكر حديث عمر ، وقوله للرجل : أكنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ خِلْتُ (٢) في ، واستقبلتني بأمر ما أراك استقبلت به أحداً منذ وليت ! وذكر الحديث ، وقوله : خِلْتُ في هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خِلْتُ وظننت ، كقولهم في المثل : مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذفت الجملة كلها جاز ؛ لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، ففي قولهم : مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفي قوله ، خِلْتُ في دليل أيضاً ، وهو قوله : في ، كأنه قال : خِلْتُ الشَّرَفِ أو نحو ، هذا وقوله : قبل الإسلام بشهر أو شيعه أي : دونه بقليل ، وشيع كل شيء : ما هو تبع له ، وهو من

(١) في الاشتقاق لابن دريد وهو يتكلم عن مذحج (ومن بطونهم بنو منبه ابن حرب بن يزيد والحارث والغلي وسبحان وشمران وهنّان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا قومهم) ص ٤٥٥ .

(٢) يقال : خلت بالكسر إخال وهو الإفصح ، وبنواسد يقولون : أخال بالفتح وهو القياس . المعنى : من يسمع أخبار الناس ومعايهم ، يقع في نفسه عليهم المكروه .

الشياع وهي : حطب صفار تجمل مع الكبار قبماليها ، ومنه : المشيعة ، وهي :
الشاة تتبع الغنم ، لأنها دونها في القوة .

جلج وسواد بن قارب :

والصوت الذي سمعه عمر من العجل يا جليج^(١) سمعت بعض أشياخنا
يقول : هو اسم شيطان ، والجليج في اللغة : ما تطاير من رموس النبات ، وخف
نحو القطن وشبهه ، والواحدة : جليجة ، والذي وقع في السيرة : يا ذريح ، وكأنه
نداء للعجل المذبوح لقولهم : أحمر ذريح^(٢) ، أي : شديد الحمرة ، فصار وصفا
للعجل الذبيح من أجل الدم : ومن رواه : يا جليج ، فآله إلى هذا المعنى ؛ لأن
العجل قد جُلج أي : كشف عنه الجلد ، فآله أعلم ، وهذا الرجل الذي كان كاهنا
هو سواد بن قارب الدوسي في قول ابن الكلبي ، وقال غيره : هو
سدوسي^(٣) وفيه يقول القائل :

أَلَا اللَّهُ عِلْمٌ لَا يُجَارَى إِلَى الْغَايَاتِ فِي جَنبِ سَوَادٍ
أَتَيْنَاهُ نَسَائِلَهُ امْتَحَانًا فَلَمْ يَبْعَلْ ، وَأَخْبَرَ بِالسَّدَادِ^(٤)

وهذان البيتان في شعر وخبر ذكره أبو علي القالي في أماليه ، وروى غير
ابن إسحاق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه ، وأن عمر مازحه ، فقال : ما فعلت :

(١) هذه رواية البخاري .

(٢) قال ابن حبيب : كل سدوس في العرب مفتوح إلا سدوس بن أجمع
ابن أبي عبيد بن ربيعة بن نصر .

(٣) في الأمالي (وتحسب أن سيعمد بالعناد) والخبر كما قال مطولا في الأمالي
ص ٢٨٩ ط ٢٠ والشعر منسوب إلى عارف الشاعر . وهو كلام غسيب
كلام لا يحنو عليه عقل ، ولا يصلح له دين

كها تَنْكُ يا سواد؟! ففَضِب ، وقال : قد كنت أنا وأنت على شرٍّ من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتاتِ ، أفتُعيرني بأمر تبت منه؟! فقال عمر حينئذ : اللهم غنراً . وذكر غير ابن إسحاق في هذا الحديث سيافة حسنة وزيادة مفيدة ، وذكر أنه حَدَّثَ عمر أن رَئِيَّةَ جاء ثلاث ليال متواليات ، هو فيها كلها بين النائم واليقظان ، فقال : قم يا سواد ، واسمع مقاتلي ، واعقل إن كنت تعقل ، قد بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لُؤَيِّ بن غالب يدعو إلى الله وعبادته ، وأنشده في كل ليلة من الثلاث الليالي ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة :

عجبت لِلْجِنِّ وتَطلَّابها وشَدَّها الْعِيسَ بِأَقْتَابِها
تَهْوِي إلى مَكَّةَ تبغِي الهُدَى ما صادَقُ الْجِنَّ كَكَذَابِها
فَارْحَلْ إلى الصَّنَوَةِ من هاشم ليس قَدَامَها (١) كَاذُناها

وقال له في الثانية :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وإِبْلَاسِها وشَدَّها الْعِيسَ بِأَخْلَاسِها
تَهْوِي إلى مَكَّةَ تبغِي الهُدَى ما طَاهَرُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِها
فَارْحَلْ إلى الصَّنَوَةِ من هاشم ليس ذُنَابِي الطَّيْرِ من رَأْسِها (٢)

(١) في الخصائص للسيوطي : قدام ، وهو صحيح المعنى أيضا .

(٢) في البداية لابن كثير ، وفي الخصائص للسيوطي : ما مؤمنوها مثل أرجاسها - واسم بعينيك إلى رأسها . وفي السيرة الحلبية : ما خير الجن كأنجاسها ، وARM بعينيك إلى رأسها ، بدلا من : « ما طاهر الجن الخ و ليس ذنابي الطير الخ » .

وقال له في الثالثة :

عجبت للجنِّ وتنفَّارِها (١) وشَدَّها العيسَ بأَكوارِها
تَهَوَّى إلى مكة تبغى الهدى مامؤنُ الجنِّ ككفَّارِها (٢)
فارحلَ إلى الأتقين من هاشمٍ ليس قداماها كأدبارِها (٣)

وذكر تمام الخبر، وفي آخر شعر سواد قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنشده ما كان من الجنى رِثِيَّةً ثلاث ليال متواليات، وذلك قوله :

أنا نى نَجَّيْ بمد هَذِهِ رِقْدَةٍ (٤) ولم يك فيما قد بَلَوْتُ بكاذب
ثلاثَ ليالٍ قولُهُ كلَّ ليلة أتاكَ نَبِيٌّ (٥) من لُؤمَى بن غالب
فَرَفَعْتُ أَذْيالَ الإزارِ وشَمَرْتُ بِي العِرمِسُ الوَجْناهُجُولِ السَّباسبِ (٦)
فأشْهَدُ أنَّ اللهَ لا شَيْءَ غَيْرُهُ وأَنْتَ مامونٌ على كلِّ غائب

(١) في الخصائص : وتجسارها.

(٢) في الخصائص : ليس ذو الشر كأخيارها .

(٣) في الخصائص : مامؤنوا الجن ككفارها .

(٤) في الخصائص : درئى ، وليل وهجمة . .

(٥) في الخصائص : رسول .

(٦) في الخصائص :

فشمِرت عن ساقى الإزار ، ووسطت فى الذَّعْطِ الوَجْناهُجُولِ عند السَّباسب
والعرمس : الناقة الصلبة . والوجناء : العظيمة الوجنتين . والهجول : جمع
هجل : المطمئن من الأرض . والسباسب : جمع . سبب ، وهى المفاضة من
الأرض ، أو الأرض البعيدة المستوية . والذعلب بكسر الذال واللام أو الذعلبة :
الناقة السريعة .

وَأَنْتَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيْلَةً^(١) إِلَى اللَّهِ يَا بَنِيَ الْكَرَمِينِ الْأَطْلَابِ
فَمُرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا^(٢) وَإِنْ كَانَ فِيمَا جِئْتَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ بِمُعْنٍ^(٣) فَتَيْلَأَنَّ سَوَادُ بَنِ قَارِبِ

- (١) فِي الْخَصَائِصِ : شَفَاعَةٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّهُ وَسِيْلَةٌ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْمَعْنَى
الْشَّرْعِي الْمَحْكَمِ الَّذِي يَنْبَغِي الشَّرْكَ ، وَيُثْبِتُ التَّوْحِيدَ ، وَالْوَسِيْلَةُ هُنَا : حُبُّهُ وَحُبُّ اللَّهِ
وَطَاعَتُهُ وَطَاعَةُ اللَّهِ ، أَيْ : اتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ ، وَالْإِنْتِهَاءُ عَمَّا نَهَى عَنْهُ . أَمَّا الْمَعْنَى
الشَّرْكَى الَّذِي يَنْبَغِي الْإِيمَانَ ، فَهُوَ أَنْ نَتَوَسَّلَ بِذَاتِهِ أَوْ قَبْرِهِ لَا بِطَاعَتِهِ وَحُبِّهِ .
- (٢) فِي الْخَصَائِصِ : يَا خَيْرَ مَنْ شِئْ ، وَفِي رَوَايَةٍ : يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ .
- (٣) فِي الْخَصَائِصِ : سَوَائِكُ . وَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ هُوَ طَلَبُهَا عَنْ لَا يَمْلِكُهَا ، وَلَا
يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا ، وَإِنَّمَا لَهُ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنْ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلِنَتَدَبَّرَ مَعَ اقْوَالِهِ سُبْحَانَهُ : « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَغَيْرُهَا .
مِنْ الْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ بِأَنْ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ الشَّفَاعَةِ شَيْئًا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَهَذَا
الْبَيْتُ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْقِصَّةَ مُوَضَّوعَةٌ ، وَأَنَّ الْقَصِيْدَةَ مُصْنُوعَةٌ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ دِينَ صَحَابِيٍّ ، بَلْ
لَمْ يَكُنْ مِنْ دِينَ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ «ص» . وَالْبَيْتُ مِنَ الْبُيُوتِ
الَّتِي يَسْتَشْهَدُ بِهَا النَّحْوِيُّونَ . وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ : « بِمُعْنٍ » ، حَيْثُ أَدْخَلَ الْبَاءَ الزَّائِدَةَ .
فِي خَبَرٍ لَا ، كَمَا تَدْخُلُ فِي الْخَبَرِ الْمُنْفَى بِلَيْسَ وَمَا ، وَذَاكَ قَلِيلٌ ، وَهَذِهِ الْبَاءُ لَتَأْكِيدِ
النَّفْيِ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ، أَمَّا عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ فَهِيَ لِدَفْعِ تَوْحُمِ الْإِثْبَاتِ . وَرَأَى الْكُوفِيُّونَ هُوَ
الصَّحِيحُ . وَلَا نَافِيَةَ حِجَازِيَّةٍ تَعْمَلُ عَمَلُ لَيْسَ ، وَلِهَذَا رَفَعْتُ ذُو . وَقَدْ رَوَى
الْبُخَارِيُّ قِصَّةَ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلِيمَانَ الْحَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ
وَهْبٍ ، عَنْ عُمَرُو - وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ - أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرُورٍ - بَنِي
عَمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ . وَسَوَادُ بْنُ قَارِبٍ مِنْ أَهْلِ السَّرَاةِ - كَمَا قِيلَ - مِنْ جِبَالِ الْبَلْقَاءِ
لَهُ صُجَّةٌ - كَمَا يَحْكِي - وَوَفَادَةٌ . وَقِيلَ : كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْبَلْقَاءِ ، وَهَنَّاكَ فِي بَعْضِ
الطَّرِيقِ الَّتِي رَوَى مِنْهَا هَذَا الْحَدِيثُ مَا يُبَيِّنُ حَوْلَهُ الشُّكَّ ، بَلْ فِي الْفَاقِظَةِ نَفْسُهَا .
وَالْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُ لَهُ ، وَتَدَبَّرْ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : (لِأَنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ

سواد وروس عند وفاة الرسول « ص » :

واسود بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقام حينئذ سواد ، فقال : يا معشر الأزد ، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بفيرهم ، ومن شقاؤهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم ، ومن لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لم يسمع الحق لم يسمع الباطل ، وإنما تسلمون اليوم بما أسلمت به أمس ، وقد علمتم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم ، وأوعد قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعه منكم عُدّة ولا عدد ، وكل بلاء مني إلا ما بقي أثره في الناس ، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكّر من أهل العافية للعافية ، وإنما كفّ نبي الله عنكم ما كفكم عنه ، فلم ترالوا خارجين مما فيه أهل البلاء ، داخلين مما فيه أهل العافية ، حتى قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد ، ونقب النقيب عن الغائب ، ولست أدري لعله تكون للناس جولة فإن تكن ، فالسلامة منها : الأناة ، والله يُحبّها ، فأحبوها . فأجابه القوم وسمعوا قوله ، فقال في ذلك سواد بن قارب :

= لا تروهم ، والجليح - كما فسر - هو الوقح المكافح بالعداوة ، وفي رواية . يا آل ذريح ، وهو بطن مشهور في العرب ، والقلاص : جمع قلص ، وهذه جمع قلوص : الفتية من النياق ، والاحلاس : جمع حلس ما يوضع على ظهر البعير ليقى الرجل من الدبر ، وأبلس الرجل : سكت ذليلا أو مغلوبا ، والعيس : الإبل الكرام . انظر ص ١٤٤ > ٧ فتح الباري ، و ص ٢٥٢ > ١ الخصائص للسيوطي > ١ دار الكتب الحديثة ، ص ٦٨ شرح السيرة للخشنى ، وبلوغ الأرب > ٣ ص ٢٣ ، ٣٠٢ ، وجمع الزوائد للهيتمي .

جَلَّتْ مَصِيبُكَ الْغَدَاةَ سَوَادُ وَأَرَى الْمَصِيبَةَ بَعْدَهَا تَزْدَادُ
أَبْقَى لَنَا فَقْدُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ - مَا يَعْتَادُ
حُزْنًا لَعَمْرُكَ فِي الْفَوَادِ مُحَامِرًا أَوْهَلْ لِمَنْ فَقْدُ النَّبِيِّ فَوَادُ؟
كُنَّا نَحُلُّ بِهِ جَنَابًا مُمَرِّعًا جَفَّ الْجَنَابُ، فَاجْدِبِ الرُّوَادُ
فَبَكَتْ عَلَيْهِ أَرْضُنَا وَسَمَاؤُنَا وَتَصَدَّعَتْ وَجْدًا بِهِ الْأَكْبَادُ
قَلَّ الْمَتَاعُ بِهِ، وَكَانَ عِيَانُهُ خُمُومًا تَضْمَنَ سَكْرَتِيهِ رِقَادُ
كَانَ الْعِيَانُ هُوَ الطَّرِيفَ وَحِزْنُهُ بَاقٍ لَعَمْرُكَ فِي النَّفُوسِ تِلَادُ
إِنِ النَّبِيَّ وَفَاتِهِ كَحَيَاتِهِ الْحَقُّ حَقٌّ وَالْجَهَادُ جِهَادُ
لَوْ قِيلَ: تَقْدُونُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا بُذِلَتْ لَهُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ
وَتَسَارَعَتْ فِيهِ النَّفُوسُ بِبَذْلِهَا هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ
هَذَا، وَهَذَا لَا يَرِدُ نَبِيَّنَا لَوْ كَانَ يَقْدِيهِ فِدَاءُ سَوَادُ
أَنَّى أَحَازِرُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً أَمْرًا لِعَاصِفِ رِيحِهِ إِرْعَادُ
إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَأَنْتُمْ لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَفَتْ بَنَّا - أَوْتَادُ
لَوْ زَادَ قَوْمٌ فَوْقَ مُنْيَةِ صَاحِبِ زِدْتُمْ، وَلَيْسَ لِمُنْيَةٍ مَزْدَادُ

هذه فريسة

فإنجب القومَ شِعْرُهُ، وقوله: فأجابوا إلى ما أحب، ومن هذا الباب خبرُ
سَوْدَاءَ بِنْتِ زُهْرَةَ بْنِ كَلَابٍ، وذلك أنها حين ولدت ورآها أبوها زرقاءَ
شيماءَ (١) أمرَ بَوَادِيهَا، وكانوا يَمْدُون مِنَّ الْبَنَاتِ ما كان على هذه الصفة
فأرسلها إلى الْحِجُونَ لتدفن هناك، فلما حفرها الحافِرُ، وأراد دفنها سمع هاتفا يقول:

(١) صافية البياض فيها شامة، تعطىها جمالا.

لَا تَذُنُ الصَّيِّئَةَ ، وَخَلَّهَا فِي الْبَرِيَّةِ ، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَعَادَ لِدَفْنِهَا ، فَسَمِعَ
الْمُهَاتِفَ يَهْتَفُ بِسَجْعٍ آخَرَ فِي الْمَعْنَى ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهَا ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ ، فَقَالَ :
إِنْ لَهَا لُشَانَا ، وَتَرْكُهَا ، فَكَانَتْ كَاهِنَةً قُرَيْشَ ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِبَنِي زُهْرَةَ : إِنْ
فِيكُمْ نَذِيرَةٌ ، أَوْ تَلِدُ نَذِيرًا ، فَأَعْرِضُوا عَلَيَّ بَنَاتِكُمْ ، فَعَرَضْنَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ فِي
كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قَوْلًا ظَهَرَ بَعْدَ حِينٍ ، حَتَّى عُرِضَتْ عَلَيْهَا آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ ،
فَقَالَتْ : هَذِهِ النَّذِيرَةُ ، أَوْ تَلِدُ نَذِيرًا ، وَهُوَ خَيْرٌ طَوِيلٌ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ مِنْهُ يَسِيرًا ،
وَأُورِدَهُ بِطَوْلِهِ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ ، وَفِيهِ ذِكْرُ جَهَنَّمَ — أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا — وَلَمْ
يَكُنْ اسْمُ جَهَنَّمَ ، مَسْئُوعًا بِهِ عِنْدَهُمْ ، فَقَالُوا لَهَا : وَمَا جَهَنَّمَ ، فَقَالَتْ : سَيُخْبِرُكُمْ
النَّذِيرُ عَنْهَا (١) .

(٢) ليس صدق النبوة في حاجة إلى أن نكذب له . وتصديق مثل هذه
المفتريات تكذيب للقرآن الذي يؤكد أن علم الغيب إنما هو لله وحده . وإذا كان
محمد « ص » ، نفسه لم يكن يعرف الإيمان قبل النبوة ، ولم يكن يعرف بالتالي أنه
نبي ، فكيف ننسب هذا العلم إلى غيره من طواغيت الوثنية ؟ ! هذا وبعض اللغويين
يقول عن جهنم : إنها معربة ، والأكثرون على أنها عربية أصيلة من جهنم مثلثة
الجيـم - يقال : ركية جهنم أو جهنم : بعيدة القعر وحديث عاصم بن عمرو هو
في البداية عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصاري ، وفي تفسير ابن كثير : عاصم بن عمرو
عن قتادة . ورواه ابن إسحاق أيضا عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة ، أو سعيد
ابن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعث الله من العرب كفروا به وجحدوا
ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود
ابن سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته ،

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن ما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه ، لِمَا كُنَّا نَسْمَعُ من رجال يهود ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكَ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ ، فَإِذَا نَلَيْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا لَنَا : إِنَّهُ تَقَارِبُ زَمَانُ نَبِيِّ يَبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَبْنَاهُ حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّنَّا بِهِ ، وَكَفَرُوا بِهِ ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مِنَ الْبَقَرَةِ : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، قَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ) . الْبَقَرَةُ : ٧٩

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يشعركون ، وفي كتاب الله تعالى : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ،

== فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم .

وقال أبو العالية في تفسير الآية : كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نَجِدُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا حَتَّى نَعَذِّبَ الْمَشْرِكِينَ وَنَقْتُلَهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا لِلْعَرَبِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ : كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا هَذَا النَّبِيَّ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ ، يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ ، أَيْ : يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ .

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ). الأعراف : ٨٩ .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن أبيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلمة بن سلمة بن وقش - وكان سلمة من أصحاب بدر - قال : كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوماً من بيته ، حتى وقف على بنى عبد الأشهل - قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً ، على برودة لى ، مضطجع فيها بفناء أهلى - فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بمنا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ونحكك يا فلان !! أو ترى هذا كائنا ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يُحلف به ، ويؤد أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدار ، يُحمونه ثم يدخلونه إياه فيطيقونه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غداً ، فقالوا له : ونحكك يا فلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلى ، وأنامن أحدثهم سناً ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو حى بين أظهرنا ، فأمنأ به ، وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له : ونحكك يا فلان !! ألسن الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى . ولكن ليس به .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال :

• • • • •

قال لي : هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سَعْيَة وأسَد ابن عبيد نَفَرٍ من بني هَذَل ، إخوة بني قُرَيْظَة ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الإسلام . قال : قات : لا ، قال : فإن رجلاً من يَهُود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيَّيَّان ، قَدِم علينا قُبَيْل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قَطُّ لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحَطَ عنا المطرُ قُلْنَا له : اخرج يا ابن الهَيَّيَّان فاستسقى لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تَقْدُموا بين يدي تَخْرِجَكم صدقة ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر : أو مُدَيْنٍ من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتْنا ، فيستسقى الله لنا . فوالله ما يَبْرَحُ يجلسه ، حتى تمر السحابة ونُسْقَى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حَضَرَتْه الوفاة عندنا . فلما عَرَفَ أنه مَيِّت ، قال : يا معشر يَهُود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخَمَرِ والخَمِيرِ إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فإني إنما قَدِمْتُ هذه البلدة أتوكّف خروج نبي قد أظَلَّ زمانه ، وهذه البلدة مُهاجرة ، فكنت أرجو أن يُبعثَ ، فأتبعه ، وقد أظَلَّكم زمانه ، فلا تُسَبِّحُنَّ إليه يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسبّ الذراري والنساء مِن خالفه . فلا يمنعكم ذلك منه . فلما بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصر بني قُرَيْظَة ، قال هؤلاء الفِثْيَة ، وكانوا شباباً أحداثاً : يا بني قُرَيْظَة ، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابنُ الهَيَّيَّان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه هو بصفته ، فزولوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلبيهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

محدث سلمه :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث سلمة بن سلامة بن وقش ، وما سمع من اليهودي حين ذكر الجنة والنار ، وقال : آية ذلك نبي : مبعوث قد أظل زمانه إلى آخر الحديث ، وليس فيه إشكال ، وابن وقش يقال فيه : وقش بتحريك القاف وتسكينها ، والوقش : الحركة (١) .

محدث ابن الرهبان وبنو سعية :

فصل : وذكر حديث ابن الهيثبان (٢) ، وما بشر به من أمر النبي — صلى الله عليه وسلم — وأن ذلك كان سبب إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسدي بن سعية ، وهم من بني هذيل ، والهيثبان من المسلمين بالصفاء ، يقال : قطن هيثبان أي : منتفش ، وأنشد أبو حنيفة :

(١) روى حديث ابن وقش أحمد ، وصححه ابن حبان من طريقه ، ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير ج ٦ ص ٥٤ فتح الباري ، ص ٣٠٩ ج ٢ البداية . وقد ورد أن اسم الجار اليهودي هو : يوشع ، وهناك بعض كلمات في أحمد تخالف ما هنا . فقد ذكر فروة مكان بردة ، ويطينونه مكان يطينونه . ووضع كلمة نحو مكان : إلى في قوله : إلى مكة . وذكر : ومتى تراه بدلا من : متى تراه ؟

(٢) معناها : الكثير والجبان والتهيب والخيف والراعي والتراب وزبد أفواه الإبل ، وقد يخفف ، وقد يقال : هيثبان . بتضعيف الياء مع فتحها . وقوله في حديث ابن الهيثبان : أتوكف خروج نبي : أنتظر وأستشعر . أطل زمانه : أشرف وقرب .

تَطِيرُ الْمَغَامَ الْهَيَّيَّانَ ، كَأَنَّهُ جَنَى عُشْرِ تَغْفِيهِ أَشْدَاقُهَا الْهُدَلُ (١)
وَالْهَيَّيَّانَ أَيْضًا : الْجَبَانَ ، وَقَدْ قَدِمْنَا الْإِخْتِلَافَ فِي هَذَا ، وَأَمَّا أُسَيْدُ
ابْنِ سَعْنَةَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الْمَدَنِيِّ ،
عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ أَحَدُ رَوَاةِ الْمَغَازِي عَنْهُ أُسَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ بِضَمِّ الْأَلْفِ ، وَقَالَ
يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ قَوْلُ الْوَاوِدِيِّ وَغَيْرِهِ أُسَيْدُ بَفَتْحِهَا قَالَ :
الْدَّارِقُطْنِيُّ : وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ ، وَلَا يَصِحُّ مَا قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
وَبَنُو سَعْنَةَ هَؤُلَاءِ فِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (٢) ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ
قَائِمَةٌ ﴾ آلِ عِمْرَانَ : ١١٣ آيَةً ، وَسَعْنَةُ أَبُوهُمْ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ الْعَرِيضِ ، وَهُوَ
بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْيَاءُ الْمَنْقُوطَةُ بَاثْنَيْنِ .

(١) الْبَيْتُ لَذِي الرِّمَّةِ يَصِفُ إِبْلًا وَإِزْبَادًا مَشَافِرَهَا ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَجِي
الْعُشْرِ : يَخْرُجُ مِثْلُ رِمَانَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَتَنْشَقُّ عَنْ مِثْلِ الْقَرِّ ، فَشَبَّهَ لِقَامَهَا بِهِ . . .
وَهُوَ فِي اللِّسَانِ : تَمَجُّجٌ . وَالْمَغَامُ : زَبْدُ أَفْوَاهِ الْإِبِلِ . وَالْعُشْرِ : نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ ،
يَحْتَشِي فِي الْخِتَادِ . وَالْهُدَلُ : اسْتِرْخَاءُ الْمَشْفَرِ الْأَسْفَلَ مِنَ الْجَمَلِ ، أَوْ عَظْمُ الشَّفَةِ
وَاسْتِرْخَاؤُهَا . وَهَذَا : جَمْعُ هَدَلَاءَ . وَفِي الرُّوضِ : خَبِي عَشْرُ تَبْقِيهِ وَهُوَ خَطَأٌ .
(٢) فِي ابْنِ كَثِيرٍ نَقْلًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيمَنْ آمَنَ مِنْ أَجْبَارِ أَهْلِ
الْكِتَابِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأُسْدِ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ شُعْبَةَ . وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ : أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى
الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ
أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرَكُمْ . فَنَزَلَتْ : (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
— إِلَى قَوْلِهِ — وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) .

سنة الحبر وإسلام :

وأما سَعْنَةُ بالنون ، فزيد بن سَعْنَةَ حبر من أحبار يهود ، كان قد دأب
النبي — صلى الله عليه وسلم — فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تَقْضِيَنِي
يا محمد ، فإنكم يا بني عبد المطلب مُطْلَقُونَ ، وما أردت إلا أن أعلم علمكم ، فارتعد
عمر ، ودار ، كأنه في فَلَاك ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً ، وقال : تقول هذا
لرسول الله يا عدو الله ؟ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا إلى
غير هذا منك أحوج يا عمر : أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التَّيْبَةِ ، قم
فاقْضِهِ عَنِّي ، فو الله ما حل الأجل ، وزده عشرين صاعاً بما رَوَّعْتَهُ ، وفي حديث
آخر : أنه قال : دعه ؛ فإنَّ لصاحب الحق مقالا ، ويذكر أنه أسلم^(١)
لما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة ، وكان
يُجِدُّهُ موصوفاً بالحلم ، فلما رأى من حِلْمِهِ ما رأى أسلم ، وتوفى غاز يامع رسول
الله — صلى الله عليه وسلم — في غزوة تَبُوكَ ، ويقال في اسمه : سَعْفِيَّة
بالياء كما في الأول ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون .

(١) روى قصة إسلامه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب
أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن
حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام ،
قال زيد بن سَعْنَةَ : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت
إليه إلا خصلتين . لم أخبرهما منه : يسبق حِلْمُهُ جَهْلُهُ ، ولا يزيدُهُ شِدَّةُ الجَهْلِ عليه إلا
حِلْمًا . . فذكر الحديث بطوله . . ومدار الحديث على محمد بن أبي السري
الراوى له عن الوليد ، وثقه ابن معين ، ولينه أبو حاتم ، وقال ابن عدى : محمد
كثير الغلط . وأخرجه أبو نعيم في الدلائل .

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصمُ بنُ عمر بن قَتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني سلمان الفارسي مِنْ فِيهِ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ إِصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا : جَيّ ، وَكَانَ أَبِي دِهْمَانَ قَرْنِيَّةً ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، لَمْ يَزَلْ بِهِ حُبِّي إِبَائِي حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَّةُ ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْحُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَاطِنَ النَّارِ الَّذِي يوقدها ، لَا يَتْرَكُهَا تَحْبُو سَاعَةً . قَالَ : وَكَانَتْ لِأَبِي ضِيعةٌ عَظِيمَةٌ ، قَالَ : فَشُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ شَغِلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضِيْعَتِي ، فَادْهَبْ إِلَيْهَا ، فَاطْلَعْهَا - وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ - ثُمَّ قَالَ لِي : وَلَا تَحْتَبِسْ عَنِّي ؛ فَإِنَّكَ إِنِ احْتَبَسْتَ عَنِّي كُنْتُ أَهْمُ إِلَى مِنْ ضِيْعَتِي ، وَشَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي . قَالَ : فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضِيْعَتَهُ الَّتِي بَعَثَنِي إِلَيْهَا ، فَارْتَبْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يَصَلُّونَ ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ ، لِحَبْسِ أَبِي إِبَائِي فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا سَمْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ ، أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ ، أَعْجَبْتَنِي صَلَاتَهُمْ ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا بَرَحْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَتَرَكْتُ ضِيْعَةَ أَبِي فَلَمْ آتِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا : بِالشَّامِ . فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي ، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي ، وَشَغَلْتَهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَيُّ

بنى أين كنت؟ أو لم أكن عهدي إليك ما عهدي؟ قال: قلت له: يا أبت، مررتُ بأناس يصلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمس، قال: أى بُنى، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك، ودين آبائك خيرٌ منه، قال: قلت له: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا. قال: تخافني، فجعل في رجلَيَّ قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدَّم عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: قدَّم عليهم ركبٌ من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قَضَوْا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فأذِّنوني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلَيَّ، ثم خرجت معهم، حتى قدَّمت الشام فلما قدَّمتها قلت: مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين إلماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة.

قال: فجئته، فقلت له: إني قد رَغِبْتُ في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخذُك في كنيستك، فأتعلم منك، وأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجلٌ سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزَه لنفسه، ولم يُعطِ المساكين، حتى جمع سبعَ قِلال من ذهب وورق. قال: فأبغضتُه بغضا شديداً، لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى، ليدفنوه، فقلتُ لهم: إن هذا كان رجلٌ سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جتمعوا بها، اكتنزَها لنفسه، ولم يُعطِ المساكين منها شيئاً. قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟

.

قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدُلُّنا عليه ، قال : فأرَيْتهم موضِعَه ، فاستخرجوا سَبْعَ قِلَالٍ مملوءة ذهباً وَوَرَقاً . قال : فلما رأوها قالوا : والله لا نَذْفَنه أبداً . قال : فصَابَوْه ، ورجعوه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

قال : يقول سلمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلى الخمس ، أرى أنه كان أفضلَ منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه . قال : فأحببته حبّاً لم أحبه شيئاً قبله مثله . قال : فأقمتُ معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلتُ له : يا فلان ، إني قد كنت معك ، وأحببتك حبّاً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حَضَرَكَ ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ تُوصي بى ؟ وبِم تأمرنى ؟ قال : أى بُنى ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً لمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به .

فلما مات وَغُيِبَ لحقتُ بصاحب المَوْصِل ، فقلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحقَ بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لى : أقم عندى ، فأقمتُ عنده ، فوجدته خيراً رجلاً على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، قلت له يا فلان : إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى بالحق بك ، وقد حضركَ من أمر الله ماترى ، فإلى مَنْ تُوصي بى ؟ وبِم تأمرنى ؟ قال : يا بنى ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه ، إلا رجلاً بنَصِيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

فلما مات وغيَّب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به .
صاحبائي ، فقال : أقم عندي ، فأقمته عنده فوجدته على أمر صاحبيه . فأقمت مع
خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر ، قلت له : يا فلان ،
إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من
توصى بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا
أمرك أن تأتيه إلا رجلاً بمشورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن
عليه ، فإن أحببت فإنه ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وغيَّب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم
عندي ، فأقمت عند خير رجل ، على هدى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت
حتى كانت لي بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر ، قلت
له : يا فلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى
فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟ قال : أي
بني ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرك به
أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ،
يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات
لا تخفى ، يا كل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتمته خاتم النبوة ، فإن
استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغيَّب ، ومكنت بمشورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي
نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي

هذه وغُتِمتى هذه ، قالوا : نعم فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا ، وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهودى عَبْدًا ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذى وَصَفَ لى صاحبي ، ولم يَحِقَّ فى نفسى ، فبينما أنا عنده ، إِذْ قَدِمَ عليه ابنُ عُمٍّ له من بَنى قَرِيطَةَ من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بِصَفَةِ صاحبي ، فأقمت بها ، وبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرِّقِّ ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إنى لئن رأيت رأس عَذْقٍ لسيدي أعمل له فيه بعضَ العمل ، وسيدي جالس تحتى ، إِذْ أَقْبَلَ ابنُ عُمٍّ له ، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قَيْمَالَةَ ، والله إنهم الآن ليجتمعون بِقَبَاءٍ على رجل قَدِمَ عليهم من مَكَّةَ اليوم ، يزعمون أنه نبى .

قال ابن هشام : قيلة : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن لَيْث ابن سَوْد بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة ، أم الأوس والخزرج .

قال النعمان بن بشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج :

بِهَالِيلٍ مِنْ أَوْلَادِ قَيْلَةٍ لَمْ يَحِدْ عَلَيْهِمْ خَلِيطٌ فِي مُحَالِقَةٍ عَتَبًا
مَسَامِيحَ أَبْطَالٍ يُرَاحُونَ لِلنَدَى يَرَوْنَ عَلَيْهِمْ فِعْلَ آبَائِهِمْ نَحْبًا

وهذان البيتان فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود

• • • • •

ابن أبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال سلمان : فلما سمعتموها أخذتني
العرواء . قال ابن هشام : العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان
مع ذلك عرق فهي الرخضاء ، وكلاهما ممدود - حتى ظننت أني سأسقط على
سيدي ، فزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟
ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكني لكلمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟
أقبل على عمك . قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت
به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له :
إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعلك أصحاب لك غرباء ذؤؤو حاجة ، وهذا
شيء قد كان عندي للصدقة ، فأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقرّبت به إليه ، فقال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم
يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة . قال ثم انصرفت عنه ، فجمعت
شيئا ، وتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، ثم جئت به ، فقلت له :
إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال :
فقلت في نفسي : هاتان ثلثتان ، قال : ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهو بقباء ، قد نسي جنازة رجل من أصحابه ، على شملتان لي ، وهو
جالس في أصحابه ، فسأمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم
الذي وصف لي صاحبي ، فلما رأي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

اسْتَدْبَرْتُهُ ، عَرَفَ أَنِّي اسْتَنْدَيْتُ فِي شَيْءٍ وَصَفَ لِي ، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ .
فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ ، فَأَكْبَبْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلَهُ ، وَأَبْكَى . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَوَّلْ ، فَتَحَوَّلْتُ لِحُلَاسَتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي ،
كَأَنَّكَ حَدَّثْتَنِيكَ يَا بَنَ عَبَّاسَ ، فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ . ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقْءُ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِدَرُو أَحَدٍ .

قَالَ سَلْمَانُ : ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَاتِبُ يَسَلْمَانَ .
فَسَكَتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثَةِ نَحْلَةٍ أَحْيَاهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ ، وَأَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً . فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ : أَعِينُوا أَخَاكُمْ ، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ،
الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَةِ عَشْرَةَ وَدِيَّةً ،
وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ ، يُعِينُ الرَّجُلَ بِقَدَرِ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ .
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا ، فَإِذَا قَرَعْتَ
فَاتِنِي ، أَكُنْ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدِي . قَالَ : فَفَقَّرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا
قَرَعْتُ جِئْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَفَرَّجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعِيَ إِلَيْهَا ،
فَجَعَلْنَا نَقْرُبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّةَ ، وَيَضَعُهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ،
حَتَّى قَرَعْنَا . فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ ، مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ . قَالَ :
فَأَدَيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمَالِ . فَأَتَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَثَلِ
بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ ، مِنْ بَعْضِ الْأَعَادِنِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ الْفَارَسِيُّ
الْمُسَكَّابُ ؟ قَالَ : فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ ، فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ .

قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله ممّا على ؟ فقال : خذها ، فإنّ الله سيؤدّي بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها - والذي نفسُ سلمان بيده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعَتَقَ سلمانُ . فشهدتُ مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أَخَذَ حُرّاً ، ثم لم يفتني معه مَشْهَدٌ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبْدِ القَيْسِ عن سلمان : أنه قال : لمّا قلت : وأين تقع هذه مِنَ الذي على يا رسول الله ؟ أخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلّبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفِهم منها ، فأوفيتهم منها حقهم كلّهُ ، أربعين أوقية .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتَادَةَ ، قال : حدثني من لا أتهم عن عُمر بن عبد العزيز بن مَرْوان ، قال : حَدَّثْتُ عن سلمان الفارسي : أنه قال : لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أخبره خبره : إن صاحبَ غُمُورِيَّةٍ قال له : أنت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلاً بين غَيْضَتَيْنِ ، يخرج في كل سنة من هذه الغَيْضَةِ إلى هذه الغَيْضَةِ مُسْتَجِيزاً ، يعترضه ذُووُ الأسقام ، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شفى ، فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجتُ حتى أتيت حيث وصف لي ، فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمرَضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة ، مُسْتَجِيزاً من إحدى الغَيْضَتَيْنِ إلى الأخرى ، فغَشِيَهُ الناسُ بمرَضاهم ، لا يدعو لمرِيضٍ إلا شفى ، وغابوني عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغَيْضَةُ التي يريد أن يدخل ،

.....

إِلَّا مَنْكِبُهُ . قَالَ : فَتَنَّاوْنَهُ : فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَالتَفَتَ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُ
اللَّهُ ، أَخْبَرَنِي عَنْ الْحَزَنِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ : إِنَّكَ لَتَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مَا يَسْأَلُ
عَنْهُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ بِهِذَا الدِّينَ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ، فَأَتَيْهِ
فَهُوَ يَحْمِلُكَ عَلَيْهِ . قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - لِسُلَيْمَانَ : لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي يَا سُلَيْمَانُ ، لَقَدْ لَقِيتَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ
عَلَى نَبِيئِنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ .

مَدْرِيْت - لَمَّانِه :

فصل : وَذَكَرَ حَدِيثَ سُلَيْمَانَ بِطَوْلِهِ ، وَقَالَ : كُنْتُ مِنْ أَهْلِ إِصْبَهَانَ
هَكَذَا قِيْدَهُ الْبُسْكُرَى فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ بِالْكَسْرِ فِي الْهَمْزَةِ ^(١) ، وَإِصْبَهَ بِالْعَرَبِيَّةِ :
فَرَسٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الْعَسْكَرُ ، فَمَعْنَى الْكَلِمَةِ : مَوْضِعُ الْعَسْكَرِ أَوِ الْخَيْلِ ^(٢) ،
أَوْ نَحْوِ هَذَا . وَابْسَ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ عَلَى طَوْلِهِ إِشْكَالٌ ، وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ

(١) فِي الْمُرَادِدِ : فَتَحَ الْهَمْزَةُ هُوَ الْأَكْثَرُ وَالْأَشْهَرُ .

(٢) فِي الْبُسْكُرَى : لِإِصْبِهِ بِلِسَانِ الْفَرَسِ : الْبَلَدُ ، وَهَانَ : الْفَرَسُ ، فَعْنَاهُ : بَلَدُهُ
الْفَرَسَانُ ، وَقَالَ : إِنْ لِإِصْبِهِ بِالْفَارْسِيَّةِ : الْعَسْكَرُ ، وَإِنْ هَانَ مَعْنَاهُ : ذَاكَ ، فَمَعْنَى الْأَسْمِ :
الْعَسْكَرُ ذَاكَ . وَفِي الْمُرَادِدِ : إِنَّهَا لَنَظَرٌ مُعَرَّبٌ مِنْ سَبَاهَانَ بِمَعْنَى : الْجَيْشُ ، فَيَكُونُ
مَعْنَاهُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ : مَدِينَةُ الْجَيْشِ . وَإِصْبَهَانَ - كَمَا فِي الْمُرَادِدِ - مَدِينَةٌ
عَظِيمَةٌ ، مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْمَدَنِ وَأَعْيَانِهَا . وَأَصْبَهَانَ : اسْمُ الْإِقْلِيمِ بِأَسْرِهِ ، وَكَانَتْ
مَدِينَتَهَا أَوَّلًا : جِيٍّ ، ثُمَّ صَارَتْ الْيَهُودِيَّةَ ، وَهِيَ مِنْ نَوَاحِي الْجَبَلِ .

في هذا الحديث : فلما رآني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — استذبرته ، ورأيت في حاشية الشيخ : أَسْتَدِيرُ به ، وكذلك وقع فيه : أحياها له بالفقير ، وفي حاشية الشيخ : الوجه التَّفْقِير .

أَسْمَاءُ النَّخْلَةِ :

وَالْفَقِيرُ لِلنَّخْلَةِ (١) . يقال لها في الكَرَمَةِ : حَيَّيَّة ، وجمعها : حَيَايَا ، وهي الحَفِيرَةُ ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي : رَيْسَةٌ ، ثم يقال لها : وَدِيَّةٌ ، ثم قَسِيْلَةٌ ، ثم أَشَاءَةٌ ، فإذا فاتت اليد فهي : جَبَّارَةٌ ، وهي العُضِيدُ ، والكَنْيَلَةُ ، ويقال للتي لم تخرج من النواة ، لكنها اجْتُمِنَتْ من جنب أمها : قَلْعَةٌ وَجَيْثَنَةٌ ، وهي الجَنَائِثُ وَالْهَرَاءُ ، ويقال للنخلة الطويلة : عَوَانَةٌ بُلغة عمان ، وعَيْدَانَةٌ بُلغة غيرهم ، وهي فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ (٢) بِالمسكان ، واختلف فيها قول صاحب كتاب المين ، فجعلها تَارَةً : فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ ، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعَالَانَةٌ .

ومن الْقَسِيْلَةِ حديث أنس : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

(١) في الخَشْنَى : أحياها له بالفقير ، أي : بالحفر وبالفرس ، يقال ، فقر الأرض : إذا حفرها ، ومنه سميت البئر فقيرا . وقال الوقشي : الصواب هنا : التفقير . وأراد الوقشي هنا : المصدر ، وهو الأحسن . والفقير أيضا : البئر تنفرس فيها النخلة الصغيرة ، والمسكان السهل يحفر فيه ، ويخرج الماء من القناة (٢) لزوم المسكان ، فلم يبرحه .

قال : إن قامت الساعة ، وبِيدِ أحدكم فَسِيلَةٌ ، فاستطاع أن يفرسها قبل أن تقوم الساعة ، فليفرسها^(١) من مصنف حماد بن سلمة . والذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحق على دين عيسى بن مريم ، وكانوا ثلاثين يُداولونه سيّداً بعد سيّد^(٢) .

من فقه عمر بن الخطاب :

وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئاً ، فجاء به النبيّ — صلى الله عليه وسلم — ليختبره : أياكل الصدقة ، أم لا ، فلم يسئله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحرّ أنت أم عبْدٌ ، ولا : من أين لك هذا ، ففي هذا من الفقه : قبول الهدية وترك سؤال المهدي ، وكذلك الصدقة .

حكم الصدقة للنبي ومصدر مال سلمان :

وفي الحديث : مَنْ قُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ فَلْيَأْكُلْ وَلَا يَسْئَلْ . وذكر أبو عبيد في كتاب الأموال حديث سلمان حُجَّةٌ على من قال إن العبد لا يملك ، وقال : لو كان لا يملك ما قبل النبي — صلى الله عليه وسلم — صدقته ، ولا قال لأصحابه : كلوا صدقته . ذكر غير ابن إسحاق في حديث سلمان الوجه الذي جمع منه سلمان ما أهدى للنبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : قال سلمان : كنت عبداً لامرأة ، فسألت سيدي أن تهب لي يوماً ، ففعلت في ذلك اليوم على صاع أو

(١) أحمد في مسنده ، والبخارى في الادب المفرد ، وقال السيوطي : ضعيف

(٢) في البخارى : تداول سلمان بضعة عشر من رب إلى رب .

صاعين من تمر، وجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رأيته لا يأكل الصدقة، سألت سيدتي أن تهب لي يوماً آخر، فعملت فيه على ذلك، ثم جئت به هدية للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقبله وأكل منه، فبين في هذا الرواية الوجه الذي جمع منه سلمان ما ذكر في حديث ابن إسحاق، والصدقة التي قال النبي عليه السلام: لا تحلُّ لحمد، ولا لآل محمد هي المفروضة دون التطوع، قاله الشافعي، غير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع، وهو معنى قول مالك.

وقال الثوري: لا تحلُّ الصدقة لآل محمد فرضها ولا نفقها ولا لمواليهم، لأن موالى القوم من أنفسهم، بذلك جاء الحديث. وقال مالك: تحل لمواليهم، وقالت جماعة، منهم أبو يوسف: لا تحلُّ لآل محمد صدقة غيرهم، وتحلُّ لهم صدقة بعضهم على بعض، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب (١).

(١) في حديث رواه مسلم: إنا لا نأكل الصدقة، وفي حديث رواه أحمد بإسناد قوى: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة. ويقول القسطلاني: والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن أوساخ أموال الناس: ويقول الزرقاني عن الصدقة، ولأنها تنفي عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه. ص ٢٢٠ وما بعدها ج ٥ المواهب اللدنية. أما الهدية فكان يقبلها، ففي البخاري أنه أهديت إليه ديباج مزررة بالذهب، فقسمها في ناس من أصحابه، وعزل منها واحداً لخزمية بن نوفل. وفيه أيضاً أن ملك أيلة أهدى إليه بغلة بيضاء، فكساه رسول الله بردة وكان أصحابه يهدون إليه، فيكافئهم أضعافها. وفي حديث سلمان بضع كلمات إليك معها. دهقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة، وما يصلح الأرض. فطن النار =

أول من مات بعد الهجرة :

وقول سلمان : فأنبت رسول الله وهو في جنازة بعض أصحابه . صاحبهُ .
الذي مات في تلك الأيام : كُنْثُومُ بْنُ الْهِذْمِ الذي نزل عليه النبي - صلى الله
عليه وسلم . قال الطبري : أول من مات من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه المدينة بأيام قليلة : كُنْثُومُ بْنُ الْهِذْمِ ^(١) ، ثم مات بعده أسعد بن
زُرَّارَةَ .

فصل : وذكر ابن إسحاق في مكانة سلمان أنه فُقر لثلاثمائة وَدِيَّةٍ
أى : حفر ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضعها كلها بيده ، فلم
تَمُتْ منها وَدِيَّةٌ واحدة ، وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق
غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده وَدِيَّةً واحدة ، وغرس رسول الله -

==خادها . الأسقف في الكنيسة : هو عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم ، ويقال :
أسقف بتخفيف الغاء أو تضعيفها مع ضم الهمة وإسكان السين وضم القاف . العذق بفتح
العين : النخلة . وبكسرهما : الكباش وهي عنقود النخلة وبها ليل جمع بهلول ، السيد .
يراحون ؛ يهتزون . النجب : النذر . العرواء : الرعدة . الشملة . الكساء الغليظ .
يلتحف به .

(١) ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن
عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي . ذكر ابن عقبة وغيره أن
النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل عليه بقباء أول ما قدم المدينة . وآخرون قالوا : إنه نزل على
سعد بن خيشمه . قال الواقدي : كان نزوله على كُنْثُوم ، وكان يتحدث في بيت سعد .
ابن خيشمة ؛ لأن منزله كان منزل القرآن .

صلى الله عليه وسلم - سائرهما ، فعاشرت كلها إلا التي غرس سلمان . هذا معنى حديث البخارى .

أسطورة نزول عيسى قبل بعثة النبي :

فصل : وذكر عن داود بن الحصين قال : حدثني مَنْ لا أنهم عن عمر ابن عبد العزيز قال : قال سلمان للنبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مُسْتَجِيزاً من غَيْضَةٍ إلى غَيْضَةٍ ، ويلقاه الناسُ بمرضاهم . فلا يدعوا لمرضى إلا شفى ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن كنت صدقتني يا سلمان ، فقد رأيت عيسى بن مريم . إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك الرجل هو الحسن بن عماره (١) ، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإن صح الحديث ، فلا نكارة في مَقْنِهِ ، فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصليب يَتَكَيَّسان (٢) ، فكلهما ، وأخبرها أنه لم يُقتل ، وأن الله رفعه

(١) وقيل عن الرجل المبهم إنه شيخ عاصم بن عمر بن قتادة . والحديث أيضا منقطع بل معضل بين عمر بن العزيز وسلمان رضى الله عنه . وقوله : لئن كنت صدقتني الخ غريب جداً بل منكر - كما ذكر ابن الأثير في البداية - ص ٣١٤ > ٢ .

(٢) إنها كذبة صافية لا يجوز ترددها . ولقد بر أن الله سبحانه لم يذكر لعيسى عليه السلام سوى ثلاثة أطوار ككل البشر : والسلام على يوم وُلِدَتْ ، ويوم أُمُوتَ ، ويوم أُنْعِمَتْ حيا ، كما قيلت تماما عن يحيى ، والصليبيون يزعمون أنه سينزل ، ويجعل العالم كله يكرز بالإنجيل ، وآيات نزوله : عودة ملك سليمان إلى اليهودا ومن =

وأرسل إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد ، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا ، ولكن لا يُعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح والله أعلم ، ويروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام^(١) ، ويدفن إذا مات في الروضة التي فيها النبي عليه السلام .

== أين جاء الطبري وغيره بما زعموه عن نزول عيسى؟ وقد يقال هنا — كما قالوا — لنصح الخبر ، فإنه يدل على أن عيسى قد هرب من الذي جاءوا يطلبونه ليصلبوه ، وأن هؤلاء الطالبين أخذوا غيره ، وأن الذين رأوا عيسى بعد هذا ظنوا أنه بعث بعد صلبه ؛ إذ كانوا يظنون أنه قد أخذ ، وصلب .

(١) لا يستفيد من ترديد مثل هذا سوى الذين يحبون القضاء على الإسلام . وقد روى حديث نزول عيسى الشنخا والترمذي وأحمد ، أما تزوجه فقد ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفا . وقد قيل : إن هذا الحديث معارض في دلالة بما تدل عليه أحاديث أخرى ، كالحديث الذي ورد في الصحيحين دالا على أن الحبش سينقضون الكعبة ، والحديث الذي ورد في البخاري مؤكدا أن بين يدي الساعة أي : قرب مجيئها — أياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم ، ويكثر فيها الهرج — أي القتل — وكالحديث الذي شكاه بعض الناس لأنس من ظلم الحجاج فقال لهم : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم . على حين يذكر في حديث عيسى أنه سيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، وأن المال سيفيض حتى لا يقبله أحد ، كما يؤكد زوال الشقاء والتباعد والتحاسد ، فأين هذا من ذلك؟ وهل يعتبر هذا شرا من أيامنا هذه ، كما يقول الحديث السابق؟ وقيل : إنه معارض أيضا بقوله سبحانه الذي يقص به قول عيسى يوم القيامة : « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد » ، فأين الحديث هنا عن كسر الصليب وقتل الخنزير؟ لماذا لم يقل : فلما أنزلتني فعلت وفعلت ، وعلت أنهم غيروا ؟

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى وعبيد الله

ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحاق : واجتمعت قُرَيْشُ يوماً في عيدٍ لهم عند صنمٍ من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وَيَنْحَرُونَ له ، وَيَكْفُونَ عنده ، وَيُدِيرُونَ به ، وكان ذلك عيداً لهم ، في كل سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة نفر نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكنتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وعبيد الله بن جحش بن ريثاب بن يعمربن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمية ، وكانت أمه أُمَيْمَةَ بنت عبد المطلب . وعثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَّاح بن رِزَّاح بن عدى بن كعب ابن لؤي ، فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ! ما حَجَرٌ نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضرب ولا ينفع ! يا قوم اتمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

فأمَّا ورقة بن نوفل فاستحکم فی النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علماً من أهل الكتاب . وأمَّا عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم

حَبِيبَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ مُسْلِمَةً ، فَلَمَّا قَدِمَهَا تَنْصَرَّ ، وَفَارَقَ الْإِسْلَامَ ، حَتَّى هَلَكَ هُنَاكَ نَصْرَانِيًّا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَخَذَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛ قَالَ : كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ جَعْفَرٍ — حِينَ تَنْصَرَّ — يَمُرُّ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ هُنَاكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَيَقُولُ : فَقَّحْنَا وَصَّاصًا تَمْ ، أَيْ : أَبْصَرْنَا وَأَنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ الْبَصَرَ ، وَلَمْ تُبْصِرُوا بَعْدَ ، وَذَلِكَ أَنَّ وَلَدَ الْكَلْبِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ ، صَاصًا ؛ لِيَنْظُرَ . وَقَوْلُهُ : فَقَّحَ : فَتَحَ عَيْنَيْهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ عَلَى أَمْرَاتِهِ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ فِيهَا إِلَى النَّجَاشِيِّ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، نَخَطِبُهَا عَلَيْهِ النَّجَاشِيُّ ؛ فَزَوَّجَهُ بِإِبَاهَا ، وَأَصْدَقَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعًا مِائَةً دِينَارًا . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ : مَا نَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَقَفَّ صَدَاقَ النِّسَاءِ عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ دِينَارٍ إِلَّا عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ الَّذِي أَمْلَكَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَمَّا عُمَانُ بْنُ الْخَوَّارِ ، فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ فَتَنْصَرَّ ، وَحَسَنَتْ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَهُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَلِعُمَانُ بْنُ الْخَوَّارِ عِنْدَ قَيْصَرَ حَدِيثٌ ، مَنْعَنِي مِنْ ذِكْرِهِ مَا ذَكَرْتُ فِي حَدِيثِ حَرْبِ الْفِجَارِ .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نُفَيْل فوقف ، فلم يدخل في
يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميثة والدم
والذبائح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد
رب إبراهيم ، وبادى قومه بغيب ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت
أبي بكر رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيْل شيخا كبيرا
مُسْنِداً ظهره إلى السكبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفسُ زيد
ابن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم
لو أني أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد
على راحته .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل
وعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالوا لرسول الله على الله عليه وسلم :
أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يبعث أمةً وحده .

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيْل في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم
في ذلك :

أرباً واحداً ، أم ألف ربٍّ أدبني إذا نُفِست الأمورُ
عزلتُ اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلدُ الصبورُ
فلا العزى ، أدبني ولا ابنتيها ولا صنتي بني عمرو أزورُ

ولا هُبلاً أدينُ ، وكانَ ربّاً لنا في الدهرِ إذ حِلْيَ يَسِيرُ
مُجْتَنِبُ . وفي الأليالي مُعْجَبَاتُ وفي الأيامِ يَعْرِفُهَا البَصِيرُ
بأنَّ اللهَ قَدْ أَفْنَى رِجَالاً كثيراً كانَ شأنُهُمُ الفُجُورُ
وأبقى آخَرِينَ بَرَّ قَوْمِ قَتَلَ مِنْهُمْ الطُفْلُ الصَّغِيرُ
وَبَيْنَا المَرَّةَ يَعُثُّ ثَابِ يوماً كما يَتَرَوِّحُ الفُضْنُ المَطِيرُ
وَلَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ الغَفُورُ
فَتَقْوَى اللهَ رَبَّكُمْ احْفَظُوهَا متى ما تَحْفَظُوهَا . لا تَبُورُوا
تَرَى الأَبْرَارَ . دَارُهُمْ جَنَّاتُ وللَكُفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وَحِزْنِي فِي الحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا يُبْلِقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هي لِأُمَيَّةَ بن أبي
الصَّلْتِ في قصيدة له . إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز
البيت الأول عن غير ابن إسحاق : —

إلى الله أَهْدَى مِذْحَى وَثَنَانِيَا وَقَوْلَا رَصِينَا لِابْنِي الدَّهْرِ بَاقِيَا
إلى المَلِكِ الأعلى الذي ليس فوقه إله ، ولا رَبُّ يَكُونُ مُدَانِيَا
ألا أيها الإنسانُ إِيَّاكَ والرَّدَى فَإِنَّكَ لَا تَخْفِي مِنَ اللهِ خَافِيَا
وإِيَّاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا
حَتَانِيكَ إِنْ الجَنِّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ وَأَنْتَ إلهي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا
رَضِيتُ بِكَ — اللَّهُمَّ — رَبًّا فَلَنْ أَرَى أَدِينُ إلهًا غَيْرَكَ اللهُ ثَانِيَا

وأنت الذى من فضل من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مُناديا
 فقلت له : يا اذهب وهارون فادعوا إلى الله فِرْعَوْنَ الذى كان طاغيا
 وقولا له : آأنت سَوَّيت هذه بلا وَتَدِ ، حتى اطمأنت كما هيا
 وقولا له : آأنت رفعت هذه بلا عَمَدٍ ، أرَفِقْ - إذاً - بك بانيا
 وقولا له : آأنت سَوَّيت وَسْطَها مُنِيرًا ، إذا ما جَنَّهُ اللَّيْلُ هاديا
 وقولا له : من يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةَ

فيُصْبِح ما مَسَّت من الأرض ضاحيا
 وقولا له : من يُنْبِت الحَبَّ فى النَّزى

فيُصْبِح منه البَقْلُ يَهْتَزُّ رابيا
 ويُخْرِج منه حَبَّهُ فى رِوَسِه وفى ذاك آيات لمن كان واعييا
 وأنت بفضلك منك نَجَّيت بُؤْسًا وقد بات فى أضعاف حُوتٍ لِيالِيا
 وإني لو سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا لَا كُثْرَ - إِلَّا ما غفرت - خَطائِيا
 فربَّ العِبَادِ أَلْقِ سَيِّبًا وَرَحْمَةً على ، وبارك فى بَنِيِّ ومالِيا
 وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمي .

قال ابن هشام : واسم الحضرمي : عبدُ الله أحد الصَّدِفِ ، واسم الصَّدِفِ :
 عمرو بن مالك أحد السَّكُونِ بن أشرس بن كِنْدِي ، ويقال : كِنْدَةُ بنُ
 ثَوْر بن مُرْتَع بن عُقَيْر بن عَدِي بن الحارث بن مُرَّة بن أَدَد ابن زيد بن مِهْسَع
 ابن عمرو ابن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ ، ويقال : مُرْتَع بن مالك بن
 زيد بن كَهْلان بن سَبَأ .

قال ابن إسحاق : وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة ، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فكانت صفية بنت الحضرمي كلما رآته قد تهيأ للخروج ، وأرادته ، آذنت به الخطاب بن نفيل ، وكان الخطاب ابن نفيل عمه وأخاه لأمه ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وُكِّلَ صفية به ، وقال : إذا رأيته قدم بأمر فأذني به - فقال زيد :

لَا تَحْبِسْنِي فِي الْمَوَا نِ صَفِيٍّ مَادَانِي وَدَائِبُهُ
إِنِّي إِذَا خِفْتُ الْمَوَا نِ ، مُتَّعٍ ذُلُّ رِكَابِهِ
دُعْمُوصُ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ لَكَ وَجَائِبُ لِلْخَرْقِ نَابُهُ
قَطَاعُ أَسْبَابِ تَذَلِّ بَغِيرِ أَقْرَانِ صِغَابِهِ
وَإِنَّمَا أَخَذَ الْمَوَا نَ الْعَيْزُ إِذْ يُوَمَى إِهَابِهِ
وَيَقُولُ : إِنِّي لَا أَذَلَّ بِصَكِّ جَنْبِيهِ صَلَابِهِ
وَأَخِي ابْنُ أُمِّى ، ثُمَّ عَمِّى لَا يُوَاتِنُنِي خَطَابِهِ
وَإِذَا يُعَاتِبُنِي بِسُو ءِ قُلْتُ : أَعْيَانِي جَوَابِهِ
وَلَوْ أَشَاءَ لَقُلْتُ : مَا عِنْدِي مَفَاتِحُهُ وَبَابِهِ

قال ابن إسحاق : وُحِدَتْ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ :
أَنْ زَيْدًا إِذَا كَانَ اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ ، قَالَ : لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا ،
تَعَبُّدًا وَرِقًّا .

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وَهُوَ قَائِمٌ
إِذَا قَالَ :

أَنْفِي لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمٌ مَهْمَا تُجَسِّسْنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ
الْبِرِّ أَبْنَى لَا اخْلَالَ ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ .

قال ابن هشام : ويقال : البرُّ أَبْنَى لَا اخْلَالَ ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ : قال
بوقوله : « مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تُحْمِلُ صَخْرًا نَقَلَا
دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ ، أَرْسَى عَلَيْهَا الْجَبَالَا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَمْنُ تُحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا
إِذَا هِيَ سَيِّقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ أَطَاعَتْ ، فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سَجَالَا

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حِراءَ
مقابل مكة ، ووَكَّلَ به الخطابُ شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفاهم ،
فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرا منهم ، فإذا علموا
بذلك ، آذَنُوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذَوْه كراهية أن يُفْسِدَ عليهم دينهم ،
وأن يُتَابِعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى قِرَاقِهِ . فقال - وهو يعظم حرُمته على من استَحَلَّ
منه ما استَحَلَّ من قومه :

لَا تُمْ إِنِّي مُخْرِمٌ لَا حِلَّهَ وَإِنْ بَنَيْتِ أَوْسَطَ الْمَحِلَّةِ

عند الصَّفَا لَيْسَ بِذِي مَضَلَّةٍ

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأخبار ، حتى بلغ الموصلَ والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجاء الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بمِيقَةَ من أرض البلقاء ، كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطبد دينا ما أنت بواجده من يَحْمِلُك عليه اليوم ، ولكن قد أظلَّ زمانُ نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فأتحق بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شامَّ اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئا منهما ، فخرج سريعا ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد لحَمٍ ، عدوا عليه فقتلوه - فقال ورقةُ بن نوفل بن أسد بيبكيه :

رَشِدْتُ ، وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو ، وَإِنَّمَا	تَجَنَّبْتَ تَنْوَرًا مِنَ النَّارِ حَامِيًا
بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ	وَتَرَكْتَ أَوْثَانَ الْعَوَاقِي كَاهِيًا
وَإِذْ رَأَيْتَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ	وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِيًا
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرِيمٍ مُقَامُهَا	تُعَلِّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيًا
تُلَاقِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا ، وَلَمْ تَكُنْ	مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى الدَّارِ هَاوِيًا
وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ	وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَاوِيًا

قال ابن هشام : يُروى لِأُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الْبَيْتَانِ الْأُولَانِ مِنْهَا ، وَآخَرُهَا

• • • • •

بيتا في قصيدة له . وقوله : « أوثان الطواغى » عن غير ابن إسحاق .

ذكر هربث ورقته بن نوفل :

فصل : وذكر حديث ورقة بن نوفل ^(١) ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان ابن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل وما تناجوا به ، وقال : زيد بن عمرو ابن نفيل إلى آخر النسب ، والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رباح ^(٢) بن عبد الله بن قُرَظ بن رِزاح ^(٣) بتقديم رباح على

(١) نسب ورقة ، هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وقد تقدم الكلام عنه . وفي الصحيحين ما يدل على أنه لقي النبي ، ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله إلى الإسلام . وحديث رؤية النبي لورقة في الجنة حديث منقطع ، وحديث أنه سأل رسول الله ص ، عن كيفية مجيء الوحي ، وأنه قال : يأتيني من السماء وجناحه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر . هذا مروي عن طريق روح بن مسافر ، وهو أحد الضعفاء ، والحديث في روايته سماع ابن عباس من ورقة ، وابن عساكر يقول : لم يسمع ابن عباس من ورقة ، ولا أعرف أحدا قال : إنه أسلم .

(٢) في الإصابة : نفيل بن عبد العزى بن رباح .

(٣) في الإصابة بعده : ابن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب . وإليك ما ذكر المصعب الزبيري عن هذا النسب : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ٣٤٦ نسب قريش ، ورزاح بكسر الراء وفتحها . والفتح عند الدارقطني . وقد وردت عن زيد عدة أحاديث ، منها ما رواه البخاري ، وفيه : « كان يحيي الموتى يقول للرجل ، إذا أراد أن يقتل ابنه : لا تقتلها أنا أكتفيكم مؤنتها ، فياخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفتك مؤنتها » .

وحديث إسناد ظهره إلى الكعبة - وسيأتي في الروض - أخرجه البخاري من =

عبد الله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قصي لأمه الذي تقدم ذكره (١) .

الزواج من امرأة الأب في الجاهلية :

وأُمُّ زَيْدِ هِي : الحَيْدَاءُ بِنْتُ خَالِدِ الْفَهْمِيَّةِ ، وَهِيَ امْرَأَةُ جَدِّهِ نَفِيلٍ وَلَدَتْ لَهُ الْخَطَّابَ (٢) فَهُوَ أَخُو الْخَطَّابِ لِأُمِّهِ ، وَابْنُ أَخِيهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مُبَاحًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِشَرْعٍ مُتَقَدِّمٍ (٣) ، وَلَمْ تَسْكُنْ مِنَ الْحُرُمَاتِ الَّتِي انْتَهَكُوهَا ، وَلَمْ يَنْهَ الْعُظَمَاءُ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ كَانَ فِي عُمُودِ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ

طَرِيقِ هِشَامٍ مِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ تَعْلِيْقًا ، وَالنِّسَابِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي أَسَامَةَ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ مَسْرُكٍ عَنْ هِشَامٍ ، وَزَادُوا فِيهِ : دِيحِي الْمَوْدَةِ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ : لَا تَقْتُلْهَا ، فَإِنَّا أَكْفَيْكَ مَوْتَهَا ، وَوَرَدَ فِي رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُسْجَدُ لِلْكُفَّةِ بِدَلَا مِنْ رَاحَتِهِ وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ دَرِيدٍ فِي الْجَهْرَةِ : رَضِيَ الْأَوَثَانُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَامْتَنَعَ مِنْ أَكْلِ مَا ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ — عَزَّ وَجَلَّ — وَالتَّزَمَ الْحَنِيفِيَّةَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ ، إِلَى أَنْ قَتَلَهُ أَهْلُ مَيْفَعَةَ ، قَرْيَةً مِنْ قُرَى الْبَلْقَاءِ بِقَرَبِ دِمَشْقَ مِنْ لَحْمٍ أَوْ جَذَامٍ .

(١) وَالحديث الذي ذكره ابن إسحاق ، وفيه سؤال سعيد بن زيد وعمر ، بن الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم الاستغفار لزيد . . . في رواية أحمد والطبراني والبخاري أن سعيدا هو الذي سأل ، وقال البيهقي عن الحديث : فيه المسعودي وقد اختلف ، وبقي رجاله ثقات .

(٢) وكان عمرو بن نفيل قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب .

(٣) من أين له هذا ؟

عليه وسلم — فِكِنَانَةٌ تزوج امرأة أبيه خُزَيْمَةَ ، وهى بَرَّةٌ بنت مُرَّةٍ ، فولدت له النَّضَرَ بن كنانة ، وهاشمٌ أيضا قد تزوج امرأة أبيه وائدة فولدت له ضعيفة^(١) ، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله - صلى الله عليه - وسلم لأنها لم تلد جدًّا له ، أعنى : وائدة ، وقد قال عليه السلام : أنا من نكاح لا من سِفَاح^(٢) ، ولذلك قال سبحانه : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) النساء : ٢٢ . أى : إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام : وفائدة هذا الاستثناء ألا يُعَابُ نسبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لِفَيْئَةٍ^(٤) ولا من سِفَاح . ألا نرى أنه لم يقل فى شيء نهى عنه فى القرآن : إلا ما قد سلف ، نحو قوله : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا) ولم يقل إلا ما قد سلف : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) الإسراء : ٣٠ ولم يقل إلا ما قد سلف ، ولا فى شيء من المعاصى التى نهى عنها إلا فى هذه ، وفى الجمع بين الأختين ؛ لأن الجمع بين الأختين قد كان مباحا أيضا فى شرع من قبلنا ، وقد جمع يعقوبُ بين راحيل وأختها إيا^(٥) فقوله : إلا ما قد سلف

(١) يقول المصعب الزبيرى فى نسب قريش ص ١٧ : « وكانت ضعيفة بنت هاشم عند عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، فولدت له عبد يغوث ، وعبيد يغوث ، (٢) لا ريب فى طهارة نفسه الشريف ، ولا ريب فى أنه كان من نكاح صحيح بين عبد الله أبيه وآمنة أمه . لكن هذه الأحاديث التى ترفع هذه الكلية ، حتى آدم أحاديث ضعيفة ، ولهذا لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة ، فلا تراها إلا عند ابن سعد وابن عساكر وابن أبي شيبة . وأحسن تعبير عن هذه الحقيقة جزء من حديث أخرجه أبو نعيم : « لم يلق أبواى قط على سِفَاح » .

(٣) لا يجوز قصر الآية على ما ذكر وحده .

(٤) الزَّانَا ، وتقال بكسر الغين وفتحها .

(٥) هما فى سفر التكوين : راحيل وليئة ابنتا لابان ، وقصتهما مع يعقوب =

التَّفَانَةَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَتَذْيِيقَهُ عَلَى هَذَا الْمَفْزَى، وَهَذِهِ النِّسْكَةُ لَقِنْتُمَهَا مِنْ شَيْخِنَا
الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن العربي - رحمه الله - وزيد هذا هو: والد سعيد
ابن زيد أحد العشرة الذين شُهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأُمُّ سَعِيدٍ: فَاطِمَةُ بِنْتُ نَجَّجَةَ
ابن خَلْفِ الْخَزَاعِي [عند الزبير: بَعَجَّةُ بن أُمَيَّةَ بن خُوَيْلِدِ بن خالد بن اليمعر
بن خَزَاعَةَ].

تفسير بعض قول ابن محمّس:

وذكر قول عبد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة: فَمَحَّنَا وَصَاصًا ثُمَّ،
وشرح فَمَحَّنَا بقوله: فَفَحَّحَ الْجُرُوءُ: إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ،
وَزَادَ: جَصَّصَ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ: بَصَّصَ بِالْبَاءِ حَكَاهَا عَنْ أَبِي زَيْدٍ (١)،
وَقَالَ الْقَسَالَى: إِنَّمَا رَوَاهُ الْبَصَرِيُّونَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ بَيَاءً مَنقُوطَةً بِأَمْتَيْنِ، لِأَنَّ
الْيَاءَ تَبْدُلُ مِنَ الْجِيمِ كَثِيرًا كَمَا نَقُولُ: أَيْلٌ وَأَجْلٌ، وَلِرَوَايَةِ أَبِي عُبَيْدٍ وَجْهٌ،
وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ بَصَّصَ مِنَ الْبَصِصِ، وَهُوَ الْبَرِيقُ.

بعض النّزب تنصروا:

فصل: وذكر عثمان بن الحويرث مع زيد، وورقة وعبيد الله بن جحش،
ثم قال: وأما عثمان بن الحويرث فإنه ذهب إلى الشام، وله فيها مع قيصر خبر،
ولم يذكر ذلك الخبر، وذكر البرقي عن ابن إسحاق أن عثمان بن الحويرث
قدم على قيصر، فقال له: إني أجعل لك خَرَجًا على قريش إن جاءوا

== في الإصحاح التاسع والعشرين من التكوين، وفيه أن لابان خدع محقوب وزوجه
غير أن كان يريد لها أولًا، لأنها الكهري، ثم زوجه لينة.

(١) في القاموس: يصص الجرو: جصص. وانظر ص ١٣٦ نوادر أبي زيد

الشام لتجارتهم ، وإلا منعهم ، فأراد قيصر أن يفعل تخرج سعيد بن العاصي ابن أمية وأبو ذئب ، وهو : هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر إلى الشام ، فأخذوا حبسا ، فمات أبو ذئب في الحبس ، وأما سعيد بن العاصي ، فإنه خرج الوليد بن المغيرة ، وهو أمية فتخلصوه في حديث طويل ، رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأَخْذَسِ . وأبو ذئب الذي ذكر هو : جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، يُكْنَى : أبا الحارث من فقهاء المدينة ، وأمه بُرَيْهَةُ بنت عبد الرحمن بن أبي ذئب ، وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد تَوَجَّعَ عُثْمَانَ ، ولولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا الملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إنَّ مكة حَيٌّ لِقَاحٍ لا تدين الملك ^(١) ، فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : البَطْرِيق ^(٢) ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمى عَمْرُو بن جَمَنَةَ الغَسَّانِي الملك .

اعتزال زبير بن عمر بن نفيل الأوثان :

فصل : وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طوائفهم ، وتركه أكل ما نُحِرَ [على الأوثان] ^(٣) والنَّصُب . روى البخاري عن محمد بن أبي بكر ،

(١) أي لا تخضع للملوك .

(٢) في القاموس : البطريق : ككبريت ، القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، ثم الطرخان على خمسة آلاف ، ثم القسرة مَس على مائتين ، والخنال .

(٣) ما بين القوسين زده من السيرة .

قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثني سالم ابن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقي زيدا بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح^(١) قبل أن ينزل على النبي - عليه السلام - الوحي ، فقدّمت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ، فأتى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل ما تذبجون صلى الله عليه وسلم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسمُ الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاةُ خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الكَلأَ ، ثم تذبجونها على غير اسم الله ! إنكاراً لذلك ، وإعظاماً له . قال موسى بن سالم بن عبد الله : ولا أعلم إلا ما تُحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ، ويَدِينُهُ ، فأتى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم ، وقال له إني لعلّي أن أدين بدينكم ، فأخبروني ، فقال : لا تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً ، وأنى أستطيعه ، فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فأتى عالماً من النصارى ، فذكر مثله ، فقال لن : تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفرّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ، ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأنى أستطيع ، فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، أو مكان في طريق التعميم .

يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه ، فقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم . وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مُسنداً ظهره إلى السكبة ، يقول : يا معشر قريش ، والله مامنكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يُنحّي المَوَدَّة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أكفيك مئوتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مئوتها . إلى هاهنا انتهى حديث البخاري . وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على التَّصْبُ ، وما لم يذكر اسمُ الله عليه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس في الحديث حين اُتِمَّ بِلَدَح ، فُقِدَّتْ إليه السُّفْرَةُ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكل منها ، وإنما في الحديث أن زيدا قال حين قُدِّمَتِ السفرة : لا آكل مما لم يُذكر اسمُ الله عليه : الجواب الثاني (١) : أن زيدا إنما فعل ذلك برأى

(١) جوابه الثاني غير مقبول ، وزعمه أن ما ذبح لغير الله لم يكن محرماً في دين إبراهيم قول بغير دليل . والأناصِب : أحجار كانت حول السكبة يذبحون عليها للأضنام . وإليك بعض الآراء حول هذا الحديث . قال ابن بطال : كانت السفرة لقريش قدموها للنبي ، فأبى أن يأكل منها ، فقدمها النبي - صلى الله عليه وسلم - لزيد بن عمرو ، فأبى أن يأكل منها ، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولاً : إنا لآنا كل ما ذبح على أنصا بكم . وقال صاحب الفتح : وما قاله محتمل ، لكن لا أدري من أين له الجزم بتلك .

رآه، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بالمتة، لا بتحريم ما ذُبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام، وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة ، فإن قلنا بهذا، وقلنا إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذُبح على النصب ، فإنما فعل أمراً مباحاً، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو الصحيح، فالذباح خاصة لما أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا ، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : (ولا تأكلوا مما لم يُذَكَّرْ اسمُ الله عليه) الأنعام : ١٢١ . ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من

— وقال الخطابي . كان النبي - صلى الله عليه وسلم ، لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام ، ويأكل ما عدا ذلك ، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه ، لأن الشرع لم يكن نزل بعد ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة . وقال صاحب الفتح : وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال ، وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر المذكور ، فإنما يحمل على أنه إنما ذبح عليه لغير الأصنام . وأما قوله تعالى : وما ذبح على النصب ، فالمراد به ما ذبح عليها للأصنام ، وفي الفتح أيضاً : أن الجواب على قوله : فذبنا شاة على بعض الانصاب يعني : الحجارة التي ليست بأصنام ، ولا معبودة وإنما هي من آلات الجزاء التي يذبح عليها ؛ لأن النصب في الأصل حجر كبير ، فمنها ما يكون عندهم من جملة الأصنام ، فيذبحون له ، وعلى اسمه ، ومنها ما لا يعبد ، بل يكون من آلات الذبح ، فيذبح الذابح عليه لا للصنم ، وكان امتناع زيد منها حسماً للمادة .

الكُفْر، وعبادة الصُّلْبَان، فكذلك كان ما ذبحه أهلُ الأوثانِ مُحَلًّا بالشرع المتقدم، حتى خصه القرآن بالتحريم.

زبير وصعصعة والموءودة :

فصل : وذكر خبر الموءودة . وما كان زبيد يفعل في ذلك ، وقد كان صَعَصَعَةُ بن معاويةَ جدَّ الفَرَزْدَقِ رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصح الروايتين : لك أجره إذا منَّ الله عليك بالإسلام ، وقال المُبَرِّدُ في الكامل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كلاماً لم يصح لفظه ولا معناه ، ولا يشهد له أصل . والأصول تشهد له بهذه الرواية التي ذكرناها ؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم ، وحسُن إسلامه ، كُتِبَ له كلُّ حسنة كان زَلَفَهَا ، وهذا الحديث أخرجه البخاري ، ولم يَذْكُرْ فيه : كل حسنة كان زَلَفَهَا ، وذكرها الدارقطني وغيره ، ثم يكون القصاص بعد ذلك : الحسنَةُ بعَشْرِ أمثاليها ، والموءودة مَفْعُولَةٌ من وأدَّه إذا أنقله قال الفرزدق :

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَأْدَا تِ ، وَأَحْيَا الْوَيْدَ ، فَلَمْ يُؤَادِ

يعنى : جدَّ صَعَصَعَةَ بن معاوية بن ناجية بن عِمَال بن محمد بن سفيان بن مجاشع . وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غَيْرَةً على البنات ، وما قاله الله في القرآن هو الحق من قوله : (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) وذكر النقاش في التفسير : أنهم كانوا يَتَّيِدُونَ من البنات ، ما كان منهن زَرْقَاءُ أو بَرْشَاءُ أو شِمَاءُ أو

كَشْحَاءُ^(١) تَشَاوَمَا مِنْهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾^(٢) التَّسْكُورِ : ٨ : ٩ .

العُرَى :

فصل : وذكر شِعْرَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وفيه : عَزَلْتُ اللَّاتُ وَالْعُرَى . جميعاً . فأما اللَّاتُ فقد تقدم ذكرها ، وأما العُرَى ، فكانت نخلاتٍ مجتمعةً ، وكان عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ قد أخبرهم — فيما ذكر — أن الربَّ يُشَقِّى بالطائف عند اللات ، وَيُصَيِّفُ بالعُرَى ، فعظموها وبنوا لها بيتاً ، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى السكبة ، وهى التى بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِيَكْسِرَهَا ، فقال له سادتها : يَا خَالِدُ اخْذَرْهَا ؛ فَإِنَّهَا تَجْدَعُ

(١) الزرقاء : العمياء أو من بها ذلك . والبرشاء : من فى لونها نقط مختلفة حراء ، وأخرى سوداء أو غبراء . والشيماء : من كثرت فى بدنِها الشامات ، والشامة . علامة فى البدن ، يخالف لونها لون سائرهِ ، والكشحاء : الموسومة بالنار فى كشحها . بسبب داء فى كشحها ، وربما كانت : الكسحاء .

(٢) ورد فى فتح البارى ص ١١٥ ج ٧ : وكان أهل الجاهلية يدفنون البنات . ومن بالحياة ، ويقال : كان أصلها من الغيرة عليهن لما وقع لبعض العرب حيث سبي بنت آخر فاستفرشها ، فأراد أبوها أن يفتديها منه ، فخيرها ، فاختارت الذى سبها ، خلف أبوها : ليقتلن كل بنت تولد له ، فتبيع على ذلك ، غير أن القرآن ذكر أن وأدهن كان خشية الفقر ، أو من الفقر . ولهذا قال سبحانه : ونحن نرزقهم وإياكم . لمن كانوا يمدون خشية الفقر ، وقال لمن يمدون من الفقر : ونحن نرزقكم وإياهم . عجل لهم البشارة برزق الوائدين ، فهى فى هذا المقام أولى بالذكر .

وَتُسَكَّنُ ، (١) فهدمها خالد وترك منها جذمها (٢) وأساسها ، فقال قَتِيْمُهَا :
والله لتعودنَّ ولتنتقمينَّ مِنَّي فعل بها هذا ، فذُكر - والله أعلم - أن رسولَ
الله - صلى الله عليه وسلم - قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره
أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة
سوداء مُنْتَفِشَةَ الشعر تَحْدِشُ وجهها ، (٣) ، فقتلها ، وهرب القَتِيْمُ ، وهو
يقول : لا تُعْبِدُ الْعَزَى بعد اليوم . هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النِّدَيسَابُورِي
في التَّبَعَث . وذكره الأزرَقِي أيضاً ورَزِين .

معنى يربل :

وقوله : فَيَرْبِلُ مِنْهُمُ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ . ألفت في حاشية الشيخ أبي بحر
رَبَلَ الطِّفْلُ يَرْبِلُ إذا شبَّ وعظم . يربل بفتح الباء أى يكبر وينبت ،
ومنه أخذ رَبِيلُ الأَرْضِ (٤) . وقوله : كما يَتَرَوَّحُ الغَصْنُ : أى : يَنْبُتُ
ورقه بعد سقوطه (٥) .

(١) في بعض الروايات ورد: أن ذلك كان حين أرسل خالد إلى ذى الخلصة
ليهدمها ، وفيها صنم يعبدونه ، فقال له السادن : لا تفعل ، فإنها مكنتك ، بضم
الميم وفتح الكاف وتضعيف النون مع كسرهما أى مقبضة يديك ، ومشتها .

(٢) الجذم بكسر الجيم وفتحها : الأصل

(٣) يجب أن نفهم أنها إن صح الحديث شيطانة من الإنس كانت تخدع
الناس بحيلها ، فيظنون أن للعزى حياة وقدرة أو جنياً يتلبس بها

(٤) في القاموس : ربلوا يربلون - بكسر الباء أو ضمها في المضارع ،
كثروا أو كثرت أموالهم وأولادهم وفي الحشنى : ربل الطفل يربل بضم الباء

في المضارع : شب وعظم ، والربل : ما اخضر من الشجر

(٥) عند الحشنى : يهتز ويخضر

أعراب نعت النكرة المتقدم :

وقوله : وللكفار حامية سَعِير . نصب حامية على الحال من سَعِير ؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال ، وأنشد سيبويه في مثله :

لِئِمَّةٍ مُوحِشًا طَلَلٌ^(١)

وأنشد أيضاً [لذي الرِّثْمَةِ] :

وتحت العوالي والقنأ مُسْتَكِنَةٌ ظِلًا أَعَارَتْهَا الْعِيُونَ الْجَاذِرُ

(١) يرى ابن الحاجب في أماليه على أبيات المفصل أنه يجوز أن تكون كلمة موحشا حالا من الضمير في دلية ، لأن جعل الحال من المعرفة أولى من جعلها من النكرة متقدمة عليها ، لأن هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى ، ويذهب ابن جني في شرح الحاسة والزخشرى في تفسير : وجعلنا فيها فجاجا سبلا ، والخبيصى في شرحه لكافية ابن الحاجب يذهبون إلى أن موحشا حال من طلل ، لأنها وصف للنكرة ، وتقدمت عليها ، والكرمانى يرى أن موحشا لا يجوز أن تكون حالا من طلل ؛ لأنها مبتدأ ، والحال لا تكون إلا من الفاعل أو المفعول ، والبيت هو :

لِئِمَّةٍ مَوْحِشًا طَلَلٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَلٌ

والخلل - بكسر الخاء - جمع خلة وهي بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره والبيت ينسب لكثير عزة كما فعل سيبويه ص ٢٧٦ ١٠ الكتاب ، ومن يقول بهذا يرويه ولعزة موحشا ، لأن عزة اسم محبوبة كثير ، وقيل إن البيت لذي الرمة ، ومن يقول بهذا يرويه : دلية موحشا ، لأن مية اسم محبوبة ذى الرمة انظر ص ٣٤٤ ج ٢ ، ص ١٨٩ ج ٣ - خزائن الادب للبغدادى طبع السلفية وهناك آخر :

لِئِمَّةٍ مَوْحِشًا طَلَلٌ قَدِيمٌ عَفَاءٌ كُلُّ أَسْحَمٍ مُسْتَدِيمٌ

والعامل في هذا الحال : الاستقرار الذي يعمل في الظرف ، ويتعاقب به حرف الجر ، وهذا الحال على مذهب أبي الحسن الأَخْفَش لا اعتراض فيها ؛ لأنه يجعلُ النكرة التي بعدها مرتفعةً بالظرف ارتفاعَ الناعل ، وأما على مذهب سيديويه ، فالمسئلة عسيرةٌ جداً ؛ لأنه يلزمه أن يجعلها حالا من المضمر في الاستقرار ؛ لأنه معرفة ، فذلك أولى من أن يكون حالا من نكرة ، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام ، وبعد المرفوع كان ذلك فاسداً ؛ لتقدم الحال على العامل المعنوي . وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا .

من معاني سمر زبير :

فصل : وأنشد أيضاً لزيد : إلى الله أهدى مدحى وثنائياً . وفيه : ألا أيها الإنسان إياك والرّدى . تحذير من الردى ؛ والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروكٌ ، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت ، ويبيده وبكشفه من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال : فإنك لا تخفى من الله خافياً . وفيه :

وإني وإن سبّحتُ باسمك ربّنا لأكثرُ إلا ما غفرت خطايا

معنى البيت : إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربّنا إلا ما غفرت « وما » بعد إلا زائدة ، وإن سبّحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها ، كما تقول : إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربّنا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أى : لا أعتد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي .

تفسير هنانيك :

وقوله : حَنَانِيكَ بلفظ التثنية ، قال النحويون : يريد حنانا بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد . قال المؤلف رحمه الله : ويجوز أن يريد حنانا في الدنيا ، وحنانا في الآخرة ، وإذا قيل هذا المخلوق نحو قول طَرْفَة :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فإنما يريد : حناناً دَفَع ، وحناناً نَفَعَ ؛ لأن كل من أمَّل مأسكا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضَرًّا ، أو ليجلب إليه خيرا .

تريفة أدين :

وقوله : فلن أرى أدين إلها . أى : أدين لإله ، وحذَف اللام وعدَّى الفعل ؛ لأنه في معنى : أعبد إلها .

مول اسم الله :

وقوله : غيرك اللهُ برفع الهاء ، أراد : يا الله ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام ، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء ، ألا ترى أنك تقول : يا أيها الرجل ، ولا ينادى اسم الله بيا أيها ، وتقطع همزته في النداء ، فتقول : يا الله ، ولا يكون ذلك في اسم غيره إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعروفة ، ولعل بعض

ذلك أن يُذكر فيما بعد - إن شاء الله - وقد استوفينا في غير هذا الكتاب ،
وفيه بيت حسن لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره أبو الفرج (١) في أخبار
زيد وهو :

أدين إلهنا يُستجار ، ولا أرى أدين لمن لم يسمع الدهر داعياً

حذف المنادى مع بقاء الباء :

وفيه : فقلت : ألا يا اذهب (٢) على حذف المنادى ، كأنه قال : ألا يا هذا
اذهب ، كما قرئ : ألا يا اسجدوا ، يريد : يا قوم اسجدوا ، وكما قال غيلان :

ألا يا اسمي يا دارمي على البلي (٣)

(١) في كتابه الأغاني .

(٢) الذي في السيرة : فقلت له : يا اذهب ، وفي بعض نسخها :
فقلت له : اذهب .

(٣) هو لذى الرمة ، غيلان بن عقبة من بني صعب بن مالك بن عبد مناة
ويكنى أبا الحارث . انظر ص ٧٤ ج ١ خزائن الأدب ، ففيها تفصيل الأسباب
التي من أجلها لقب غيلان بذى الرمة ، وفي الروض بعضها ، وبيت الشعر كما قال ، وبقية :
« ولا زال منها بجرعائك القطر » . ويرى الجوهرى في الصحاح أن قوله سبحانه :
« ألا يا اسجدوا » بالتحفيف معناه : يا هؤلاء اسجدوا ، لحذف المنادى اكتفاء
بحرف النداء . وقال غيره : إن ياقى هذا الموضع إنما هي للتنبيه ، كأنه قال :
ألا اسجدوا ، فلما أدخلت عليه ياء التنبيه سقطت الألف التي في اسجدوا ، لأنها
ألف وصل ، وذهبت الألف التي في « يا » لاجتماع الساكنين ، لأنها
والسين ساكتان .

وفيه : اذهب وهارونُ ، عطفًا على الضمير في اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكّد ، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدًا .

تصريف الممأنات وأشباه :

وقوله : اطمأنّت كما هيا ، وزنه أَفْلَعَلْتُ ، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف ، لأنه من تطأمن أى : تطأطأ ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل ، فتكون أخف عليهم في اللفظ كما فعلوا في أشياء . حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين ^(١) . كما هيا . ما : زائدة لتَكْفُفَ الكاف عن العمل ، وتهيئها للدخول على الجمل ، وهي : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هي عليه ، والكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سِرْتُ مثل سير زيد ؛ فمثل حال من سِيرَكَ الذي سرتّه ، وفيه : أَرْفَقُ إِذَا بَكَ بَانِيَا . أَرْفَقُ تعجب ، وبك في موضع رفع لأن المعنى : رُفِقْتُ ، وبانيا تمييز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أَحْسَنُ بَزِيدٍ مِنْ رَجُلٍ ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد

(١) وزن أشياء عند الاخفش : أفعلاء . وعند غيره أفعال ، وعند سيبويه والخليل ، لفعاء ، ويقول الخليل : أشياء اسم للجمع ، كان أصله : فعلاء ، شيئا فاستثقلت الهمزتان ، فقلبا الهمزة الاولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أنوقا ، فقالوا : أَيْتَقَا ، وكما قلبوا ، قووسا : قسيما . وقول الخليل هو مذهب سيبويه والمازني ، وجميع البصريين إلا الزيادي منهم . أما الاخفش ، فيقول : أصل أشياء ، أشياء على وزن أشيعاء ، فاجتمعت همزتان بينهما ألف . خففت الهمزة الاولى .

علم أنك متعجب منه ، وَاَبْسَطِ هذا المعنى وكشفه موضع غير هذا - إن شاء الله - وبعد قوله :

وقد بات في أضعاف حُوتٍ ليلاليا

بيت لم يذكره ابن إسحاق ، ووقع في جامع ابن وهب وهو :

وَأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ أَصْبَحَ ضَاحِيًا (١)

صفية بنت الحضرمي :

وذكر صفية بنت الحضرمي ، واسم الحضرمي : عبد الله بن عمار (٢) ، وسيأتي ذكر نسبها عند ذكر أخيها بعدُ .

الرمحوص والغرم في الشعر :

وقوله : دُعْمُوصُ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . يريد : ولأَجَا في أَبْوَابِ الْمُلُوكِ ، وأصل الدُعْمُوصُ : سمكة صغيرة كَحَيَّةِ الْمَاءِ ، فاستعاره هنا ، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة يرفعه : صفاركم دَعَامِيصُ (٣) الجنة ، وكما استعارت عائشة العصفور

(١) اليقطين : كل شئ مذهب بسطا في الأرض ، ومنه : القرع والبطيخ وغيرهما . وضاحيا : عاريا بارزا للشمس .

(٢) في السيرة ورد اسم الحضرمي : عبد الله بن عباد . ويقول الخشني : والصواب : عماد لا عَبَّاد . قاله ابن الدباغ وابن أبي الخصال وغيرهما .

(٣) رواه أحمد ومسلم والبخاري في الأدب . وقد فسر الخشني الدعومص =

حين نظرت إلى طفل صغير قد مات ، فقالت : طُوبَى له عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءاً ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ؟ إن الله خلق الجنة ، وخلق لها أهلاً ، وخلق النار ، وخلق لها أهلاً » أخرجه مسلم ، وفي هذه الآيات خَرَمٌ في موضعين ، أحدهما قوله :

ولو أشاء لقلت ما عندى مَفَاتِحُهُ وبابه

والآخر قوله :

وإنما أخذ الهوانَ إلا مَعِيرُ إذ يُوهى إهابه

وقد تقدم مثل هذا في شعر ابن الزُّبَيْرِ ، وتكلمنا عليه هناك بما فيه كفاية . وقوله : ويقول . إني لا أذِلُّ أى : يقول المعير ذلك بِصَمْتٍ جَنَبِيهِ صِلَابُهُ ، أى : صِلَاب ما يوضع عليه ، وأضافها إلى المعير لأنها عِبْوَةٌ وحمله .

لغويات ومجربات :

وذكر قوله : البرِّأُ بنى لا الخال (١) قال ابن هشام : البرِّأُ بنى : بالنصب ، والخال : الخَيْلُ ، والكِبَرُ : وقوله : ليس مُهَجَّرٌ كمن قال ، أى : ليس من هَجَّرَ وتكيس ،

== بقوله : « درية نفوس في الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل الذى يكثر الدلوج في الأشياء ، فيعنى أنه يكثر الدخول على الملوك . »

(١) هو في الطبراني والبراز مع اختلاف يسير ، وفيه المسمودى ، وقد اختلط

كَمَنَّ آثَرُ الْقَائِلَةِ وَالنَّوْمُ^(١)، فَهُوَ مَنْ : قَالَ يَقِيلُ ؛ وَهُوَ ثَلَاثِي ، وَلَكِنْ لَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ . لَا يُقَالُ : مَا أَقِيلُهُ !! قَالَ أَهْلُ النَّحْوِ : اسْتَغْنَوْا عَنْهُ : بِمَا أَنْوَمَهُ ، وَلِذِكْرِ السَّرِّ^(٢) فِي امْتِنَاعِ التَّعَجُّبِ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا . وَقَوْلُ زَيْدٍ : إِنِّي مُحَرِّمٌ لَا حِلَّةَ . مُحَرِّمٌ أَيْ : سَاكِنٌ بِالْحَرَمِ ، وَالْحِلَّةُ : أَهْلُ الْحِلِّ . يُقَالُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ : حِلَّةٌ . ذَكَرَ لِقَاءَ زَيْدِ الرَّاهِبِ بِمِثْقَةِ هَكَذَا تَقِيدُ فِي الْأَصْلِ بِكَسْرِ الْمِيمِ مِنْ مِثْقَةِ^(٣) ، وَالْقِيَاسُ فِيهَا : الْفَتْحُ ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ لِمَوْضِعٍ أَخَذَ مِنَ الْيَقَاعِ ، وَهُوَ الْمَرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ . وَقَوْلُهُ : شَأْمٌ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ ، هُوَ فَاعِلٌ مِنَ الشَّمِّ كَمَا قَالَ يَزِيدُ بْنُ شَيْبَانَ حِينَ سَأَلَ النَّسَابَةَ مِنْ قُضَاعَةَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَقَالَ لَهُ النَّسَابَةُ : شَأْمَتْنَا مُشَامَةً الذُّبِّ الْغَنَمِ^(٤) ، ثُمَّ تَنْصَرَفُ . فِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ

(١) تعبير الحشنى في تفسيرها أبسط، فقد قال : المهجر الذى يسير فى الهاجرة أى : القائلة وقوله : كمن قال : يريد كمن استراح فى القائلة ، ولم يسر ص ٧٤ .

(٢) فى المطبوعة : السير .

(٣) فى المراسد : بفتح الميم وبالفاء المفتوحة : قريبة من أرض البلقاء من الشام ، وهى أيضاً فى دار همدان باليمن .

(٤) الخبر فى الأمالى لأبى على القالى ص ٢٩٧ ط ٢ . وفيه أن يزيد سأل الشيخ : من الرجل ؟ ومن القوم ؟ فأرّم القوم ينظرون إلى الشيخ هيبة له ، فقال الشيخ : رجل من مهرة - بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الراء - ابن حيدان - بفتح الحاء وسكون الياء - ابن عمرو بن الحاف بن قضاة ، فقلت - القائل يزيد - حياكم الله ، وانصرفت فقال الشيخ : قف أيها الرجل ، نسبنا فانتسبنا لك ، ثم انصرفت . ولم تسكلمنا .. أو شاعمتنا مشامة الذئب الغنم ، ثم انصرفت ، والخبر كله خبر أدب لطيف .

في النوادير ، ومعناه : استخبر ، فاستعاره من الشم ، فنصب اليهودية والنصرانية
نصب المفعول ، ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شمت ، والفعل أولى
بهذا الموضع ، كما تقدم ، وقول ورقة : رشدت وأنعمت ابن عمرو ، أى : رشدت
وبالغت في الرشد ، كما يقال : أمتعنت النظر وأنعمته ، وقوله : ولو كان تحت
الأرض سبعين واديا بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة
للكرة ، كما قال : فلو كنت في جب ثمانين قامة^(١) وما [يكون] صفة
للكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بُعد
تحت الأرض سبعين . كما تقول : بُعد طويلا ، أى : بعدا طويلا ، وإذا حذف
المصدر ، وأقت الصفة مقامه لم تكن لإحالا ، وقد تقدم قول سيبيويه في ذلك
في مسألة : ساروا رؤو يدأ ، ونحو هذا : دارى خلف دارك فرسخا ، أى : تقرب
منها فرسخا إن أردت القرب ، وكذلك إن أردت البعد ، فالبعد والقرب
مقدّران بالفرسخ ، فلو قلت : دارى تقرب منك قريبا مقدرا بفرسخ ، لكان
بمنزلة من يقول : قريبا كثيرا أو قليلا ، فالفرسخ موضوع موضع كثيرا أو قليل
فإعرابه كإعرابه ، وكذلك قول الشاعر :

لا تمجبوا فلو ان طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلا

(١) الشعر للأعشى ، وهو كما في اللسان :

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم
وصف بالثمانين ، وإن كان اسما لأنه في معنى طويل . والبيت من شواهد

سيبيويه .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

قال ابن إسحاق : وقد كان - فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم - فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أثبت يُحْتَسَّسُ الحواريُّ لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله - صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضني فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ، ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظننوا أنهم -م- يعزوني ، وأيضا للرب ، ولكن لا بد من أن تم الكلمة التي في التاموس : أنهم أبغضوني مجانا ، أي : باطلا . فلو قد جاء المنحَمَّا هذا الذي يُرسله الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذي من عند الرب خرج ، فهو شهيدٌ على وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معي في هذا ، قلت لكم : لكيما لا تشكوا .

وَالْمُنْحَمَّا بِالْشَّرِيَّاتِ : محمد : وهو بالرومية : الْبَرَقَائِطُ ، صل الله عليه وآله وسلم .

أى : نظمهم نظما مستطيلا ، ووضع ميلا موضع مُسْتَطِيلا ، فأعرا به كإعرا به ، فهو وَصَفٌ للمصدر ، وإذا أقيم الوصفُ مقام الموصوف في هذا الباب لم يكن حالا من الفاعل ، لكن من المصدر الذى يدل الفعل عليه بلفظه نحو : ساروا طويلا ، وسقيتها أحسن من سقى إليك ، ونحو ذلك .

مخمس الحوارى :

فصل : وذكر يُخَدِّسُ الْخَوَارِىَّ (١) وسيأتى فى آخر الكتاب ذكرُ الْخَوَارِىِّينَ كُلِّهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ . وذكر قوله : أَبْغَضْتُونِي مَجَانًّا ، أَى : باطلاً ، وكذلك جاء فى الحكمة : يَا بَنَى آدَمَ عَلَّمْ مَجَانًّا ، كما عَلَّمْتُ مَجَانًّا ، أَى : بلا ثمن ، وفى وصايا الحكماء : شاورْ ذَوَى الْأَسْنَانِ وَالْعُقُولِ يُعْطُوكَ مِنْ رَأْيِهِمْ مَجَانًّا .

(١) هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع فى العهد الجديد . هذا وقد ورد ما قاله ابن هشام فى الإصحاح الخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا ، وأذكره هنا — كما هو اليوم فى هذا الإنجيل — لنوازن ، ولنعرف تحريف الكلم عن مواضعه : « الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن ، فقد رأوا ، وأبغضونى أنا وأبى ، لكن لى تم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم لأنهم أبغضونى بلا سبب . ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً ، لأنكم معى من الابتداء .. قد كلمتكم بهذا الكيلا تعثروا ، وأنقل ما ورد بعد هذا من نفس الإنجيل ، وفى نفس الغرض من الإصحاح رقم ١٦ . « أقول لكم الحق : لأنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى « فى نسخة : الفارقليط ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة .. إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع ، يتكلم به ، ويخبركم بأموار آتية ، وهذه البشارة تنطبق تماماً على محمد صلى الله عليه وسلم . وهنالك كثير من البشارات التى وردت فى العهد القديم والعهد الجديد . وقد حرف المفرضون ترجمة كلمة الفارقليط كيلا تنطبق البشارات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وحسبنا هذا ..

ما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب ، ومن صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول الله سبحانه : أنت عَبْدِي ورسولي (١) سَمِّيتُكَ المتوَكِّلَ ، ليس بِفَظٍّ ولا غليظ ، ولا سَخَّاب (٢) في الأسواق ، ولا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئَةِ ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضَه الله حتى يقيم به المِلَّةَ العَوَّجَاءَ ، فيفتح به عيوننا عُنيًا ، وأذا نأصُمًا ، وقلوبنا غُلْفًا ؛ بأن يقولوا : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

مس صفات النبي عند الأخبار

ومما وجد من صفته - صلى الله عليه وسلم - عند الأخبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان التيمي . قال : وكان من أخبار يهودَ باليمن ، فلما سمع بذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - قدم عليه ، فسأله عن أشياء ، ثم قال : إن أباي كان يختم على سفرٍ ، ويقول : [لا تقرأه] على يهود (٣) حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرِبَ ، فإذا سَمِعْتَ به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعتُ بك فتحت السفر ، فإذا فيه صِفَتُكَ كما أراك الساعة ، وإذا فيه : ما تُحِلُّ وما تُحَرِّمُ ، وإذا فيه : إنك خيرُ الأنبياء وأمتك خير الأمم ، واسمك : أحمد ، وأمتك الحامدون . قرَّبناهم : دماؤهم ، وأناجيلهم : صدورهم ، وهم لا يحضرون قتالاً .

(١) جاء قبله : د لانه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . (بآيها ، النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزا للآمين .

(٢) في رواية : صخاب أو صخوب .

(٣) أصل العبارة في الروض : د على سفر يقول . على يهود ، والعصويبه . من السيرة الحلبية ص ٢٥٠ - ١٨ .

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الطلبي قال : فلما بلغ محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ : أَيْ نَقَلَ مَا حَمَلْتُمْ مِنْ عَهْدِي : ﴿ قَالُوا : أَأَقْرَضْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران : ٨١ ، فأخذ

إلا وجبريل معهم ، يتحتمن الله عليهم كتحتمن النسر على فراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرج إليه ، وآمن به ، وصدق به ، فكان النبي — صلى الله عليه وسلم — يحب أن يسمع أصحابه حديثه ، فأتاه يوماً ، فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — : يا نعمان حدثنا ، فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرؤي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يومئذ يتبسّم ، ثم قال : أشهد أني رسول الله ، وهو الذي قتله الأسود العنسي ، وقطعه عضوا عضواً ، وهو يقول : إن محمداً رسول الله ، وإنك كذاب مُفْتَرٍ على الله ، ثم حرقه بالنار .

الله ميثاق النّبيّين جميعا بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدّوا ذلك إلى من آمن بهم ، وصدقهم من أهل هذين السكتابين .

قال ابن إسحاق : فذكر الزهري عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته : أن أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به : الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلّق الصبح . قالت : وحَبَّبَ اللهُ تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الملك بن عُبيد الله بن أبي سُفيان ابن العلاء ابن جارية النّفقي ، وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسّر عنه البيوت ، ويُفِضُ إلى شعاب مكة وبُطون أوديتها ، فلا يمرُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر ، إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله ، وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، مولى آل الزبير .

قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزُّبَيْرِ وهو يقول لُعْبِيدُ بنُ عُمَيْرٍ بنَ قَتَادَةَ الليثيَّ :
حدَّثنا يا عُبَيْدُ ، كيف كان بدءُ ما ابتدئ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من
النُّبُوَّةِ ، حين جاءه جبريلُ عليه السلام ؟ قال : فقال عُبَيْدٌ — وأنا حاضرٌ —
يُحَدِّثُ عبدَ الله بنَ الزُّبَيْرِ ، ومَنْ عنده من الناس : كان رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم يُجاور في حِراءَ من كلِّ سنة شهراً ، وكان ذلك مما تَحَنَّنْتُ به قريشٌ
في الجاهلية . والتَّحَنُّنُ : التَّبَرُّرُ .

قال ابنُ إسحاق : وقال أبو طالب :

وَنُورٍ وَمَنْ أَرَسَى نَبِيْرًا مَكَانَهُ وراقٍ لَبْرِقَى فِي حِراءَ وَنَازِلِ

قال ابنُ هشام : تقول العرب : التَّحَنُّنُ والتَّحَنُّفُ ، يريدون الحَنِيفِيَّةَ .
فَيُبْدِلُونَ الفَاءَ مِنَ الثَّاءِ ، كما قالوا : جَدَفٌ وَجَدَثٌ ، يريدون . القبر . قال رؤية .
ابن العَجَّاج :

لو كان أحجارى مع الأجداف

يريد : الأجداث : وهذا البيت في أرجوزة له . ويبتأبى طالب في قصيدة
له ، سَأَذْكُرُها إن شاء الله في موضعها .

قال ابنُ هشام : وحدثني أبو عُبَيْدَةَ أن العرب تقول : فُمٌّ ، في موضع : فُمٌّ ،
يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابنُ إسحاق : حدثني وهب بنُ كَيْسَانَ قال : قال عُبَيْدُ [بنِ عُمَيْرِ] :

• • • • •

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - السكبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعة ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعث الله تعالى فيها ، وذلك ، الشهر : شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالاته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني جبريل ، وأنا نائم ، بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال ففتني به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتني به ، حتى ظننت أنه الموت . ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : ففتني به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » : قال : فقرأتها ، ثم انتهي ، فانصرف عني ، وهبت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا . قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل قال : فرفعت رأسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدماه في أفق السماء يقول :

• • • • •

يا محمد، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فرقفت أنظر إليه فما أتقدم . وما تأخرُ ، وجعلت أضرب وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتُه كذلك ، فمازلتُ واقفا ما أتقدم أمامي ، وما أرجع ورائي ، حتى بعثتُ خديجةَ رُسَلَهَا في طلي ، فبلغوا أعلى مسكة ، ورجعوا إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفتُ راجعا إلى أهلي ، حتى أتيت خديجةَ ، فجلستُ إلى نخدها مُضيفا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيتُ ، فقالت : أبشر يا بنَ عمِّ واثبتْ . فوالذي نفسُ خديجةَ بيده إنني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصّر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قُدُّوس قُدُّوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، فقول لي : فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقية ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ

الأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى ، وَلَتَكْذِبَنَّ وَلَتُؤْذِنَنَّ ، وَلَتُخْرِجَنَّ ، وَلَتُقَاتِلَنَّ .
وَلَيْنَ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَمْلِكُهُ ، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسِهِ مِنْهُ ،
فَقَبَّلَ يَافُوخَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ : أَنَّهُ
حَدَّثَ عَنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَيُّ ابْنِ عَمٍّ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
قَالَتْ : فَإِذَا جَاءَكَ فَأُخْبِرَنِي بِهِ . فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَدِيجَةَ : يَا خَدِيجَةُ ، هَذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي ، قَالَتْ :
قِمِّ يَا ابْنَ عَمٍّ فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخَذَى الْيَسْرَى ، قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَجَلَسَ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوَلْ ،
فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخَذَى الْيَمْنَى ، قَالَتْ : فَتَحْوَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَجَلَسَ عَلَيَّ فَخَذَاهَا الْيَمْنَى ، فَقَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوَلْ
فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي ، قَالَتْ : فَتَحْوَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَلَسَ
فِي حِجْرِهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَتَجَسَّسْتُ وَأَلْقَيْتُ خِمَارَهَا -
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا - ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : هَلْ تَرَاهُ ؟
قَالَ : لَا ، قَالَتْ يَا ابْنَ عَمٍّ ، اثْبُتْ وَأُبَشِّرْ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : قَدْ
سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تَحَدَّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ خَدِيجَةَ ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا
تَقُولُ : أَدْخَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دُرْعَتِهَا ، فَذَهَبَ عِنْدَ

«ذلك جبريلُ»، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا كَمَلَكٌ ،
وما هو بشيطان .

كتاب المبعث

مَنى بعث رسول الله ؟ :

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام ^(١) ، وهذا مَرَوِيٌّ عن ابن عباس ، وجُبَيْر بن مُطْعِم وقَبَاط بن أَشِيم ، وعطاء وسعيد بن المُسَيَّب ، وأنس بن مالك . وهو صحيحٌ عند أهل السِّيَر والعلم بالآثر ، وقد روى أنه «نُبِّيٌّ لأربعين وشهرين من مولده ، وقيل لقَبَاط بن أَشِيم : من أكبر ، أنت أم رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسولُ الله أكبرُ منى ، وأنا أَسَنُّ منه ، وُولد رسول

(١) اضطربت الأقوال حول سنة صلى الله عليه وسلم حين بعث . فبعض يقول : إنه بعث بعد اثنتين وأربعين سنة ، وهو مَرَوِيٌّ عن مكحول . وآخرون يقولون : وهو ابن ثلاث وأربعين ، وهو رأى الواقدي وابن عاصم والدولابي . وما ذكره ابن حجر في الفتح : حديث ابن عباس : فككت بمكة ثلاث عشرة أصح مما عند أحمد من وجه آخر عنه : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاث وأربعين ، فككت بمكة عشرة ، وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر عنه : أقام بمكة خمس عشرة سنة .

وبعثه في رمضان هو المشهور عند الجمهور . وفي الفتح أيضاً : فعلى الصحيح المشهور أن مولده في ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر ، وفي حديث رواه الشيخان والترمذي أنه بعث لأربعين سنة ، ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفيل ، ووقفت بى أمى على روثِ الفيل
ويُروى: خَزَقِ الطير، فرأيتُه أَخْضَرَ مُحِيلاً ، أى: قد أتى عليه حَوْلٌ ، وفى غير
رواية البَـكَّائى من هذا الكتاب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
قال لبلال : لا يَفُتِّكَ صِيَامُ يوم الاثنين ؛ فإنى قد وُلدت فيه ، وبُعِثت فيه ،
وأُمرت فيه (١) .

إعراب لما آتيناكم :

وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ » (٢) الآية . وما فى هذه الآية : اسمٌ مبتدأ (٣)
بمعنى : الذى ، والتقدير : لِلَّذِى آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ولا يصح أن
تكون فى موضع نصب على إضمار فعل ، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل

(١) فى مسلم عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، سئل عن صوم يوم
الاثنين ، فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه ، أحمد ومسلم وأبو
داود . وزيادة : « وأموت فيه ، لا تتفق وهدى القرآن ، فالبشر لا يعرفون :
متى يموتون حتى النبيون .

(٢) يقول طاووس والحسن البصرى وقتادة فى تفسير الآية : « أخذ الله
ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً ، وهذا التفسير حق . وتنكير كلمة رسول
فى الآية يؤيده .

(٣) يقول العكبرى فى إعرابها : « فيها وجهان . أحدهما أن ما بمعنى الذى
وموضعها رفع بالابتداء ، واللام : لام الابتداء دخلت لتوكيد معنى القسم ، وفى
الخبر وجهان . أحدهما : من كتاب وحكمة . أى الذى أو يتيموه من الكتاب .
والنكرة هنا كالمعرفة ، والثانى : الخبر : لتؤمنن به والهاء عائدة على المبتدأ . واللام
(م ٢٥ — الروض الأنف ج ٢)

بضميره ، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، ومالا يجوز أن يعمل فيه ما قبله ، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه ، وقد قيل : إن ماهذه شرط . والتقدير : لهما آيتكم من كتاب وحكمة لتؤمننَّ به ، وهو ظاهر قول سيبويه ، لأنه جعلها بمنزلة : إن ، وقول الخليل : إنها بمنزلة الذي ، أى : إنها اسم لا حرف ، ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا ، فتكون اسماً ، وتكون شرطاً ، ويحتمل أيضاً أن تكون على قول الخليل : خبرية في موضع رفع بالابتداء ، ويكون الخبر : لتؤمننَّ به ولتنصرنَّ به ، وإن كان الضميران عائدين على الرسول ، لا على الذى ، ولما قال : رسول مُصَدِّقٌ لما معكم ، ارتبط الكلام بعضه ببعض ، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود

=جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق قسم في المعنى ، فأما قوله : ثم جاءكم ، فهو معطوف على : ما آتيتكم ، والعائد على دما ، من هذا المعطوف فيه وجهاً . أحدهما : تقديره : ثم جاءكم به ، واستغنى عن إظهاره بقوله : به فيما بعد . والثاني : أن قوله : لما معكم في موضع الضمير ، تقديره : صدق له ؛ لأن الذى معهم هو الذى آتاهم ويجوز أن يكون العائد ضمير الاستقرار العامل في مع ، ويجوز أن تكون الهاء في : به ، تعود على الرسول ، والعائد على المبتدأ : محذوف ، وسوغ ذلك طول الكلام ، وأن تصديق الرسول تصديق للذى أوتيته ، والقول الثانى : أن ما : شرط واللام قبله ، لتلقى القسم كالتى في قوله : اتن لم ينته المنافقون ، وليست لازمة بدليل قوله : وإن لم ينتهوا عما يقولون ، فعلى هذا تكون دما في موضع نصب بآيت . والمفعول الثانى : ضمير المخاطب ، ود من كتاب ، مثل د من آية ، في قوله : ما ننسخ من آية ، وباقي الكلام على هذا الوجه ظاهر ، ثم ذكر وجه إعرابها إذا قرئت بفتح اللام وتشديد الميم ، كما ذكر قبل وجه إعرابها إذا قرئت بكسر اللام وتخفيف الميم ص ٨٣١ لأملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى .

على المبتدأ ، وله نظير في التنزيل منه قوله تعالى : (والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ)
البقرة : ٢٣٤ خبره : يَتَرَبَّصْنَ بأنفسهن ، ولم يعد على المبتدأ شيء ، لتسبب
الكلام ببعضه ببعض ، وقد لاح لي بعد نظري الكتاب أن الذي قاله الخليل
وقول سيبويه قول واحد ، غير أنه قال : ودخول اللام على ما ، كدخولها على
إن ، يعني : في الجزاء ، ولم يرد أن يعمل ما جزاء ، وإنما تكلم على اللام خاصة
والله أعلم .

النسوة وأولو العزم :

وذكر قول ابن إسحق : والنسوة أئقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيعها
إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، ووقع في رواية يونس عن ابن إسحق في
هذا الموضع عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن منبه وهو
في مسجد مني - وذكر له يونس النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : كان عبداً
صالحاً ، وكان في خلقه ضيق ، فلما حُملت عليه أئقال النسوة ، ولها أئقال تفسخ
تحتها تفسخ الربيع تحت الحمل الثقيل (١) ، فألقاها عنه وخرج هاربا ، وفي رواية
عن ابن إسحق : إن أولى العزم من الرسل منهم : نوح وهود وإبراهيم أما
نوح فلقوله : (يا قوم إن كان كبرُ عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله) يونس : ٧١
وأما هود فلقوله : (إني أشهد الله واشهدوا أنى برى : مما تُشركون) هود : ٥٥
وأما إبراهيم ، فلقوله هو والذين معه : (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون

(١) الربيع بضم الراء وفتح الباء : الفصيل ، ينتج في الربيع ، وهو أول النتائج
والمقصود : ضعف وعجز .

الله) وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء (١).

أول ما يرى به النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة :

(فصل) وذكر ابن إسحق : ما بدى به النبي — صلى الله عليه وسلم — من النبوة، إذ كان لا يمر بحجر، ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله (٢)، وفي مصنف الترمذي ومسلم أيضاً أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن يُنزل عليّ، وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذي كان يسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم: الأظهر فيه أن يكون حقيقة، وأن يكون الله أنطقه إنطاقاً كما خلق الخنيزار في الجذع (٣)، ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت: عرض في قول

(١) من أشهر الأقوال عن أولى العزم أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، ودليلهم أن الله نص على أسمائهم في الأحزاب فقال: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) الأحزاب: ٧ كما نص عليهم في سورة الشورى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»، الشورى: ١٣. وقيل إنهم جميع الرسل، وتكون من لبيان الجنس.

(٢) في الترمذي والدارمي قال علي: كنت مع النبي د ص، بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله، وروى مثله الطبراني في الأوسط، وفيه مجهول.

(٣) ورد حنين الجذع في حديث رواه البخاري والذهبي والترمذي.

الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النظام ، فإنه زعم أنه جسم ، وجمله الأشعري اصطلاحاً كافى الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ، ولو قدّرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بدّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم : أى ذلك كان ، أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمناً ، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة ، وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة ^(١) ، وأما حنين الجذع فقد سمي حنيناً ، وحقيقة الحنين يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، فيؤمنونها ، فيكون مجازاً من قوله تعالى : (واستل القرية) ^(٢) والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها علم على نبوته — عليه السلام — غير أنه لا يسمى معجزة ^(٣) فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدّى به الخلق ، فعجزوا عن معارضته .

- (١) ليس لاحد أن يتكلم عن حقيقة مثل هذا ، فانه وحده هو أعلم بالحقيقة .
- (٢) القرية — كما يقول الراغب فى مفرداته — اسم للوضع الذى يجتمع فيه الناس ، وللناس جميعاً . وهذا لا يكون فى الآية مجاز كما هو المشهور .
- (٣) يجب أن نسميها بما سمى الله ، وهى : آية ، وهذا تتجارب الكلمة مع سكونة القلب والفكر وتقديسهما ، ونخلصها بما دار حول المعجزة من جدال ، واضطرم من شحناه وموازنات بينها وبين السحر والكرامة . والله سبحانه يسمي ما أعطاه للرسال آيات ، لأمعجزات فلنقف عند هذا .

مدلول نفعل :

وذكر حديث عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَجَاوِرُ بِفَارِجِ رَأْيٍ (١) وَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، قَالَ : وَالتَّحَنُّنُ : التَّبَرُّرُ . تَفْعُلُ مِنَ الْبَرِّ ، وَتَفْعُلُ : يَقْتَضِي الدَّخُولَ فِي الْفِعْلِ ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِيهَا مِثْلُ : تَنَقَّه وَتَعَبَّدَ وَتَذَكَّرَ . وَكَانَتْ فِي الْأَفَافِ بِسِيرَةٍ تَعطى الخُروجَ عن الشيء ، وَاطَّرَاحَهُ ، كَالْتَأْتُمُ وَالتَّحَرُّجِ . وَالتَّحَنُّنُ بِالنَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ (٢) ، لِأَنَّهُ مِنَ الْحَنَنْ ، وَهُوَ الْحَمْلُ الثَّقِيلُ ، وَكَذَلِكَ

(١) جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى منى ، ويقصر ويمد
(٢) في كتاب الأضداد للصغاني : تحنن إذا أنى الحنن ، وإذا تجنبه ، ومثله
في كتاب الأضداد لابن بكر الأنباري ، وفيه : تحوب الرجل إذا تجنب الحوب ،
وهو الإثم العظيم ، ولا يستعمل تحوب في المعنى الآخر . وقال بعض أهل اللغة .
تصدق الرجل إذا أعطى ، وتصدق إذا سأل ، ص ١٤٥ ، ١٥٤ الأضداد ط
١٣٢٥ هـ لمحمد ابن القاسم بن بشار الأنباري أبي بكر . ويقول الحشني عن رأي
ابن هشام في التحنن وأنه التحنف : فالحيد فيه أن يكون فيه التحنن هو الخروج
من الحنن أي : الإثم ، كما يكون الذائم الخروج عن الإثم ، لأن تَفَعَّلَ قد تستعمل
في الخروج عن الشيء ، وفي الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذي
ذكره ابن هشام ، ص ٧٥ : هذا ولصيغة تَفَعَّلَ معان مذكورة في مصادر هافانظرها
مثل ج ١ ص ١٤٠ الشافية للرضي . وفي الصحيحين أنه جاور بحراء شهراً . وذكر
ابن إسحاق أنه شهر رمضان . وليس هنالك نص صريح أو صحيح يبين لنا كيف
كان يتحنن . وأذكر هنا بقول الله سبحانه عما كان عليه محمد قبل البعثة :
وَمَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وقوله : ووجدك ضالاً فهدى ، فهي
إذا كانت عزلة عن مجتمع جاهلي عربدت فيه الخطيئة . والمفهوم من كلام ابن هشام
أن هذا التحنن أمر كانت تأتبه قريش في جاهليتها .

التَّقْدَرُ ، إنه هو تَبَاعُدُ عَنْ الْقَدَرِ ، وأما التَّحْتَفُ بالفاء ، فهو من باب التَّبَرُّرِ ؛
لأنه من الحَنِيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ ، وإن كَانَ الْفَاءُ مُبْدَلَةً مِنَ النَّاءِ ، فهو من باب
التَّقْدَرِ والتَّائِيحِ ، وهو قول ابن هِشَامٍ ، واحتَجَّ بِجَدَفٍ وَجَدَثَ ، وأنشد قول
رُؤْبَةَ : لو كان أَحْجَارِيَّ مع الْأُجْدَافِ ، وفي بيت رُؤْبَةَ هذا شاهدٌ وردَّ
على ابن جَنِّي حيث زعم في سِرِّ الصَّنَاعَةِ أَنَّ جَدَفَ الْفَاءِ لَا يَجْمَعُ عَلَى
أُجْدَافٍ ، واحتج بهذا لمذهبه في أَنَّ النَّاءَ هِيَ الْأَصْلُ ، وقول رُؤْبَةَ (١) ردَّ
عليه ، والذي نذهب إليه أَنَّ الْفَاءَ هِيَ الْأَصْلُ فِي هَذَا الْحَرْفِ ، لأنه من الْجَدَفِ
وهو الْقَطْعُ ، ومنه جَدَافُ السَّفِينَةِ ، وفي حديث عمر في وصف الجن : شَرَابُهُمُ
الْجَدَفُ وَهِيَ الرِّغْوَةُ ، لأنها تُجَدَفُ مِنَ الْمَاءِ ، وقيل : هِيَ نَبَاتٌ يَقْطَعُ وَيُؤْكَلُ .
وقيل : كلُّ إِنَاءٍ كُشِفَ عَنْهُ غَطَاؤُهُ : جَدَفٌ ، والجَدَفُ : الْقَمَرُ مِنْ هَذَا ، فله مادة
وَأَصْلُ فِي الْاِسْتِنْقَاقِ ، فَأَجْدِرُ أَنَّ تَسْكُونَ الْفَاءَ هِيَ الْأَصْلُ وَالنَّاءُ دَاخِلَةٌ عَلَيْهَا . (٢)

حول مجاورته في حراء :

وقوله : يُجَاوِرُ فِي حَرَاءٍ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ . الجِوَارُ بِالْكَسْرِ فِي مَعْنَى الْمَجَاوِرَةِ

(١) هو جزء من بيت من أَرْجُوزَةٍ يعاتب بها رُؤْبَةَ أَبَاهُ الْعِجَاجُ . وقوله .
لَا تَمُجِّلَنَّ الْحَتَفَ ذَا الْإِتْلَافِ وَالْدَّهْرُ إِنِّ الدَّهْرُ ذُو الْاِزْدِلَافِ
بِالْمِرَّةِ ذُو عَصْفٍ وَذُو انْصِرَافٍ لو كان أَحْجَارِيَّ مع الْأُجْدَافِ
تَعَفَوْا عَلَى مُجَرِّئِهِمُ الْعَوَافِي تَضَرَّبَهَا الْأَمْطَارُ وَالسَّوَافِي
انظر ص ١٠٠ من ديوان رُؤْبَةَ ط لَيْبَسِيَّةِ بِبَرْلِين

(٢) الجَدَفُ بِالذَّالِ وَالذَّالُ : الْقَبْرِ ، وكذلك الْجَدَثُ . وفي الْقَامُوسِ عَنْ
الْجَدَفِ أَنَّهُ نَبَاتٌ بِالْيَنْ يَغْنَى آكَلُهُ عَنْ شَرْبِ الْمَاءِ عَلَيْهِ . وهو أَيْضًا مَارِيٌّ بِهِ التُّرَابُ
مِنْ زَيْدٍ أَوْقَذَى . وكلُّ مَا هُوَ بِالذَّالِ مِنْ هَذَا يُقَالُ بِالذَّالِ أَيْضًا .

وهى الاعتكاف ، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد . كذلك قال ابن عبد البر ، ولذلك لم يُسمَّ جواره بِحِراءَ اعتكافاً ، لأن حِراءَ ليس من المسجد ، واسكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذى نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال له تَبِيرُ وهو على ظهره : اهبط عني ؛ فإني أخاف أن تُقتل على ظهري فأعذب ، فناده حِراءَ : إني إلى إني يا رسول الله (١) .

كيفية الوحي :

فصل : وذكر نزول جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : في الحديث : فأتاني وأنا نائم ، وقال في آخره : فهبت من نومي ، فكأنما كُتِبَتْ في قلبي كتاباً ، وليس ذكرُ النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة ، عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان في اليقظة ؛ لأنها قالت في أول الحديث : أول ما أبدى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاء الحق ، وهو بغار حِراءَ ، فجاءه جبريل . فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة تَوْطئةً وتيسيراً عليه .

(١) حديث يروى في السير ، وذكره عياض في الشفاء بلا سند فهي أسطورة .

ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعِبَؤُها ثَقِيلٌ ، والبشر ضعيف ، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه ، قد ثبت بالطرق الصَّحاح عن عامر الشَّعْبِي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل به - إسرافيلُ ، فكان يترأى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشئ (١) ثم وكل به جبريلُ فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزولُ الوحي عليه - صلى الله عليه وسلم - في أحوال مختلفة ، فمنها : النوم كافي حديث ابن إسحاق ، وكما قالت عائشة أيضاً : أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الرؤيا الصادقة (٢) وقد قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ فقال له ابنه : ﴿ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ الصافات : ١٠٢ ، فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام ، كما يأتيهم في اليقظة .

ومنها : أن يُنْفَثَ في رُوعه الكلام نَفْثًا ، كما قال عليه السلام : إن رُوح القدس نَفَثَ في رُوعِي أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ،

(١) هذا مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

(٢) ورد هذا في حديث - رواه الشيخان والترمذي . وقد روى البخاري حديث الوحي في كتاب التعبير من صحيحه وفي التفسير ، وفي بدء الوحي ، واختار ما في التعبير ، لأن سياقه فيه أتم . وفي زاد المعاد أنه قيل : إن مدة الرؤية كانت ستة أشهر ويقول النووي عن حديث الرؤيا الذي روته عائشة : إنه من مراسيل الصحابة ؛ لأن عائشة لم تدرك هذه القصة ، فتكون سمعتها من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو من صحابي . ص ٥٨١ ج ٨ فتح الباري .

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ^(١). وقال مجاهد، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الشورى : ٥١ . قال هو أن يَنْفُثَ في رُوعه بالوحي .

ومنها : أن يأتيه الوحي في مثل صَلَصلةِ الْجُرَسِ^(٢)، وهو أشدُّ عليه، وقيل : إن ذلك لَيْسَتْ جَمِيعُ قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يسمع ، وألقن لما يلقى .

ومنها : أن يتمثل له الملكُ رجلاً ، فقد كان يأتيه في صورة دحية^(٣) بن

(١) أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة ، وعلم عليه السيوطي بأنه ضعيف ، ورواه بتمامه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود ، وابن ماجه عن جابر ، والطبراني من حديث أبي أمامة . والرووع بضم الراء : النفس والقلب والذهن والعقل .

(٢) ورد هذا في حديث متفق عليه .

(٣) دحية بكسر الدال وقد تفتح - بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد ابن امرئ القيس بن الخزرج ، أول مشاهده الحندق . نزل دحش وسكن المزة ، وعاش إلى خلافة معاوية . وذكر مقاتل أن التجارة التي سيأق ذكرها كانت لدحية قبل إسلامه . وكان معها طبل ، كما ورد في كتاب المراسيل في حديث رواه أبو داود . هذا وقد نزل جبريل على الرسول ص ، بصورة رجل غير دحية ، كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين ، وذلك حين جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان . وفي آخر الحديث . هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم . وقد وصف جبريل في صورته هذه - كما جاء في مسلم - بأنه رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فلو أنه كان في صورة دحية لعرفوه .

خليفة ، ويُروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق مُعَصِّرٌ^(١) إلا أخرجت تنظر إليه لفرط جماله . وقال ابن سلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ الجمعة : ١١ . قال : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله .

ومنها : أن يترأى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ، ينتشر منها الأولو والياقوت .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب : إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء ، وإما في النوم ، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذى ، قال : أتاني ربي في أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم اللأ الأعلى ، فقلت : لا أدري . فوضع كفه بين كتفي ، فوجدت برزخا بين مُنْدُوئِي^(٢) وتجلي لي علم كل شيء ، وقال : يا محمد ، فيم يختصم اللأ الأعلى ، فقلت : في الكفارات ، فقال : وما هن ؟ فقلت : الوضوء عند الكبريات ، ونقل الأقدام إلى الحسنات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، فمن فعل ذلك عاش حميدا ، ومات حميدا ، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه ، وذكر الحديث^(٣) . فهذه ستة أحوال ، وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها ، وهي

(١) المرأة بلغت شبابها وأدركت .

(٢) ثندوة بضم فسكون ، فضم فواو مفتوحة فتاء ، وقد تفتح التاء : لحة الثدي أو أصله .

(٣) أحمد وعبد الرازق والترمذى والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا ، وابن مردويه والطبرانى من حديث معاذ ، وقال البيهقي في الاسماء والصفات : « هذا حديث مختلف في إسناده . ثم ذكر طرقه ، وقال : وكلها ضعيف ، وأحسن طريق فيه رواية جهم بن عبد الله - وهي منقطعة - ثم رواية موسى بن خلف =

نزل إسرائيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل^(١) فهذه سبعُ صور في كيفية نزول الوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - لم أرَ أحداً جمعها كهذا الجمع ، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غُنيّة ، وقد أملينا أيضاً في حقيقة رؤيته عليه السلام ربّه في المنام على أحسن صورة ، ويروى : على صورة شاب مسئلةً بدبعة كاشفة لقناع اللّبس ، فانتظر هنالك .

من تفسير حميد الوهمي :

فصل : وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بِفَمَطٍ^(٢) من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، قال بعض المفسرين في قوله : (ألم ذلك الكتاب لارب فيه) إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال : اقرأ ، وفي الآية أقوال غير هذه ، منها : أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه : ألم ؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله ، فهي كالترجمة له .

== وفيه ما يثبت أنه كان في النوم ، وذكر ابن الجوزي أن طرق هذا الحديث مضطربة .

(١) ورد في أثر عن الشعبي في تاريخ الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان وابن سعد والبيهقي . وهو مرسل أو معضل . وكلاهما من أقسام الضعيف ، وقد أنكره الواقدي ، وقال : لم يكن به من الملائكة إلا جبريل . قال الشامي : وهو المعتمد . وهو معارض الأحاديث الصحيحة .

(٢) وعاء كالسقط . وهذا من رسائل عبيد بن عمير .

معنى اقرأ باسم ربك :

وقوله : ما أنا بقارىء ، أى : إني أُمِّيٌّ ، فلا اقرأ الكتب ، قالها ^(١) ثلاثاً
فقليل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لا تقرؤه بحَوْلِكَ ، ولا بصفة نفسك ،
ولا بمعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ^(٢) ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كما خلقك
وكما نزع عنك علقَ الدم ، ومَمَّزَ الشيطان بعد ما خلقه فيك ، كما خلقه في كل
إنسان . والآيتان المتقدمتان لمحمد ، والآخرتان : لأُمته ، وهما قوله تعالى : (الذى علمَ
بالقلم علمَ الإنسان ما لم يعلم) لأنها كانت أُمَّةً أُمِّيَّةً لا تكتب ، فصاروا أهل
كتاب ، وأصحابَ قلمٍ ، فتعلموا القرآن بالقلم ، وتعلمه نبيهم تلقيناً من جبريل
نزله على قلبه بإذن الله ، ليكون من المرسلين .

مول بسم الله :

فصل : وفي قوله : اقرأ باسم ربك من الفقه : وجوب افتتاح القراءة ببسم الله
الرحمن الرحيم ^(٣) ، غير أنه أمرٌ مُبْهِمٌ لم يبين له بأى اسم من أسماء ربه يفتتح ،

(١) قيل إن ما استفهامية ، لما ورد في رواية أبي الاسود عن عروة : كيف
أقرأ ؟ وابن إسحاق عن عبيد بن عمير ، ماذا أقرأ ؟ وقد جوز الاخفش دخول
الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر بحسبك
وجعل الباء زائدة وسيأتى في الشرح وفي الروض .

(٢) أى ناوياً بقراءته وجه الله سبحانه ، ويجب في قراءة القرآن الاستفتاح
أولاً بالاستعاذة ، فقد جاء الأمر بها صريحاً في القرآن .

(٣) يقول ابن كثير : افتتح بها الصحابة كتاب الله ، واتفق العلماء على أنها
بعض آية من سورة النمل . ثم اختلفوا : هل هي آية مستقلة في أول كل سورة ، =

حتى جاء البيان بعد في قوله: (بسم الله تَجْرِيهَا) هود: ٤١ ثم قوله تعالى: (وإنه بِسْمِ الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه بيسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة ، وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك ، وما ذكره البخارى من مصحف الحسن البصرى ، فشذوذ ، فهى على هذا من القرآن ، إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن ، ولا يلتزم قول الشافعى أنها آية من كل سورة ، ولا أنها آية من الفاتحة ، بل نقول: إنها آية من كتاب الله تعالى ، مقترنة مع السورة ، وهو قول داود وأبى حنيفة ، وهو قول بين القوتل أنصف ، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبَّحت الجبال ، فقالت قريش : سَحَرَ محمد الجبال (١) ذكره النقاش ، وإن صح ما ذكره ، فلمعنى ما سبَّحت عند نزولها خاصة . وذلك أنها آية أنزلت على آل داود ، وقد كانت الجبال تسبِّح مع داود ، كما قال الله تعالى : (إنا سَخَّرْنَا الجبالَ معه يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) ص : ١٨ وقال : (إنه من مُسَلِّمِينَ ، وإنه بِسْمِ الله الرحمن الرحيم) النمل : ٣٠ .

وفي الحديث ذكر نَمَطَ الديباج من الكتاب ، وفيه دليل وإشارة إلى

== كتبت في أولها ، أو أنها بعض آية من كل سورة ، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها : أو أنها إنما كتبت للفصل بين السور لا أنها آية . على أقوال العلماء سلفا وخلفا ؟ هذا وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « كانت قراءته مدا مدا ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم بمد باسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم » .

(١) كيف عرفت قريش أنه تسبِّح للجبال ؟ والله يقول : « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ، فكيف يفقه عتاة الشرك ؟

أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحريز الذي كان زيئهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحريز والديباج (١) ، وفي سير موسى بن عقبة ، وسير سليمان بن المعتمر زيادة ، وهو أن جبريل أتاه بذكر نوك (٢) من ديباج منسوج بالدر والياقوت ، فأجلسه عليه ، غير أن موسى بن عقبة قال : ببساط ، ولم يقل : ذكر نوك ، وقال في سير ابن المعتمر : إن الله تعالى أنزل عليه : (ألم نشرح لك صدرك) الآيات ، كأنه يشير به ، فمسح جبريل صدره ، وقال : اللهم اشرح صدره ، وارفع ذكره ، وضع عنه وزره ، ويصحح مارواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه : (ألم نشرح لك صدرك) الآيات ، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذي كان من جبريل ، والله أعلم (٣) .

اللفظ :

وقوله في الحديث : ففطنى (٤) ، ويروى : فسأبنى ، ويروى : سأتنى ، وأحسبه أيضا يروى : فدعأتنى (٥) وكلها بمعنى واحد ، وهو أخلق والغم ، ومن الذعيت حديثه الآخر : أن الشيطان عرض له ، وهو يصلى قال : فدعأته ، حتى وجدت برّد لسانه على يدي ، ثم ذكرت قول أخى سليمان : (رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا

(١) هكذا يبنى على روايات واهية أمورا هي حقائق لا تبنى على مثل هذا الباطل .

(٢) في النهاية لابن الأثير : ستر له نخل وجمعه : درانك ، ويقال :

درموك أيضا ، وفي القاموس . ضرب من الثياب أو البسط كالدرنيك بكسر الدال والطنفسة كالدرنك كزروج .

(٣) رواية ضعيفة لا يعتد بها فلماذا يعتد بها السهيلي ؟

(٤) غطنى : ضمني وعصرنى ، والغت : حبس النفس .

(٥) ذعجه — أيضا — : ذاته ومعك في التراب ، ودفعه دفعا عنيفا وتقال .

بالدال أيضا والسأب : العصر في الخلق ، والسأت : الخلق .

لا ينبغي لأحد من بعدى) الحديث ، وكان في ذلك إظهاراً للشدة والجِد في الأمر ، وأن يأخذ الكتاب بقوة ، ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهويني ، وقد انتزع بعض التابعين وهو شريح القاضي من هذا : ألا يضرب الصبي على القرآن

(١) في البخارى في باب التفسير : « إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة — أوكلة نحوها — ليقطع على الصلاة ، فأمكنني الله تبارك وتعالى منه ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد ، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، فذكرت قول أخى سليمان — عليه الصلاة والسلام : رب اغفر لي ، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى ، قال روح — يعنى ابن عبادة راوى الحديث : فردّه خاسئاً . وهكذا رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة به ، وروى مسلم في صحيحه عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله صلى عليه وسلم يصلى ، فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال صلى الله عليه وسلم : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يتأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه . والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة . وفي حديث أحمد عن أبى سعيد الخدرى أنه كان في صلاة الصبح فالتبست عليه القراءة ، وأنه قال بعد انتهاء الصلاة : (لو رأيتمنى وإبليس فأهويت بيدي ، فإزلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة) ولقد قيل هنا : كيف يقال : إن الرسول صلى الله عليه وسلم - ذكر دعوة سليمان ، ولم يذكر إنظار الله لإبليس حتى يوم الدين ؟ وربنا أعلم بما كان .

إلا ثلاثاً كما غَطَّ جبريلُ عليه السلام محمداً - صلى الله عليه وسلم - ثلاثاً ، وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك في نومه كان^(١) ، يكون في تلك الغَطَّات الثلاث من التأويل ثلاثُ شدائد ، يُبْتَلَى بها أولاً ، ثم يأتي الفرج والروح ، وكذلك كان آقَى هو وأصحابه ، شدةً من الجوع في شِعْب الخيف ، حين تعاقدت قريش الأبييعة وامنهم ، ولا يتركوا مِيرةً تصل إليهم ، وشدةً أخرى من الخوف والإبعاد بالقتل ، وشدةً أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ، ثم كانت العاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .

ما أنا بقارى :

وقوله في حديث ابن إسحاق : أقرأ ، قال : ما أقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاماً ، يريد : أى شئ أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفيًا ، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أى : ما أحسن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : ما أنا بقارى^(٢) .

(١) رواية المنام من مراسيل عبيد بن عمير ، وهى مخالفة لرواية الصحيحين المسندة المرفوعة ، والجمع بين الروایتين بأن هذا كان مرتين : الأولى في المنام والآخرى في اليقظة تأويل فاسد ، فلو أن هذا حدث ، ما حدث له كل ذلك الذى أصابه من شدة الوحى في المرة الأخرى .

(٢) فإن قيل : لم كرر ثلاثاً ؟ أجاب أبو شامة : بأن يُحمل قوله أولاً : ما أنا بقارى على الامتناع ، وثانياً : على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثاً : على الاستفهام ، ويؤيده أن في رواية أبي الاسود في مغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفي رواية ابن عمير عن ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ ، وفي مرسل الزهرى في دلائل البهقي : كيف أقرأ . وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية .

رؤيته جبريل ومعنى اسمه:

وذكر رؤيته لجبريل ، وهو صافٌ قدميه ، وفي حديث جابر أنه رآه على رَفْرَفٍ^(١) بين السماء والأرض ، ويروى: على عرش بين السماء والأرض ، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فترَعنه الوحي ، كان يأتي شواهِقَ الجبال بهم بأن يُلقَى نفسه منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول له : أنت رسول الله ، وأنا جبريل . واسم جبريل سُرْبَانِي ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله ، وهو: إيل ، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة ، وكذلك الإضافة في كلام المعجم ، يقولون في غلام زيد : زيد غلام ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أولُ الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبدالله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألقاها مختلفة .

حول معنى إيل وخرافة السحابة :

وأما إيلٌ بالنشيد من قوله تعالى : (إِلَّا وَلَا ذِمَّةُ) التوبة : ١٠ فَحَذَارِ

(١) البساط أو الستر ، وأصله ما كان من الديباج ، وغيره رقيقاً حسن الصنعة ، ثم توسع فيه .

حَذَرُ مَنْ أَنْ تَقُولَ فِيهِ : هُوَ اسْمُ (١) اللَّهِ ، فَتَسْمَى اللَّهُ بِاسْمٍ لَمْ يُسَمَّ بِهِ نَفْسُهُ أَلَا تَرَى أَنْ جَمِيعَ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْرِفَةٌ ، وَ «إِلَّ» نَكْرَةٌ ، وَ حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ نَكْرَةً ، وَإِنَّمَا الْأَلُّ كُلُّ مَا لَهُ حُرْمَةٌ وَحَقٌّ ، فِيمَا لَهُ حَقٌّ وَيَجِبُ تَعْظِيمُهُ : الْقَرَابَةُ وَالرَّحِمُ وَالْجَوَارِ وَالْعَهْدُ ، وَهُوَ مَنْ أَلَّتْ : إِذَا اجْتَهَدْتَ فِي الشَّيْءِ وَحَافِظْتَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تَضْمِمْهُ ، وَمِنْهُ : الْأَلُّ فِي السَّيْرِ وَهُوَ الْجِدُّ ، وَمِنْهُ قَوْلُ السُّكْمَيْتِ [يَصْفَرُ جُلًّا] .

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءٍ مُجْدِبَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَّيْهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ (٢)
يُرِيدُ : اجْتَهَدْتَ فِي الدَّعَاءِ ، وَإِذَا كَانَ الْأَلُّ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ ، فَالْإِلُّ بِالْكَسْرِ : الْأَسْمُ كَالذَّبْحِ مِنَ الذَّبْحِ ، فَهُوَ إِذَا شَيْءٌ الْحَافِظُ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُ الصَّدِّيقِ : [عَنْ كَلَامِ مُسَيِّلَةٍ] : هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ «إِلَّ» وَلَا بَرٍّ ، أَيْ : لَمْ يَصْدُرْ عَنْ رُبُوبِيَّةٍ ، لِأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ حَقُّهَا وَاجِبٌ مُعْظَمٌ ، وَكَذَلِكَ قَسَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَاتَّفَقَ فِي اسْمِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مُوَافِقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِعَنَاءِ ، وَإِنْ كَانَ أَعْجَمِيًّا ، فَإِنَّ الْجَبْرَ هُوَ إِصْلَاحُ مَا وَهَى ، وَجَبْرِيلَ مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ ، وَفِي الْوَحْيِ إِصْلَاحُ مَا فَسَدَ ، وَجَبْرُ مَا وَهَى مِنَ الدُّبْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا بِمَكَّةَ وَلَا بِأَرْضِ الْعَرَبِ فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ بِهِ انْطَلَقَتْ تَسْتَلُّ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ كَعَدَّاسٍ وَاسْتُظْهِرَ الرَّاهِبُ (٣) ، فَقَالَ لَهَا : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ! أَيْ هَذَا الْأَسْمُ أَنْ

(١) لَهُ الْحَقُّ فِي أَنْ يَحْذَرَ مِنْ هَذَا ، فَهُوَ لَيْسَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى ، وَإِنْ كَانَ مَوْجُودًا فِي بَعْضِ مَعَاجِمِ اللُّغَةِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : إِلَيْهَا ، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ هَكَذَا :

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَّيْهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ

(٣) تَكَلَّمْتُ عَنْ هَذَا مِنْ قَبْلُ ، وَعَدَّاسٌ - كَمَا قِيلَ - نَصْرَانِيٌّ مِنْ نِيزْيُونِ وَانْظُرْ

قِصَّتُهُ فِي السَّيْرَةِ الْحَلَبِيَّةِ ص ٢٧٨ ج ١ .

يذكر في هذه البلاد ، وقد قدمنا هذا الخبر عنها ، وهو في سِيرِ التَّيْمِي لما ذكرناه قبل ، وفي كتاب الْمُعْطِي عن أشهب قال : سئل مالك عن التَّيْمِي بِجَبْرِيل أو من يُسَمَّى به ولده ، فذكره ذلك ، ولم يعجبه .

معنى الناموس :

وقول ورقة : لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى .
الناموس : صاحب سِرِّ الْمَلِكِ ، قال بعضهم : هو صاحب سِرِّ الْخَيْرِ ، والْجاسوسُ : هو صاحبُ سرِّ الشرِّ (١) ، وقد فسرهُ أبو عبيد وأنشد :

فأبلغ يزيد إن عَرَضْتَ وَمُنْذِرًا عَمَّهُمَا وَالْمُسْتَشِرَّ الْمُنَامِسَا (٢)

لم ذكر موسى ولم يذكر عيسى :

وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ، وهو أقرب ، لأن وَرَقَةَ كان قد تنصَّر ، والنصارى لا يقولون في عيسى : إنه نبيُّ يأتيه جبريلُ ، إنما يقولون فيه : إن أُنْقُوْمًا (٣) من الأَقَانِمِ الثلاثةِ اللَّاهُوتِيَّةِ حلَّ بناسوتِ الْمَسِيحِ ، واتَّحَدَ به على اختلافٍ بينهم في ذلك الحلول ، وهو أُنْقُوْمُ الْكَلِمَةِ ، وَالْكَلِمَةُ عندهم : عبارة عن الْعِلْمِ ، فذلك كان الْمَسِيحُ عندهم ، يعلم الغيب ، ويخبر بما في غد ، فلما كان هذا من مذهب النصارى الكَذْبَةُ على الله ، المدعين الحَال ، عدل عن ذكر

(١) جزم البخارى في أحاديث الأنبياء أنه صاحب السر ، وقال ابن حريز : صاحب الوحي ، وأهل الكتاب يسمون جبريل : الناموس الأكبر . والخشني يقول : أصل الناموس هو : صاحب سر الرجل في خيره وشره .

(٢) البيت للكُمَيْت كما ذكر اللسان وفيه : د وعمهما ، والمستسر ، بدلا من د عمهما والمستشِر ، ومعنى الْمُنَامِس : الداخل في الناموس .

(٣) الأَفَنُوم : كلمة رومية معناها : الأصل .

عيسى إلى ذكر موسى لعله ، أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى ،
لكن ورقة قد ثبت إيمانهُ بمحمد عليه السلام^(١) وقد قدمنا حديث الترمذى
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رآه في المنام ، وعليه ثياب بيض إلى آخر
الحديث .

مول هاء السكت والفعل ترك :

وقول ورقة : لَتَكْذَبَنَّ ، وَلَتُؤْذَنَنَّ ، ولا يُنطق بهذه الهاء إلا ساكنة
لأنها هاء السكت ، وليست بهاء إضمار . وقوله : إن أدرك ذلك اليوم أنصرك
نصراً مؤزرًا ، وقال في الحديث : إن يُذكرنى يومك وهو القياس ، لأن
ورقة سابقٌ بالوجود ، والسابق هو الذى يُذكره من يأتى بعده ، كما جاء في
الحديث : أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى ، ورواية ابن إسحاق أيضا
لها وجهٌ ، لأن المعنى : أنرى ذلك اليوم ، فسئى رؤيته إدراكا ، وفى التنزيل :

(١) غير صواب قوله هذا ، فإن الجز الذين سمعوا القرآن قالوا : (سمعنا كتابا
أنزل من بعد موسى) ، وخير أن نقول : إنه قال ذلك - كما ذكر الشيخ رشيد
رضا رحمه الله فى الوحى المحمدى - لأن الشبه بين الوحى إلى موسى ومحمد عليهما
السلام أتم ؛ لأن كلامهما أوقى شريعة تامة مستقلة فى عباداتها ومعاملاتها وسياستها
وقوتها العسكرية ، وعيسى عليه السلام كان تابعا لشريعة التوراة ، وناخبا لبعض
الأحكام التى يقتضيها الإصلاح ، ومبشرا بالنبي الذى يأتى بعده بالشرع الكامل
العام الدائم . ولهذا يرد ابن حجر فى فتح البارى بقوله : « أما ما تمحل له السهلى
من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى فى عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد
الافانيم ، فهو محال لا يعرج عليه فى حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل فى التبديل
ولم يأخذ عن بدل ، ص ٢٩ ج ١ ط الحلبي وص ٢١٤ ج ١ شرح المواهب .

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أى : لا تراه على أحد القولين . وقوله : مُؤَزَّرًا من الأَزْر وهو القوة والعون .

يُصرح : أو مُخرَجى ؟ :

فصل : وفى حديث البخارى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لورقة : أَوْ مُخْرِجِيَّ هَمْ . لا بُدَّ من تشديد الياء فى مخرجى ، لأنه جمع ، والأصل مُخْرَجَوِيَّ فَأُدْغِمَتِ الْوَاوُ فِي الْيَاءِ (١) وهو خبر ابتداء مقدّم ، ولو كان المبتدأ اسما ظاهر الجاز تخفيف الياء ، ويكون الاسم الظاهر فاعلا لا مبتدأ ، كما تقول : أَضَارِبُ قَوْمُكَ ، أَخَارِجُ إِخْوَنُكَ فَتَفَرِّدُ ، لأنك رفعت به فاعلا ، وهو حَسَنٌ فى مذهب سيبويه والأخفش ، ولولا الاستفهام ما جاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش ، فإنه يقول : قائم الزيدون دون استفهام ، فإن كان الاسم المبتدأ من الْمُضْمَرَّاتِ نحو : أَخَارِجُ أَنْتَ ، وَأَقَامُ هُوَ ؟ لم يصح فيه إلا الابتداء ، لأن الفاعلَ إذا كان مُضْمَرًا لم يكن منفصلا لا تقول : قام أنا ، ولا ذهب أنت

(١) فى المواهب : وأصله مخرجون لى حذفت اللام تخفيفا ونون الجمع للاضافة إلى ياء المتكلم ، فصار : أَوْ مخرجوى اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو - بالسكون ، فقلبت ياء ، ثم أدغمت فى ياء المتكلم ، وقلبت الضمة : كسرة لمناسبة الياء ، والهمزة للاستفهام . ولم يقل : وأمخرجى مع أن الأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف نحو : فأين تذهبون ؛ لاختصاص الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على أصلها نحو : أولم يسيروا ؟ هذا مذهب سيبويه والجمهور ، والاستفهام : إنكارى ؛ لأنه استبعد إخراجهم من وطنه وهو حرم الله من دون سبب يقتضيه وكذلك ورد فى ص ٤٣ بدائع الفوائد ج ٣ للامام ابن القيم .

وكذلك لا تقول : أذهب أنت على حدِّ الفاعل ولكن على المبتدأ ، وإذا كان على حدِّ المبتدأ ، فلا بد من جمع الخبر ، فعلى هذا تقول : أُخْرِجِيَّ هم ، تريد : اخرجوني ، ثم أضفت إلى الياء ، وحذفت النون ، وأدغمت الواو كما يقتضى القياس .

مول البافوخ والذهاب إلى ورقة :

فصل : وذكر أن ورقة بن نوفل لقي النبي عليه السلام ، فقبل يافوخه . قد تقدم ذكر اليافوخ ، وأنه يَفْعُول مَهْمُوز ، وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يَشْتَدَّ وإنما يقال له : الغاذية ، وذكرنا قول العجاج :

ضَرَبْتُ إِذَا أَصَابَ الْيَافِيخَ حَقَرًا . ولو كان يافوخ فاعُولاً ، كما ظن بعضهم لم يحز هزؤه في الواحد . ولا في الجمع ^(١) وفي رواية بونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي مَيْمِرَةَ عمرو بن شُرَحْبِيل ^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه

(١) هو في اللسان في مادة أفخ ، وقال : هو حيث التقى عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل . وفيه أيضا : قال الليث : من همز اليافوخ ؛ فهو على تقدير يفعل . ومن لم يهمز ، فهو على تقدير فاعول من اليفخ ، والهمز أصوب .

وفي القاموس : أَفَخَهُ : ضرب يافوخه والجمع : يوافيخ ، وهذا يدل على أن أصله يَفخ ؛ ووهم الجوهري في ذكره هنا . وفي المعجم الوسيط جمعه : يوافيخ ، ولكنه قال : اليافوخ : هو اليافوخ وهو فجوة مغطاة بغشاء تكون عند تلاقي عظام الجمجمة ، وهما يافوخان ، يافوخ أمامي ، ويافوخ خلفي .

(٢) ذكره البخاري وغيره في التابعين ، وثقه ابن معين وآخرون ، وقد =

وسلم. قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً ، وقد خشيتُ والله أن يكونَ لهذا أمرٌ . قالت : معاذَ الله ما كان الله ليفعلَ ذلك بك . فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم . وتصدقُ الحديث ، فلما دخل أبو بكر ، وليس [عندها] رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم ذكرت خديجةَ له ذلك ، فقالت : يا عتيقُ اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ أبو بكر بيده . فقال : انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل . فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ، فانطلقا إليه ، فقَصَّصا عليه ، فقال : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي : يا محمد يا محمد ، فانطلق هارباً في الأرض . فقال له : لا تفعل ، إذا أتاك فائتبت ، حتى تسمع ما يقول لك . ثم اتبني ، فأخبرني ، فلما خلا ناداه : يا محمد قل : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ : ولا الضالين . قل : لا إله إلا الله . فأتى ورقة ، فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أنبشِر ، ثم أنبشِر فأننا أشهد أنك الذي بشر به ابنُ مريم ، وأنتك على مثل ناموس موسى ، وأنتك نبي مرسل ، وأنتك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركني ذلك لأجاهدَنَّ معك . فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيتُ أُنسَّ في الجنة ، وعليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني ، يعني : ورقة ، وفي رواية .

== أخرج هذا الحديث البيهقي ، وذكر أنه منقطع ، وغرضه من سياقه بيان أنه معارض بحديث الصحيح في أن أول ما نزل : اقرأ . والعجيب أن يحاول العيني التوفيق بين هذه المتضادات بأن خديجة أرسلته مرة مع الصديق ، وذهبت هي به أخرى وسألت عداساً بمكة ، وسافرت إلى بحيري - كما روى التيمي - وهو توفيق يعتمد به .

يونس أيضا أنه عليه السلام قال لرجل سبَّ ورقة : أما علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين ، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار (١) .

لقد فُهِتْ على نفسى :

فصل : وفي الصحيح أنه قال لخديجة : لقد خشيت على نفسى ، وتكلم العلماء فى معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة ، فذهب أبو بكر الإسماعيلى (٢) إلى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذى جاءه ملك من عند الله ، وكان أشق شئ عليه أن يقال عنه : مجنون ، ولم ير الإسماعيلى أن هذا محال فى مبدأ الأمر ؛ لأن العلم الضرورى قد لا يحصل دفعة واحدة ، وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله ، فلا تدرى أنظم هو أم نثر ، فإذا استمر الإنشاد ، علمت قطعا أنه قصيد به قصد الشعر ، كذلك لما استمر الوحي واقتربت به القرأن المقتضية للعلم القطعى ، حصل العلم القطعى ، وقد أنقضى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وللمؤمنون) إلى قوله : (وملائكته وكتبه ورأسله) فإيمانه بالله وبملائكته وإيمان كسبي موعود عليه بالثواب الجزيل ، كما وعد على سائر أفعاله المكسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح ، وقد قيل فى قوله : لقد خشيت على نفسى ، أى : خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة ، وأن أضعف عنها ، ثم أزال الله خشيته ، ورزقه الأيد والقوة والثبات والعصمة ، وقد قيل : إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ، ولا غرو ، فإنه بشر يخشى من القتل

(١) ورواه الحاكم فى مستدركه . وهذه رويات ساقطة لا يعتد بها .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلى الجرجانى ، قال الحاكم :

كان واحد عصره ، وشيخ الحديثين والفقهاء مات ٣٧١ .

والإذابة الشديدة ما يخشاه البشر، ثم يُهَوَّن عليه الصبرُ في ذات الله كلَّ خشية، ويحجَّب إلى قلبه كلَّ شجاعة وقوة، وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها^(١).

(١) في فتح الباري : واختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً . أولها : الجنون ، وأن يكون مارآه من جنس الكهانة . جاء مصرحاً به في عدة طرق ، وأبطله أبو بكر بن العربي ، وحق له أن يبطل ، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له : أن الذي جاءه ملك ، وأنه من عند الله تعالى . ثانياً : الهاجس وهو باطل أيضاً ، لأنه لا يستقر ، وهذا استقر ، وحصلت بينهما المراجعة ، ثالثاً : الموت من شدة الرعب ، رابعاً : المرض ، وقد جزم به ابن أبي جرة . خامساً : دوام المرض ، سادساً : العجز عن حمل أعباء النبوة ، سابعاً : العجز عن النظر إلى الملك من الرعب ، ثامناً : عدم الصبر على أذى قومه ، تاسعاً : أن يقتلوه ، عاشراً : مفارقة الوطن ، حادى عشرها : تكذيبهم إياه ، ثانياً عشرها : تغييرهم إياه ، وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب : الثالث واللذان بعده ، وما عداها معترض والله الموفق ، ص ٢٧ ج ١ ط الحلبي .

هذا ، ويحسن أن ننقل هنا بعض ما ورد في الصحيحين حول هذا عن مشكاة المعانيح عن ابن عباس ، قال : بعث رسول الله ص ، لأربعين سنة ، فكسك بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ومات ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . « متفق عليه »

وعنه : قال : أقام رسول الله ص ، بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ، ويرى الضوء سبع سنين ، ولا يرى شيئاً . وثمانى سنين يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشرًا ، وتوفي وهو ابن خمس وستين « متفق عليه » ، والاولى أضبط .

« بدء الوحي »

وعن عائشة رضي الله عنها : قالت : أول ما بدى به رسول الله ص ، من

==الوحي : الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاء الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني ، حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم (فرجع بها رسول الله - ص - يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة ، فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا ، والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتعقد الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، فقالت : يا بن عم . اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله - ص - خبر ما رأى فقال ورقة : هذا هو الناموس الذي أنزل الله على موسى . ياليتني فيها جذعاً . ياليتني أكون حياً ، إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله - ص - : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً . ثم لم ينشأ ورقة أن توفي ، وفتر الوحي و متفق عليه ، وزاد البخاري في حديث منقطع : و حتى حزن النبي - فيما بلغنا - وهو الزهري راوى الحديث السابق عن عائشة ، وأما هذا فرواه بلاغا ، فهو لهذا منقطع - حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رهوس شواهد الجبال ، فكلم أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه ، تبدى له جبريل ، فقال : يا محمد : إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه ، البخاري .

وعن جابر : أنه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحي قال : فبينما أنا أمشي ==

== سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصرى ، فإذا الملك الذى جاء فى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض ، فخرت منه رعباً ، حتى كهرت إلى الأرض ، فخرت أهلى ، فقلت : زملونى زملونى ، فزملونى فأنزله الله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حمى الوحى وتتابع ومتفق عليه .

كيفية الوحى : وعن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ، فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله - ص - أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس - وهو أشده على - فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً ، فيكلمنى ، فأعنى ما يقول . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

مدة المجاورة : عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : يا أيها المدثر ، قلت : يقولون : اقرأ بسم ربك قال أبو سلمة : سألت جابراً عن ذلك ، وقلت له مثل الذى قلت لى : فقال لى جابر : لا أحديثك إلا بما حدثنا به رسول الله - ص - قال : جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يمينى ، فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالى فلم أر شيئاً ، ونظرت عن خلفى ، فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسى فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثرونى ، فدثرونى ، وصبوا على ماء بارداً . فنزلت : (يا أيها المدثر قم فأأنذر وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) وذلك قبل أن تفرض الصلاة : «متفق عليه ورواه الترمذى والنسائى»

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحنث بعد البعثة فى غار ما ، فهى إذا ليست سنة شرعية ، كان يعتكف فى المسجد العشر الأواخر من رمضان غسب ، ولو كان يريد عبادة ، لعتبد فى البيت الحرام . إنما أراد البعد عن المجتمع الآبق الشريد . ولكنه فى النبوة عاش فى هذا المجتمع يدعو به إلى الحق ==

ويقاومه بالحق ، لأن الفرار من المعركة إلى خلوة أو كهف ليس من شيمة الرسل ولا المسلمين .

والإليك تفسير بعض ماورد في الحديث : فلق الصبح : ضوءه وإنارته والصبح نفسه : شبه ما جاء في الیقظة ، ووجد في الخارج ، طابقا لما رآه في النوم : بالصبح في إنارته ووضوحه .

• ما أنا بقارىء • ما : نافية ، وقيل : إنها استفهامية ، وضعف القاضى عياض هذا بدخول الباء في خبرها ، وهذه لا تدخل على ما الاستفهامية ولكن الاخفش يجوز دخول الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر حسبك ، والباء زائدة ، وقد يقوى هذا ما ذكرته من قبل من روايات حول هذا . وغطى ، ثبت لفظ اللفظ ثلاثا . في رواية البخارى للحديث في بابي التعبير والتفسير ، وسقطت الثانية في بدء الوحي .

• بلغ منى الجهد ، تروى بفتح الجيم والنصب أى بلغ اللفظ منى غاية وسمى ، وروى بضم الجيم والرفع ، أى : بلغ منى الجهد مبلغه . وزملونى ، غطونى بالثياب ولقونى بها ، الروح ، الفزع ، كلاء نفى وإبعاد أى : لا تقل هذا ولا خوف عليك .

• لا يخزيك ، لا يهينك ولا يفضحك والكشميني . يحزنك بالنون ، تصل الرحم ، تصل القرابة بإحسانك لإيهم وتحمل الكل ، : أى تحمل الثقل من كل ما يتكلف ، ويدخل فيه الإئفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك .

• تسكب المهدوم ، بفتح التاء . وروى بضمها أى : تعطى الناس ما لا يجدونه وتقرى الضيف : تهى له طعامه وتنزله وتعين على نوائب الحق ، حوادث الحق ، وهذه جامعة لكل ما سبق ولغيره . وهى صفة جامعة لكل أعمال المروءة والبر والنجدة وورقة ابن نوفل ، وصفه الراوى في رواية أخرى ، وكان امرءا تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى . فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب . وفي رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية .

ومسلم : فكان يكتب الكتاب العربى ، وجمع بين الروايات بانه كان يجيد الكتابة بتملك وبهذه . وإنما وصف بالكتابة - كما قيل - لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرا . وقد وصف ورقة فى بعض الروايات : « وكان شيخا كبيرا قد عمى » .

فقلت : « يا بن عم ، وقع فى مسلم : أى عم ، وهو وهم ، وقيل لأنها قالت : ابن عم على حذف حرف النداء ، فتصحفت بن بأى ومن ابن أخيك ، وقيل : قالت هذا ، لأن عبد العزى الأب الثالث لورقة هو أخ لعبد مناف ، وهو الأب الرابع للذى فكأنها قالت : من ابن أخى جدك . وقيل : لأن والده عبد الله فى عدد النسب إلى قصى الذى يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحيثية فى درجة إخوته ، أو قالته على سبيل التوقير لسنة « جدعا ، شابا ، وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا ، لم ينشب ، لم يلبث . وهذا أصح مما روى من أن ورقة كان يمر على بلال وهو يعذب ، وقد قيل : إن ورقة توفى فى السنة الثالثة من النبوة ، وقيل : فى الرابعة ، وزعم الواقدى أنه قتل ببلاد الحُم وجذام ، وقرر البلاذرى وغيره أنه دفن بمكة .

« قتر الوحى ، احتبس ، يتردى ، يسقط » شواهد الجبال ، أى : طواها ، وهو العالى الممتنع ، الرُّجْز ، الأوثان .

« صلصلة ، صوت وأصلها وقوع الحديد بعضه على بعض ، والصلصلة أشد من الصليل » يفصم عنى ، ينفك وينجلي « يتفصد ، يسيل تشبها فى كثرته بالفصاد هذا وأول سورة نزلت : اقرأ ، وقد ورد هذا عند الشيخين والترمذى والحاكم والبيهقى والطبرانى وسعيد بن منصور فى سننه . ولكن ورد فى الصحيحين أيضا فى حديث جابر أن يأبىا المدثر ، هى أول ما نزل . قبل الفاتحة كما روى البيهقى ، ويقول ابن حجر : الذى ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول .

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق : فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة : ١٨٥ . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ القدر . وقال الله تعالى : ﴿ حَمِّ وَالكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ الدخان : ١ — ٥ . وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى اجْتَمَعَانَ ﴾ الأنفال : ٤١ . وذلك مُلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُشركين ببدر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمُشركون ببدر يوم الجمعة . صبيحة سَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ .

قال ابن إسحاق : ثم تَنَامَ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وهو مؤمن بالله مُصَدِّق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حمله . على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أنقال ومؤنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها .

• • • • •

إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْنَ من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فمضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أمرِ الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجة بنتُ خُوَيْلِدٍ ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أولَ من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه ، تخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردِّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجَعَ إليها ، تُنَبِّئُهُ ، وتخفف عليه ، وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خديجةَ ببيتٍ من قَصَبٍ ، لا صَخَبٍ فيه ولا نَصَبٍ .

قال ابن هشام : القصب ههنا : اللواؤ المَجُوفُ .

قال ابن هشام : وحدثني مَنْ أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أقرئ خديجةَ السلامَ من ربها ، فقال

• • • • •

رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : الله السلامُ ، ومنه السلامُ ، وعلى جبريل السلام .

قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحي عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه ، فأحزنه ، فجاءه جبريلُ بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَالْأَيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرّمتك فترتك ، وما أبفضك منذ أحبك . ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ : أى : لما عندي من مرجعك إلى ، خير لك مما تجملت لك من الكرامة فى الدنيا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ من الفلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ يعرفه الله ما ابتداء به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنه عليه فى يتمه وعيّلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

قال ابن هشام : سجد : سكن . قال أمية بن أبى الصلت الثقفى :

إِذَا أَتَى مَوْهِنًا وَقَدْ نَامَ صَحْبِي وَسَجَا اللَّيْلُ بِالظَّلَامِ الْبَهِيمِ
وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعَيْن إذا سكن طرفها : ساجية ، وسجا طرفها .

• • • • •

قال جرير بن الخطقي :

ولقد رَمَيْتَكَ — حين رُخِن — بأعين

يَقْتُلانِ من خَلَلِ الشُّرُورِ سَوَاجِي

وهذا البيت في قصيدة له . والعائل : الفقير : قال أبو خراش الهذلي :

إلى بيته بأوى الضربك إذا شتا ومُسْتَنْبِجٌ بالي الدَّريسينِ عائلُ

وجمه : عالة وعُيِّل ، وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها —

إن شاء الله ، والعائل أيضاً : الذي يعول العيال . والعائل أيضاً : الخائف .

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ ذَلِكْ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ النساء : ٣ . وقال أبو طالب :

بِمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يُخْسِ شَعِيرَةً له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل

وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها — إن شاء الله — في موضعها .

والعائل أيضاً : الشيء المُثْقَلُ المُعْي . يقول الرجل : قد عالى هذا الأمر : أى .

أثقلنى وأعبانى ، قال الفرزدق :

تَرَى الْفَرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إذا ما الأُمُرُ في الخلدنانِ عالا

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : أى لا تكن

جَبَّارًا ولا متكبرًا ، ولا فحاشًا قَظًا على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ : أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من

النُّبُوَّةِ فَحَدِّثْ ، أى اذكرها ، وادعُ إليها ، فجعل رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النُّبُوَّةِ سِرًّا إلى مَنْ

يطمئنُ إليه من أهله .

• • • • •

متى نزل القرآن ؟

فصل : وذكر قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ البقرة : ١٨٥ . إلى آخر الآية ، مستشهداً بذلك على أن القرآن أنزل في شهر رمضان ، وفي ليلة القدر من رمضان ، وهذا يحمل تأويلين : أحدهما : أن يكون أراد بدء النزول وأوله ؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره ، والثاني : ما قاله ابن عباس : أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، فجعل في بيت العزة مكنوناً في الصحف المكرّمة ، المرفوعة المظهرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين ، والنوازل الحادثة إلى أن توفي — صلى الله عليه وسلم — وهذا التأويل أشبه بالظاهر ، وأصح في النقل والله أعلم ^(١) .

(١) نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة ، أو إلى سماء الدنيا : كلام لا سند له . والصحيح وحدهما هو ما ورد في القرآن : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » . « إنا أنزلناه في ليلة القدر » . « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » ، وآيات القرآن في وضوح جميل جليل يفهمها ذو الفطرة السليمة التي لم يفسدها جدل الكلام وسفسطته . وهي تؤكد أنه بدأ نزول القرآن في رمضان في ليلة القدر منه . وقوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » ، يشير إلى أن تاريخ ليلة القدر هو تاريخ ليلة بدر . وبدر كما يقال كانت في السابع عشر من رمضان .

ولهذا يقال إن ابتداء نزول القرآن كان في السابع عشر من رمضان . وإذا رجعنا إلى الأحاديث نستخرجها نبأ ليلة القدر التي فيها نزل القرآن ، فإننا سنجد ما يأتي : قيل : وإنما في الوتر من العشر الاواخر من رمضان . البخاري ، في السبع

مول إضافة شهر إلى رمضان :

فصل : وفي قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان ﴾ فذكر الشهر مضافاً إلى رمضان ، واختار الكتاب والمؤثّقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا : كتب في رمضان ، وترجم البخاري والنسوي^(١) على جواز اللفظين جميعاً وأوردا حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ، وإذا

الأواخر من رمضان متفق عليه ، في تاسعة تبقى من العشر الأواخر أو في سابعة ، أو في خامسة ، البخاري ، في الليلة الحادية والعشرين من رمضان ، البخاري ، في الليلة الثالثة والعشرين ، مسلم ، في الليلة السابعة والعشرين ، مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي ، في التاسعة أو السابعة أو الخامسة ، البخاري ، بل ما من ليلة من ليالي رمضان سوى قلة قليلة إلا ورد فيها ما يفيد أنها ليلة القدر ، ولهذا اختلف العلماء في شأنها على أقوال كثيرة ، ذكر منها في فتح الباري ما لم يذكر غيره ، وقد ذكرها الشوكاني باختصار في نيل الأوطار ، فكانت خمسة وأربعين قولاً ، منها : أنها رفعت وهو قول الشيعة والفاكها في الحنفية ، ومنها : أنها خاصة بسنة واحدة ، وقعت في زمنه صلى الله عليه وسلم ، ومنها أنها خاصة بهذه الأمة ، ومنها أنها يمكن أن تكون في جميع السنة ، وهو المشهور عن الحنفية وجماعة من السلف ، ومنها أنها ليلة معينة مهمة ، ومنها : أنها أول ليلة من رمضان حكى عن أبي رزين ، ومنها أنها ليلة النصف من شعبان ، أو النصف من رمضان ، أو ليلة سبع عشرة من رمضان الخ . . .

انظر ص ٢٧٢ هـ نيل الأوطار ط عثمان خليفة . وخبر ما يقول البغوي : « أهبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ، ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعاً في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، تفسير الخازن والبغوي لسورة القدر

(١) هو أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي ، وله مسند مشهور .

جاء رمضان ، ولم يقل : شهر رمضان ، وقد بينت أن لكل مقام مقامه ، ولا بد من ذكر شهر في مقام ، ومن حذفه في مقام آخر ، والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن ، والحكمة أيضاً في حذفه إذا حذف من اللفظ ، وأين يصلح الحذف ، ويكون أبلغ من الذكر ، كل هذا مبين في كتاب « نتائج الفكر » ، فهناك أوردنا فيه فوائد تمجز عنها هم أهل هذا العصر . أدناها تساوى رِخلة عند من عرف قدرها ، غير أنا نشير إلى بعضها ، فنقول : قال سيبويه : ومما لا يكون العمل إلا فيه كله : المحرم وصفر ، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله ، وذلك إذا قلت : الأحد أو الاثنين ، فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفاً ، ولم يجر مجرى المفعولات ، وزال العموم من اللفظ ، لأنك تريد : في الشهر وفي اليوم ، ولذلك قال عليه السلام : من صام رمضان ، ولم يقل شهر رمضان ؛ ليسكون العمل فيه كله ، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التي أحكمناها في غير هذا الكتاب .

مب الرسول « ص » وطنه :

بقية من حديث ورقة ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
لُتَكْذِبَنَّ ، فلم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : وَلَتُؤْذِنَنَّ ، فلم يقل له شيئاً ، ثم قال : وَلَتُخْرِجَنَّ ، فقال : أَوْ تُخْرِجِيَّ هَمْ ؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتها على النفس ، وأيضاً فإنه حرّم الله وجوار بيته ، وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر لخروج منه مالم تتحرك قبل ذلك ، فقال : أَوْ تُخْرِجِيَّ هَمْ ؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو

تُرَدَّ إلى الكلام المتقدم ، وتُشعر المخاطَب بأن الاستفهام على جهة الإنكار ،
أو التفجع لكلامه أو التألم منه .

ذكر عبد الله بن م- :

فصل : وذكر عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ،
وقوله : حدثني أمي فاطمة بنت الحسين أن خديجة أدخلته بين ثوبها .
الحديث ^(١) عبد الله هذا هو : عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن
أبي طالب ، وأمه : فاطمة بنت الحسين أخت سُكَيْنَةَ ، واسمها : آمعة ،
وسكينة لقب لها التي كانت ذات دُعَابَةٍ وَمَزَجٍ ، وفي سكينة وأمها الرباب
يقول الحسين بن علي - رضي الله عن جميعهم :

كَانَ اللَّيْلَ مَوْصُولَ بَلْبَلٍ إِذَا زَارَتْ سُكَيْنَةُ وَالرَّابَابَ ^(٢)
أى : زادت قومها ، وهم : بنو عَلْتَمِ بْنِ جَنَابٍ مِنْ كَلْبٍ ، ثم من بني

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) من قصيدة تنسب إلى الحسين في سكينة ابنته وأمها الرباب زوجته ، منها :

لعمرك إنني لأحب دارا تضيفها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل بعد مالي وليس للأنمي فيها عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعا حياتي ، أو يغيبني التراب

وهي في الأغاني ، ومقاتل الطالبيين ، وفي نسب قريش ، انظر ص ٥٩ نسب

قريش ط ١ ،

كَعْبِ بْنِ عَلْنَمٍ^(١) ، ويعرف بنو كعب بن عَلْنَمِ بْنِ زَيْدٍ غير مصروف ؛
لأنه اسم أمهم ، وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس ،
وهم : محمد ويحيى وإدريس^(٢) مات إدريس بإفريقية فأرأى من الرشيد ، ومات
مسموماً في دُلَاعَةٍ^(٣) أكلها ، ووقع في كتاب الزبير بن أبي بكر قال : قال
عبد الرحمن بن زيد : قال آدم عليه السلام : مما فُضِّلَ به عليّ ابني صاحبُ
البعير أن زوجته كانت عوناً له على تبليغ أمر الله ، وأن زوجي كانت عوناً
لي على المعصية^(٤) .

حديث عبد الله بن جعفر وغيره عن ضريحه :

فصل : وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم — أمر أن يبشر خديجة ببيت من قَصَبٍ ، لاصْحَبَ

(١) والرباب أم سكينه هي بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس بن جابر
ابن كعب بن علم بن جناب .

(٢) خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن على أبي جعفر المنصور
بالمدينة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة ، فقتلها عيسى بن موسى ، أما أخوها
موسى ، فاختلف بالبصرة ، فعثر عليه ، فعفا عنه المنصور ، أما سليمان أخوهم فقتل
بفخ في خلافة موسى ، أما أخوهم إدريس فقام بالمغرب ، وبه مات ، أما يحيى فقام
بالدلم ، ولكل منهم عقب سوى عيسى ، ومن أولاد عبد الله بن حسن : فاطمة
وزينب ورقية . انظر ص ٥٣ نسب قريش ط ١ وجمهرة ابن حزم ص ٣٩ ط ١ .

(٣) ضرب من محار البحر .

(٤) من أين جاء بهذا ؟

فيه ، ولا نَصَب . هذا حديث مُرْسَل^(١) ، وقد رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما غِرَّتْ على أحد ما غرت على خديجة ، ولقد هَلَكْتُ قبل أن يتزوجني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث سنين ، ولقد أَسْرَأُ أن يبشرها ببيت من قَصَبٍ في الجنة .

وفي حديث آخر أن عائشة قالت : ما تَذَكَّرُ من عَجَوزٍ حَرَاءٍ الشَّدَقِينَ هَلَكْتُ في الدهر ، قد أَبْدَلَكِ الله خيراً منها ، فغضب ، وقال : والله ما أَبْدَلَنِي الله خيراً منها ؛ آمَنْتُ بِى حين كَذَبَنِى الناس ، وَوَسَّيْنِي بِمَا لَهَا حين حَرَمَنِى للناس ، وَرَزَقَتِ الولد منها ، وَحَرَمْتَهُ مِنْ غَيْرِهَا ، وَرَوَى يونس عن عبد الواحد ابن أيمن الخزومى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو تَجِيحٍ قَالَ : أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَزُورًا أَوْ لَحْمًا ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَظْمًا مِنْهَا ، فَنَاقَلَهُ الرَّسُولُ بِيَدِهِ ؛ فَقَالَ : اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى فُلَانَةٍ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَمْ غَمِرْتُ^(٢) بِدُكِّكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَغْضَبًا : إِنْ خَدِجَةُ أَوْصَتْنِي بِهَا ، فَغَارَتْ عَائِشَةُ ، وَقَالَتْ : لَسْكَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِجَةُ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَغْضَبًا ، فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَإِذَا أُمُّ رُومَانَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا لَكَ وَلِعَائِشَةَ؟! إِنِّهَا حَدَّثَتْهُ ، وَإِنَّكَ أَحَقُّ مِنْ تَجَاوُزِهَا عَنْهَا ، فَأَخَذَ بِشِدْقِ عَائِشَةَ ، وَقَالَ : أَلَسْتُ الْقَائِلَةَ : كَأَنَّمَا لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ امْرَأَةٌ إِلَّا

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد وردت البشارة في حديث رواه الشيخان والترمذى . . ويقول ابن الأثير : لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين ، ص ٢٣٧ - ١ مواهب .
(٢) الغمر بالتحريك : زنج اللحم ، وما يعلق باليد من دسمه .

خديجة ، والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ، ورزقت مني الولد وحرمتموه ،
وفي صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خير نساءها : مريم
بنت عمران ، وخير نساءها : خديجة ، والهاء في نساءها حين ذكر مريم عائدة
على السماء ، والهاء في نساءها حين ذكر خديجة عائدة على الأرض ، وذلك أن
هذا الحديث رواه وكيع وأبو أسامة وابن تميم في آخرين ، وأشار وكيع
من بينهم حين حدث بالحديث بإصبعه إلى السماء عند ذكر مريم ، وإلى الأرض
عند ذكر خديجة ، وهذه إشارة ليست من رأيه ، وإنما هي زيادة في حديثه عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - وزيادة العدل مقبولة ، ويحتمل أن يكون معنى
إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرها ، أي : هما خير نساء بين السماء والأرض
وهذا أثبت عندى بظاهر الحديث . ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء في التفضيل
بين مريم وخديجة وعائشة - رضى الله عنهن - وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -
وما نزع به كل فريق منهم .

مول ما بشرت به خديجة :

وأما قوله : بيت من قَصَبٍ ، فقد رواه الخطابي مفسراً ، وقال فيه :
قالت خديجة : يا رسول الله ، هل في الجنة قَصَبٌ ؟ فقال : إنه قَصَبٌ من لؤلؤ
مُجَبَّى . قال الخطابي : يجوز أن يكون معناه : مُجَوَّباً من قولك : جُبَّت الثوب
إذا خرقتة ، فيكون من المقلوب ، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً بباءين من الجب
وهو القطع أى : قطع داخله ^(١) ، وقلبت الباء ياء ، كما قالوا : تظنيت من

(١) هو في السيرة : مجوف . وفي النهاية لابن الأثير : وقيل فهو من الجوبه
وهو نقير يجمع فيه الماء .

الظنّ ، وتقصّيت أظفارى ، وتسكلم أصحاب المعاني فى هذا الحديث ، وقالوا : كيف لم يبشرها إلا ببيت ، وأدنى أهل الجنة منزلةً مَنْ يُعطى مسيرة ألف عام فى الجنة ، كما فى حديث ابن عمر ، خرّجه الترمذى ، وكيف لم ينعت هذا البيت بشئ من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نقي الصّخب وهو : رفع الصوت ، فأما أبو بكر الإشكاف ، فقال فى كتاب فوائد الأخبار له : معنى الحديث : أنه بُشّرت بيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها ؛ ولذلك قال : لا صخب فيه ولا نصّب ، أى : لم تنصّب فيه ، ولم تنصّب . أى : إنما أُعطيت زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه . قال المؤلف رحمه الله : لا أدرى ما هذا التأويل ، ولا يقتضيه ظاهر الحديث ، ولا يوجد شاهد يعضده ، وأما الخطابى ، فقال : البيت هاهنا عبارة عن قصر ، وقد يقال لمنزل الرجل : بيته ، والذى قاله صحيح ، يقال فى القوم : هم أهل بيت شرف وبيت عز ، وفى التنزيل : (غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ ولقوله : بيت ، ولم يقل : بقصر . معنى لائق بصورة الحال ، وذلك أنها كانت ربّة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلاّ بيتها حين آمنت ، وأيضاً فإنها أول من بنى بيتاً فى الإسلام بتزويجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورغبتها فيه ، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل ، وإن كان أشرف منه لما جاء : «من كسا مسلماً على عُرْي كساء الله من حُلل الجنة، ومن سقى مسلماً على ظمإ سقاه الله من الرحيق»^(١) ، ومن هذا الباب قوله عليه السلام : من بنى لله

(١) روايته : أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرى كساء الله تعالى من خضر =

مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ ^(١) لَمْ يَرِدْ مِثْلُهُ فِي كَوْنِهِ مَسْجِدًا ، وَلَا فِي صِفَتِهِ . وَلَكِنْ قَابِلُ الْبَنِيَانِ بِالْبَنِيَانِ ، أَيْ كَمَا بَنَى يُبْنَى لَهُ ، كَمَا قَابِلُ الْكُسُوءَةِ بِالْكُسُوءَةِ وَالشَّقِيَاءُ ، بِالشَّقِيَاءِ ، فَهَاهُنَا وَقَعَتِ الْمِثَالَةُ ، لَا فِي ذَاتِ الْمَبْنِيِّ أَوْ الْمَكْسُوءِ ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ، فَمِنْ هَاهُنَا اقْتَضَتْ الْفَصَاحَةُ أَنْ يُعَبَّرَ لَهَا عَمَّا بُشِّرَتْ بِهِ بِلَفْظِ الْبَيْتِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْهُ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْهُ ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَمِنْ تَسْمِيَةِ الْجُزْءِ عَلَى الْفِعْلِ بِالْفِعْلِ فِي عَكْسِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) : (وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَاهًا) ^(٢) .

= الْجَنَّةُ ، وَأَيُّهَا مُسْلِمُ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ . وَأَيُّهَا مُسْلِمُ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ . وَيَقُولُ الْمُنْدَرِيُّ عَنْهُ : رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّلَانِيِّ ، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ : بِتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ رَوَى مُوقُوفًا عَلَى أَبِي سَعِيدٍ ، وَهُوَ أَصَحُّ وَأَشْبَهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مُوقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ .

(١) الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عُثْمَانَ ، وَفِيهِ : « يَبْنَعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ » .

(٢) يَقُولُ الَّذِينَ يُؤَوِّلُونَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْقُرْآنُ عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا نِسْبَةُ الْكِيدِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالنِّسْيَانِ إِلَى اللَّهِ مَا يَأْتِي : « هَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَحْسَنُ عَلَى وَجْهِ الْمَقَابَلَةِ ، وَيَحْسَنُ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ابْتِدَاءً ، فَيَقَالُ : إِنَّهُ يَمْكُرُ وَيَكِيدُ وَيَخَادِعُ وَيَنْسَى ، وَلَوْ كَانَ حَقِيقَةً لَصَلَحَ إِطْلَاقُهُ مَفْرُودًا عَنْ مِقَابَلِهِ كَمَا يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ : يَسْمَعُ وَيَرَى وَيَعْلَمُ وَيَقْدِرُ » ، وَيَزِدُّ ابْنُ الْقَيْمِ رَدًّا طَيِّبًا فِي الصَّوَابِ الْمُرْسَلَةِ ، فَيَقُولُ : « الصَّوَابُ أَنْ مَعَانِيهَا - أَيْ الْكِيدُ وَخِلَافُهُ - تَنْقَسِمُ إِلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ ، فَالْمَذْمُومُ مِنْهَا يَرْجِعُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ . . . فَا كَانَ مِنْهَا مَتَضَمَّنًا لِلْكَذِبِ وَالظُّلْمِ ، فَهُوَ

وأما قوله: لا صَخَبَ فيه ، ولا نَصَبَ ، فإنه أيضاً من باب ما كنا بسبيله،

مذموم ، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح ، فهو حسن محمود ، فإن الخادع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازى له أن يتخذه بحق وعدل، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالماً متعدياً ، كان المكربه والاستهزاء عدلاً حسناً ، كما فعله الصحابة بكمب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق، وأبى رافع وغيرهم ممن كان يعادى رسول الله ﷺ ، نخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل ، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله . . . وجزاء المسمى بمثل إسمائه جائز في جميع الملل مستحسن في جميع العقول ؛ ولهذا كاد سبحانه ليوسف حين أظهر لإخواته ما أبطن خلافه جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه ، حيث أظهروا أمراً وأبطنوا خلافه ، ثم قرر أن هذه الأفعال لا يجوز ذمها على الإطلاق ، ولا مدحها على الإطلاق ، كما لا يجوز أن يشتق منها أسماء وصفات لله سبحانه ؛ لأن الله لا يوصف إلا بالأنواع المحمودة على الإطلاق ، ولهذا لم يرد في أسمائه الحسنى : المرید أو المتكلم أو الفاعل أو الصانع ؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى مدوح ومذموم ، فلا يجوز مطلقاً اشتقاق الماكر والخادع والمستهزئ بما ورد في الآيات ، وتسمية الله بها ، لأنه سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق . . . فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحاً البتة ، فلا يتمتع وصفه به ابتداء لا على سبيل المقابلة . . . فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازاة ؛ إذ الموجب للمجاز متنفذ ،

وأقول : كل مسلم يتدبر القرآن لا يشعر أبداً بمثل ما يفتره المعطلة والجهمية ولا ينخر على آياته أصم أعمى ، ويغمر قلبه اليقين بأن الله الذي من علينا فعلنا البيان يستحيل أن نخكم عليه بأنه أخطأ في البيان عن صفاته وأسمائه وأفعاله ، أو أراد أن يضلنا بألفاظ لا يراد بها معانيها التي لها في لغة القرآن ، فلنصف الله بما وصف به نفسه ، ولنسمه بما سمي به نفسه ، ولننسب إليه ما نسب هو إلى نفسه جل جلاله دون تأويل أو تحريف أو تمثيل أو تشبيه أو تعطيل لشيء من هذا كله فإننا نؤمن بأن قوله - سبحانه - هو الحق ، وأنه ليس كمثله شيء .

لأنه - عليه السلام - دعاها إلى الإيمان، فأجابته عَفْوَاً ، لم تخوِجه إلى أن يَصْخَبَ كما يصخب البُعل إذا تَقَصَّت عليه حليمتُه ، ولا أن يَنْصَبَ ، بل أزالَتْ عنه كل نصب ، وَاَنْسَتْه من كل وحشة ، وهَوَّنت عليه كل مكروه ، وأراحته بما لها من كل كَدٍّ وَنَصَبٍ ، فوصف منزلها الذي بُشِّرَتْ به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته .

وأما قوله : من قَصَبَ ، ولم يقل : من لَوَّزَ ، وإن كان المعنى واحداً ، ولكن في اختصاصه هذا اللفظ من المُشَاكَلَة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها - رضى الله عنها - كانت قد أحرزت قَصَبَ السَّبْقِ إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنِّسوان . والعربُ تسمى السابقَ مُحْرِزاً للقَصَبِ . قال الشاعر :

مَشَى ابنُ الزُّبَيْرِ الْقَهْقَرَى ، وتقدمت أُمِّيَّةٌ حَتَّى أُحْرِزُوا الْقَصَبَاتِ
فاتقنضت البلاغة أن يعبّر بالعبارة المشاكلة لعمليها في جميع ألفاظ الحديث فتأمله
الموازنة بين غريبته وعائته :

فصل : وذَكَر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخَدِيجَة : هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك . الحديث ^(١) يُذَكَّر عن أبي بكر بن داود أنه

(١) في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة : أتى جبريل النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . .

سُئِلَ: عائشة أفضل، أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل^(١)، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي أفضل، قيل له: فمن أفضل، أخديجة أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: إن فاطمة بضعة مني^(٢) فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحداً، وهذا استقراء حسن، ويشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا لبيابة حين ارتبط نفسه، وحلف ألا يحمله إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءت فاطمة لتحمّله، فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة مضغة مني، فخلته وسند ذكر الحديث بإسناده في موضعه، إن شاء الله تعالى، ويدل أيضاً على تفضيل فاطمة قوله - عليه السلام - لها: أما ترَضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة^(٣) إلاّ سرّيم؟ فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها، وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها، فقيل: إنها ولدت سيد هذه الأمة، وهو الحسن الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم:

(١) عن أبي سلمة أن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائش: هذا جبريل يقرئك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى ما لا أرى، متفق عليه.

(٢) عن المسور بن مخرمة أن رسول الله - ص - قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني، وفي رواية: يريني ما أراها، ويؤذيني ما آذها، متفق عليه.

(٥) في حديث متفق عليه عن عائشة: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، ولم يأت لمريم فيه ذكر.

إن ابني هذا سيد^(١)، وهو خليفة، بعلمها خليفة أيضاً، وأحسن من هذا القول قول: من قال: سادت أخواتها وأمه، لأنهن مثنى في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان في صحيفته، ومات أبوها وهو سيد العالمين، فكان رزؤه في صحيفتها وميزانها، وقد روى البزار من طريق عائشة أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة: هي خير بناتي؛ إنها أصيبت بي، فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء أهل الجنة، وهذا حسن، والله أعلم. ومن سؤددها أيضاً أن المهدي المُنْبَشَّر به آخر الزمان من ذريتها، فهي مخصوصة بهذا كله والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة^(٢)، وقد جمعها أبو بكر بن أبي خيثمة فأكثر، ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكافي في فوائده الأخبار مسنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كذَّب بالدجال فقد كفر، ومن كذَّب بالمهدي فقد كفر^(٣)، وقال: في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب^(٤).

(١) من حديث رواه البخاري عن أبي بكرة قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ونحن المسلمين لا يصح الآن أن نخوض في مثل هذا، فقد أفضت كل واحدة منهن إلى الله سبحانه»

(٢) استغل هذه الاسطورة أعداء الله، فظهر عشرات الدجاجة يزعم كل منهم أنه هو المهدي، ولم يخرج البخاري ولا مسلم شيئاً عن المهدي، وجميع الأحاديث الواردة فيه لا تخلو من نقد، واقرأ في هذا مقدمة ابن خلدون تحت عنوان «فصل في أمر الفاطمي»، (٣) لا يشهد لصحة هذا عقل ودلاد بن

(٤) نقل ابن خلدون عن السهيلي هذا في مقدمته ص ٢٧٢ طبع عبد الرحمن محمد وقال: وحسبك هذا غلوا. على أن أبابكر الإسكافي عندهم وضع.

الله السلام :

وقول خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام ، علمت بفقهها ان الله سبحانه لا يُرَدُّ عليه السلام ، كما يُرَدُّ على المخلوق ؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها : الله السلام ، فكيف أقول عليه السلام ، والسلام منه يُسْتَل ، ومنه يَأْتِي ؟ ولكن على جبريل السلام ، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه ، فجملت مكان رد التحية على الله ثناء عليه ، كما عملوا في التشهد حين قالوا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقيل لهم : لا تقولوا هذا ، ولكن قولوا : التحيات لله ، وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب فوائد جمعة في معنى التحيات إلى آخر التشهد . وقولها : ومنه السلام ، إن كانت أرادت السلام التحية ، فهو خبر يراد به التشكر ، كما تقول : هذه النعمة من الله ، وإن كانت أرادت السلام بالسلامة من سوء ، فهو خبر يراد به المسئلة ، كما تقول : منه يُسْتَل الخير . وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرِّضَاع والرِّضَاعَة ، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاهنا التأنيت من التحديد لرأوا أن بينهما فرقانا عظيما ، وأن الجلال أعم من الجلالة بكثير ، وأن اللذاذ أبلغ من اللذاذَة ، وأن الرِّضَاعَة تقع على الرِّضْعَة الواحدة ، والرِّضَاع أكثر من ذلك ، فكذلك السلام ، والسلامة ، وقَسْ على هذا : تَمْرَة وَتَمْرَاء ، ولَقَاءَة وَلَقَى ، وَضَرْبَة وَضَرْبَاء ، إلى غير ذلك ، وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة ، وعهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جارٍ على نظام الحكمة ، كذلك سَلِمَ الثَّقَلَانِ من جَوْر وظلم أن يأتِيهم من قِبَلِه سبحانه ، فإنما الكل مُدَبَّرٌ بفضلي أو عدل ، أما الكافر فلا يجرى عليه إلا عدله ، وأما المؤمن

فيفهمه فضاه، فهو سبحانه في جميع أفعاله سلامٌ، لا حَيْفَ ولا ظم، ولا تفاوت ولا اختلال، ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به لسلامته من الآفات والعيوب، فقد أتى بشنيع من القول، إنما السلام من سلم منه، والسلام من سلم من غيره، وانظر إلى قوله سبحانه: (كوني برّداً وسلاماً) وإلى قوله: (سلام هي) ولا يقال في الحائط: سالم من العمى، ولا في الحجر أنه سالم من الزكام، أو من السعال إنما يقال: سالم فيمن تجوز عليه الآفة، ويتوقعها ثم يسلم منها، والقُدوس سبحانه مُتَعَالٍ عن توقع الآفات مُتَنَزِّةً عن جواز النقائص، ومن هذه صفته لا يقال: سلم، ولا يَدَسَمُ بِسالم، وهم قد جعلوا سلاماً بمعنى سالم، والذي ذكرناه أولٌ، هو معنى قول أكثر السلف والسلامة: خَصَالَةٌ واحدة من خِصال السلام^(١):

فترة الومى:

فصل: وذكر فترة الوحي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر مقدار مدة الفترة، وقد جاء في بعض الأحاديث المُسَنَدَةِ أنها كانت سنتين ونصف سنة، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مُسَكَّنَهُ بمكة كان عشر سنين، وقول ابن عباس: ثلاث عشرة سنة، وكان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر، فمن عدَّ مدة الفترة، وأضاف إليها الأشهر الستة، كانت كما قال

(١) في النهاية لابن الأثير عن السلام: وسلامته بما يلحق الخلق من العيب والفناء والسلام في الأصل: السلامة، وعند الراغب في مفرداته: ووصف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق، وانظر ص ١٣٥ ج ٢ بدائع الفوائد - (م ٢٨ - الروض الأنف ج ٢)

ابن عباس، وَمَنْ عَدَّهَا مِنْ حِينَ حَمَى الْوَحْيَ وَتَتَابَعَ، كَافِي حَدِيثِ جَابِرٍ كَانَتْ عَشْرَ سَنِينَ . وَوَجْهٌ آخَرٌ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ : وَكُلُّ إِسْرَافِيلُ بَنِيَّةُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَ سَنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُ بِالْقُرْآنِ جَبْرِيلُ ^(١) وَقَدْ قَدَمْنَا هَذَا الْحَدِيثَ ، وَرَوَاهُ أَبُو عَمْرٍ فِي كِتَابِ الْاِسْتِيعَابِ ، وَإِذَا صَحَّ فَهُوَ أَيْضًا وَجْهٌ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

شرح شعر الهذلي والفرزدق :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي خراش خُوَيْلِدِ بْنِ مَرَّةٍ الْهَذَلِيِّ إِلَى بَيْتِهِ يَا أَوَى الضَّرِيكَ إِذَا شَتَا وَمُسْتَنْبِحٌ بَالِي الدَّرِيسِينَ عَائِلِ الضَّرِيكَ : الضَّعِيفُ الْمُسْتَظَرُّ ^(٢) وَالْمُسْتَنْبِحُ الَّذِي يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، فَيَنْبَحُ لِيَسْمَعَ نُبَاحَ كَلْبٍ ^(٣) وَاللَّارِيسُ : الثَّوْبُ الْخَلْقِيُّ ، وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

(١) فِي فَتْحِ الْبَارِي : (هَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ السَّهِيلُ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ بِمُرْسَلِ الشَّعْبِيِّ لَا يَثْبُتُ ، وَقَدْ عَارَضَهُ مَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَدَّةَ الْفَتْرَةِ الْمَذْكُورَةِ كَانَتْ أَيَّامًا . ص ٣١ ج ١ الْحَلَبِيِّ وَقَالَ مَغَلْطَايَ : وَيَخْدُشُ فِيهِ - أَيْ فِي كَلَامِ السَّهِيلِ - مَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَمَعَانِي الزَّجَّاجِ : خَمْسَةُ عَشَرَ ، وَفِي تَفْسِيرِ مَقَاتِلِ : ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْأَشْبَهُ بِحَالِهِ عِنْدَ رَبِّهِ . لَا مَا ذَكَرَهُ السَّهِيلُ ، وَجَنَحَ لَصَحَّتِهِ ، ص ٢٣٦ شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ج ١

(٢) الضَّرِيكَ أَيْضًا : النَّسْرُ الذَّكْرُ وَالْاِحْتِمُ وَالزَّيْنُ - بِكسر الميم - وَالضَّرِيرُ .

(٣) عَبَّرَ عَنْهَا الْخَشْنَى بِتَعْبِيرٍ أَوْضَحَ فَقَالَ : « الْمُسْتَنْبِحُ الَّذِي يَضِلُّ بِاللَّيْلِ ، فَيَنْبَحُ نُبَاحَ الْكَلَابِ ، لِنَسْمَعِهِ الْكَلَابَ فَتَجَاوِبُهُ ، فَيَعْلَمُ مَوْضِعَ الْبُيُوتِ ، فَيَقْصِدُهَا . »

وَيَقُولُ الْخَشْنَى عَنْ ثَنِيَّةِ الدَّرِيسِ : « وَثَنَاهُ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْإِزَارَ ، وَالرِّدَاءَ ، وَهُوَ أَقْلُ مَا يَكُونُ لِلرِّجَالِ مِنَ اللَّبَاسِ ، ص ٧٧ . »

تَرَى الْمَرْأَةَ جَاحِجَةً^(١) مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا
 قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالًا

يعنى : سعيد بن العاصى بن أمية ، ويقال : إن مروان بن الحكم حين سمع
 الفرزدق ينشد هذا البيت حسده ، فقال له : قل : قعودا ينظرون إلى سعيد
 يا أبا فراس . فقال له الفرزدق : والله يا أبا عبد الملك : إلا قياما على الأقدام^(٢) .
 وذكر سبب نزول سورة الضحى ، وأن ذلك لفترة الوحى عنه ، وخرج
 البخارى من طريق جندب بن سفيان^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى ،
 فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فقالت له امرأة : إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ،
 فأنزل الله تعالى سورة الضحى^(٤) .

(١) غر : ربهـا هكذا جمع أغر : المشهور ، وأصله الأبيض . والجاحج : جمع
 جاحج و جحجاح : السيد ، وأيضاً : الفصل من الرجال ، ومن جمعه : جحاجيح ،
 وجحاجحة .

(٢) مدح الفرزدق سعيداً بهذا ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية
 رحمه الله ، وكان يوليه معاوية سنة ، ويولى مروان سنة أخرى ، ويقال إن
 الفرزدق قال لمروان : لا أقول إلا قياماً ، وإنك يا أبا عبد الملك لصافن من
 بينهم ، وصفن الرجل إذا رفع إحدى قدميه ، ووقف على الأخرى والخشني ص ٧٨
 (٣) سفيان : جده ، وأبوه : عبد الله . وهو ينسب إلى أبيه وإلى جده .

(٤) وأخرجه مسلم ومالك وأحمد والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن
 جرير وقيل : إن هذه المرأة هى أم جميل امرأة أبى لهب .

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ
الْجُزءُ الثَّانِي وَبَلِيَّةِ الْجُزءِ الثَّالِثِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ
وأوله : ﴿ فَرَضُ الصَّلَاةِ ﴾

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

ملحوظات

تسكلم السهيل عن بئار مكة في ص ١٢٣ - ٢٤ وما بعدها ، وقد زاد للبلاذرى في كتابه فتوح البلدان عما ذكره السهيل ، ففيا يتعلق بالعجول زاد بعد الشطرة الأولى :

قبل صدور الحاج من كل أفق

وزاد في سجلة بعد الشطرة الأولى :

في تربة ذات غداة سهلة

وزاد في شعر صفية المذكور في ص ١٢٥

فيها الجراد والذر وقذر لا يذكر

وعن بذر ورد :

ليست كبذر الفذور الجراد

وبهذا استقام المعنى فقد كانت البرور في الروض .

ملحوظات عن الجزء الأول

في ص ٣٣٦ ١٠ ورد في السطر الحادى عشر نصف بيت من الشعر
اهتديت إلى تمامه ، فقد أنشده اللسان في مادة أوب وهو :

رَبَّاهُ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقَلَمِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأُوبُ السَّبِيلَ

والأوب اسم جمع ومعناه : النحل ، والسبيل : المطر هذا وقد ندت عن
العين بعض أخطاء يسيرة جدا نرجو أن نتداركها بعد إن شاء الله .

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

مجلس الشورى
الجمعية العامة

الجمعية العامة
مجلس الشورى

محتويات الكتاب

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٦	أهيات الرسول (ص)، (دس)،	٢٨	البيت (دس)،
٧	أمر جرم ودفن زمزم (دس)،	٢٩	قصي وزواجه وتولية أمر
٧	مولد النبي (ص)،	٣١	البيت (دس)،
٩	زمزم	٣٢	ولاية الفوت إجازة الحج (دس)،
١٠	استيلاء كنانة وخزاعة على البيت	٣٣	عدوان والإفاضة (دس)،
	ونقي جرم (دس)،	٣٤	قصي وخزاعة وولاية البيت
١١	شعر الحارث بن مضاض (دس)،	٣٥	نشأة قصي
١٢	شعر عمرو بن الحارث (دس)،	٣٦	الفوت بن مر وصوفة
١٣	حول زمزم	٣٧	لم سمي قصي قصياً (دس)،
١٣	لم نزلت هاجر وإسماعيل مكة	٣٨	بنو سعد وزيد مناة
١٥	قطورا وجرم والسبيدع	٣٩	اشتقاق المزدلفة
١٦	جباد وقميقعان	٤٠	ذو الإصبع وآل ظرب
١٧	جرم تسرق مال الكعبة	٤١	أبو سيارة
١٨	بين جرم وخزاعة	٤٢	حول لاهم، دن، ل، (دس)،
١٩	غربة الحارث بن مضاض	٤٣	لهنك (دس)، دن، ل،
٢٠	دن شرح شعر ابن مضاض	٤٤	أمر عامر بن ظرب
٢١	واسط وعامر وجرم	٤٥	غلب قصي على أمر مكة
٢٢	مكة وأسماؤها	٥٠	الرفادة (دس)،
٢٤	ما وجد مكتوباً في الأحجار	٥١	الحكم بالآمارات
٢٧	استبداد قوم من خزاعة بولاية	٥٢	يعمر للشداخ

(١) (دس) رمز عن السيرة، و. دن. ل، رمز عن النحو واللغة، و. دس، رمز عن الشرح، أما الروض فبدون رمز.

رقم	موضوع	رقم	الموضوع
٥٣	ولاية قصي البيت (١)	٨٧	عبد المطلب وابن ذى يزن
٥٣	رباع مكة	٨٨	نسب أحمية
٥٥	دار الندوة	٨٩	الليلة القسية والدرهم القسي
٥٥	من تفسير شعر رزاح	٩٠	شعر الصلتان
٥٨	شعر قصي والعذرتان	٩٠	أيا شاعرا لاشاعر اليوم مثله
٥٩	حوتسكة وأسلم	٩٠	جمع يراد به المفرد (ن. ل.)
٦١	الاختلاف بعد قصي وحلف	٩١	الحكم للبعض بحكم الكل
٦٣	المطبيين (س)	٩١	شعر مطرود من عبد المطلب (س)
٦٥	حلف الفضول (س)	٩٥	حفر زمزم (س)
٦٥	هاشم ونسله (س)	٩٥	بثار قریش (س)
٦٦	شعر مطرود في بكاء بني عبد مناف (س)	١٠٠	ويل الشجى من في الخلى (ن. ل.)
٦٧	حلف المطبيين	١٠٣	شرح شعر مطرود
٦٨	السناد والإقواء	١٠٤	نصريف مومة ومرمر (ن. ل.)
٧٠	حلف الفضول	١٠٦	قلبي وسلس (ن. ل.)
٧١	حرب الفجار	١٠٧	حديث زمزم
٧٣	القتول ونديه بن الحجاج	١٠٩	الاستسقاء (س)
٧٥	الحلف وابن جدعان	١١٠	أسماء زمزم
٧٥	هل حضر النبي حرب الفجار؟ (س)	١١٢	تأويل العلامات التي رآها
٧٦	صَكَّهُ عُمَى « ن. ل. »	١١٣	عبد المطلب
٧٧	طعام ابن جدعان (س)	١١٦	من صفات زمزم
٧٨	ابن جدعان أسطورة	١١٩	نبح الماء من بين أصابعه (س)
٨١	موقف الإسلام من الحلف	١٢٠	اشتقاق مفازة (ن. ل.)
٨٣	عن أولاد عبد مناف		
٨٤	طعام هاشم		
٨٤	ابن الزبيري يمدح بني عبد مناف		

(١) الموضوع قد يذكر في السيرة وفي الروض ولهذا يتكرر ذكره في الفهرس .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٢١	الجمع واسم الجمع (ن . ل)	١٦٦	النماس الاجر على الرضاع
١٢٣	بشار قريش بمكة	١٦٧	لم كانت قريش تلتبس المراضع
١٢٨	من شرح شعر مسافر (١)	١٦٨	شق الصدر
١٣٠	هراق وأراق دس ،	١٧٠	لم يكن النبي يعرف أنه نبي قبل البعثة دس ،
١٣١	نذر عبد المطلب ذبيح ولده دس ،	١٧٠	تضارب ما قيل عن الخاتم النبوي
١٣٥	المرأة التي تعرضت لنكاح عبد الله دس ،	١٧٢	حديث السكينة
١٣٧	ما قيل لآمنة عند حملها دس ،	١٧٢	عن شق الصدر مرة أخرى
١٣٧	نذر عبد المطلب	١٧٥	لم اختيار طست من ذهب
١٣٩	تزييح عبد الله	١٧٨	الحكمة في ختم النبوة
١٤٠	حول أمهاته صلى الله عليه وسلم	١٧٩	رد حليلة للنبي دس ،
١٤١	المرأة التي دعت عبد الله	١٧٩	تأويل النور الذي رآته - آمنة -
١٤٣	ولادة الرسول دس ،	١٨٠	عود إلى حديث ابن إسحاق عن الرضاع دس ،
١٤٤	رضاعته وحضانه (س)	١٨١	وفاة آمنة دس ،
١٤٥	قصة حليلة السعدية (س)	١٨٢	رعية الغنم
١٤٩	فصل في المولد	١٨٣	في كفالة العم
١٥٠	لم يولد صلى الله عليه وسلم مختونا	١٨٤	حوت آمنة وزبانه لما حول
١٥١	تسميته (ص)	١٨٥	أحاديث عن حكم أبويه
١٥٠	اسم محمد وأحمد	١٨٨	وفاة عبد المطلب ورشاه دس ،
١٥٧	تعويذ عبد المطلب	١٨٩	قصيدة صفية دس ،
١٥٨	متى ولد وأين ولد النبي دس ،	١٩٠	قصيدة برة وعاتكة وأم حكيم دس ،
١٦٠	تحقيق وفاة أبيه دس ،	١٩١	قصيدة أميمة وأروى دس ،
١٦٠	أبوه من الرضاعة	١٩٢	قصيدة حذيفة بن غانم دس ،
١٦٢	قصية أو فضية والنيام	١٩٥	قصيدة مطرود الخزاعي دس ،
١٦٣	شرح حديث الرضاع	١٩٥	ولاية العباس السقاية دس ،
١٦٤	يغذيه أو يغديه		

(١) تقدم هذا العنوان قبل موضعه بأربعة أسطر .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٩٦	الرسول دس ، في كفاية		هذه الشجرة لإلا نبى
	أبى طالب دس ،	٢٣٧	تحقيق معنى الوسط
١٩٧	شرح شعر رثاء عبد المطلب	٢٣٨	من الذى زوج خديجة؟
٢٠٢	أبو جهم	٢٤١	أولاده دس ،
٢٠٣	شرح شعر حذيفة بن غانم	٢٤١	تنبؤ ورقة دس ،
٢٠٤	تهام وشأم ون . ل ،	٢٤٢	أولاده من خديجة
٢٠٦	حذف الياء من هاء الكتابة	٢٤٤	بين خديجة وبحيرى ونسبها
٢٠٩	من شرح شعر حذيفة	٢٤٥	من تزوجتهم خديجة قبل الرسول دس
٢١٠	رأى النحاة في زيد أفضل لإخوته	٢٤٦	مارية وإبراهيم
٢١١	من شرح شعر مطرود	٢٤٨	ترجمة ورقة
٢١٢	من شعر مهمل عن زواج ابنته	٢٥٢	مثنى يقصد به المفرد ون . ل ،
٢١٤	الظف	٢٥٥	النور والضياء . ن . ل ،
٢١٥	اللبى العائف	٢٥٦	نون الوقاية في إن أو خواتها (ن . ل)
٢١٦	قصة بحيرى دس ،	٢٥٦	حول تقدم صلة المصدر عليه (ن . ل)
٢٢٠	شرح قصة بحيرى في الروض	٢٥٧	متى يجوز تقديم معمول المصدر ون . ل
٢٢١	من صفات خاتم النبوة	٢٥٩	بنيان الكعبة في السيرة
٢٢٤	رواية الترمذى عن رحلة الشام	٢٦٤	بنيان الكعبة في الروض
٢٢٦	نقد رواية الترمذى	٢٦٦	تجديد ابن الزبير لبنائها
٢٢٨	حفظ النبي دس ، في صغره	٢٦٨	أساطير حول بناء الكعبة
٢٢٩	حرب الفجار دس ،	٢٧٣	العهد الذى أخذ على ذرية آدم دس ،
٢٣١	حديث تزوج خديجة دس ،	٢٧٦	حول بناء المسجد الحرام
١٣٣	قصة الفجار في الروض	٢٧٧	كنز الكعبة والنجار القبطى
٢٣٤	منع تنوين العلم	٢٧٨	الحية والدابة
٢٣٥	من تفسير شعر البراض	٢٧٨	تفسير : لم ترع
٢٣٥	آخر أمر الفجار	٢٧٩	حول حديث أبى لهب
٢٣٦	شرح قول الراهب : ما نزل تحت	٢٨٠	الحجر الذى كان مكتوبا عليه

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٢٨١	الحجر الأسود وقواعد البيت	٣١٠	انقطاع الكهانة
٢٨٢	شعر الزبير في بناء الكعبة	٣١١	قصة صاف بن صياد
٢٨٣	حديث الحمس في السيرة	٣١٢	حديث الغيطة الكاهنة
٢٨٧	حديث الحمس في الروض		وفي الروض
٢٨٩	يوم جبلة وعدس والحلة والطلس	٣١٣	كاهن ثقيف ولهب
٢٩٠	اللقى يروى	٣١٦	أيش والاحاثم ون.ل.
٢٩٠	رجز المرأة الطائفة	٣١٧	حى جنب
٢٩١	قرزل وطفيل	٣١٨	حول حديث عمرو سواد بن قارب
٢٩٢	الهامة . شعر لجرير	٣٢٣	سواد ودوس عند وفاة
٢٩٣	مازل من القرآن في شأن الحمس		الرسول دس،
٢٩٤	وقوف النبي بعرفة قبل النبوة	٣٢٤	كاهنة قريش
٢٩٤	موقف قريش في الحج في	٣٢٦	لمذار يهود بالرسول ص دس،
	جاهليتها دس . ش ،	٣٢٨	ابن اليبان
٢٩٥	الإخبار بمبعث نبي دس،	٣٢٩	حديث سلية وبني سعيد
٢٩٥	منع الجن من استراق السمع دس،	٣٣١	إسلام سعة الخبر
٢٩٧	أول فرع للرعى بالنجوم دس،	٣٣٢	حديث إسلام سلمان دس ،
٢٩٨	كيف يسترق الجن السمع دس،	٣٤٠	وهنى لإصهان وشرح الروض
٢٩٩	حديث الغيطة الكاهنة في السيرة		لحديث سلمان
	والروض	٣٤١	أسماء النخلة
٢٩٩	حديث كاهن جنب دس ،	٣٤٢	حكم الصدقة للنبي دس، ومصدر
٣٠١	فصل في الكهانة		مال سليمان
٣٠٢	رمى الشياطين	٣٤٤	أول من مات بعد الهجرة
٣٠٣	الجن الذين ذكروا في القرآن	٣٤٥	أسطورة نزول عيسى قبل البعثة
٣٠٥	ابن علاط والجن	٣٤٨	ورقة وعبيد الله بن جحش
٣٠٥	قصة نصر بن حجاج دس،		وعثمان بن الحويرث دس ،
٣٠٧	أحاديث حول استماع الجن دس،	٣٤٩	زيد بن عمرو بن نفيل

الموضوع	رقم	الموضوع	رقم
أول بدى به من النبوة	٣٨٨	حديث ورقة في الروض	٣٥٥
مدلول تفعل ون. ل.	٣٩٠	الزواج من امرأة الأب في	٣٥٦
حول المجاورة في حراء	٣٩١	الجاهلية	
كيفية الوحي	٣٩٢	معنى : ففتح الجرو	٣٥٨
من تفسير حديث الوحي	٣٩٦	من قصة ابن الحويرث	٣٥٨
معنى اقرأ باسم ربك	٣٩٧	اعتزال زيد بن عمرو بن نفيل	٣٥٩
حول بسم الله	٣٩٧	الآوثان وتركه أكل ما ذبح على	
الفظ	٣٩٩	النصب	
العفريت الذي تفلت في الصلاة	٤٠٠	زيد وصعصعة والموودة	٣٦٣
ما أنا بقارىء	٤٠١	شرح شعر زيد	٣٦٤
رؤية جبريل ومعنى اسمه	٤٠٢	إعراب نعت النكرة المتقدم ونحوه	٣٦٦
معنى لم وخرافة الرهبان	٤٠٢	من معاني شعر زيد	٣٦٧
معنى الناموس	٤٠٤	تفسير حنانيك وحول اسم الله ون. ل.	٣٦٨
لم ذكر ورقة موسى ولم يذكر	٤٠٤	حذف المنادى مع بقاء الياء ون. ل.	٣٦٩
عيسى ؟		تصريف اطمأنت وأشياء ون. ل.	٣٧٠
حول هاء السكت والفعل تترك ون. ل.	٤٠٥	الدعموص والخزم في الشعر	٣٧١
شرح أو مخرجى ؟ ون. ل.	٤٠٦	لغويات ونحويات	٣٧٢
يا فوخ ون. ل.	٤٠٧	صفة الرسول وص. من الإنجيل	٣٧٥
الذهاب إلى ورقة	٤٠٧	د س	
لقد خشيت على نفسي	٤٠٩	بشارة لإنجيل يوحنا د س	٣٧٦
المختار من أحاديث الوحي	٤١٠	من صفات النبي عند الأخبار	٣٧٧
وشرحها د س		د س	
كيفية الوحي د س	٤١٢	حديث الوحي د س	٣٨٠
مدة المجاورة في حراء د ش	٤١٢	كتاب المبعث	٣٨٤
تفسير مفردات حديث الوحي	٤١٣	إعراب لما آتيتكم (ن. ل)	٣٨٥
د ش		النبوة وأولو العزم	٣٧٨

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٤١٥	ابتداء تنزيل : القرآن د س ،	٤٢٣	أحاديث عن فضل خديجة
٤١٦	إسلام خديجة د س ،	٤٢٥	تفسير القصب
٤١٧	فترة الوحي د س ،	٤٢٦	حول جزاء خديجة
٤١٧	من تفسير سورة والضحي د س ،	٤٢٧	حول المكر والنسيان د س ،
٤١٩	مقي نزل القرآن	٤٢٩	الموازنة بين خديجة وعائشة
٤١٩	دعوى نزول القرآن جملة واحدة	٤٣٠	فضل فاطمة
	د س ،	٤٣١	الله السلام
٤٢٩	إضافه الشهر إلى رمضان	٤٣٢	فترة الوحي
٤٢١	حب الرسول د س ، وطنه	٤٣٤	شرح شعر للهدلى والفرزدق
٤٢٢	ذكر عبد الله بن حسن		ملحوظات

حمد وثناء

أحمد الله أن أعان ومن بالقدرة على عمل أجهد اليد والفكر والسمع والبصر لإجهادا لولا فضل الله ما تحملته . فالذى انصلت أسبابه المتينة بكتاب الروض الأنف يعلم أى فضل عظيم من الله من على به ، ولا أزعم أنى أدبت كل ما يجب ، وإنما أزعم أنى حاولت بصدق . وأعلن هنا شكرى للأخ أحمد حمدي الجهمشعبي صاحب المطبعة ، وإخوتي عمالها على أوفى جهد ، وأكرم تجاوب نبيل ؟

عبد الرحمن الوكيل

